

p-ISSN: 2307-1583
e-ISSN: 2789-326X

العدد 73 - المجلد 13 - آذار / مارس 2025

Issue 73 - Volume 13 - March 2025

سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية



ملف: أربعون عامًا من البنائية في حقل العلاقات الدولية

نيكولاس أونوف

استهلال: ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"؟

عبد النور بن عنتر

الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدول منه

مي درويش

ألكسندر ونت في الشرق الأوسط: كيف يبنى الاختلاف في قلب الهويات الجماعية؟

Academic Advisory Committee الهيئة الاستشارية

Ibrahim Fraihat	إبراهيم فريحات
Burhan Ghalioun	برهان غليون
Than'a Fouad Abdulla	ثناء فؤاد عبد الله
Hamadi Redissi	حمادي الرديسي
Hayder Ibrahim Ali	حيدر إبراهيم علي
Sultan Barakat	سلطان بركات
Seif Al-Din Abdul Fattah	سيف الدين عبد الفتاح
Tarek Mitri	طارق متري
Abdullah Baabood	عبد الله باعبود
Abdelwahab El-Affendi	عبد الوهاب الأفندي
Larbi Sidiki	العربي صديقي
Ghanim Al-Najjar	غانم النجار
Ghassan Elezzi	غسان العزي
Kadhim Hashim Niama	كاظم هاشم نعمة
Mohamed Olwan	محمد علوان
Mohammed Madani	محمد مدني
Mahmoud Muhareb	محمود محارب
Mustafa Hamarnah	مصطفى الحمارة
Mustafa Kamel Al Sayyed	مصطفى كامل السيد
Nizam Assaf	نظام عساف

Copy-Editing التدقيق

Amel Fayeck	آمال فيناش
Abdelwaheb Souissi	عبد الوهاب سويسسي
Mouldi Abbassi	المولدي العباسي

Editor-in-Chief
Mohammed Hemchi
رئيس التحرير
محمد حمشي

Managing Editor
Ahmed Qasem Hussein
مدير التحرير
أحمد قاسم حسين

Editorial Secretary
Ihab Maharmeh
Saja Torman
سكرتيرة التحرير
إيهاب محارمة
سجي طرمان

Editorial Board هيئة التحرير

Adham Saouli	أدهم صولي
Harith Hasan	حارث حسن
Hassan El Haj Ali	حسن الحاج علي
Suhaim Al Thani	سحيم آل ثاني
Abderrahim Elaallam	عبد الرحيم العلام
Omar Ashour	عمر عاشور
Faisal Abu Salib	فيصل أبو صليب
Lolwah Rashid Al-Khater	لولوة راشد الخاطر
Mohammed Al-Misfer	محمد المسفر
Marwan Kabalan	مروان قبلان
Marwa Fekry	مروة فكري
Nadia Naser-Najjab	نادية نصر- نجاب

Design and Layout تصميم وإخراج

Ahmad Helmy	أحمد حلمي
Souhail Jellaoui	سهيل جلاوي

The Designated Licensee

The General Director of the Arab Center for
Research and Policy Studies

صاحب الامتياز

المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

صورة الغلاف

مهند حسن السوداني (العراق)

مصور فوتوغرافي، بدأ رحلته في الخامسة عشرة ونال أكثر من 26 جائزة محلية ودولية في التصوير والسينما. تميز بمشاريعه عن الجنوب العراقي، ونال الميداليات الذهبية والفضية في مسابقات عربية وعالمية، إضافة إلى دوره الأكاديمي والتدريبي. تجسد الصورة رجلاً يمضي وسط الضباب في أهوار الجنوب العراقي، وتعكس صدى حضارة عريقة ما زالت تنبض بالحياة.

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

صندوق بريد: 10277
منطقة 70 شارع الطرف، الدوحة، قطر
هاتف 00974 4035 6888

Arab Center For Research & Policy Studies
PO Box: 10277
Al Tarfa Street, Doha, Qatar
Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

العدد 73 - المجلد 13 - آذار/ مارس 2025
Issue 73 - Volume 13 - March 2025

سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

لا تعبر آراء الكُتّاب بالضرورة عن اتجاهات يَتبنّاها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" أو "معهد الدوحة للدراسات العليا" أو دورية "سياسات عربية"

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

Special Issue	7	ملف أربعون عامًا من البنائية في حقل العلاقات الدولية
Forty Years of Constructivism in International Relations		المحرر: محمد حمشي
Editor: Mohammed Hemchi		
Mohammed Hemchi		محمد حمشي
Introduction	9	تقديم
Constructivism is what Constructivists Make of it		البنائية هي ما يصنعه البنائيون منها
Nicholas Onuf		نيكولاس أونوف
Foreword	21	استهلال
What should we Make of "Anarchy is what States Make of it"?		ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"؟
Mohammed Hemchi		محمد حمشي
After and Beyond Alexander Wendt: Mapping Constructivist Pathways in International Relations	29	البنائية في حقل العلاقات الدولية: المدارك والمسالك
Abdenmour Benantar		عبد النور بن عنتر
Security from a Constructivist Perspective: Security Is What States Make of it	56	الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدول منه
Marwa Fekry		مروة فكري
Transformations of the Arab Regional Order: A Constructivist Approach	83	تحولات النظام الإقليمي العربي: مقاربة بنائية
May Darwich		مي درويش
Alexander Wendt Meets the Middle East: The Construction of Difference within Collective Identities	101	ألكسندر ونت في الشرق الأوسط: كيف يبنى الاختلاف في قلب الهويات الجماعية؟

دراسة مترجمة	121	Translation
ألكسندر وندت		Alexander Wendt
ترجمة سارة إسماعيل		Translated by Sarah Ismael
الفضوى هي ما تصنعه الدول منها: سياسة القوة بوصفها بناءً اجتماعيًا	123	Anarchy is what States Make of it: The Social Construction of Power Politics
التوثيق	153	Documentation
محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 1/1 - 28/2/2025	155	Milestones in Democratic Transition in the Arab World 1/1 - 28/2/2025
وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 1/1 - 28/2/2025	160	Documents of Democratic Transition in the Arab World 1/1 - 28/2/2025
الوقائع الفلسطينية في المدة 1/1 - 28/2/2025	173	Palestine Over Two Months 1/1 - 28/2/2025
مراجعات الكتب	177	Book Reviews
سارة ناصر		Sarah Nasser
رحلة ألكسندر وندت من "نظرية اجتماعية للسياسة الدولية" إلى "توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية"	179	Alexander Wendt's Journey from <i>Social Theory of International Relations</i> to <i>Unifying Social and Physical Ontology</i>

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطورها، انطلاقاً من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثاً ودراسات وتقارير، ويصدر كتباً محكمة ودوريات علمية، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضاً، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسة التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسس.

أسّس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسّس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرغ العلمي، ويكلف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.

The Doha Institute for Graduate Studies (DI) is an independent institute for learning and research in the fields of Social Sciences, Humanities, Public Administration and Development Economics in Doha.

Through its academic programs and the research activities of its professors, the DI aims to achieve its mission of contributing to the formation of a new generation of academics and intellectually independent researchers who are proficient in international scholarship standards and modern interdisciplinary research methodologies and tools, and leading professionals who can advance human knowledge and respond to the needs of the Arab region, resulting in social, cultural and intellectual development.

The institute seeks to establish an intellectual hub that will benefit the Arab region in particular. The Institute supports academic research that deals with Arab issues, in an atmosphere of institutional and intellectual freedom.

The Institute works in cooperation with the Arab Center for Research and Policy Studies and the Doha Historical Dictionary of Arabic Language to facilitate its students and faculty members in their research of the most important current issues related to the Arab world and the wider international community. The involvement of students in the most important research projects is at the heart of the Institute's interests.

The Institute adopts Arabic as its official and primary language for education and research. English serves as an accompaniment to Arabic, with both languages used in presenting and research.

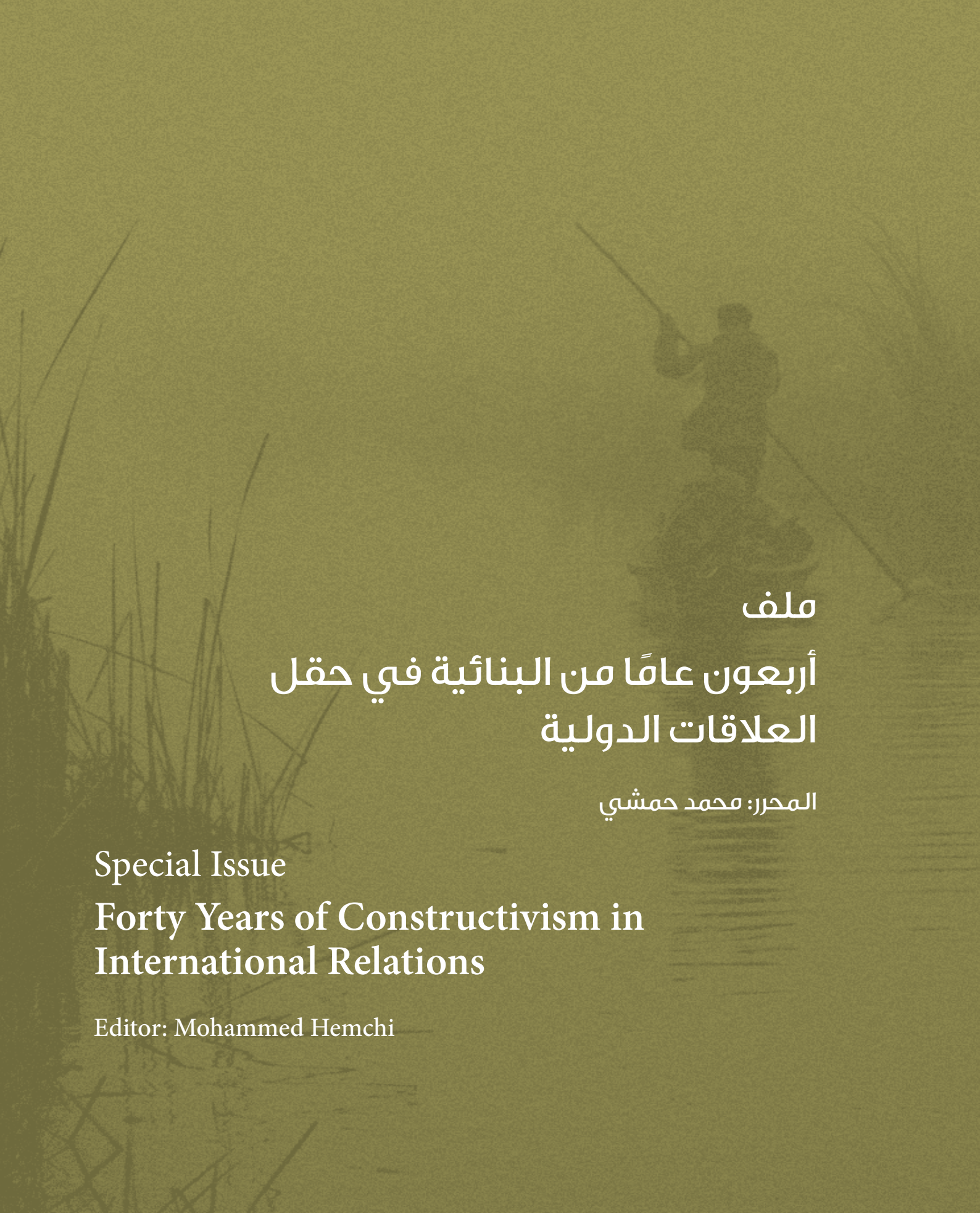
معهد الدوحة للدراسات العليا مؤسسة أكاديمية مستقلة للتعليم العالي والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية والإدارة العامة واقتصاديات التنمية.

يهدف المعهد من خلال برامجه الأكاديمية ونشاطات أساتذته البحثية إلى تحقيق رسالته المتمثلة في المساهمة في تكوين جيل جديد من الأكاديميين والباحثين المستقلين فكرياً والمتمكنين من المعايير العلمية العالمية والأدوات البحثية المنهجية الحديثة القائمة على مبدأ تداخل التخصصات، ومن القادة المهنيين القادرين على الدفع قُدماً بالمعرفة الإنسانية والاستجابة إلى حاجات المنطقة العربية في سبيل التطور الفكري والاجتماعي والمهني.

ويسعى المعهد لتأسيس نواة لصرح فكري يفيد العالم العربي على نحو خاص. ويدعم المعهد البحوث العلمية التي تهتم بالقضايا العربية، في جو من الحرية المؤسسية والفكرية.

يعمل المعهد بالتعاون مع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية على فتح المجال لطلبته وأعضاء هيئته التدريسية للبحث في أهم القضايا الراهنة التي تتعلق بالعالم العربي والمجتمع الدولي. ويعتبر إشراك الطلبة في أهم المشاريع البحثية في صلب اهتمامات المعهد.

يعتمد المعهد اللغة العربية أداة للبحث العلمي، ولغة رسمية في الخطاب العام، ولغة أساسية للتعليم والبحث. وتُعد اللغة الإنكليزية لغة مرافقة في التعلم والبحث العلمي. وتستعمل اللغتان في طرح المواضيع المختلفة ودراساتها.



ملف

أربعون عامًا من البنائية في حقل
العلاقات الدولية

المحرر: محمد حمشي

Special Issue

Forty Years of Constructivism in
International Relations

Editor: Mohammed Hemchi

Introduction

Constructivism is what Constructivists Make of it

أولاً: البنائية في حقل العلاقات الدولية: قصة نجاح بطلها ألكسندر ونت

وقف ألكسندر ونت، عام 1986، وقد كان حينها شاباً لمَّا يدافع عن أطروحته لنيل الدكتوراه، أمام جمهورٍ من باحثي العلاقات الدولية وطلابها، في مؤتمر جمعية الدراسات الدولية السنوي، ليعرض ورقة بحثٍ عنوانها "مشكلة الفاعل - البنية في نظرية العلاقات الدولية". ويذكر نيكولاس أونوف أنه لاحظ خلال المؤتمر أنَّ "أهمية الدراسة بدت للعيان وسط الجمهور داخل القاعة كلها"⁽¹⁾. وحديثاً، أشار ونت نفسه إلى أنَّ هذه الورقة التي نُشرت دراسةً في السنة الموالية⁽²⁾، شكَّلت إسهاماته اللاحقة، إلى درجة أنه كان يعيد كتابتها من جديد، ولكن من زوايا نظر مختلفة⁽³⁾. وتزامن صدور هذه الدراسة، والنقاشات التي أثارها، مع ثلاث حركات رئيسة في حقل العلاقات الدولية. الحركة الأولى هي صدور، على الأقل، ثلاثة أعمال اتخذت مسالكَ نظريةً (وإبستمولوجيةً في المقام الأول) متقاربة: دراسة فريدريك كراتوتشفيل وجون راغي، بعنوان "التنظيم الدولي: تطورات حقلٍ قائم على الدولة"، عام 1986⁽⁴⁾، وكتاب كراتوتشفيل، القواعد والمعايير والقرارات: عن التفكير العملي والقانوني في العلاقات الدولية والشؤون المحلية⁽⁵⁾، إضافةً إلى كتاب أونوف، عالمٌ من صنعنا: القواعد والحكم في النظرية الاجتماعية والعلاقات الدولية، عام 1989⁽⁶⁾. وهي الأعمال التي مهَّدت الطريق لنشوء الحركة البنائية في العلاقات الدولية، وتبلورها في أعوامٍ يسيرة مع صدور مقالة ونت الثانية، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: السياسة الدولية بوصفها بناءً اجتماعياً"⁽⁷⁾، في بداية تسعينيات القرن العشرين. وينسب أونوف إلى ونت فكرة تحديد عام 1986⁽⁸⁾، باعتباره التأسيس الأنسب لبداية الحركة، مع صدور دراسة كراتوتشفيل وراغي.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وأستاذ مساعد، معهد الدوحة للدراسات العليا.

Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies, and Assistant Professor, Doha Institute for Graduate Studies.

Email: mohammed.hemchi@dohainstitute.edu.qa

1 ينظر في هذا العدد: نيكولاس أونوف، "ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقالة 'الفوضى هي ما تصنعه الدول منها؟'؟" سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 21-28.

2 Alexander Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory," *International Organization*, vol. 41, no. 3 (1987), pp. 335-370;

وينظر ترجمة المقال إلى اللغة العربية، في: ألكسندر ونت، "مشكلة الفاعل - البنية في نظرية العلاقات الدولية"، ترجمة أحمد قاسم حسين، سياسات عربية، مج 13، العدد 72 (كانون الثاني/ يناير 2025)، ص 103-130.

3 سارة ناصر، "ألكسندر ونت"، موسوعة المعارف العربية-أرابيكا، قيد النشر؛ وينظر أيضاً مقابلة معه بمناسبة ترجمة كتابه، نظرية اجتماعية للسياسة الدولية، إلى اللغة السلوفينية، في:

Alexander Wendt, "Predstavitev Knjige: Alexander Wendt Družbena Teorija Mednarodne Politike," YouTube, 16/3/2023, accessed on 23/1/2024, at: <https://tinyurl.com/5n7pbw97>

4 Friedrich Kratochwil & John Gerard Ruggie, "International Organization: A State of the Art on an Art of the State," *International Organization*, vol. 40, no. 4 (Autumn 1986), pp. 753-775.

5 Friedrich Kratochwil, *Rules, Norms and Decisions: On the Conditions of Practical and Legal Reasoning in International Relations and Domestic Affairs* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).

6 Nicholas G. Onuf, *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations* (Columbia: University of South Carolina Press, 1989).

7 Alexander Wendt, "Anarchy is what States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 2 (1992), pp. 391-425;

ينظر في هذا العدد ترجمة المقال إلى اللغة العربية، في: ألكسندر ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: السياسة الدولية بوصفها بناءً اجتماعياً"، ترجمة سارة إسماعيل، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس 2025)، ص 123-152.

8 أونوف، ص 21.

تعدد المرجعيات الفكرية التي ينهل منها التأمليون، والتي تجد أصولها في الفلسفة والتاريخ والنظرية الاجتماعية واللسانيات وغيرها.

وحين اشتبك ونت مع مشكلة البنية - الفاعل في نظريات العلاقات الدولية، وأثار ما أثاره من احتفاء، لم يكن يدعًا من المنظرين لا من داخل حقل العلاقات الدولية ولا من خارجه. فقد استلهم تقليد البنيانية Structurationism، الذي أسسه أنتوني غيدنز مصطلحًا ونظريةً، ويعود إلى تراث عريق من النظرية الاجتماعية. هذا من خارج الحقل، أمّا من داخله، فقد استخدمه أيضًا أونوف، محيلًا إلى غيدنز⁽¹³⁾. ولم يستخدم ونت مفهوم "البناء الاجتماعي" إلاّ لمأملًا، ومن غير أن يذكره اصطلاحًا على هذا النحو⁽¹⁴⁾.

وبعد نحو خمس سنوات قضاها في تطوير أطروحته استنادًا إلى النظرية الاجتماعية، نشر ونت عام 1992 مقالته المرجعية، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، واستخدم البنيانية وسماً بديلاً من التأملية، مستلهمًا إياه من أونوف⁽¹⁵⁾؛ وتنتعت في أحايين كثيرة بالبنيانية الاجتماعية Social Constructivism، تأكيدًا لمفهومها المحوري، البناء الاجتماعي Social Construction. ولعله لم يتيغ من استخدامه "البنيانية" رفض وسم التأملية الذي استخدمه كيوهان فحسب، بل أراد أيضًا أن يشدّ الانتباه إلى "الامتداد الواسع للمادة النظرية التي قلل دهاء كيوهان من شأنها متعمدًا"⁽¹⁶⁾، والتي كان قد راكمها نقاد العقلانية، والواقعية تحديدًا، في فترة وجيزة.

نعود إلى الحركة الثالثة في حقل العلاقات الدولية، التي تزامن معها صدورُ مقالة ونت الأولى، والثانية أيضًا. تمثلت هذه الحركة في التحدي الإبستمولوجي الذي واجه به التأمليون (والبنائيون في هذه الحالة شرطٌ منهم) التيارات السائدة من نظريات العلاقات الدولية مع نهاية الحرب الباردة. وقد ألفت هذه الحركة بظلال كثيفة من الشك في قدرة العقلانية، والواقعية الجديدة على وجه التحديد، على تفسير التغير في السياسة الدولية (فضلاً عن التنبؤ به). لقد مثلت نهاية الحرب الباردة مثالاً إمريقيًا شاهدًا على أنّ مصالح الدول ليست ثابتة، وأنّ التحول في الأفكار والهويات والمعايير يمكن أن يؤدي إلى تغيير في مصالح الدول، ومن ثم في سلوكها، وفي نظام العلاقات بينها. ولو كانت العبرة مقتصرة على توزيع القوة، لما بدأ نظام الحرب الباردة الثنائي الأقطاب في التفكك مع نشوء تغيير في خطاب الفاعلين

ولكن، هل يُعدُّ التاريخ للأفكار بعام بعينه، أو بصور عمل أكاديمي بعينه، مفيدًا على هذا النحو؟ يذكر أونوف أن صدور الأعمال الثلاثة، الأنفة الذكر، "استغرق سنوات من الجهد"⁽⁹⁾. وقد تأثرت هذه الجهود، على نحو ما، بالحركة الثانية التي أشار إليها روبرت كيوهان في خطابه الافتتاحي، بوصفه رئيسًا لجمعية الدراسات الدولية، عام 1988، حين ذكر أنّ حقل العلاقات الدولية بات منقسمًا بين المقاربات العقلانية، المنضوية تحت لواء ما يُعرف بالتيار السائد Mainstream (وهي تحديدًا الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة)، ومجموعة من المقاربات التأملية، التي بدت كأنها في شتات. بل إنّ كيوهان وصفها على ذلك النحو، إذ إنه جادل بأنّ إخفاقها في تطوير برنامج بحثي خاص بها سببها قابعةً في هامش حقل العلاقات الدولية⁽¹⁰⁾. ويعكس وصفها بأنها كانت في شتات (أو في الشتات، إذا شئنا تحويل عبارة كيوهان قليلًا) صعوبة تعريفها بوصفها برنامجًا بحثيًا موحدًا. فهي، خلاف المقاربات العقلانية، لم تمثل صوتًا واحدًا، بل مجموعة من الأصوات التي يمكن القول إنّ ما يشتهها أكثر ممّا يجمعها، وإنّ القاسم المشترك، الوحيد تقريبًا، الذي كان يجمعها هو معارضة المقاربات العقلانية وفلسفتها الوضعية؛ وعلى نحو أضيّق تحديدًا، معارضة الواقعية (الجديدة)⁽¹¹⁾. ويعكس هذ الشتات أيضًا التباين في تصنيف المقاربات التأملية ضمن هذه الحركة⁽¹²⁾. ولعل أحد عوامل هذا التباين، في الأصوات التأملية وفي تصنيفاتها على حد سواء، يكمن في

9 المرجع نفسه.

10 Steve Smith, "The Discipline of International Relations: Still an American Social Science?" *British Journal of Politics and International Relations*, vol. 2, no. 3 (2000), pp. 385-386.

11 Ibid.; Kjell Goldmann, "The Concept of 'Realism' as a Source of Confusion," *Cooperation and Conflict*, vol. 23, no. 1 (1988); Helena Rytövuori-Apunen, "Forget 'Post-Positivist' IR! The Legacy of IR Theory as the Locus for a Pragmatist Turn," *Cooperation and Conflict*, vol. 40, no. 2 (2005).

12 تقتصر قائمة كريس براون، مثلًا، على ما بعد الحداثيين وما بعد البنويين والنقديين والنسويين. ينظر:

Chris Brown, *Understanding International Relations*, 3rd ed. (New York: Palgrave Macmillan, 2005), p. 52;

بينما تتسع قائمة ستيف سميث وباتريشيا أوينز لتضمّ كذلك ما بعد الكولونياليين والمنظرين المعياريين ومنظري علم الاجتماع التاريخي، ينظر:

Steve Smith & Patricia Owens, "Alternative Approaches to International Theory," in: John Baylis & Steve Smith (eds.), *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*, 2nd ed. (Oxford: Oxford University Press, 2001), pp. 274-275;

في حين يقترح فريد تشرنوف قائمة أخرى تقتصر على النقديين وما بعد البنويين والبنائيين والتأويليين، ينظر:

Fred Chernoff, *Theory and Metatheory in International Relations: Concepts and Contending Accounts* (New York: Palgrave Macmillan, 2007), p. 131;

ويقدم ونت نفسه قائمة أخرى تضم المنظرين الإدراكيين Cognitivists وما بعد البنويين والنسويين ومنظري القواعد والبنيانيين Structurationists. ينظر:

Wendt, "Anarchy is what States Make of it," p. 393.

13 Onuf, pp. 52-65.

14 ينظر تحديدًا:

Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory," p. 369.

15 Wendt, "Anarchy is what States Make of it," p. 393; Onuf, p. 1.

16 أونوف، ص 21.

لقد مثلت البنائية قصة نجاح مبهرة بحق⁽²¹⁾. ولا شك في أن ونت كان (ولعله لا يزال) بطلها، على الرغم من مغادرته برنامج البحث البنائي بعد ما يقارب عشرين سنة من الالتحاق به⁽²²⁾. ففوق استطلاع أجراه مشروع التعليم والبحث والسياسة الدولية *Teaching, Research and International Politics*، احتل ونت صدارة ترتيب الباحثين الأشد تأثيراً في حقل العلاقات الدولية خلال الأعوام العشرين السابقة للعام الذي أُجري فيه الاستطلاع، في الأعوام 2011 و2014 و2017⁽²³⁾. وقبل ذلك، منحت جمعية الدراسات الدولية كتابته، *نظرية اجتماعية للسياسة الدولية*، جائزة كتاب العقد، الذي جرت ترجمته إلى اثنتي عشرة لغة. وفي أواخر أيار/ مايو 2023، حاز، رفقة فينمور، جائزة يوهان سكايت للعلوم السياسية (وهي أشبه ما تكون بجائزة نوبل للعلوم السياسية). وذكرت لجنة الجائزة أنهما ساهما في "تأجيج ثورة في مجال العلوم السياسية"⁽²⁴⁾. وهذا من بين ما يجعل البنائية، وارتباطها باسم ونت، قصة نجاح مبهرة. ففي حين تُفاخر الواقعية بتاريخ يمتد أزيد من خمسة وعشرين قرناً، وتعزّز الليبرالية بجذور فلسفية ضاربة في تاريخ يمتد عبر قرون عديدة، لم تكن البنائية في حاجة إلا إلى عقد ونيف لتنشأ وتتشكل وتتطور وتتنزع لنفسها موطئ قدم في الحقل، نظريةً للواقعية والليبرالية ومنافسةً لهما. يقدم ونت، رفقة فينمور، مسوّغين رئيسيين لهذا النجاح المبهّر. أولهما، السياق الفكري الذي ساد أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات؛ إذ إن نظريات العلاقات الدولية، خاصة الأمريكية منها، كانت قد ضيّقت نطاق اهتماماتها بحدّة إلى درجة جعلت "التيار السائد من الأبحاث في موقف دفاعي حين انهار الاتحاد السوفياتي وبلغت الحرب الباردة نهايتها". أما ثانيهما فيرتبط بطبيعة الأفكار البنائية نفسها، التي تميزت بمرونة شديدة ميّزتها من نظريات العلاقات الدولية الأخرى. فالبنائية من الناحية النظرية تُعدّ نظرية اجتماعية، لا نظرية في العلاقات الدولية، ما أتاح لها معالجة مجموعة أوسع من المشكلات. ومن

الرئيسيين، وهويتيهما، والمعايير النازمة لتفاعلهما⁽¹⁷⁾. لقد بدت بنية النظام الدولي، الفوضوية الثنائية الأقطاب، في لحظة نهاية الحرب الباردة، مثلاً إمبيريقياً شامداً على نباهة ونت ووجهة حججه. لقد بدت البنية *Structure*، المستقرة الثابتة المعطاة سلفاً في عرف الواقعية، بناءً اجتماعياً *Construction* يتشكل من خلال الأفكار والمعاني والفهوم والهويات المشاركة بين الفاعلين، ومع تغيّرها تتغير البنية بصرف النظر عن ثبات خصائصها المادية.

وهكذا، برز اسم ونت بوصفه مؤسس البنائية الاجتماعية في حقل العلاقات الدولية؛ فملاً الدنيا وشغل الناس، ولم يزل؛ مقترناً اسمه بمقالته الفارقة، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، وبعبارة "الشيء هو ما يصنعه الفاعلون منه"، المستوحاة من عنوان الدراسة. وبات في إمكان المرء أن يُحلّ محلّ "الشيء"، في عبارة ونت، أي شيء يمكن التفكير فيه بوصفه مبنياً اجتماعياً *Socially Constructed*⁽¹⁸⁾. ولا يمثل عنوان هذه المقدمة، "البنائية هي ما يصنعه البنائيون منها"، ولا دراسة عبد النور بن عنتر في هذا العدد، "الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدولة منه"، أي استثناء من ذلك. لكن الأمانة تقتضي الإشارة إلى أن ونت نفسه، سبق أن استخدم، رفقة مارثا فينمور، عبارة "البنائية هي ما يصنعه البنائيون منها" في آخر دراسة نشرها⁽¹⁹⁾ بُعيدَ نيلهما جائزة يوهان سكايت للعلوم السياسية عام 2023⁽²⁰⁾.

17 ينظر على سبيل المثال:

William Wohlforth, "Realism and the End of the Cold War," *International Security*, vol. 19, no. 3 (1995), pp. 91-129; Brian Frederick, "Resolving Security Dilemmas: A Constructivist Explanation of the Cold War," *International Politics*, vol. 35 (1998), pp. 207-232; Brian Frederick, *Resolving Security Dilemmas: A Constructivist Explanation of the INF Treaty* (Aldershot: Ashgate, 2000); William Wohlforth, "Reality Check: Revising Theories of World Politics in Response to the End of the Cold War," *World Politics*, vol. 50, no. 4 (1998), pp. 650-680; Tuomas Forsberg, "Power, Interests and Trust: Explaining Gorbachev's Choices at the End of the Cold War," *Review of International Studies*, vol. 25 (1999), pp. 603-621; Robert S. Snyder, "Bridging the Realist/ Constructivist Divide: The Case of the Counterrevolution in Soviet Foreign Policy at the End of the Cold War," *Foreign Policy Analysis*, vol. 1 (2005), pp. 55-71.

18 أشار ستيفانو غوتزيني إلى أن عبارة "البناء الاجتماعي [للشيء]"، باتت تصدر عناوين المقالات وفضول الكتب وتكليفات الطلاب المدرسية، تماماً كما حدث مع عبارة "الاقتصاد السياسي [للشيء]" في ثمانينيات القرن العشرين. ينظر: Stefano Guzzini, "A Reconstruction of Constructivism in International Relations," *European Journal of International Relations*, vol. 6, no. 2 (2000), p. 147.

19 Martha Finnemore & Alexander Wendt, "When 'Old' Constructivism was New: Reflections on Classical Constructivism," *Perspectives on Politics*, vol. 22, no. 4 (2024), p. 1249.

20 سبق أن استخدم، أيضاً، هانيس بيلتون عبارة "البنائية بناءً اجتماعي" في دراسة متميزة عن تطور البنائية في حقل العلاقات الدولية، لكن في سياق مغاير. ينظر: Hannes Peltonen, "A Tale of Two Cognitions: The Evolution of Social Constructivism in International Relations," *Revista Brasileira de Política Internacional*, vol. 60, no. 1 (2017), p. 2.

21 ينظر على سبيل المثال:

Finnemore & Wendt; Guzzini; Emanuel Adler, "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics," *European Journal of International Relations*, vol. 3, no. 3 (1997), pp. 319-363; Jeffrey T. Checkel, "The Constructivist Turn in International Relations Theory," *World Politics*, vol. 50, no. 2 (1998), pp. 324-348; Ted Hopf, "The Promise of Constructivism in International Relations Theory," *International Security*, vol. 23, no. 1 (1998), pp. 171-200.

22 عن انسحاب ونت من برنامج الأبحاث البنائي، ينظر في هذا العدد: محمد حمشي، "البنائية في حقل العلاقات الدولية: المدارك والمسالك"، *سياسات عربية*، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 29-55.

23 ينظر نتائج الاستطلاع خلال أعوام 2011 و2014 و2017، على موقع المشروع، شوهده في 2025/1/1، في: <https://tinyurl.com/2jayw2ea>

24 Michal Grahn, "Alexander Wendt and Martha Finnemore Awarded the Johan Skytte Prize in Political Science," *The Johan Skytte Prize*, 25/5/2023, accessed on 1/1/2025, at: <https://tinyurl.com/5n8v2k4x>

الوقت نفسه⁽³⁰⁾. من هذا المنطلق، جاءت فكرة هذا العدد الخاص من دورية سياسات عربية، ومنه أيضاً يأتي منطقه ومسوَّغه.

ثانياً: لماذا هذا العدد الخاص؟

نحاج بأن المنطقة العربية تُعدّ بحق، مختبراً خصباً لفحص الفرضيات البنائية، بعيداً عن نزعة الواقعية المتشائمة نحو الاستسلام للحمية المادية، وبعيداً أيضاً عن نزعة الليبرالية المتفائلة حيال التقدم الخطي الكامنة في أطروحات المؤسسات الجديدة والسلام الديمقراطي، لكن من دون استبعادهما بطبيعة الحال. فإذا كانت السياسة الدولية (معنى السياسة بين دول) مبنية اجتماعياً، وتشكل من خلال التفاعلات والمعاني الاجتماعية التي ينتجها (ويعيد إنتاجها) ويتشاركها الفاعلون عبر الخطاب والممارسة، فإن المنطقة العربية، حيث يتشابك التاريخ والهوية والدين والثقافة والخطاب مع المصالح الأمنية والاقتصادية والجيوستراتيجية، تمثل فضاءً واعداً للاشتباك مع الأطروحات البنائية وتطويرها.

على سبيل المثال، أدت الصورة السائدة عن السياسة (المحلية والدولية) في المنطقة العربية بوصفها سياسة هوية Identity Politics⁽³¹⁾ إلى اشتباك مكثف بين دراسات سياسة الهوية ودراسات الشرق الأوسط Middle East Studies⁽³²⁾. وقد أدى هذا الاشتباك إلى نشوب ما يُعرف بالجدل بشأن دراسات المناطق Area Studies Controversy⁽³³⁾؛ وهو "توتر بين المختصين في دراسات المناطق، ممن لديهم إلمام بدراسات الشرق الأوسط مثلاً، من ناحية، وباحثي العلوم الاجتماعية المتجهين نحو الاختصاصات المعرفية، مثل أولئك القادمين من حقل العلاقات الدولية، من ناحية أخرى. ويكمن موضوع التوتر في: كيف ينتج الباحثون المعرفة؟ وقد اتهم المختصون في المنطقة، الذين

الناحية الإمبريقية، انفتحت البنائية على جميع مستويات التحليل السياسي. أما من الناحية المنهجية، فقد تميزت بتعددية سمحت للباحثين، من جيل الشباب الناشئ، باستخدام مناهج متنوعة لاختبار فرضياتها⁽²⁵⁾. ولعل المثير للاهتمام، في كل ذلك، أن رواج هذه الأفكار وانتشارها الواسع كانا مفاجئين لمؤسسي البنائية، أو على الأقل ونت وفينمور⁽²⁶⁾، بقدر ما كانا مفاجئين لمؤيديها ومناوئيهما.

ونقترح، في هذا العدد⁽²⁷⁾، ثلاثة عوامل أخرى زادت البنائية قوة ودفعت بها نحو مركز التيار السائد في حقل العلاقات الدولية. العامل الأول هو انخراطها المبكر في النقاشات الكبرى بين نظريات العلاقات الدولية، وإطلاقها مشروع تجسير الفجوة بين طريقتي النقاش الثالث، العقلانية والتأملية. والعامل الثاني هو صعود ما يمكن تسميته المدرسة الأوروبية التي طوّرت البنائية على نحو مكثف، وساهمت في تعبيد بعض من أبرز مسالكها منذ منتصف التسعينيات. وأما العامل الثالث فهو نفوذها خارج حقل النظرية الدولية، إذ إنها ساهمت في إنضاج عدد من التحوّلات المعرفية في حقول غير حقل نظرية العلاقات الدولية الذي نشأت فيه وتطورت، مثل دراسات الأمن والاقتصاد السياسي الدولي، بل والنظرية الاجتماعية عامة.

ونضيف عاملاً آخر، يمكن اعتباره تحدياً في لبوس عامل نجاح. لقد أشرنا في دراسة سابقة⁽²⁸⁾ إلى ضرورة "الاستمرار في) الإقرار بفضل البنائية في تشجيع وإلهام المساعي الحالية لبناء نظريات غير غربية في العلاقات الدولية، سواء في أفريقيا أو في آسيا أو في أميركا اللاتينية، وذلك بفضل اهتمامها وتركيزها على عالمي الثقافة والهوية. وهذا ما جعل الباحثة الكولومبية أRLINE تيكنر⁽²⁹⁾ تصنف البنائية ضمن أحد أهم مصادر التنظير غير الغربي في العلاقات الدولية. ورغم أصولها المتجذرة في التجربة الغربية، فإن البنائية يمكن أن تمثل مصدر إلهام مهم بفضل إستيمولوجياتها المنشقة عن الوضعية الغربية المهيمنة. هذا ما نقصده بالتحدي. ويبدو أن البنائية تبلي بلاءً حسناً في مواجهته، ما يضيف إلى عوامل نجاحها. وفي سياق متصل، وفي هذا العدد، تشير مي درويش، على سبيل المثال، إلى أن منطقة الشرق الأوسط توفر إمكانيةً لتطبيق حجج البنائية، وتمثل رهاناً لها في

30 ينظر في هذا العدد: مي درويش، "الكسندر ونت في الشرق الأوسط: كيف يُبنى الاختلاف في قلب الهويات الجماعية؟"، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 103.

31 Shebly Telhami & Michael Barnett, "Introduction: Identity and Foreign Policy in the Middle East," in: Shebly Telhami & Michael Barnett (eds.), *Identity and Foreign Policy in the Middle East* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002).

32 ينظر:

Morten Valbjørn, "Studying Identity Politics in Middle East International Relations: Before and after the Arab Uprisings," in: Raymond Hinnebusch & Jasmine K. Gani (eds.), *The Routledge Handbook to the Middle East and North African State and States System* (New York: Routledge, 2019).

33 Andrea Teti, "Bridging the Gap: IR, Middle East Studies, and the Disciplinary Politics of the Area Studies Controversy," *European Journal of International Relations*, vol. 13, no. 1 (2007), pp. 117-145; Robert Bates, "Area Studies and the Discipline: A Useful Controversy," *PS: Political Science and Politics*, vol. 30, no. 2 (1997), pp. 166-169.

25 Finnemore & Wendt, p. 1248.

26 Ibid.

27 ينظر في هذا العدد: حمشي، ص 101-119.

28 محمد حمشي، "النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد في الحقل"، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2017.

29 Arlene Tickner, "Seeing IR Differently: Notes from the Third World," *Millennium*, vol. 32, no. 2 (2003).

الوكالة وتحليل الشبكات والحروب الأهلية⁽³⁸⁾؛ أو تقديم رايونند هاينبوش مقارنة توليفية متعددة المتغيرات تجمع بين الواقعية الكلاسيكية الجديدة والبنائية والمدرسة الإنكليزية والاقتصاد السياسي الدولي لتفسير علاقات الشرق الأوسط الدولية التي باتت تسودها حروب هويات عابرة للحدود⁽³⁹⁾.

وتضيف درويش، في هذا العدد، أن بعض الباحثين القادمين من منظور بنائي تمكّنوا من استكشاف دراسات حالة مثمرة في الشرق الأوسط، وأسهمت بحق في تطوير مقارباتهم وأطروهم النظرية؛ ذلك أن "البنائية الاجتماعية تعدّ أشد مرونة وأقل اعتماداً على التصورات المسبقة التي تسمّ المقاربات المهيمنة في الحقل، بل تعتمد بدلاً من ذلك على فرضية مفادها أن سلوك الدولة ومصالحها مبنية اجتماعيًا. وهكذا انتهى دارسو الشرق الأوسط إلى أن البنائية مقارنة مرنة يمكن تكييفها لدراسة ظواهره، على الرغم من أن مفهومها الذي تتأسس عليه ربما كان قائماً على أفكار وخبرات غربية، بيد أنهم توافقوا على أن تطبيقها يمكن أن يستقي من الأفكار والهويات والمعايير داخل ثقافة الشرق الأوسط السياسية وتاريخه"⁽⁴⁰⁾. بعبارة أخرى، يمكن البنائية أن تستفيد من دراسة المنطقة العربية في تطوير نفسها بوصفها نظرية، تماماً كما أن دراسة المنطقة العربية يمكن أن تستفيد من استكشاف ما تقدّمه البنائية، بنسخها المتعددة، من افتراضات ومفاهيم وأدوات منهجية خلّاقة.

وإن الأمر لا يتوقف عند سياسة الهوية، التي لربما تحوّلت إلى عبارة مبتذلة تبرر النظر إلى المنطقة بوصفها استثناءً، جوهرياً في

يأخذون السياق في الحسبان، بأنهم وصفيون ويعانون نرجسيةً نابعة من معرفتهم بالمنطقة، ما يجعل الخصوصيات المحلية تقريباً تعمي بصيرتهم؛ في حين واجه الملتزمون بالاختصاص المعرفي تهمة الانغماس في نقاشات نظرية عقيمة ومجردة، ما يعمي بصيرتهم عن واقع المنطقة المعقّد⁽³⁴⁾. وتشير درويش وآخرون، في دراسة مسحية حديثة، إلى أن ما بات يسمّى حقل علاقات الشرق الأوسط الدولية Middle East IR قد تجاوز هذا الجدل؛ إذ إن الأبحاث الحديثة تعكس مجموعة من الدراسات الخلّاقة والمتطورة التي أفلحت في الجمع بين النقاشات الحديثة بشأن الأمن الدولي، على سبيل المثال، والمعرفة المعقدة بشؤون منطقة الشرق الأوسط⁽³⁵⁾.

يعني ذلك أن شطرًا من العمل قد أُنجز، وأنّ الباحثين مستقبلاً ليسوا مضطرين إلى الانغماس في هذا السجال من جديد. وفي سياق متصل، نذهب، في هذا العدد، إلى أن البنائية قد ساهمت، خلال السنوات الأخيرة، في إنجاز شطرٍ آخرٍ من العمل، هو التخفيف من حدة النقاشات الإبستمولوجية في حقل العلاقات الدولية، التي استهلكت الجماعة المعرفية طيلة عقود⁽³⁶⁾؛ وذلك بفضل نجاحها في تحويل مشروع ونت لتجسير الفجوة الإبستمولوجية، بين العقلانية والتأملية، إلى جسرٍ بمسالك متعددة، تسمح بعبور الباحثين بين مقاربات نظرية متنوعة، سواء من البنائيين أنفسهم أو من غير البنائيين؛ إضافةً إلى نجاحها، خاصة نسخها الجديدة، في تعزيز صعود الانتقائية التحليلية في الحقل⁽³⁷⁾. وفي هذا السياق، قدّم عدد من الباحثين أعمالاً تُقحم المنظور البنائي في توليفات متنوعة لدراسة علاقات الشرق الأوسط الدولية، مثل جمّع مارك لينتس بين تركيز البنائية على الأفكار والهويات، وتركيز الواقعية على الدولة وحروب

38 Marc Lynch, *The New Arab Wars: Uprisings and Anarchy in the Middle East* (New York, NY: Public Affairs, 2016).

39 Raymond Hinnebusch, *The International Politics of the Middle East* (Manchester: Manchester University Press, 2015);

ينظر أيضًا:

Morten Valbjørn, "Strategies for Reviving the International Relations/Middle East Nexus after the Arab Uprisings," *PS: Political Science & Politics*, vol. 50, no. 3 (2017);

وممن ركزوا على مقاربات انتقائية تمزج بين البنائية والواقعية الجديدة، ينظر:

Raymond Hinnebusch, "Identity in International Relations: Constructivism Versus Materialism, and the Case of the Middle East," *The Review of International Affairs*, vol. 3, no. 2 (2003); Michael Barnett, *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order* (New York: Columbia University Press, 1998); Marc Lynch, *State Interests and Public Spheres: The International Politics of Jordan Identities* (New York: Columbia University Press, 1999);

وينظر أيضًا دراسة درويش نفسها للحالتين السعودية والسورية، في:

May Darwich, *Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region* (Cambridge: Cambridge University Press, 2019); وللاطلاع على سبرٍ مكثف للطرائق التي استُخدمت فيها البنائية في دراسة علاقات الشرق الأوسط الدولية، ينظر: Darwich & Juliet.

40 ينظر في هذا العدد، درويش، ص 103.

34 وينظر: مي درويش [وآخرون]، "العلاقات الدولية و(انعدام) الأمن الإقليمي"، في: مارك لينتس وجيليان شويدلر وشون يوم (محررون)، *علم سياسة الشرق الأوسط: مسح للنظريات والأبحاث منذ الانتفاضات العربية*، ترجمة محمد حمشي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2025 [قيد النشر])؛ وينظر أيضًا:

May Darwich & Juliet Kaarbo, "IR in the Middle East: Foreign Policy Analysis in Theoretical Approaches," *International Relations*, vol. 34, no. 2 (2019).

35 درويش [وآخرون]؛ ينظر أيضًا:

Jan Busse, "ASC 2.0-The Area Studies Controversy Revisited," *APSA MENA Newsletter*, vol. 5 (2018);

ينظر أيضًا دراسة مسحية مبكرة نسبيًا، صدرت قبل عقدين من الزمن، قدّم فيها باسل صلوخ البنائية بوصفها مقارنة نظرية رئيسة لدراسة سلوك الدولة في منطقة الشرق الأوسط، في: Bassel Salloukh, "Regime Autonomy and Regional Foreign Policy Choices in the Middle East: A Theoretical Exploration," in: Bassel Salloukh & Rex Brynen (eds.), *Persistent Permeability? Regionalism, Localism, and Globalization in the Middle East* (Aldershot, England: Ashgate, 2004), pp. 83-87.

36 ينظر في هذا العدد: حمشي، ص 46.

37 المرجع نفسه.

ويُتوقع أن يكون لباحثي العلاقات الدولية العرب إسهام في هذا النقاش. وإذا حسبناه واجباً أخلاقياً تنويرياً (وإرشادياً) لما يتعلق الأمر بجمهورهم من صنّاع السياسات، على محدوديته، قبل أن يكون واجباً مهنيّاً يتعلق بالنشر من أجل الأداء الوظيفي والترقيات المهنية وغير ذلك، فإنّ هذا الواجب ينبغي أن يقترن بالضرورة بمنظور متجذر في ذاتيات الباحثين العرب وفي بينذاتياتهم (Inter)subjectivities المتجذرة في التزاماتهم الأخلاقية والمعمارية تجاه بلدانهم وإقليمهم الأوسع. وإذا كنّا قد صرنا على وعي بالسؤال الإبيستيمولوجي النقدي "من منظور من؟"⁽⁴⁴⁾، فينبغي أن يكون جوابنا مباشراً وواضحاً: "من منظورنا نحن"، لأننا الأدرى بشعاب مكّة، فنحن أهلها!

يشهد حقل العلاقات الدولية، المهتمّ بنسيان رصيد من تقاليد التفكير في العلاقات الدولية وتقاليد ممارستها في بقية العالم غير الغربي⁽⁴⁵⁾، دعوات متزايدة لاستكشاف التقاليد غير الغربية في التنظير للعلاقات الدولية⁽⁴⁶⁾، لأنّ هذا ما يجعل حقل العلاقات الدولية دولياً بحق. وينبغي للباحثين والمفكرين من قلب السياقات الجيوثقافية غير الغربية أن يلبّوا هذه الدعوات. ولكي لا يعيد هؤلاء إنتاج ممارسات الإقصاء المتبادل، الكامنة في ثنائية النظرية الغربية - غير الغربية، لا ينبغي لهم أن يعملوا على استبدال النظريات الراسخة، بل أن يتعاملوا معها بعقلٍ تأملي ونقدها وتهذيبها، لا أخذها بوصفها مفروغاً منها.

ونستحضر ههنا، مرة أخرى، حجة تيكتر القائلة إنّ البنائية، على الرغم من تجذرها في التجربة الغربية، يمكن أن تمثّل مصدراً مهماً من مصادر التنظير غير الغربي في العلاقات الدولية. ولو قال قائل إنّ مشكلة البنائية قد تكمن في تجذرها في الإبيستيمولوجيا الوضعية الغربية، لكان الجواب أن تاريخ البنائية، كما يتضح في هذا العدد، لم يكن يوماً تاريخ البنائية التقليدية، العقلانية الوضعية، فقد اتخذت البنائية مسالك متعددة، ولم يكن ذلك سوى مسلك واحد منها⁽⁴⁷⁾. وفي كل الأحوال، لا ينبغي لنا أن ننسى أنّ البنائية، بصرف النظر عن تنوّعها أو على الأقل بالنظر إلى جذورها المبكرة، تظل نظرية تأملية

أغلب الأحيان، بدلاً من أن تعزز فهمنا لتعقيداتها. إذ يمكن، أيضاً، استكشاف الروافد النظرية، التي انبثقت منها التأمّلات البنائية، أن يثير اهتمامنا بالتنظير البنائي في دراسة أحد أبرز التحديات التي تواجه المنطقة العربية، وهو تحدّي التكامل الإقليمي. ولا نقصد التكامل على مستوى المنطقة العربية برمّتها، فهذا يبدو مناله بعيداً، لكنه ليس مستحيلاً، بل نقصد على الأقل مشروعات التكامل الفرعية التي تخلف بعضها (مجلس التعاون لدول الخليج العربية) وتعطل بعضها الآخر (اتحاد المغرب العربي). ينبغي العودة بالبنائية إلى جذورها في النظرية الوظيفية (والوظيفية الجديدة)، خاصة دراسات تشكل الهوية الأوروبية المشاركة في أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية، بما في ذلك أعمال كارل دويتش (1912-1992) عن الجماعات الأمنية العابرة للحدود الوطنية⁽⁴¹⁾، والذي أثرت رؤيته عن تشكيل الهوية الجماعية الأطلسية في ثلة من البنائيين المبكرين (مثل إيمانويل أدلر ومايكل بارنيت). وقد التقف مقاربته أحد طلابه، وهو هابوارد ألكر، ليؤثر أيضاً في عدد من بنائيي الموجة الأولى، أمثال بيتر كاتزنشتاين وأونوف. ولا يقل نفوذ دويتش عن نفوذ إرنست هاس (1924-2003)، خاصة أعماله عن التعلم الاجتماعي المركّب والمنظمات ما فوق الوطنية وثقافتها ودورها في إنتاج (وإعادة إنتاج) نسيج السياسة العالمية⁽⁴²⁾؛ ولنتذكر أنّ جون راغي، الذي طوّر مع كراتوتشفيل، نظرية المنظومات Regime Theory، كان أحد طلاب هاس البارزين⁽⁴³⁾.

يصدر هذا العدد الخاص والعدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة، في إثر عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، يزداد بطشاً وتقهرّاً نحو مظاهر الحروب القروسطية التي حسب العالم أنه طوى صفحاتها. لا بد من أن تداعيات هذا العدوان وعواقبه ستضيف طبقات من التعقّد إلى علاقات العالم العربي الدولية وسياساته، المحلية والإقليمية والدولية، فيلجّ في دراسة قضايا حيّة وراهنة، ويعيد إلقاء الضوء على قضايا كامنة أهملها التفكير رديحاً من الزمن، كما يطرح قضايا جديدة ناشئة.

44 ينظر: درويش [وآخرون].

45 Branwen Gruffydd Jones (ed.), *Decolonizing International Relations* (Maryland: Rowman & Littlefield Publishers, 2006), p. 2.

46 ينظر على سبيل المثال:

Arlene B. Tickner & Ole Wæver, *International Relations Scholarship around the World* (London: Routledge, 2009).

47 ينظر في هذا العدد: حمشي، ص 32-48.

41 Karl Deutsch et al., *Political Community: North-Atlantic Area* (New York: Greenwood Press, 1957); Theo Farrell, "Constructivist Security Studies: Portrait of a Research Program," *International Studies Review*, vol. 4, no. 1 (2002).

42 Ernst B. Haas, *The Uniting of Europe* (Stanford: Stanford University Press, 1958).

43 للاستفاضة، ينظر:

Nik Hynek & Andrea Teti, "Saving Identity from Postmodernism? The Normalization of Constructivism in International Relations," *Contemporary Political Theory*, vol. 9, no. 2 (2010), p. 176.

بعد مرور عقدين من ابتعاد ونت عن برنامج البحث البنائي، واتجاهه نحو الاهتمام بالعلوم الاجتماعية (ثم العلاقات الدولية) الكوانتية.

ثالثًا: بنیان هذا العدد الخاص

يساهم في هذا العدد الخاص مُنظّر بنائي مؤسس، هو نيكولاس أونوف، الذي كتب استهلالاً للعدد، أعاد فيه قراءة مقالة ونت المرجعية، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، من منظوره بوصفه مؤسسًا من مؤسسي البنائية الاجتماعية في حقل العلاقات الدولية، وإن جعله تواضعه العلمي ينأى بنفسه عن ادعاء ذلك⁽⁵¹⁾، وبوصفه أول من سك مصطلح البنائية، الذي اقتبسه منه ونت لاحقًا⁽⁵²⁾. وإضافةً إلى هذا الاستهلال، الذي لا يخلو عنوانه من دلالات تأملية نقدية، "ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقالة 'الفوضى هي ما تصنعه الدول منها'؟"، يساهم في هذا العدد أربع باحثات وباحثين عرب من مؤسسات أكاديمية مختلفة، ومن مشارب بحثية متنوعة.

يقدم محمد حمشي في دراسته، "البنائية في حقل العلاقات الدولية: المدارك والمسالك"، قراءة نقدية في تحولات البنائية في حقل العلاقات الدولية على امتداد العقود الأربعة الأخيرة، ويفحص المسالك المتعددة التي اتخذتها منذ نشوئها بوصفها نظرية اجتماعية نقدية في ثمانينيات القرن العشرين استجابةً للنقاش الثالث بين العقلانيين الوضعيين والتأملين ما بعد الوضعيين، مرورًا بمحاولة ونت احتلال منطقة وسطى وتجسير الفجوة بين طرفي هذا النقاش، ثم بالنقاشات البينية التي جمعت البنائيين التقليديين والنقديين بشأن مشروع ونت، وصولًا إلى ازدهار البنائية الجديدة في إثر ابتعاد ونت عن برنامج البحث البنائي. ثم تناقش الدراسة توترات مشروع ونت الإستمولوجية، وأن ما يعدّ إخفاقًا في هذا المشروع لم يؤدّ إلى أفول البنائية، بل إنها استمرت في الازدهار عبر مساهمات جيل جديد من البنائيين. ويحاجّ حمشي بأن ثلاث حركات رئيسة شهدها حقل العلاقات الدولية، خلال الأعوام العشرين الماضية، ساهمت في استمرار هذا الازدهار، وتتمثل في تراجع الاستقطاب الإستمولوجي بين نظريات الحقل، وصعود الواقعية النقدية فلسفَةً لعلم العلاقات الدولية، وتطور النزعة الانتقائية التحليلية⁽⁵³⁾.

51 لا بأس في الإشارة إلى أن أونوف كشف عن تواضعه من وجهين: أن خص الدوريات بكتابة هذا الاستهلال، وأن عبّر عن امتنانه للفرصة التي منحتة إياها الدوريات لكتابة هذا الاستهلال والدفع به، من خلاله، نحو التفكير في كتابة ورقة أو اثنتين في موضوعات ذات صلة. نيكولاس أونوف، بريد إلكتروني إلى الباحث، 2021/12/28.

52 ينظر في هذا العدد: أونوف، ص 21.

53 ينظر في هذا العدد: حمشي، ص 46-48.

نقدية، وينبغي لها أن تظل كذلك. وهي، حين ترتحل عبر سياقات جيوثقافية متباينة، تنزع دومًا نحو تأمل ونقد ذاتها بذاتها⁽⁴⁸⁾.

ونذكر، أخيرًا، وفي هذا السياق، أعمال الباحث الصيني تشين ياتشين Qin Yaqing، الذي صاغ ما بات يُعرف بالبنائية العلائقية، وهي منظور للعلاقات الدولية مستوحى من التقاليد الصينية. وقد بات ياتشينغ يحظى بالإشادة بوصفه رافضًا لمبدأ أن تتحدث البنائيات الأوروبية أو الأميركية الشمالية باسم العوالم الأخرى، وبوصفه مصدر إلهام لغيره من الباحثين، سواء داخل الصين أو خارجها⁽⁴⁹⁾، في صوغ رؤى بديلة للعالم⁽⁵⁰⁾.

وبناء عليه، فإنّ منطق هذا العدد الخاص يتجاوز الاحتفاء بالبنائية، التي حاز ونت وفينمور، وهما من أبرز روادها، جائزة يوهان سكايت للعلوم السياسية لعام 2023، إقرارًا بفضلهما في "تأجيج ثورة في مجال العلوم السياسية"، ويتجاوز الاحتفاء بمقالة ونت المرجعية في البنائية، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، التي شهدنا ذكرى صدورها الثلاثين، وتُعتبر هذه الدراسة المرجع الأكثر استشهادًا في تاريخ حقل العلاقات الدولية؛ بل إنه يتجاوز حتى مراجعة حالة الأبحاث البنائية

48 ينظر:

Alexander D. Barder & Daniel J. Levine, "The World is Too Much with Us': Reification and the Depoliticising of Via Media Constructivist IR," *Millennium*, vol. 40, no. 3 (2012);

وفي سياق متصل بالمنطقة العربية، ينظر:

Ewan Stein, "Beyond Arabism vs. Sovereignty: Relocating Ideas in the International Relations of the Middle East," *Review of International Studies*, vol. 38, no. 4 (2012);

ومنطقة جنوب آسيا، ينظر:

Seng Tan, "Rescuing Constructivism from the Constructivists: A Critical Reading of Constructivist Interventions in Southeast Asian Security," *The Pacific Review*, vol. 19, no. 2 (2006).

49 ينظر مثلاً:

Patrick Thaddeus Jackson, "Relational Constructivism: A War of Words," in: Jennifer Sterling-Folker (ed.), *Making Sense of International Relations Theory* (Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 2006).

50 Arlene B. Tickner & David L. Blaney (eds.), *Claiming the International* (New York: Routledge, 2013), p. 19;

وللاطلاع على أعمال ياتشين، ينظر مثلاً:

Qin Yaqing, "The Zhongyong Dialectic: A Bridge into the Relational World," *The Chinese Journal of International Politics*, vol. 17, no. 2 (2024); Qin Yaqing, "A Relational Theory of World Politics," *International Studies Review*, vol. 18, no. 1 (2016); Qin Yaqing, "Development of International Relations Theory in China: Progress through Debates," *International Relations of the Asia-Pacific*, vol. 11, no. 2 (2011); Qin Yaqing, "Relationality and Processual Constructivism: Bringing Chinese Ideas into International Relations Theory," *Social Sciences in China*, vol. 3 (2009);

وللاطلاع على مراجعة حديثة لأعماله، ينظر:

Stefano Guzzini, "Relationalism(s) Unpacked: Engaging Yaqing Qin's Theory of World Politics," *The Chinese Journal of International Politics*, vol. 17, no. 2 (2024).

وفي الاتجاه نفسه، تنطلق مي درويش في دراستها، "ألكسندر ونت في الشرق الأوسط: كيف يُبنى الاختلاف في قلب الهويات الجماعية؟"، من ملاحظة أن باحثين كثيرًا يعدّون البنائية مقاربةً قادرةً على مراعاة السياقات الخاصة، التاريخية والثقافية وتلك المتعلقة بالأفكار، في منطقة الشرق الأوسط. ومن ثم، فهي تسعى إلى إعادة النظر في بعض جوانب بنائية ونت، تحديدًا، مستكشفةً قابليتها للتطبيق في المنطقة، ومركزةً على ثقافات الفوضى عند ونت لتوضيح الكيفية التي تتحوّل بها العلاقات التعاونية، بفعل سيرورات التفاعل، إلى صراع. وتفحص درويش الإمكانيات والتحديات التي تدفع بها المنطقة أمام حجة ونت، وذلك بالتمعّن في مثال العلاقات بين المملكة العربية السعودية وحركة حماس، مع التركيز خاصة على حلقة حرب غزة عام 2009. ثم تستكشف لغز الكيفية التي تغيرت بها السياسة السعودية وانتقلت، على مدى سنوات، من دعم حركة حماس والمقاومة الفلسطينية، إلى تصنيفها عدوًا لها، على الرغم من تشاركهما هويةً جماعية قوامها نزعة الوحدة الإسلامية⁽⁵⁶⁾.

تتضافر هذه الدراسات الأربع أملًا في إقناع القارئ بأربع حجج رئيسة على الأقل: الأولى أن البنائية، خلال السنوات الأخيرة، تطورت وتعاظم ثراؤها بعيدًا عن كونها نظرية من نظريات التيار السائد في نظرية العلاقات الدولية الغربية (دراسة حمشي)؛ والثانية أن للبنائية نفوذًا يتجاوز حقل نظرية العلاقات الدولية، وفي إمكان برامج الأبحاث المتنوعة التي تزخر بها العلوم السياسية والعلاقات الدولية أن تغرف منها من أجل تطوير مفاهيمها وافتراضاتها وعدّتها التحليلية والمنهجية (دراسة بن عنتر)؛ والثالثة أن البنائية ليست نظرية بحتة، بل يمكن تنزيلها منزلة البحث العيني، وفي مستويات تحليل مختلفة (دراسة فكري في مستوى تحليل نظام الدول، ودراسة درويش في مستوى تحليل الدولة)؛ والرابعة أن البنائية، بفضل جذورها في النظرية الاجتماعية وحساسيتها للسياق والثقافة والأفكار، يمكن أن تساعد في فهم بعض تعقيدات علاقات العالم العربي الدولية؛ وفي الوقت نفسه، يمكن أن يشكّل العالم العربي مختبرًا يفيض بالحالات التي يمكن تطبيقها في اختبار فرضيات البنائية وأطروحاتها.

أخيرًا، تناقش سارة ناصر في مراجعتها المعقدة، "رحلة ألكسندر ونت من نظرية اجتماعية للسياسة الدولية إلى 'توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية'"، أبرز حجج ونت في كتابيه الرئيسين، نظرية اجتماعية للسياسة الدولية، والعقل الكوانتي والعلوم الاجتماعية: نحو توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية، الصادرين عامي 1999 و2015

ومن أجل إبراز أثر البنائية الذي يتجاوز حقل نظرية العلاقات الدولية، ليشمل برامج أبحاث وحقوقًا فرعية، مثل الدراسات الأمنية والاقتصاد السياسي الدولي والجيوسياسية وغيرها، يناقش عبد النور بن عنتر في دراسته، "الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدول منه"، إسهامات البنائية، لا سيما نسختيها التقليدية والنقدية، في حقل الدراسات الأمنية، حيث شكّل المنعطف البنائي نقلة فكرية بارزة. وتبيّن الدراسة أن البنائية طوّرت مفهوم الأمن وأثّرت الدراسات الأمنية عمومًا على ثلاثة صُعد: مقارنة الأمن بوصفه مبنياً اجتماعيًا وبينذاتيًا؛ ومراجعة مفاهيم المقاربات العقلانية المركزية، تحديدًا مفهومي الفوضى والمعضلة الأمنية، مراجعة نقدية؛ وإحكام مفاهيم أساسية في دراسة الأمن، الهوية والمصالح والمعايير. ثم ينتقل لنقد هذه الإسهامات وإبراز حدودها لا سيما فيما يتعلق بالهوية والأمن، فضلًا عن الخلافات البنائية البينية التي حالت دون وجود إطار نظري بنائي واضح. ويخلص بن عنتر إلى استنتاج رئيس مفاده أن البنائية لم تقدّم نظرية في الأمن قائمة في حد ذاتها، بيد أن إسهاماتها المبتكرة، وكونها مرجعيةً نظريةً لمقاربات الأمن الجديدة، تؤكد وجود نظرية في الأمن ذات مرجعية بنائية؛ وهو ما يشكل إنجاز البنائية النظري الأهم في حقل الدراسات الأمنية⁽⁵⁴⁾.

ثم تأتي دراستا مروة فكري ومي درويش لتنزيل البنائية منزلة التوظيف في فهم حالات عينية من المنطقة العربية. فتسعى فكري في دراستها بعنوان، "تحولات النظام الإقليمي العربي: مقارنة بنائية"، إلى فحص دور الهوية والأفكار والمعايير والمصالح في تشكيل النظام الإقليمي العربي عبر مراحل تاريخية مختلفة ارتبطت بأحداث كبرى، مثل حلف بغداد، وهزيمة عام 1967، وحرب الخليج الأولى، وغزو العراق، وانتفاضات الربيع العربي. تنطلق فكري في دراستها من أطروحات ونت البنائية؛ وذلك ابتغاء تقييم إمكانيات البنائية في تفسير ديناميات المنطقة، والكشف عن حدودها التفسيرية. وتبين كيفية إعادة تشكيل الهويات الإقليمية من خلال صراع الروايات والثنائيات المهيمنة، إذ إن شرعية الفاعلين اعتمدت على قدرتهم على فرض رواياتهم وإعادة تعريف القضايا الأساسية. وتخلص إلى أن الهوية والمعايير أدت دورًا محوريًا في تشكيل السياسة الإقليمية، إذ إن الصراعات تجاوزت التنافس على القوة المادية إلى الصراع على التصورات والأدوار. ثم تختتم دراستها بالوقوف على حدود التفسيرات البنائية⁽⁵⁵⁾.

54 ينظر في هذا العدد: عبد النور بن عنتر، "الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدول منه"، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 82-56.

55 ينظر في هذا العدد: مروة فكري، "تحولات النظام الإقليمي العربي: مقارنة بنائية"، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 100-83.

المراجع

العربية

حمشي، محمد. "النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد في الحقل". أطروحة دكتوراه. قسم العلوم السياسية. جامعة باتنة 1. الجزائر، 2017.

لينتش، مارك وجيليان شويدلر وشون يوم (محررون). علم سياسة الشرق الأوسط: مسح للنظريات والأبحاث منذ الانتفاضات العربية. ترجمة محمد حمشي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025 [قيد النشر].

الأجنبية

Adler, Emanuel. "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics." *European Journal of International Relations*. vol. 3, no. 3.

Barder, Alexander D. & Daniel J. Levine. "'The World is Too Much with Us': Reification and the Depoliticising of Via Media Constructivist IR." *Millennium*. vol. 40, no. 3 (2012).

Barnett, Michael. *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order*. New York: Columbia University Press, 1998.

Bates, Robert. "Area Studies and the Discipline: A Useful Controversy." *PS: Political Science and Politics*. vol. 30, no. 2 (1997).

Baylis, John & Steve Smith (eds.). *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*. 2nd ed. Oxford: Oxford University Press, 2001.

Brown, Chris. *Understanding International Relations*. 3rd ed. New York: Palgrave Macmillan, 2005.

Busse, Jan. "ASC 2.0-The Area Studies Controversy Revisited." *APSA MENA Newsletter*. vol. 5 (2018).

Checkel, Jeffrey T. "The Constructivist Turn in International Relations Theory." *World Politics*. vol. 50, no. 2 (1998).

على التوالي. وتلقي الضوء على مواضع القطيعة والاستمرارية بينهما⁽⁵⁷⁾. وفي باب "دراسة مترجمة"، يقدم العدد للقارئ العربي تعريياً لمقالة ونت المرجعية، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: سياسة القوة بوصفها بناءً اجتماعياً"، الصادرة عام 1992، ويكفي استدلالاً على أهميتها ومرجعيتها الإشارة إلى أنها المقالة الأعلى استشهاداً في تاريخ حقل العلاقات الدولية، كما يؤثقه أونوف في هذا العدد الخاص.

أخيراً، لا بد من توضيح مسألتين في ترجمة العنوان الرئيس في مقالة ونت "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها". تتعلق الأولى بمصطلح الفوضى؛ إذ درجت أدبيات العلاقات الدولية، باللغة العربية، على ترجمة مصطلح Anarchy بلفظ الفوضى، وصار راسخاً بين المنتسبين إلى التخصص، مع أنه قد لا يبدو دقيقاً، خاصة أنه يُستخدم أيضاً لترجمة مصطلحات أخرى، مثل Chaos (الشواش) و Disorder (انتفاء النظام). أما مصطلح الفوضوية Anarchism، وهي أيديولوجيا سياسية مشتقة من مصطلح Anarchy نفسه، فيُترجم إمّا بنقحره اللفظ إلى أناركية، أو باستخدام مصطلح اللسلطوية؛ بمعنى مناهضة سلطة الدولة والاعتقاد بإمكانية التنظيم التلقائي للمجتمع. بناءً عليه، فإن الفوضى في النظام الدولي، بوصفها مفهوماً، لا تعني انتفاء النظام، بل تشير إلى غياب سلطة عليا على المستوى الدولي، أو لنقل غياب حكومة عالمية تصنع القرارات وتفرضها على الدول.

أما المسألة الثانية فتتعلق بلفظ "الصنع" في عبارة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها". يدل هذا اللفظ في اللغة العربية على عمل الشيء وإنشائه، ويشمل لفظ "الشيء" المادي والمعنوي، والمحسوس والمعقول، فتدخل في ذلك الصور والأشكال والعلاقات وغيرها. وقد جاء في الحديث النبوي: "إن الله يصنع كل صانع وصنعه". ومن ذلك أيضاً تسمية القدماء العلم "صناعة" و"صناعة"، فيقال عن علم المنطق، مثلاً، "صناعة المنطق"⁽⁵⁸⁾. وهكذا، حين نقول، مع ونت، إن "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، فإننا نعني أن النظام الدولي الفوضوي Anarchic ليس مجرد بنية مادية تشكلها توزيع القدرات (كما يحاج الواقعيون)، بل هو أيضاً بنية اجتماعية تُنتجها الدول من خلال المعاني البنائية التي تضيفها عليها، فضلاً عن تصوراتها المتبادلة عن الذات والآخر.

57 ينظر في هذا العدد: سارة ناصر، "رحلة ألكسندر ونت من 'نظرية اجتماعية للسياسة الدولية' إلى 'توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية'"، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 179-193.

58 الشكر موصول إلى الباحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، رائد السهموري، على التنبيه إلى هذا الأصل اللغوي ودلالته.

- _____. "Relationalism(s) Unpacked: Engaging Yaqing Qin's Theory of World Politics." *The Chinese Journal of International Politics*. vol. 17, no. 2 (2024).
- Haas, Ernst B. *The Uniting of Europe*. Stanford: Stanford University Press, 1958.
- Hinnebusch, Raymond & Jasmine K. Gani (eds.). *The Routledge Handbook to the Middle East and North African State and States System*. New York: Routledge, 2019.
- Hinnebusch, Raymond. "Identity in International Relations: Constructivism Versus Materialism, and the Case of the Middle East." *The Review of International Affairs*. vol. 3, no. 2 (2003).
- _____. *The International Politics of the Middle East*. Manchester: Manchester University Press, 2015.
- Hopf, Ted. "The Promise of Constructivism in International Relations Theory." *International Security*. vol. 23, no. 1 (1998).
- Hynek, Nik & Andrea Teti. "Saving Identity from Postmodernism? The Normalization of Constructivism in International Relations." *Contemporary Political Theory*. vol. 9, no. 2 (2010).
- Jones, Branwen Gruffydd (ed.). *Decolonizing International Relations*. Maryland: Rowman & Littlefield Publishers, Inc., 2006.
- Kratochwil, Friedrich & John Gerard Ruggie. "International Organization: A State of the Art on an Art of the State." *International Organization*. vol. 40, no. 4 (1986).
- Kratochwil, Friedrich. *Rules, Norms and Decisions: On the Conditions of Practical and Legal Reasoning in International Relations and Domestic Affairs*. Cambridge: Cambridge University Press, 1989.
- Chernoff, Fred. *Theory and Metatheory in International Relations: Concepts and Contending Accounts*. New York: Palgrave Macmillan, 2007.
- Darwich, May. *Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region*. Cambridge: Cambridge University Press, 2019.
- Darwich, May & Juliet Kaarbo. "IR in the Middle East: Foreign Policy Analysis in Theoretical Approaches." *International Relations*. vol. 34, no. 2 (2019).
- Deutsch, Karl et al. *Political Community: North-Atlantic Area*. New York: Greenwood Press, 1957.
- Farrell, Theo. "Constructivist Security Studies: Portrait of a Research Program." *International Studies Review*. vol. 4, no. 1 (2002).
- Finnemore, Martha & Alexander Wendt. "When 'Old' Constructivism was New: Reflections on Classical Constructivism." *Perspectives on Politics*. vol. 22, no. 4 (2024).
- Forsberg, Tuomas. "Power, Interests and Trust: Explaining Gorbachev's Choices at the End of the Cold War." *Review of International Studies*. vol. 25 (1999).
- Frederking, Brian. "Resolving Security Dilemmas: A Constructivist Explanation of the Cold War." *International Politics*. vol. 35 (1998).
- _____. *Resolving Security Dilemmas: A Constructivist Explanation of the INF Treaty*. Aldershot: Ashgate, 2000.
- Goldmann, Kjell. "The Concept of 'Realism' as a Source of Confusion." *Cooperation and Conflict*. vol. 23, no. 1 (1988).
- Guzzini, Stefano. "A Reconstruction of Constructivism in International Relations." *European Journal of International Relations*. vol. 6, no. 2 (2000).

- Tan, Seng. "Rescuing Constructivism from the Constructivists: A Critical Reading of Constructivist Interventions in Southeast Asian Security." *The Pacific Review*. vol. 19, no. 2 (2006).
- Telhami, Shebly & Michael Barnett (eds.). *Identity and Foreign Policy in the Middle East*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002.
- Teti, Andrea. "Bridging the Gap: IR, Middle East Studies, and the Disciplinary Politics of the Area Studies Controversy." *European Journal of International Relations*. vol. 13, no. 1 (2007).
- Tickner, Arlene B. & David L. Blaney (eds.). *Claiming the International*. New York: Routledge, 2013.
- Tickner, Arlene B. & Ole Wæver. *International Relations Scholarship around the World*. London: Routledge, 2009.
- Tickner, Arlene. "Seeing IR Differently: Notes from the Third World." *Millennium*. vol. 32, no. 2 (2003).
- Valbjørn, Morten. "Strategies for Reviving the International Relations/ Middle East Nexus after the Arab Uprisings." *PS: Political Science & Politics*. vol. 50, no. 3 (2017).
- Wendt, Alexander. "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory." *International Organization*. vol. 41, no. 3 (1987).
- _____. "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics." *International Organization*. vol. 46, no. 2 (1992).
- Wohlforth, William. "Realism and the End of the Cold War." *International Security*. vol. 19, no. 3 (1995).
- _____. "Reality Check: Revising Theories of World Politics in Response to the End of the Cold War." *World Politics*. vol. 50, no. 4 (1998).
- Yaqing, Qin. "Relationality and Processual Constructivism: Bringing Chinese Ideas into
- Lynch, Marc. *State Interests and Public Spheres: The International Politics of Jordan Identities*. New York: Columbia University Press, 1999.
- _____. *The New Arab Wars: Uprisings and Anarchy in the Middle East*. New York: Public Affairs, 2016.
- Onuf, Nicholas G. *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations*. Columbia: University of South Carolina Press, 1989.
- Peltonen, Hannes. "A Tale of Two Cognitions: The Evolution of Social Constructivism in International Relations." *Revista Brasileira de Política Internacional*. vol. 60, no. 1 (2017).
- Rytövuori-Apunen, Helena. "Forget 'Post-Positivist' IR! The Legacy of IR Theory as the Locus for a Pragmatist Turn." *Cooperation and Conflict*. vol. 40, no. 2 (2005).
- Salloukh, Bassel & Rex Brynen (eds.). *Persistent Permeability? Regionalism, Localism, and Globalization in the Middle East*. Aldershot, England: Ashgate, 2004.
- Smith, Steve. "The Discipline of International Relations: Still an American Social Science?" *British Journal of Politics and International Relations*. vol. 2, no. 3 (2000).
- Snyder, Robert S. "Bridging the Realist/ Constructivist Divide: The Case of the Counterrevolution in Soviet Foreign Policy at the End of the Cold War." *Foreign Policy Analysis*. vol. 1 (2005).
- Stein, Ewan. "Beyond Arabism vs. Sovereignty: Relocating Ideas in the International Relations of the Middle East." *Review of International Studies*. vol. 38, no. 4 (2012).
- Sterling-Folker, Jennifer (ed.). *Making Sense of International Relations Theory*. Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 2006.

International Relations Theory." *Social Sciences in China*. vol. 3 (2009).

_____. "Development of International Relations Theory in China: Progress through Debates." *International Relations of the Asia-Pacific*. vol. 11, no. 2 (2011).

_____. "A Relational Theory of World Politics." *International Studies Review*. vol. 18, no. 1 (2016).

_____. "The Zhongyong Dialectic: A Bridge into the Relational World." *The Chinese Journal of International Politics*. vol. 17, no. 2 (2024).

نيكولاس أونوف | Nicholas Onuf*

استهلال ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"؟

Foreword

What should we Make of "Anarchy is what States Make of it"?

نشر ألكسندر ونت مقالته "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: سياسة القوة بوصفها بناءً اجتماعيًا" قبل نحو ثلاثين عامًا. وحينئذ، لم يكن عمر الحركة البنائية في حقل العلاقات الدولية قد تجاوز بضع سنوات. لدواعٍ عملية، يحدد ونت أنسب تأريخ لبداية الحركة بعام 1986⁽¹⁾، حين نشر فريدريك كراتوتشفيل وجون راغي دراستهما في دورية **التنظيم الدولي**، بعنوان "التنظيم الدولي: تطورات حقل قائم على الدولة" *International Organization: A State of the Art on an Art of the State*. أما مقالة ونت بعنوان "مشكلة الفاعل - البنية في نظرية العلاقات الدولية"، فقد نُشرت عام 1987. وكان ونت قد قدّم نسخة أولى عن هذه المقالة في ندوة علمية عُقدت عام 1986، ولم يزل بعدُ طالبًا في درجة الدكتوراه؛ ولاحظتُ خلال هذه المناسبة أن أهمية المقالة بدت للعيان وسط الجمهور داخل القاعة كلها. وبحلول عام 1989، "جرت مياه كثيرة" سمحت بأن تصدر في الموضوع كتبٌ أكثر إسهابًا؛ منها كتاب كراتوتشفيل، **القواعد والمعايير والقرارات** *Rules, Norms, and Decisions*، وكتابي **عالم من صنعنا** *World of Our Making*؛ وهي كتب استغرق إعدادها سنوات من الجهد. وفي مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"⁽²⁾، استخدم ونت مصطلح البنائية نقلًا عن كتابي المذكور آنفًا⁽³⁾.

بهذا اللفظ، كشف ونت عن رفضه مصطلح **تأملي** *Reflectivist*، الذي اعتمده روبرت كيوهان في وصف الباحثين الذين "يشددون على أثر الذاتية الإنسانية في أعمالهم" من خلال السلوك الهادف *Purposive Behavior* والمؤسسات الدولية⁽⁴⁾، وذلك في مقابل الباحثين الذين يعتمدون "العقلانية الموضوعية" في كتاباتهم. ربما أظهر كيوهان أنه يتعامل مع المنظورين على قدم المساواة، لكنَّ القراء يدركون جيدًا تفضيلاته التي يضمنها. لذلك حين استبدل ونت وصف التأملية بكلمة "البنائية"، فإنما ألقى الضوء على الامتداد الواسع للمادة النظرية التي قلل دهاء كيوهان من شأنها متعمدًا.

وفي إحصاء المقاربات النظرية الذي قدّمه ونت، اعتبر أنَّ "الباحثين في التقاليد الإدراكية، وما بعد البنيوية، ومنظري نسوية ما بعد الحداثة، ونسوية الموقع الاجتماعي *Standpoint Feminists*، ومنظري القواعد *Rule Theorists*، وأنصار البنائية

* أستاذ فخري، جامعة فلوريدا الدولية، الولايات المتحدة الأمريكية.

Professor Emeritus, Florida International University, United States of America.

Email: onufn@fiu.edu

1 Alexander Wendt, "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 2 (1992), p. 393;

وينظر ترجمة المقال إلى اللغة العربية في هذا العدد، في: ألكسندر ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: السياسة الدولية بوصفها بناءً اجتماعيًا"، ترجمة سارة إسماعيل، **سياسات عربية**، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس 2025)، ص 123-152.

2 Ibid.

3 Nicholas Greenwood Onuf, *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations* (Columbia: University of South Carolina Press, 1989), p. 1.

4 Robert O. Keohane, "International Institutions: Two Approaches," *International Studies Quarterly*, vol. 32, no. 4 (1988), p. 379.

وكان في إمكان ونت، في ذلك الوقت، أن يطلق على "مشروع البنيانية" اسم البنيانية، فيتبع بذلك طريق العديد من المنظرين الاجتماعيين الآخرين ممن لديهم اهتمامات مماثلة.

وبعد خمس سنوات استوعب فيها ونت المزيد من النظريات الاجتماعية، وسَّع إطاره المرجعي بطريقة لافتة للانتباه حين كتب مقالته "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها". ولنقتبس أيضاً من هذه الدراسة المقطع التالي (مع حذف الحاشية الواردة فيه)⁽⁷⁾:

هدفي في هذه الدراسة هو بناء جسر بين هذين التقليدين البحثيين (ومن ثم، بين النقاشات الواقعية - الليبرالية والعقلانية - التأملية)، وذلك من خلال تطوير حجة بنيانية مستمدة من البنيانية وسوسيولوجيا التفاعل الرمزي، نيابةً عن الادعاء الليبرالي القائل إن المؤسسات الدولية يمكنها تحويل هويات الدولة ومصالحتها.

وسوسيولوجيا التفاعل الرمزي هي فرع غني ومتنوع من النظرية الاجتماعية يمتد تاريخه إلى عقود عديدة مضت. وفي هذا الصدد، اعتمد ونت على كتابين في قائمة مصادره، هما كتاب جورج هيربرت ميد، *العقل والذات والمجتمع* *Mind, Self, and Society*، وكتاب بيتر برغر وتوماس لوكمان، *البناء الاجتماعي للواقع* *The Social Construction of Reality*. يشدّد هذان الكتابان على البعد الذاتي للفاعلية الإنسانية، بل ذهب برغر ولوكمان إلى أبعد من ذلك حين وضعاً تصوراً للطريقة التي يشكل بها الفرد، بوصفه ذاتاً، والمجتمع، والذات والموضوع، أحدهما الآخر، عبر تشكيل الشرط الأنطولوجي الذي نسميه جزافاً الواقع.

صار التفاعل الرمزي منبعاً سخيّاً بالنسبة إلى ونت يغرف منه كيفما يشاء؛ لكنه منبع انطوى على خطر كبير، على الأقل من وجهة نظر ونت الخاصة. ففي مقالة "مشكلة الفاعل - البنية"، ذكر ونت الذاتية في عجلة⁽⁸⁾ من دون أن يأتي على ذكر البيندائية على الإطلاق؛ أما بعد خمس سنوات، فقد احتلت "المعرفة البيندائية" (أو "الفهم والتوقعات البيندائية") مكانةً مركزيةً في بنائه المشروع الموسّع الذي أطلق عليه اسم البنيانية. وقد أعلن، في شرحه ما كان يقصده بالمعرفة البيندائية، عن مبدئين:

Structurationists يعدّون جميعهم بنائيين⁽⁵⁾. وعلى الرغم من أن ونت عدّنا، أنا وكراوتشفيل، من "منظري القواعد"، فإنه لم يقدّم تلميحاً يذكّر عن القواعد التي اعتمدها لتبرير تصنيفه إيانا في خانة البنائيين. وفي حين أن قسمًا من الباحثين الإدراكيين وما بعد البنيويين، ونسويي ما بعد الحداثة، ونسويي الموقع الاجتماعي، كانت لديهم في الأصل هويات تنفي الحاجة إلى تسميتهم بالبنائيين، فإنه لم يتبقّ من تلك المجموعة سوى منظري "البنيانية".

في مقالة "مشكلة الفاعل - البنية"، طوّر ونت وجهة نظر بنيانية استعنت بها في كتابي أيضاً. ويعود الفضل في سكّ مصطلح البنيانية إلى أنتوني غيدنز؛ ففي كتابه المهم، *تشكيل المجتمع* *The Constitution of Society*، يعرف التشكيل بوصفه عملية لا محض شرط مرادف للبنية أو قريب منها. ولهذه العملية نتائج بنيوية؛ فمنها ينسب لفظ البنيانية (وهي مصطلح جديد تمامًا)، أو البناء *Construction* (وهو مصطلح مألوف لكنه يحمل العديد من السمات المجازية). فيكون البناء الاجتماعي هو عملية تشكيل متشاركة *Co-Constitutive* تعمل في الاتجاهين: فحين يشكل الفاعل *Agent* العالم على صورته، فإن العالم المتشكل على ذلك النحو إنما يسم الفاعل بفاعليته، أي قدرته على الفعل.

لننظر في التوصيف الدقيق الذي يقدّمه ونت في هذا المقطع:

إنّ المقاربة البنيانية [...] بمنحها الفاعلين والبنى وجوداً أنطولوجياً متساوياً إنما تحاول أن تتجنب ما أعده عواقب سلبية للفردانية والبنوية معاً. ومشروع البنيانية ليس محض توليف بلا معنى بين "أقصى ممكن في المقاربتين"؛ بل يقوم على تصوّر مفهومي خاص جداً للعلاقة "فاعل - بنية". يجبرنا هذا التصور المفهومي على إعادة التفكير في الخصائص الأساسية للفاعل (الدولة) وبنى النظام. كما يسمح لنا، في المقابل، باستخدام الفاعلين والبنى لشرح بعض الخصائص الرئيسة لدى كلّ منهما بوصفها تأثيرات من كل واحد منهما تجاه الآخر، وبرؤية الفاعلين والبنى على أنها كيانات "يحدّد بعضها بعضاً" أو "يشكل بعضها بعضاً بصورة متبادلة"⁽⁶⁾.

5 Wendt, p. 393.

6 Alexander E. Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory," *International Organization*, vol. 41, no. 3 (1987), p. 339. وينظر ترجمة المقال إلى اللغة العربية، في: ألكسندر ونت، "مشكلة الفاعل - البنية في نظرية العلاقات الدولية"، ترجمة أحمد قاسم حسين، سياسات عربية، مج 13، العدد 72 (كانون الثاني/ يناير 2025)، ص 103-130.

7 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," p. 394;

وينظر الترجمة العربية في هذا العدد، في: ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، ص 123-152.

8 Wendt, "The Agent-Structure Problem," p. 359.

الواقعية العلمية الذين قلبوا تبعية الأنطولوجيا للإبستمولوجيا في الاتجاه المعاكس"، وعدّ البنائية "أنطولوجيا اجتماعية"⁽¹¹⁾. لكننا، وفي مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، نراه وقد وجّه سهام اللوم إلى البنائيين لإنفاقهم "جهدًا هائلًا على الأسئلة المتعلقة بالأنطولوجيا"؛ وأنهم لا بد من أن يتعلموا "الرؤية عبر دخان الإبستمولوجيا وحرارتها"⁽¹²⁾. وفي السنوات الخمس ما بين مقالتي ونت المراكزيتين، اشتعلت "النقاشات الإبستمولوجية بين الحدائين وما بعد الحدائين"⁽¹³⁾ في حقل العلاقات الدولية. وحينما ملح ونت الخطر قاب قوسين، جنح إلى الأمان الذي يقدّمه العلم الحديث.

”

بالنسبة إلى ونت، يتكشف الخطر في إنكار ما بعد الحداثة مزاعم اتّسام العلم بالموضوعية، ونقدّها اعتماده على نظرية المطابقة بين الواقع والحقيقة. وأحسب أن الرجل ما أدرك تمامًا المدى والخطورة اللذين يطرحهما مثل هذا التحدي، والخطر المتأّتي من نقاش الإبستمولوجيا إلا حين قرأ كتابي عالم من صنعنا، وقدم له مراجعة عام 1991

”

بالنسبة إلى ونت، يتكشف الخطر في إنكار ما بعد الحداثة مزاعم اتّسام العلم بالموضوعية، ونقدّها اعتماده على نظرية المطابقة بين الواقع والحقيقة. وأحسب أن الرجل ما أدرك تمامًا المدى والخطورة اللذين يطرحهما مثل هذا التحدي، والخطر المتأّتي من نقاش الإبستمولوجيا إلا حين قرأ كتابي عالم من صنعنا، وقدم له مراجعة عام 1991. وكانت قدمه قد ولجت في مكنن الخطر فعلاً مثلما أعتقد؛ ولقد فعل ذلك في اللحظة التي استخدم فيها مصطلح "معاني" لربط مبدأيه في البنائية. لتوضيح ذلك، اسمحوا لي بأن أشرح

- يتمثل أحد المبادئ الأساسية للنظرية الاجتماعية البنائية في أنّ البشر يتصرفون تجاه الأشياء، بمن فيهم الفاعلون الآخرون، بناءً على المعاني التي تحملها تلك الأشياء بالنسبة إليهم⁽⁹⁾.
- المبدأ الثاني للبنائية [هو:] تنشأ المعاني ويجري من خلالها تنظيم الأفعال من التفاعل نفسه⁽¹⁰⁾.

وتعترف الإحالات والحواشي التي يدعم بها ونت رأيه من المقولات الرئيسة التي تزخر بها نزعة التفاعل الرمزي. وكذلك الحال مع مصطلح "معاني" *Meanings*، الذي يبدو أنه يربط بين المبدأين الآتفي الذكر ضمن مقولة متماسكة إطارها المرجعي بنائي بوضوح. وتكشف نظرة متحفظة إلى ذلك عن مكامن للخطر. فبينما يشير المبدأ الأول إلى أن المعنى ذاتي على الدوام، يشير الثاني إلى أنّ المعاني تتخذ طابعاً موضوعياً بالنسبة إلى أولئك الذين يؤدي تفاعلهم إلى ظهورها. وههنا ينبغي مكنن الخطر واضحاً: إذ كيف يمكن أن تكون المعاني ذاتية وموضوعية في الوقت نفسه؟ وكيف يعرف فاعل ما Actor أنّ المعنى الذي يسبغه على شيء ما هو المعنى ذاته الذي يسبغه فاعل آخر على الشيء ذاته؟

وقد منح التفاعليون الرمزيون الأنطولوجيا نصيباً وافراً من الاهتمام (أي دراسة ما يعنيه الوجود)، في إطار اشتباكهم مع معنى المعنى *The Meaning of Meaning*. لكن الأنطولوجيا لم تكن كافية؛ إذ بدا أنّ الإبستمولوجيا (أي دراسة ما تعنيه المعرفة) تكمن في كل نقاش يتصل بما نعتقد أننا نعرفه، وفي كل تفاعل ينتج منه المعنى. ولو استخدمنا لغة مجازية لقلنا إنّ نزعة التفاعل الرمزي انتقلت بالنظرية الاجتماعية إلى حافة جرف إبستمولوجي، ومن على قمته لاحت خيارات ثلاثة: (1) إما التمعّن في الجرف ثم التراجع إلى أمان الأنطولوجيا الواقعية؛ (2) وإما القفز من الهاوية وتحمل عواقب الشك الراديكالي واليأس الوجودي؛ (3) وإما نزول الجرف باستخدام السلم الهش الذي يقدّمه المنعطف اللغوي في الفلسفة، وحينها ينتهي المطاف بالمرء في عالم جديد غريب من إنشائه الخاص.

وسلك شطر كبير من المنظرين الاجتماعيين منعطف اللغة، وترتبت على ذلك مجموعة متنوعة من النتائج. واعتبر العديد من المراقبين في العلوم، ومنها العلوم الاجتماعية، أنّ العدمية ستكون النتيجة الحتمية. وحينها، صارت الواقعية حديثة Modern حدثية Modernist، وعُدّت الخيارات الأخرى "ما بعديات"، سواء أكانت ما بعد حديثة، أم ما بعد حديثة، أم ما بعد بنوية، أم ما بعد وضعية. في مقالة "مشكلة الفاعل - البنية"، احتفى ونت بـ "جهود أنصار

11 Wendt, "The Agent-Structure Problem," p. 361.

12 Ibid., p. 425.

يقول ونت: "لا يزال أمام البنائيين وأنصار الليبرالية القوية الكثير ليتعلموه بعضهم من بعض، إذ ما تمكّنوا من رؤية ما يجمعهم رغم ما تثيره الإبستمولوجيا من سجالات".

13 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," p. 393.

9 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," pp. 396-407.

10 Ibid., p. 403.

البينذاتية تقيم تمييزاً حاداً ما بين الحياة اليومية والحقائق الأخرى التي أعياها⁽¹⁷⁾. إن البينذاتية ههنا هي "تشارك"، و"عالم"، وليست محض وصف موضوعي لشخصين أحدهما على مقربة من الآخر.

في رأيي الخاص، لجأ المؤلفان هنا إلى فكرة حدوث تحول مضمّر في المعاني؛ حيث يصير التبادل بين الذات وضعاً ذاتياً مشتركاً. أما عن كيفية حدوث ذلك، فلا يقدم المؤلفان شرحاً؛ لأن ذلك (وهذا في رأيي الخاص أيضاً) لا يحدث. فنحن حين "نتشارك" المعاني، عبر اللغة بصورة رئيسة، فإننا نثق بوجود إدراك عام لما (نعتقد) أننا نعنيه، ينتقل عبر ما نقوله نحن (والآخرون)، وما قلناه في السابق، وما سنستمر في قوله.

هذا هو حالنا في الغالب ونحن نتعامل في خضمّ شؤوننا المشتركة في الحياة اليومية، مثلما يشير بيرغر ولوكمان على الأقل؛ إذ كلما قلّت "معرفتنا" بشركائنا في الكلام، زادت احتمالية إسباغنا معاني متباينة لما يُقال. ويزيد التباين بزيادة عدد الناس ودرجة قربهم منا. ويزيد أيضاً حين يقدم الكلام في شكل مكتوب، أو حين يُترجم من لغة إلى أخرى. بل إن اللغة نفسها متعددة المعاني؛ إذ تتكاثر الاستعارات في كل لغة، وتتيح كل لغة العديد من المعاني المتداخلة أو غير المتسقة لما نقوله.

لم يكن بيرغر ولوكمان وحدهما، من بين علماء التفاعل الرمزي، ممن تناولوا البينذاتية. ثمة مصدر أساس يمثله عالم الفينومينولوجيا إدموند هوسرل، وقد أطلق عليها عبارة "حالة ما قبل الإخبار" Pre-Predicative Condition. يعتمد الإخبار على اللغة، لأن إمكانية معرفة ما نتشاركه من دون اللجوء إليها هو أمر يتجاوزني (مثلما ذكرْتُ في كتابي)⁽¹⁸⁾. وحتى نكون منصفين، فإن بيرغر ولوكمان أدركا أن الكلام هو الوسيط الذي يصير من خلاله مفعول البينذاتية نافذاً، لكنهما فشلوا في إدراك أن الكلام يمدّ مفهوم البينذاتية بمعانٍ متعددة سمّتها عدم التوافق.

لا يسعني إلا أن أستنتج أن البينذاتية هي حشو فضفاض مراوغ مخادع (واسمحوا لي بأن أستخدم هذه الاستعارات العامية الإنكليزية⁽¹⁹⁾). فالمعاني لا يمكن تحديدها ولا إقرارها بصورة نهائية؛ ولا يمكن ضبط معنى المعاني، والذاتية سيّدة الموقف. ومثلما يفترض بيرغر ولوكمان، ثمة العديد من صنوف الواقع التي يعيها كلّ منا، وهي مختلفة متباينة حتى ونحن نعدّها متشابهة. وخلاصة القول إنّ ونت، وهو يغرف من التفاعل الرمزي معلناً عن مبدأيه في البنائية، ولج في متاهة مفهومية ليس لها منفذ.

كيفية تعامل بيرغر ولوكمان مع هذه الخطوة المحفوفة بالمخاطر في كتابهما، البناء الاجتماعي للواقع.

يمكن أن يعني الواقع أشياء كثيرة. وبالنسبة إلى مؤلّفي الكتاب، فإن الواقع المقصود هو "عالم الإدراك السائد Commonsense الذي يميّز الحياة اليومية"؛ إن المعرفة المتأّتية من الإدراك السائد "تشكل نسيج المعاني الذي من دونه لا يمكن أن يوجد مجتمع"⁽¹⁴⁾. وحالما "يبنى المجتمع بوساطة نشاط يعبر عن معنى ذاتي [...] يمكن حينها طرح السؤال المركزي في النظرية السوسولوجية على النحو التالي: كيف يمكن أن تصير المعاني الذاتية وقائع موضوعية؟"⁽¹⁵⁾. والإجابة المختصرة ههنا هي أنّ الناس، بوصفهم كائنات اجتماعية، يتبادلون الإشارات (الإيماءات والرموز والكلمات) للتعبير عن "معانيهم الذاتية":

في حالة التفاعل وجهاً لوجه، تمتلك اللغة صفّة متأصّلة من المعاملة بالمثل تميّزها من أي نظام إشاراتٍ آخر. إذ يمكن الإنتاج المستمر للإشارات الصوتية في المحادثة أن يتزامن بدقة مع النيات الذاتية المستمرة للمتحدثين. فأنا أتكلّم على نحو ما أعتقد، وكذلك يفعل شريكي في المحادثة. ويسمع كلانا ما يقوله كلّ منا في اللحظة نفسها تقريباً، ما يجعل الوصول المستمر والمتزامن والمتبادل إلى ذاتية كلّ منا أمراً ممكناً، وهو تقاربٌ بينذاتي في الوضع المباشر وجهاً لوجه لا يمكن أي نظام إشارات آخر أن يكرره. وعلاوة على ذلك، فأنا أسمع نفسي بينما أتحدث؛ حيث صارت معاني الذاتية متاحة لي بصورة موضوعية ومستمرة وصارت، بحكم الواقع، "أكثر واقعية" بالنسبة إليّ⁽¹⁶⁾.

لا بدّ لي من أن أشير إلى ثلاث مسائل يتضمّنهما هذا المقطع اللافت للانتباه. أولاً أنّ تركيزه منصبّ على الحياة اليومية؛ وثانيته أنّه يعدّ الكلام حاسماً في منح الظواهر الذاتية معنىً موضوعياً؛ وثالثته أنّه ينصّ على أن المحادثة تقتضي "تقارباً بين الذات". فالعملية تجري على نحو أفضل حين تكون ذاتيتا الطرفين قريبتين بدرجة كافية من رؤية إيماءات إحداهما للآخرى، وتسجيل نبرة الصوت، وتأويل لحظات التردد والصمت، وطلب التوضيحات، وما إلى ذلك. لكنّ القرب المادي لا يشكل الانشغال الرئيس لدى بيرغر ولوكمان وهما يستخدمان مصطلح "البينذاتية"؛ إذ نقرأ لهما النص التالي: "بالنسبة إليّ، أرى واقع الحياة اليومية على أنه عالم بينذاتي أنشأته مع آخرين. وهذه

17 Ibid., p. 37.

18 شرحْتُ ذلك في كتابي. ينظر:

Nicholas Onuf, *The Mightie Frame: Epochal Change and the Modern World* (New York: Oxford University Press, 2018), pp. 137-143.

19 استعمل أونوف في النص الأصلي عبارة a weasel word، واعتذر قائلاً: "لا يمكنني التأكد من إمكانية ترجمة هذه الاستعارة العامية إلى اللغة العربية". (المحرر)

14 Peter Berger & Thomas Luckmann, *The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge* (London: Penguin Books, 1967), p. 27.

15 Ibid., p. 30.

16 Berger & Luckmann, p. 52. (التشديد في الأصل)

في مقالة "مشكلة الفاعل-البنية"، وضع ونت⁽²⁰⁾ "الضرورات الموضوعية" في مقابل "المصالح الذاتية"؛ لكنه فعل ذلك بطريقة عابرة، من دون أن يأتي على ذكر البنائية. وفي مقالة "الفوضى هي ما تفعله الدول منها"، أشار إليها مرات قليلة، إحداها حين قرّن بينها وبين "المعاني" في قوله: "عملية إرسال الإشارات والتأويل والاستجابة هذه تستكمل 'فعلًا اجتماعيًا' وتشرع في عملية خلق معاني بيندائية"⁽²¹⁾. وتبدو ههنا إفادته من برغر ولوكمان واضحة جلية؛ على النحو الذي توضحه بقية الفقرة. ثم إنه، في موضع آخر من المقالة نفسها، فضّل استخدام عبارات مثل "المعاني الجماعية"⁽²²⁾ و"المعرفة الجماعية"⁽²³⁾. لكنه لم يوضح في أيّ وقت من الأوقات ما كان يقصده بالمعاني أو البنائية. بل ناقش الهوية معظم الوقت، ومنها "الهويات الجماعية" و"هويات الدولة". لقد عدّ على الدوام أنّ التجسّد الموضوعي للذاتية عملية معطاة.

بعد ذلك بعامين، في مقالة مهمة أخرى، نجد ونت قد استخدم اللغة نفسها؛ يقول: "الهويات الاجتماعية هي مجموعات من المعاني التي ينسبها الفاعل إلى نفسه وهو يتخذ منظور الآخرين، أي بوصفه موضوعًا اجتماعيًا"؛ "تمنح البنى البنائية معنى للبنى المادية، وبحسب المعاني يتصرف الفاعلون"؛ "يتشكل العالم الاجتماعي عبر المعاني والدلالات المتشاركة، والتي يمكن التلاعب بها من خلال الممارسات الخطابية"⁽²⁴⁾. إن مصطلح الهوية وحده حظي بالتعريف الدقيق من ونت، حيث يقول: "تمتلك الهويات الاجتماعية خصائص بنيانية فردية واجتماعية، وهي خرائط إدراكية في الوقت نفسه تمكّن الفاعل من تحديد 'من أنا/ نحن' في موقف ومواقع داخل بنية قوامها أدوار اجتماعية تستند إلى فهوم وتوقعات متشاركة"⁽²⁵⁾. أما كيفية التنقل من الـ "أنا" إلى الـ "نحن"، ومن "بنية الدور" إلى "الفهوم والتوقعات المتشاركة"، فلا يجري تفسيرها.

ثم جاء التوضيح في صفحات كتاب ونت الموسّع، نظرية اجتماعية للسياسة الدولية *Social Theory of International Politics*، حيث وردت إحالته على البنائية في عجلة سريعة؛ وذلك في قوله: "أعتقد أن المعرفة المتشاركة تعادل تلك 'الفهوم البنائية' التي يفضلها

بعضنا، أما معنى "المعاني" فهي في حدّ ذاتها لغزٌ محيرٌ بالنسبة إلى الواقعيين، على الأقل، "المعنى" بصيغة المفرد هو اسم غير معدود له معنى حقيقي واحد؛ وفي صيغة الجمع هو عالم من الأنواع المحددة والمعاني

بعضنا، أما معنى "المعاني" فهي في حدّ ذاتها لغزٌ محيرٌ بالنسبة إلى الواقعيين، على الأقل، "المعنى" بصيغة المفرد هو اسم غير معدود له معنى حقيقي واحد؛ وفي صيغة الجمع هو عالم من الأنواع المحددة والمعاني

بعضنا، أما معنى "المعاني" فهي في حدّ ذاتها لغزٌ محيرٌ بالنسبة إلى الواقعيين، على الأقل، "المعنى" بصيغة المفرد هو اسم غير معدود له معنى حقيقي واحد؛ وفي صيغة الجمع هو عالم من الأنواع المحددة والمعاني

بعضنا، أما معنى "المعاني" فهي في حدّ ذاتها لغزٌ محيرٌ بالنسبة إلى الواقعيين، على الأقل، "المعنى" بصيغة المفرد هو اسم غير معدود له معنى حقيقي واحد؛ وفي صيغة الجمع هو عالم من الأنواع المحددة والمعاني

26 Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999), p. 160.

27 Ibid., p. 53.

28 Ibid., p. 60.

20 Wendt, "The Agent-Structure Problem," p. 359.

21 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," p. 405.

22 Ibid., pp. 397-407.

23 Ibid., p. 399.

24 Alexander Wendt, "Collective Identity Formation and the International State," *American Political Science Review*, vol. 88, no. 2 (1994), pp. 385, 389, 391.

25 Ibid., p. 385.

ربما كان في وسع ونت أن يجد ضالته في التحول نحو اللغة، غير أن هذا المنعطف محفوف بالمخاطر. وبدلاً من ذلك، تشبّث بالأنطولوجيا الواقعية التي ترى أن اللغة تتعلق بالتمثيلات لا بالأداء؛ أي لا تتدخل مباشرة في البناء الاجتماعي. وفي مثل هذا الخيار، يتحول المعنى إلى اسم محدود. وقد نلاحظ بعض هذا الموقف لدى ونت لو أعدنا استذكار مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها" مرة أخرى، لكنه لن يكون واضحاً تماماً؛ لأن الرجل صنف فيه البنائية والتفاعل الرمزي ضمن التقاليد "الحداثية" أسوأ بتصنيفه لنفسه أيضاً⁽³⁰⁾. وإنه لآداء خادع، إذ يمكن علماء ما بعد الحداثة أن يستعينوا بالبنائية (مثلما فعلت أنا في كتابي)؛ كما أن التفاعل الرمزي صالح في الاتجاهين (مثلما أوضح من قبل). ثم إن ولاءاته في كتابه قد انجلبت بوضوح حين اختار السلامة أولاً.

تمثّل مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها" علامة فارقة، في مسار الحركة البنائية في العلاقات الدولية، بل في الحقل برمته؛ إذ إنها تُعدّ أكثر دراسة في دورية استشهد بها في تاريخ الحقل (أكثر من 10000 مرة، وهو ما يمثل، وفقاً لمحرك غوغل الأكاديمي Google Scholar، ثلاثة أضعاف عدد مرات الاستشهاد الخاصة بمقالة "مشكلة الفاعل - البنية"). بل يمكنني أن أشهد شخصياً على التأثير المباشر الذي أحدثته مقالة ونت المنشورة عام 1992؛ إذ إنها أسهمت في تقديم البنائية إلى العديد من الباحثين أكثر مما فعل كتاب عالم من صنعنا على الإطلاق. وانتهى نشر المقالة في أكثر دورية رائدة في هذا الحقل، وفي توقيت حاسم، إلى إضفاء الشرعية على الحركة البنائية ومنحها زخماً. وبعد فترة وجيزة، انضمت البنائية إلى الواقعية والليبرالية بوصفها تشكل معاً الركائز الثلاث في نظرية العلاقات الدولية⁽³¹⁾، وعزز كتاب ونت المنشور عام 1999 تحول البنائية من حركة هامشية إلى سمة مميزة للحقل، اليوم وفي المستقبل المنظور.

كيف نفسر هذا النصر العلمي المظفر؟ إذ إن ونت، عام 1992، لم يكن باحثاً كبيراً يحظى بمثل المنزلة المرموقة التي بلغها اليوم ولا العدد الكبير من المتابعين. كما أن المقالة ليست سهلة بالنسبة إلى المبتدئين أو الأكاديميين الذين ليست الإنكليزية لغتهم الأولى. علاوة على ذلك، نادراً ما تُستحضر المبادئ الأساسية في بنائية ونت، والتي أعاد الاشتغال بها في مقالة أخرى لتصير ثلاثة "افتراضات أساسية"⁽³²⁾. ويكمن "مفتاح الجواب" المتاح هنا في أن التوقيت كان له الدور الأكبر؛ إذ غيّرت نهاية الحرب الباردة كل شيء، فقفزت البنائية من

التي توافقها. أما بالنسبة إلى ما بعد الحداثي المناهض للواقعية مثلي، فإن كلمة "معنى" بوصفها اسماً غير محدود ليست متجانسة؛ والأنواع مؤقتة على الدوام، والمعاني محلّ مشاحةٍ دواماً. أنا أفترض أن السيادة (بوصفها اسماً غير محدود) فريدة من نوعها ولا تخضع للمقارنة ضمن النوع الذي تنتمي إليه، وليست لها هوية جاهزة؛ وتكتنفها ظلال كثيرة من المعنى، إلى حدّ أنه لا أحد منا يجزم على وجه الدقة بما نعبه عندما نستخدم هذا المصطلح. وهذه هي في الغالب حال الأسماء غير المحدودة التي فقدت خصوصيتها المرجعية الملموسة. فإذا كنا نظن أننا نرى "الشعر" على حقيقته، فنحن لا نشعر بمثل هذا التصور حين نسمع كلمة "سيادة"؛ ولذلك، ما زلنا مستمرين في الكتابة عن معناها.

”

إنّ ما فعله ونت في مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها" هو التالي: لقد خصّ "مؤسسة" السيادة بنقاش طويل ومسهب، وهو أمر يتطلب النظر المسبق للمؤسسة بوصفها مفهوماً متعدد الأشكال في حقل العلاقات الدولية. وهذا عمل لا تعرف له نهاية؛ والسبب الدقيق هنا هو أن اللغة تظل مهمة جداً في هذا الصدد

”

إنّ ما فعله ونت في مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها" هو التالي: لقد خصّ "مؤسسة" السيادة بنقاش طويل ومسهب⁽²⁹⁾، وهو أمر يتطلب النظر المسبق للمؤسسة بوصفها مفهوماً متعدد الأشكال في حقل العلاقات الدولية. وهذا عمل لا تعرف له نهاية؛ والسبب الدقيق هنا هو أن اللغة تظل مهمة جداً في هذا الصدد. لكن ونت لم يبدُ على استعداد لمنحها ما تستحقه من أهمية: فالفاعلون لديه لا يتكلمون، والمحادثات لا تتيح البتة مجالاً لإنشاء مشتركٍ للمعنى؛ إنه يجادل بإسهاب في هذا وذاك، لكن الناس لا يفعلون ذلك. فلا يستطيع ونت أن يخبرنا كيف يجعل الناس (بصورة ذاتية) العالم على النحو الذي يعتقدونه (بصورة موضوعية). لذلك، فمفهوم البينداتية هنا لا مفعول له، ولا أحسب أن ونت فكّر فيه يوماً على الرغم من إعلانه أنه يتبنى خيار التفاعلية الرمزية.

30 Ibid., p. 394.

31 Stephen M. Walt, "International Relations: One World, Many Theories," *Foreign Policy*, no. 110 (1998), p. 38.

32 Wendt, "Collective Identity Formation and the International State," p. 385.

29 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," pp. 412-415.

تفعله Do الكلمات إلى ما **تقوله** Say الكلمات بشأن ما **نفعله** Do نحن. يحب الليبراليون في مجال العلاقات الدولية حديث الأفكار؛ لأن الأفكار تمكنهم من دمج شواغلهم المعيارية فيها. لذلك، فلنتنقل الأفكار الراديكالية عن صنع العالم World-making إلى الأطراف حيث كانت طوال الوقت؛ ويمكن أن يمضي غُلاة ما بعد الحداثة قُدماً والزهو على حافة الجرف الإستيمولوجي حيث ينتمون؛ ولتتملى صفحات الدوريات العلمية والكتب بسجلات لا تنتهي عن الهوية والمعايير.

بذلك، أفسح ونت لليبرالية مكاناً في حقل العلاقات الدولية، فأحال هذا الحقل مكاناً آمناً للباحثين الليبراليين. وإنه لإنجاز رائع بالكلية. وإذا ما اتفقنا على أن ونت لم يكن بمفرده في التمكن لهذا الإنجاز، فلن يكون يسيراً أن نتخيل إمكانية حدوث ذلك كله لولا الدفعة التي أنجزتها مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها". وهذا لعمري مما يُعدُّ بحقُّ صنْعاً للعالم World-making.

الظل حين أدرك الباحثون الشباب على وجه خاص أن الواقعية فشلت في توقُّع نهاية النظام القديم، وأن الليبرالية قدّمت للمستقبل رؤية هزيلة. لقد منحت البنائية الاجتماعية وعداً بطريقة أفضل للنظر إلى سياسة القوة Power Politics، وهذا بالضبط ما وعد به ونت في العنوان الفرعي لمقالته الصادرة عام 1992.

يمكن إضافة الكثير في هذا الصدد أيضاً. ومثلما ذكرت آنفاً، فإن مقالة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها" هي حافة جرفٍ هارٍ يسير بجمهوره من الباحثين الشباب إلى حافة منحدر إستيمولوجي ثم يتراجع قافلاً. لطالما عدَّ معظم الواقعيين النقاشات الإستيمولوجية سخيّة ومشكّكةً للانتباه⁽³³⁾. وربما اعتقدنا أن ونت كان يستهدف الواقعية حين صاغ أحد الأقسام الفرعية في مقالته بعنوان "الفوضى وسياسة القوة" Anarchy and Power Politics⁽³⁴⁾. ليس الأمر كذلك! بل إن ونت في هذا القسم يهدد الأرضية لنقاش "التحول المؤسسي لسياسة القوة" Institutional Transformation of Power Politics في القسم الفرعي الذي يليه مباشرة⁽³⁵⁾. وهكذا استبقت الواقعية الليبرالية التي تلّتها مباشرة. وأرى أن جمهور ونت المستهدف كان يتألف من باحثين شباب ذوي ميول ليبرالية مثله؛ وهو الجيل الجديد الذي صقلته الأحداث لا النقاشات.

ربما يستذكر القراء مقطعاً من مقالة ونت اقتبسته آنفاً يقول: "هدفي في هذه الدراسة هو بناء جسر [...] امتداداً للدعاء الليبرالي القائل إن المؤسسات الدولية يمكنها تحويل هويات الدولة ومصالحها"⁽³⁶⁾. وهكذا يسير بنا هذا الجسر، ويسير بالبنائية، إلى عالم جديد يمكن أن يعتنقه الليبراليون أخيراً. سأقدّم دليلاً آخر دقيقاً إلى حدٍّ ما على أن هدف ونت كان إعادة بناء التنظير الليبرالي؛ إذ يخبرنا عنوان مقالته الشهيرة أن الفوضى هي ما **تصنعه** الدول (أي فاعلو الدول) منها What States Make of it، ولا يقول إن الفوضى هي ما **تصنعه** الدول What States Make It.

وفي اللغة الإنكليزية، الصُّنع Making هو بناء؛ فيكون البناء الاجتماعي صنْعاً للعالم World-making. وحين أستخدم سؤال: ما الذي **نصنعه**، أنا أو شخص آخر أو نحن، من ما **صنعناه** كلنا معاً (أو سنصنعه أو ينبغي أن نصنعه)، فقد نقلت مفردات الخطاب من ما

33 لمزيد من الاطلاع، ينظر:

Robert G. Gilpin, "The Richness of the Tradition of Political Realism," *International Organization*, vol. 38, no. 2 (1984), pp. 287-304.

34 ينظر القسم الفرعي في مقالة ونت بهذا العنوان في:

Wendt, "Anarchy is What States Make of It," pp. 395-410.

35 Ibid., pp. 410-422.

36 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," p. 394.

المراجع

- Berger, Peter & Thomas Luckmann. *The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge*. London: Penguin Books, 1967.
- Gilpin, Robert G. "The Richness of the Tradition of Political Realism." *International Organization*. vol. 38, no. 2 (1984).
- Keohane, Robert O. "International Institutions: Two Approaches." *International Studies Quarterly*. vol. 32, no. 4 (1988).
- Onuf, Nicholas Greenwood. *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations*. Columbia: University of South Carolina Press, 1989.
- Onuf, Nicholas. *The Mightie Frame: Epochal Change and the Modern World*. New York: Oxford University Press, 2018.
- Walt, Stephen M. "International Relations: One World, Many Theories." *Foreign Policy*. no. 110 (1998).
- Wendt, Alexander E. "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory." *International Organization*. vol. 41, no. 3 (1987).
- _____. "Anarchy Is What States Make of It: The Social Construction of Power Politics." *International Organization*. vol. 46, no. 2 (1992).
- _____. "Collective Identity Formation and the International State." *American Political Science Review*. vol. 88, no. 2 (1994).
- _____. *Social Theory of International Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

محمد حمشي | Mohammed Hemchi*

البنائية في حقل العلاقات الدولية: المدارك والمسالك**

After and Beyond Alexander Wendt: Mapping Constructivist Pathways in International Relations

تقدّم هذه الدراسة قراءة في المسالك المتعددة التي اتخذتها البنائية في حقل العلاقات الدولية، منذ نشوئها بوصفها نظرية اجتماعية نقدية في ثمانينيات القرن العشرين، استجابة للنقاش الثالث بين العقلانيين الوضعيين والتأمليين ما بعد الوضعيين، مروراً بمحاولة ألكسندر ونت بلورة منطقة وسطى وتجسير الفجوة بينهما، ثم بالنقاشات البينية التي جمعت البنائيين التقليديين والنقديين بشأن مشروع ونت، وصولاً إلى ازدهار البنائية الجديدة بعد مغادرة ونت برنامج البحث البنائي. وتناقش التوترات الإبستمولوجية التي صاحبت مشروع ونت، وكيفية إسهامها في انقسام البنائية تيارين رئيسيين: التقليدية الحداثية والنقدية ما بعد الحداثية (التأويلية). ثم تشدد على أن ابتعاد ونت عن البنائية لاحقاً وتحوله إلى مقارنة كوانتية لم يؤدّ إلى أفول البنائية، بل استمرت في الازدهار عبر مساهمات جيل جديد من البنائيين. وتحتاج الدراسة بأن ثلاث حركات رئيسة شهدتها حقل العلاقات الدولية، خلال الأعوام العشرين الماضية، ساهمت في استمرار هذا الازدهار، وهي: تراجع الاستقطاب الإبستمولوجي بين نظريات الحقل، وصعود الواقعية النقدية فلسفة لعلم العلاقات الدولية، وتطور النزعة الانتقائية التحليلية.

كلمات مفتاحية: البنائية، ألكسندر ونت، الفوضى هي ما تصنعه الدول منها، البناء الاجتماعي، البنائية النقدية، البنائية الجديدة.

This article traces the different paths taken by constructivism in International Relations, from its emergence as a critical social theory in the 1980s, in response to the third debate between positivist rationalists and post-positivist reflectivists, to Alexander Wendt's project to seize a middle ground and to bridge the rationalist-reflectivist epistemological gap. The article, then, examines the intra-debates among conventional and critical constructivists on Went's project, as well as the rise of the new constructivism after Wendt left the constructivist research program. The article explores the Wendtian project's epistemological tensions and demonstrates how such tensions led to a plurality within constructivism: modernist conventional and postmodernist critical (reflectivist). It highlights that Wendt's leaving constructivism and his shift to a quantum approach have not caused constructivism to decline, but instead, it continued to thrive through the efforts of a new generation of constructivists. The article argues that three main developments in International Relations over the past twenty years have contributed to its ongoing thriving: the decline of epistemological polarization among IR theories; the rise of critical realism as a philosophy of science in International Relations, and the emergence of analytical eclecticism.

Keywords: Constructivism, Alexander Wendt, Anarchy Is What States Make of It, Social Construction, Critical Constructivism, New Constructivism.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وأستاذ مساعد، معهد الدوحة للدراسات العليا.

Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies, and Assistant Professor, Doha Institute for Graduate Studies.

Email: mohammed.hemchi@dohainstitute.edu.qa

** نقتبس عنوان الدراسة الفرعي من عنوان كتاب القاضي عياض (1149-1083)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. ونقصد بمدارك البنائية أطروحاتها الرئيسة، ومسالكها الطرائق التي تطورت بها من بنائية نقدية، في بدايتها، إلى عدة بنائيات تتفق بشأن أطروحات معينة وتختلف بشأن أخرى.

مقدمة

منها" (1992)⁽⁵⁾، وكتابه المرجعي أيضًا، نظرية اجتماعية للسياسة الدولية (1999)⁽⁶⁾. وعلى الرغم من أن مشروع ونت للتجسير بين العقلانيين والتأمليين، عرّضه للنقد حتى من رفاقه البنائين التأمليين (ويسمّون أيضًا راديكاليين)، الذين انتقدوه بسبب ما اعتبروه تنازلات إبستمولوجية لفائدة النزعة الوضعية، فإنه تمكّن، بحلول نهاية التسعينيات، من افتكاك اعتراف الحقل بالبنائية بوصفها إحدى النظريات الثلاث السائدة في العلاقات الدولية، إلى جانب الواقعية والليبرالية⁽⁷⁾، خاصة مع تكاثر الأبحاث الإمبريقية التي استخدمت البنائية لاختبار بعض الفرضيات نفسها التي تتأسس عليها الواقعية والليبرالية، ومن ثم تحديثها⁽⁸⁾.

ولم تلبث البنائية أن شهدت تعددية بينية سرعان ما دفعت البنائين إلى مسالك شتى. فاتخذت أعمال ونت وأنصار مشروع الأرضية الوسطى بين العقلانية والتأملية شكل بنائية تقليدية وحدائية، ذات نزعة وضعية، في مقابل بنائيات نقدية وتأويلية وما بعد حدثية، ذات نزعة ما بعد وضعية. وبقدر ما تتعدد البنائية، تتعدد تصنيفاتها (كما سيتبين في هذه الدراسة)⁽⁹⁾. ومع ذلك، يظل الإجماع قائمًا بين

في البدء كانت النظرية الاجتماعية. ولذلك، سُميت البنائية في مرحلة مبكرة من نشوئها البنائية الاجتماعية Social Constructivism، فالاجتماعي هو ما يميزها من غيرها من نظريات العلاقات الدولية⁽¹⁾. لقد نشأت البنائية، في ثمانينيات القرن العشرين، حين كان حقل العلاقات الدولية منشغلًا بالنقاش الثالث في سلسلة النقاشات الكبرى التي شهدتها الحقل منذ مأسسته في بداية القرن العشرين. وقد جمع النقاش الثالث، في ذلك الوقت، التيار العقلاني الوضعي، المتمثل في الواقعية والليبرالية الجديديتين (ويسمى أيضًا التيار السائد Mainstream)، والتيارات التأملية ما بعد الوضعية⁽²⁾، مثل النظرية النقدية والنسوية وما بعد البنيوية وما بعد الحدثية، وغيرها. وفي خضم الاستقطاب الشديد الذي ميز النقاش الثالث، نشأت البنائية وامتت وتطورت، وسرعان ما تحولت من مقاربة تأملية نقدية، مناهضة للتيار السائد⁽³⁾، إلى مشروع لتجسير الفجوة (خاصة الإيبستمولوجية) بين الوضعيين وما بعد الوضعيين واتخاذ أرضية وسطى بين طرفي النقاش الثالث، لتنتقل من تيار نقدي منشق نحو مركز التيار السائد⁽⁴⁾.

ولا شك في أن ونت كان بمنزلة البناء أو المهندس البنائي الذي أخذ على عاتقه، رفقة ثلة من رفاقه، مهمة بناء هذا الجسر بين العقلانيين والتأمليين ودعوتهم إلى الانتقال من أقصى طرفي النقاش إلى أرضية وسطى؛ لا سيما في مقالته المرجعية، "الفوضى هي ما تصنعه الدول

5 Alexander Wendt, "Anarchy Is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 2 (1992); ينظر الترجمة العربية في هذا العدد: ألكسندر ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: السياسة الدولية بوصفها بناءً اجتماعيًا"، ترجمة سارة إسماعيل، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس 2025)، ص 123-152.

6 Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

7 Stephen Walt, "International Relations: One World, Many Theories," *Foreign Policy*, vol. 110 (1998), p. 38; Stefano Guzzini, "A Reconstruction of Constructivism in International Relations," *European Journal of International Relations*, vol. 6, no. 2 (2000), p. 147.

بل إن والت يذهب إلى حد القول إن البنائية حلت محل الماركسية في خريطة نظريات العلاقات الدولية الموروثة من النقاش ما بين البردايمات Inter-paradigm Debate في السبعينيات، التي ضمت الواقعية والليبرالية والماركسية.

8 إذا كانت الواقعية والليبرالية منشغلتين بمسائل البقاء والقوة والمصلحة والمؤسسات والتعاون وإنّ الفوضى، فإن البنائية تضيف أسئلة (نقدية حافلة بالسوسيولوجيا) بشأن الكيفية التي تُبنى بها هذه المفاهيم اجتماعيًا؛ مثلًا: كيف تُعرّف الدول هوياتها ومصالحها؟ وكيف تنشأ القواعد والمعايير وتكتسب شرعية فتتحول إلى حوافز للسلوك أو إلى قيود عليه؟ وكيف تتحدد معاني الفوضى وتتحول؟

9 عن تصنيفات البنائية، ينظر خصوصًا: Jeffrey Checkel, "The Constructivist Turn in International Relations Theory," *World Politics*, vol. 50, no. 2 (1998); Ted Hopf, "The Promise of Constructivism in International Relations Theory," *International Security*, vol. 23, no. 1 (1998); Ruggie; Guzzini; Friedrich Kratochwil, "Constructing a New Orthodoxy? Wendt's 'Social Theory of International Politics' and the Constructivist Challenge," *Millennium*, vol. 29, no. 1 (2000); Martha Finnemore & Kathryn Sikkink, "Taking Stock: The Constructivist Research Program in International Relations and Comparative Politics," *Annual Review of Political Science*, vol. 4 (2001); Michael Barnett & Raymond Duvall, "Power in International Politics," *International Organization*, vol. 59, no. 1 (2005); David McCourt, "Practice Theory and Relationalism as the New Constructivism," *International Studies Quarterly*, vol. 60, no. 3 (2016).

1 عن جذور البنائية في النظرية الاجتماعية، ينظر في هذا العدد: نيكولاس أونوف، "ما الذي ينبغي أن تصنعه من مقالة 'الفوضى هي ما تصنعه الدول منها؟'، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 21-28؛ ينظر أيضًا:

Nicholas Greenwood Onuf, *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations* (Columbia: University of South Carolina Press, 1989); John Gerard Ruggie, "What Makes the World Hang Together? Neo-Utilitarianism and the Social Constructivist Challenge," *International Organization*, vol. 52 (1998).

2 تجنبًا لأي ارتباك اصطلاحي في التصنيفات المتداولة لنظريات العلاقات الدولية، نشير من البداية إلى أننا نستخدم في هذه الدراسة العقلانية والوضعية (والأنطولوجيا المادية) من الناحية الأولى، والتأملية وما بعد الوضعية (والأنطولوجيا الاجتماعية) من الناحية الثانية، تسميات مترادفة لطرفي النقاش الثالث.

3 ينظر:

Jim George & David Campbell, "Patterns of Dissent and the Celebration of Difference: Critical Social Theory and International Relations," *International Studies Quarterly*, vol. 34, no. 3 (1990).

4 ينظر:

Nicholas Greenwood Onuf, "Constructivism at the Crossroads; or, the Problem of Moderate-Sized Dry Goods," *International Political Sociology*, vol. 10, no. 2 (2016).

الأعوام العشرين السابقة للعام الذي أُجري فيه الاستطلاع، في الأعوام 2011 و2014 و2017. وقبل ذلك، منحت جمعية الدراسات الدولية كتابته، **نظرية اجتماعية للسياسة الدولية**، جائزة كتاب العقد، الذي جرت ترجمته إلى اثنتي عشرة لغة. وفي أواخر أيار/ مايو 2023 حاز، رفقة مارثا فينمور، جائزة يوهان سكايت للعلوم السياسية (وهي أشبه ما تكون بجائزة نوبل للعلوم السياسية). وذكرت لجنة الجائزة أنهما ساهما في "تأجيج ثورة في مجال العلوم السياسية"⁽¹⁴⁾.

لقد ساهمت عوامل عديدة في هذا النجاح. ونقتبس فيما يلي خلاصة نص المحاضرة التي ألقاها ونت وفينمور بمناسبة نيلهما جائزة يوهان سكايت:

"لم يكن نجاح البنائية أمرًا متوقعًا، بل غير مقصود في بعض النواحي. لقد ظلّ مؤيدو النظريات القائمة واثقين بأدواتهم الخاصة، وغالبًا ما كانت أهداف البنائيين الأوائل متواضعة. وقد حدثت الانطلاقة البنائية لمسوّغين رئيسيين على الأقل. أولهما، المشهد الفكري الذي ساد في أواخر ثمانينيات القرن العشرين وأوائل تسعينياته؛ فترة ضيّقت فيها نظريات العلاقات الدولية في الولايات المتحدة الأميركية نطاق اهتماماتها على نحو حادّ، ما جعل التيار السائد من الأبحاث في موقف دفاعي حين انهار الاتحاد السوفياتي وبلغت الحرب الباردة نهايتها. أما النوع الآخر من المسوّغات، فيكمن في طبيعة الأفكار البنائية نفسها. فمن الناحية الفكرية، اتسمت هذه الأفكار بمرونة واسعة افتقرت إليها نظريات العلاقات الدولية الأخرى. ومن الناحية النظرية، تُعدّ البنائية نظرية اجتماعية، لا نظرية خاصة بالعلاقات الدولية، ما جعلها مفيدة في معالجة مجموعة واسعة من المشكلات. ومن الناحية الإمبريقية، كانت البنائية منفتحة على التحليل السياسي على جميع المستويات وفي إمكان الباحثين نقلها حيث يريدون. ومن الناحية المنهجية، كانت البنائية تعددية؛ إذ يمكن الباحثين استخدام - وقد استخدموا فعلاً - مناهج متنوعة لاستكشاف ادعاءاتها. وههنا، عمل الباحثون البنائيون، وأغلبهم من جيل الشباب الصاعد ممّن لم يحظوا بمناصب جامعية بعد، بجهدٍ، ليفتكو موطئ قدم في الحقل. وقد فاجأنا، كما فاجأ غيرنا، انتشار هذه الأفكار ورواجها على هذا النطاق الواسع"⁽¹⁵⁾.

من يصنّفون ومن يصنّفون أنفسهم بنائيين على أن ما يميز البنائية من غيرها من نظريات العلاقات الدولية هو القول إن السياسة الدولية مبنية اجتماعيًا Socially Constructed، أي إن السياسة الدولية، في معناها الأوسع، لا تعكس واقعًا ماديًا موضوعيًا معطًى، بل واقعًا اجتماعيًا يُبنى بينذاتيًا ويُعاد بناؤه باستمرار، وإن أفعال الفاعلين في السياسة الدولية ومصالحهم والبنى التي يتفاعلون ضمنها تتشكل من خلال المعايير والأفكار والمعايير التي يتشاركونها بدلًا من مجموعة ثابتة من الشروط المادية الموضوعية. وإذا ما أخذنا هذا الوصف الفضفاض على محمل التعريف⁽¹⁰⁾، فلا بد من الإشارة إلى أن البنائيين يختلفون بشأن ما دونه ويذهبون في ذلك مذاهب شتى.

لقد مرّت نحو أربعة عقود على ظهور الأعمال البنائية المبكرة. وبصرف النظر عن جذورها في تقاليد راسخة في النظرية الاجتماعية، فإنّ صعود البنائية وازدهارها في فترة قصيرة يمثّلان "قصة نجاح" مبهرة مقارنة بنظيرتيها الرئيسيتين: الواقعية التي تفاخر بتاريخ فكري يمتدّ أزيد من خمسة وعشرين قرنًا، والليبرالية التي تمتدّ جذورها إلى بضعة قرون⁽¹¹⁾؛ في حين تمكّنت البنائية، في أعوام معدودات، من الصعود لتتحول إلى نظرية للواقعية والليبرالية. وأحد مسوّغات نجاحها اللافت في ذلك إنّما يكمن في أنّ انتقاداتها لنزعتها الوضعية، حتى إن بدت محدودة في حالة بنائية ونت، لم تركّز على ما تناولته الواقعية والليبرالية بل على ما تجاهلته، خاصة فيما يتعلق بمضمون مصالح الدولة وبنية السياسة الدولية الاجتماعية ومصادرها⁽¹²⁾.

تبني هذه الدراسة على الإقرار السائد بأنّ البنائية تمثّل قصة نجاح مبهرة بحق⁽¹³⁾. وما من ريب في أنّ ونت كان (ولعله لا يزال) بطلها، رغم مغادرته برنامج البحث البنائي بعد ما يقارب عشرين سنة من الالتحاق به. فوفق استطلاع أجراه مشروع **التعليم والبحث والسياسة الدولية** Teaching, Research and International Politics، تصدّر ونت ترتيب الباحثين الأشد تأثيرًا في حقل العلاقات الدولية خلال

10 ترى مايا زحفوس غياب أيّ إجماع على ماهية البنائية يساوي الإجماع على أهميتها. ينظر:

Maja Zehfuss, *Constructivism in International Relations: The Politics of Reality* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), p. 6.

11 Martha Finnemore & Alexander Wendt, "When 'Old' Constructivism Was New: Reflections on Classical Constructivism," *Perspectives on Politics*, vol. 22, no. 4 (2024), p. 1248.

12 Checkel, p. 324.

13 ينظر على سبيل المثال:

Finnemore & Wendt, "When 'Old' Constructivism Was New," Guzzini; Emanuel Adler, "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics," *European Journal of International Relations*, vol. 3, no. 3 (1997); Checkel; Hopf.

14 Michal Grahn, "Alexander Wendt & Martha Finnemore Awarded the Johan Skytte Prize in Political Science," *The Johan Skytte Prize*, May 25, 2023, accessed on 14/9/2024, at: <https://tinyurl.com/5n7pbw97>

15 Finnemore & Wendt, p. 1248.

الأرضية الوسطى بين العقلانية والتأملية. نفحص في الدراسة هذه الانقسامات (في المبحث الأول)، ونناقش حدود مشروع ونت والانتقادات التي شملته (في المبحث الثاني والثالث)، ونفترض أن تعدد مسالك البنائية يمثل جزءاً من قصة نجاحها. لكننا مهتمون أكثر بفهم حالة الازدهار التي شهدتها البنائية، بمختلف مسالكها، على الرغم مما يُعدّ إخفاقاً مُنِي به مشروع ونت؛ وعلى الرغم أيضاً من تخلي ونت نفسه، في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، لا عن مشروع تجسير الفجوة بين العقلانية والتأملية فحسب، بل عن البنائية برمتها، ومغادرتها نحو الاهتمام بمقاربة كوانتية Quantum للسياسة الدولية⁽¹⁹⁾.

ونحاج (في المبحث الرابع) بأن ثلاثة عوامل رئيسة ساهمت في استمرار البنائية في الازدهار بعيداً عن ونت ومشروعه لتجسير الفجوة بين العقلانية والتأملية. وهي عوامل متشابهة، ينتج ويعزز بعضها بعضاً: تراجع حدة الاستقطاب الإيستيمولوجي في حقل العلاقات الدولية؛ وصعود الواقعية النقدية فلسفةً لعلم العلاقات الدولية⁽²⁰⁾؛ وتزايد الاهتمام بالانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية. وننافح عن فرضية مفادها أن البنائية (بتياراتها المبكرة والجديدة) ساهمت في هذه الحركات الثلاث، تماماً كما ساهمت هذه الحركات في ازدهار البنائية خلال السنوات الأخيرة.

أولاً: مسالك البنائية

البنائية، في حقل العلاقات الدولية، مقارنةً نظرية تركز على دور الأفكار والمعايير والهويات والتفاعل الاجتماعي بين الفاعلين في تشكيل السياسة الدولية؛ وهي بذلك تختلف مع المقاربات العقلانية (الواقعية والليبرالية) التي يقتصر تركيزها على دور القوى المادية، مثل القوة العسكرية أو الموارد الاقتصادية. وتحتاج البنائية بأن النظام الدولي ليس بنية ثابتة أو معطاة، بل إنه يُبنى ويعاد بناؤه اجتماعياً من خلال الفهم والممارسات التي يشاركها الفاعلون. ويمكن تكثيف جوهر البنائية في: واقع السياسة الدولية هو ما تصنعه الدول منه (أو على حد تعبير ونت، بنية النظام الدولي الفوضوية هي ما تصنعه

كانت تلك عوامل نجاح البنائية، من وجهة نظر اثنين من أبرز مؤسسيها. ولا تقف قصة النجاح عند هذا الحد؛ فثمة ثلاثة عوامل رئيسة أخرى زادت البنائية قوةً. ويمكن ترتيبها، تاريخياً، على النحو التالي: العامل الأول هو انخراطها المبكر فيما يُعرف بالنقاشات الكبرى بين نظريات العلاقات الدولية، وإطلاقها مشروع تجسير الفجوة العقلانية - التأملية حين كان النقاش الثالث في أوجه؛ والعامل الثاني هو صعود ما يمكن تسميته المدرسة الأوروبية التي طوّرت البنائية على نحوٍ مكثف، وساهمت في تعبيد مسالك، تُعدّ من أبرز مسالكها، منذ منتصف التسعينيات⁽¹⁶⁾؛ أما العامل الثالث فهو نفوذها خارج حقل النظرية الدولية، إذ إنها ساهمت في إنضاج عدد من التحولات المعرفية في حقول غير نظرية العلاقات الدولية حيث نشأت وتطورت، مثل الدراسات الأمنية⁽¹⁷⁾، والاقتصاد السياسي الدولي، بل النظرية الاجتماعية عامةً، فضلاً عن عدد من البرامج البحثية النقدية العابرة لحقول معرفية متعددة، مثل دراسات الإرهاب النقدية والجيوستراتيجية النقدية، وغيرهما.

تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة في قصة نجاح البنائية. وإذ تنطلق من الوصف الشائع لسيرورة البنائية وصرورتها إلى بنائيات عديدة (بصيغة الجمع لا المفرد)، فإنها تبني على المقولة الجوهرية التي مفادها أن البنائية، شأنها شأن الواقع الاجتماعي الذي تنظر له، "مبنية اجتماعياً"، و"هي ما يصنعه البنائيون منها". وتلك مقولة سبق أن استخدمها فينمور وونت، حين ذكرا أن "البنائية هي، في واقع الحال، ما يصنعه البنائيون منها، ولذلك تختلف نسختها من بنائي إلى آخر. ومع ذلك، نعتقد أن إجمالاً ما قد تشكل بحلول أواخر التسعينيات [...] بات هو البنائية السائدة"⁽¹⁸⁾.

لكننا نحاول الذهاب أبعد من سبر المسالك التي اتخذتها البنائية، منذ أن بدأت نقدية في منتصف الثمانينيات، وتحولت إلى جزء من التيار السائد مطلع التسعينيات، ثم انتهى بها المطاف إلى الانقسام إلى بنائيات متعددة في نهاية التسعينيات، خاصة مع صدور كتاب ونت، *نظرية اجتماعية للسياسة الدولية*، الذي أرسى أسس أطروحة

16 تحاج كارين م. فيركه وناد إريك يورجنسن بأن البنائية لقيت ترحيباً واسعاً في سياقات أوروبية متعددة، ويتمثل أحد المؤشرات الدالة على ذلك في العدد الكبير، وغير المعتاد، من البنائين، ذوي التوجه النقدي في معظمهم، الذين هاجروا من جامعات أميركا الشمالية إلى جامعات أوروبية؛ وكان من أبرزهم فريدريك كراتوشفيل نفسه. ومُنح العديد منهم مناصب من مصاف الكرسي وهم في الثلاثينيات من أعمارهم. ينظر:

Karin M. Fierke & Knud Erik Jorgensen, "Introduction," in: Karin M. Fierke & Knud Erik Jorgensen (eds.), *Constructing International Relations: The Next Generation* (London: Routledge, 2015), pp. 3, 9 (note 1).

17 الدراسات الأمنية حقل فرعي ضمن اختصاص العلاقات الدولية، لكننا نقصد هنا بحقل العلاقات الدولية حقل نظريات العلاقات الدولية.

18 Finnemore & Wendt, p. 1249.

19 عن مشروع ونت الكوانتي، ينظر في هذا العدد: سارة ناصر، "رحلة ألكسندر ونت من 'نظرية اجتماعية للسياسة الدولية' إلى 'توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية'"، *سياسات عربية*، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 179-194. وهي تقدم مراجعة مطولة ومعقدة لكنائي ونت، *نظرية اجتماعية للسياسة الدولية*، والعقل الكوانتي والعلوم الاجتماعية: نحو توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية، الصادرين عامي 1999 و2015 على التوالي؛ وتناقش أبرز الحجج في الكتابين، مع إلقاء الضوء على مواضع الانقطاع والاستمرارية بينهما.

20 لا نتبنى هنا أي موقف من النقاش بشأن علمية حقل العلاقات الدولية. لكننا نستخدم مصطلح العلم فقط في سياق الحديث عن الواقعية النقدية بوصفها فلسفة علم A Philosophy of Science.

اتخذها البنائيون على مدى العقود الثلاثة الأخيرة ونيف. لا شك في أن البنائية لم تكن يومًا على قلب رجل واحد، بل تطورت بوصفها مشروعًا نظريًا تتعدد مسالكه بقدر ما تتعدد روايفه سالكها. وهذا ما دفع ريتشارد برايس وكريستيان روس-سميث إلى الحجاج بوجود بنائيات عديدة، لا بنائية واحدة⁽²¹⁾.

تذكر كارين فيركه أن البنائية، منذ أن قدّم أونوف المصطلح مشيرًا إلى طيفٍ واسع من المنظورات ما بعد الوضعية، اشتركت في نقدها لافتراضات التيار السائد في نظرية العلاقات الدولية؛ وأنها، منذ ذلك الحين، أصبحت موضع خلاف، وأن البنائية انقسمت إلى بنائية تقليدية يقال إنها تشغل أرضية وسطى بين الوضعية وما بعد الوضعية، وأشكال أخرى من البنائية ذات طابع نقدي. ثم تقتبس فيركه حجة تقول إن الشقاق بين البنائيين والعقلانيين من التيار السائد في حقل العلاقات الدولية لم يكن إستيمولوجيًا، بل كان أنطولوجيًا⁽²²⁾. ولعلها كانت تقصد البنائيين التقليديين الذين إمّا عملوا إلى جانب ونت في الثمانينيات⁽²³⁾، وإمّا استلهموا أعماله وأعمال زملائه بعد ذلك.

وإذ يبدو معقولاً القول إن البنائية المبكرة بدأت نظرية نقدية⁽²⁴⁾ تكاد تكون متسقة، غير أنّ ونت سرعان ما شرع في الابتعاد بها عن أصولها في النظرية النقدية التي خاضت النقاش الثالث ضد المعسكر الوضعي (خاصة الواقعية)، في حين استمرت نقاشات البنائيين النقيدين على جبهتين: جبهة خارجية مع خصومهم من الوضعيين، وجبهة داخلية مع رفاقهم من البنائيين الوضعيين أنفسهم. وفي هذه الدراسة، نحاجّ بأنّ مشروع الأرضية الوسطى الذي دشّنه ونت، واستهدف منه تجسير الهوة بين معسكرَي النقاش الثالث، لم يساهم في تجسيد قصة نجاح البنائية فحسب، كما يذهب إلى ذلك كُثر، بل إنه دفع أيضًا بالأصوات البنائية النقدية (والتأملية أيضًا) نحو الظل، وعجل بحُجُو جذوة النقاش الثالث بشأن إستيمولوجيا العلاقات الدولية. ونقدّم فيما يلي بعض التصنيفات البارزة التي تناولت

الدول منها؛ العلاقة بين الفاعل والبنية في السياسة الدولية هي علاقة تشكيل متبادل Mutual Constitution، أي إنّ كلًّا منهما يشكل الآخر؛ ليست الهويات والمصالح ثابتة ومُعطاة سلفًا Pregon، بل تُبنى (ويُعاد بناؤها) من خلال التفاعل الاجتماعي؛ الهويات سابقة على المصالح، والأولى هي ما يحدد الثانية؛ تشكّل المعايير والأفكار البينذاتية Intersubjective والمشاركة Shared بين الدول سلوكها بقدر ما تُشكّله القوى المادية؛ الاجتماعي هو ما يسبغ معنى على المادي؛ بما أنّ الهويات والمعايير هي ما يحدد السلوك، وبما أنها تُبنى اجتماعيًا، فهي عرضة للتغيير من خلال عمليات التعلم والتفاعل المستمر بين الفاعلين.

”

البنائية، في حقل العلاقات الدولية، مقارنةً نظرية تركز على دور الأفكار والمعايير والهويات والتفاعل الاجتماعي بين الفاعلين في تشكيل السياسة الدولية؛ وهي بذلك تختلف مع المقاربات العقلانية (الواقعية والليبرالية) التي يقتصر تركيزها على دور القوى المادية، مثل القوة العسكرية أو الموارد الاقتصادية. وتحتاج البنائية بأنّ النظام الدولي ليس بنية ثابتة أو معطاة، بل إنه يُبنى ويعاد بناؤه اجتماعيًا من خلال الفهم والممارسات التي يتشاركها الفاعلون

”

21 Richard Price & Christian Reus-Smit, "Dangerous Liaisons? Critical International Theory and Constructivism," *European Journal of International Relations*, vol. 4, no. 3 (September 1998), p. 288.

22 كارين فيركه، "البنائية"، في: نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، تيم دان وميليا كوري وستيف سميث (محررون)، ترجمة دها الخضرا (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 443.

23 يذكر ونت أنه عمل في فترة دراساته العليا (1982-1989) إلى جانب زملاء له في الدراسة، ومنهم من تحولوا نحو البنائية لاحقًا، مثل مايكل بارنيت Michael Barnett وويوتا ويلدز Jutta Weldez وديانا ساكو Diana Saco. تحت إشراف ريموند دوفال Raymond Duvall؛ وإلى جانب عالمي الاجتماع روي باشكار Roy Bhaskar وأنطوني غيدنز Anthony Giddens. وأبعد من ذلك، يذكر أيضًا أن أربعة منظرين في العلاقات الدولية كانوا الأكثر تأثيرًا فيه، من بينهم عقلانيان وضعيان: كينيث والتز وروبرت كيوهان. ينظر: Finnemore & Wendt, "When 'Old' Constructivism Was New," p. 1250.

24 Hopf, p. 172.

تلك هي أبرز الافتراضات التي يمكن القول إن البنائيين يتقاسمونها، وإنها تشكّل الأسس التي تقوم عليها المقاربة البنائية للسياسة الدولية. ويمكن القول أيضًا إن هذه الافتراضات تبلورت مع الجيل المؤسس من البنائيين الذين قادوا الموجة الأولى من التأملات البنائية في منتصف الثمانينيات، ثم تطورت لاحقًا ودفعَت إلى توسيع نطاق تلك التأملات وتنزيلها منزلة البحث الإمبريقي. ويمكن العودة إلى عدد من الفصول المكثفة في كتب نظرية العلاقات الدولية من أجل الاطلاع على مقدمات أوسع وأعمق للبنائية في حقل العلاقات الدولية. ما يشغلنا، في هذا المقام، ليس مسح مدارك البنائية وافتراضاتها وأطروحاتها وحججها، بل سبر مسالكها المتعددة التي

على تتبّع المسار Process-tracing Case Study، ويستلهمون علم الاجتماع وعناصر من المؤسساتية الماكروسوسولوجية ضمن مدرسة ستانفورد⁽²⁹⁾. وأما البنائيتان التأويلية والنقدية، في المقابل، فتحطيان بشعبيةٍ أوسع في أوروبا، إذ تتجنب البنائية التأويلية الأسئلة ذات المساعي التفسيرية، وتلتزم بطرح أسئلةٍ استقرائية تستهدف إعادة بناء هوية الفاعل، باستعمال مناهج تعتمد على تحليل الخطاب، مع التركيز على عمليات القوة والسيطرة الملزمة للغة والخطاب. وتضيف البنائية النقدية بعداً معيارياً صريحاً من خلال فحص المضامين التي يضيفها أعضاء الجماعة المعرفية في عملية (إعادة) إنتاج الهويات والعالم الذي يهتمون بدراسته.

ويبدو أنّ الفرق بين التيارات التأويلية والنقدية من ناحية، والتقليدية من ناحية أخرى، في تصنيف كاتزنشتاين وكيوهان وكراسنر، هو فرق إبستمولوجي كذلك. ففي حين يعتقد التقليديون أنّ التفاعل الرمزي يكون المعنى، نجدهم يتمسكون بالافتراض الوضعي القائل إنّ الواقع الاجتماعي يظل موجوداً ومستقلاً عن تصور المنظر له؛ كما أنهم يشددون على أهمية الأبحاث الإمبريقية في مقارنة ذلك الواقع "الموجود هناك". وهذا ما يجعل البنائين التقليديين أقرب إلى العقلانيين الوضعيين. أما البنائيون التأويليون، والنقديون خاصةً، فيتصورون العالم "الموجود هناك" عالماً مبنياً في حد ذاته⁽³⁰⁾، ما يتطلب فهم الطرائق التي بُني بها وصار بفضلها إلى النحو الذي يبدو عليه، وهذا ما يجعلهم أقرب إلى التأمليين ما بعد الوضعيين منهم إلى العقلانيين الوضعيين. وفي السياق نفسه، يرى جيفري تشاكل أنه من السهل ملاحظة هيمنة البنائين التقليديين في الولايات المتحدة على دورية التنظيم الدولي التي يجري تحريرها في هارفارد، في حين يهيمن البنائيون التأويليون والنقديون على دورية الألفية والدورية الأوروبية للعلاقات الدولية اللتين يجري تحريرهما في لندن وميونخ، على التوالي⁽³¹⁾.

تتوافر تصنيفات أخرى أشد اتساعاً، وقد يصعب حصرها. فيميز إيمانويل أدلر، مثلاً، بين أربع بنائيات تفصل بينها خطوط خلاف منهجية⁽³²⁾: 1. بنائية حدائية ترى أن إزاحة التطرف الأنطولوجي،

المسالك الرئيسية التي اتخذها البنائيون، وهم ينقسمون على أنفسهم خلال السنوات التي تلت صدور مقالة ونت المرجعية، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، ثم نناقش مشروع بنائية الأرضية الوسطى الذي أسس له ونت في هذه المقالة، وطوّره لاحقاً في كتابه المرجعي أيضاً، نظرية اجتماعية للسياسة الدولية.

يجادل روس-سميت بأن ثمة تيارين أساسيين من البنائية، الحدائية وما بعد الحدائية. ويكمن الفرق بينهما في طبيعة الأسئلة التي يطرحها كل تيار، إذ إن التيار الأول يركز على أسئلة "لماذا؟"، في حين يركز التيار الثاني على أسئلة "كيف؟"⁽²⁵⁾. وقريباً من هذا التصنيف، يحتاج تيد هوف بأن البنائية انقسمت إلى بنائيتين، تقليدية Conventional ونقدية⁽²⁶⁾ (حدائية وما بعد حدائية، على التوالي، في تصنيف روس-سميت). ومن الواضح أنّ مصدر هذا الانقسام، في كلا التصنيفين، إبستمولوجي في المقام الأول. وهذا ما دفع هوف إلى القول إنّ البنائية وُلدت نظرية نقدية، وكلما ابتعدت عن جذورها الإبستمولوجية في النظرية النقدية، صارت أكثر تقليدية⁽²⁷⁾. ومن الواضح أيضاً أنّ التصنيفين يشيران إلى تقاربٍ إبستمولوجي بين البنائية الحدائية التقليدية والعقلانية الوضعية من ناحية، وبين البنائية ما بعد الحدائية النقدية والتأملية ما بعد الوضعية من ناحية أخرى.

يصنّف بيتر كاتزنشتاين وروبرت كيوهان وستيفن كراسنر⁽²⁸⁾ البنائية إلى ثلاث بنائيات: التقليدية، والتأويلية، والنقدية. وتأتي البنائية التقليدية بمنزلة التيار المهيمن من البنائية، خاصة في الولايات المتحدة، وتعمل على فحص الأدوار التي تؤديها المعايير، وفي حالاتٍ أقلّ الأدوار التي تؤديها الهويات في تشكيل السياسة الدولية. وأنصار هذا التيار في عمومهم ذوو توجهاتٍ إبستمولوجية وضعية، ويدافعون بقوة عن مشروع تجسير الفجوة التي تفصل بين مختلف المقاربات النظرية في الحقل، ويستعملون المناهج الكيفية ودراسات الحالة التي تعتمد

25 Chris Reus-Smit, "The Constructivist Turn: Critical Theory after the Cold War," *Working Paper*, no. 1996/4, National Library of Australia, 1996, p. 10.

مع ذلك، تنبغي الإشارة إلى أن المقصد، في البنائية عموماً، الكامن في طرح سؤال "لماذا؟"، لا يتعلق بالتفسير Explanation، بل هو أكثر تعلّقاً بالتأويل Interpretation. لذلك، فإن البنائية، حتى في نسختها الحدائية/ التقليدية، تحافظ على مسافة واضحة من الإبستمولوجيا الوضعية مهما اقتربت منها. وهذه الملاحظة مفيدة في قراءة النصوص العربية التي تعرّب Interpretation، خطأً، بالتفسير. عن هذه المسألة، ينظر:

Martin Hollis & Steve Smith, *Explaining and Understanding International Relations* (Oxford: Oxford University Press, 1990).

26 Hopf.

27 Ibid., pp. 172, 181.

28 Peter J. Katzenstein, Robert O. Keohane & Stephen D. Krasner, "International Organization and the Study of World Politics," *International Organization*, vol. 52, no. 4 (1998), p. 675.

29 Antje Wiener, "Constructivist Approaches in International Relations Theory: Puzzles and Promises," *Constitutionalism Webpapers*, no. 5 (2006), p. 12.

30 Ibid.

31 Jeffrey T. Checkel, "Social Constructivisms in Global and European Politics: A Review Essay," *Review of International Studies*, vol. 30 (2004), p. 223 (footnote 7).

32 ينبغي لنا أن نذكر أن العلاقة بين الإبستمولوجيا والمنهج، مثلها مثل العلاقة بين الفاعل والبنية في منطق البنائية، هي علاقة تشكيل متبادل. لذلك، فإن المنهج والإبستمولوجيا صنوان. ومن ثم، فإن خطوط الفصل في تصنيف أدلر لا تختلف عن تصنيفات غيره.

زحفوس، ليست بالقدر نفسه من الرواج الذي تحظى به التصنيفات الثنائية، إلا أن ذلك لا يعني أن البنائيات، مهما تعددت، لا تأتلف حول نواتين مركبتين، تقليدية (حداثة) ونقدية (ما بعد حداثة)⁽⁴³⁾. وهذا ما يُكسب التصنيفات الثنائية قدرةً أكبر على تبسيط حالة التنوع في الأطروحات البنائية، التي تُظهر أحياناً فروقاً دقيقة قد لا تُرى إلا من خلال عدسة النظرية الاجتماعية الأوسع.

قد تبدو تصنيفات البنائية غير مقنعة، خاصة إذا نظرنا فيها على نحو مقارن، وهي في ذلك لا تختلف عن بقية التصنيفات في حقل العلاقات الدولية عامةً⁽⁴⁴⁾؛ لكنها تظل مفيدة حين يتعلق الأمر بفهم صيرورة النظرية، سواء في نقاشاتها البينية (أي بين تياراتها الداخلية)، أو في نقاشاتها مع غيرها من النظريات المنافسة في الحقل المعرفي الأوسع. وفي حالة البنائية، لا يمكننا أن نغفل مثلاً عن أن ونت نفسه، الذي تُعدّ بنائيتها موضوعاً للتصنيف، يتبنى تصنيف البنائية بنائيتين، حداثة وما بعد حداثة؛ ثم يقرّ صراحة بأنه ينحاز إلى البنائية الحداثيّة، بل يدافع عنها، مع ادعائه الاستمرار في استلهاً البنائية ما بعد الحداثيّة⁽⁴⁵⁾. وقد رفض البنائيون النقديون (أو ما بعد الحداثيون) انحياز هذا ووجهوا إليه وبلاً من النقد.

ثانياً: بنائية ونت والجسر "المهجور" بين التأملين والعقلانيين

بعد صدور مقالة ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، أصبحت عبارة "البناء الاجتماعي للشيء"، تصدر عناوين المقالات وفصول الكتب⁽⁴⁶⁾؛ وباتت أطروحته موضوعاً لشروح ومراجعات وانتقادات ينوء المرء بإحصائها. وينبغي أن نتذكر أن هذا الاحتراف الذي استُقبل به أطروحته ونت جاء في أوج نقاشين احتدما على نحو متزامن منذ بداية الثمانينيات: النقاش بين الواقعيين الجدد

الذي يميز البنائيين النقديين من ما بعد الحداثيين، كفيلة بسدّ ذرائع هؤلاء في استبعاد إمكانية استعمال المناهج التفسيرية جنباً إلى جنب مع المناهج التأويلية؛ ويضع أدلر ونت في قلب هذه النسخة البنائية المتمركزة حول الدولة Statist، تمييزاً له من البنائيين الذين يرون في الفاعلين الأساسيين في العلاقات الدولية، مثل الأمم والجماعات الإثنية، سماتٍ ناشئة أكثر من كونها فئات مادية يجري تشيئتها Reified. 2. بنائية يقودها أونوف⁽³³⁾ وفريدريك كراتوشفيل⁽³⁴⁾، وهي توظف أفكاراً من القانون الدولي لإبراز أثر أشكال التفكير والإقناع في العلاقات بين الدول وفي سلوكها المقيد بالقواعد؛ ويسم أدلر هذه البنائية، من دون أن يمنحها اسماً، بأنها ما بعد وضعية من الناحية الإستمولوجية. 3. بنائية تشدد على أهمية المعرفة السردية، ويصنف ضمنها أعمال آن تيكتر⁽³⁵⁾ وسيسليا لينتش⁽³⁶⁾ وجون راغي⁽³⁷⁾ وأول ويفر⁽³⁸⁾. 4. بنائية تركز على استعمال التقنيات المنهجية ما بعد الحداثيّة، مثل منهج ميشيل فوكو الجينالوجي (في أعمال ريتشارد برايس⁽³⁹⁾) ومنهج التفكيك (في أعمال توماس بايرستكر وسينثيا فير⁽⁴⁰⁾).

من ناحية أخرى، تتبنّى مايا زحفوس تصنيفاً للبنائيات بحسب رؤاها من البنائيين، فتميز بين بنائية أونوف، وبنائية كراتوشفيل، وبنائية ونت⁽⁴²⁾، من دون أن تطلق عليها وسوماً. ومن الواضح أن تمييزها بين بنائيتي أونوف وونت يعكس أيضاً التمييز السائد بين البنائية التقليدية (الحداثة) والنقدية (ما بعد الحداثة). صحيح أن التصنيفات غير الثنائية، مثل التي وضعها كاتزنشتاين وكيوهان وكراسر أو أدلر أو

33 Onuf, *World of Our Making*.

34 Friedrich Kratochwil, *Rules, Norms and Decisions: On the Conditions of Practical and Legal Reasoning in International Relations and Domestic Affairs* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).

35 Ann J. Tickner, *Gender in International Relations* (New York: Columbia University Press, 1992).

36 Cecelia Lynch, "E.H. Carr, International Relations Theory, and the Societal Origins of International Legal Norms," *Millennium*, vol. 23 (1994).

37 John G. Ruggie, "Peace in Our Time? Causality, Social Facts, and Narrative Knowing," *American Society of International Law Proceedings*, 89th Annual Meeting (1995).

38 Ole Weaver, "Insecurity, Security and Asecurity in the West European Non-War Community," in: Emanuel Adler & Michael Barnett (eds.), *Security Communities* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

39 Richard Price, "A Genealogy of the Chemical Weapons Taboo," *International Organization*, vol. 49 (1995).

40 Thomas J. Biersteker & Cynthia Weber (eds.), *State Sovereignty as Social Construct* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

41 Adler, pp. 335-336.

42 Zehfuss, pp. 10-23.

43 تضاف إلى التصنيفات الواردة هنا تصنيفات ثنائية أخرى عديدة، مثل البنائية الكثيفة Thick والمخففة Thin؛ والبنائية الراديكالية والمعتدلة؛ والبنائية الأميركية والأوروبية، وغيرها. ينظر:

Swati Srivastava, "Varieties of Social Construction," *International Studies Review*, vol. 22, no.3 (2020).

ولا نطرق هذه التصنيفات لأنها تتمفصل وفقاً لخطوط الانقسام، الإستمولوجية، نفسها التي تميز البنائيتين التقليدية والنقدية، على الترتيب.

44 Abdenour Benantar, *Sécurité et immigration: Réflexions sur les études (critiques) de sécurité et l'Ecole de Copenhague* (Oran: Ibn Nadim Editions, 2024), p. 19.

45 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," p. 394 (footnote 12).

46 Guzzini, p. 147.

والليبراليين الجدد⁽⁴⁷⁾، الذين ائتملوا في توليفة سمّاها أول ويفر التوليفة الجديدة-الجديدة Neo-Neo Synthesis⁽⁴⁸⁾، وصارت تسمى "توليفة عقلانية" (أو حتى "تحالفًا عقليًا")⁽⁴⁹⁾؛ والنقاش الآخر الذي يسمّى النقاش الثالث، ضمن سلسلة النقاشات الكبرى في حقل العلاقات الدولية، بين العقلانيين والتأمليين⁽⁵⁰⁾.

أشار ونت، في مقالته "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، إلى أنّ هدفه يكمن في بناء جسر بين الواقعيين والليبراليين من ناحية والعقلانيين والتأمليين من ناحية أخرى، وذلك نيابة عن ادعاء الليبراليين القائل إنّ المؤسسات الدولية يمكنها تحويل هويات الدول ومصالحها؛ وعلى الرغم من أنه أنكر اهتمامه بالصلة بين الأطروحات المؤسسية والليبرالية في ذلك الوقت⁽⁵³⁾، فإنه أبدى اهتمامًا صريحًا بإمكانية مساهمة البنائية في دفع الليبرالية إلى العناية بمسألة تشكّل الهوية والمصالح، ومن ثم تعزيز فهم الليبرالية لمسائل التعلم والإدراك التي لطالما أغفلتها. ومن ناحية أخرى، يحتج ونت على ادعاء الواقعيين الجدد القائل إنّ الاعتماد على النفس هو نتاج بنية فوضوية خارجية المنشأ بالنسبة إلى العمليات ومستقلة عنها، وينكر في الوقت نفسه على البنائيين إجحامهم عن بذل جهد يُعتدّ به لأخذ القوى السببية للفوضى على محمل الجد⁽⁵⁴⁾. كانت تلك هي استراتيجية ونت التوفيقية بين طريقتي نقىض النقاش الثالث، عام 1992.

وفي المقالة نفسها، ينتهي إلى الإقرار بصعوبة الحسم في سؤال تغبّر هويات الدولة ومصالحها نتيجةً للتفاعل النظامي (أي عند مستوى النظام الدولي)؛ فيقول: "حتى لو كان التفاعل مهمًا في البداية في بناء الهويات والمصالح، فإنّ منطقته، عند مأسسته، قد يجعل التحوّل صعبًا جدًا. فإذا تغبّر معنى البنية بالنسبة إلى أفعال الدولة ببطء شديد وأصبح معيارًا، بحكم الواقع، تجري ضمنه السيرة، ربما يكون من المناسب، من الناحية الجوهرية، تبني الافتراض العقلاني القائل إنّ الهويات والمصالح معطاة"⁽⁵⁵⁾.

ثم يشدد من جديد على أنّ بحث هويات الدولة ومصالحها، نظريًا وإمبريقيًا، "لا يعني أنه لا ينبغي لنا البتّة التعامل مع الهويات والمصالح على أنها معطاة؛ إذ ينبغي أن يكون تأطير مشكلات البحث

والليبراليين الجدد⁽⁴⁷⁾، الذين ائتملوا في توليفة سمّاها أول ويفر التوليفة الجديدة-الجديدة Neo-Neo Synthesis⁽⁴⁸⁾، وصارت تسمى "توليفة عقلانية" (أو حتى "تحالفًا عقليًا")⁽⁴⁹⁾؛ والنقاش الآخر الذي يسمّى النقاش الثالث، ضمن سلسلة النقاشات الكبرى في حقل العلاقات الدولية، بين العقلانيين والتأمليين⁽⁵⁰⁾.

”

بعد صدور مقالة ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، أصبحت عبارة "البناء الاجتماعي للشيء"، تتصدر عناوين المقالات وفصول الكتب؛ وباتت أطروحاته موضوعًا لشروم ومراجعات وانتقادات ينوء المرء بإحصائها. وينبغي أن نتذكر أن هذا الاحتفاء الذي استقبلت به أطروحته ونت جاء في أوج نقاشين احتمدا على نحو متزامن منذ بداية الثمانينيات: النقاش بين الواقعيين الجدد والليبراليين الجدد

“

تمكّن ونت من أن يجعل البنائية "المقيم الشرعي"، الوحيد تقريبًا، ضمن ما أصبح يسمّى "الأرضية الوسطى" بين طريقتي النقاش الثالث⁽⁵¹⁾. ويمكن القول إنّ مشروع بناء جسر يسدّ الفجوة بين

47 ينظر:

David A. Baldwin (ed.), *Neorealism and Neoliberalism: The Contemporary Debate* (New York: Columbia University Press, 1993); Robert Powell, "Anarchy in International Relations Theory: The Neorealist-Neoliberal Debate," *International Organization*, vol. 48 (1994).

48 Ole Wæver, "The Rise and Fall of The Inter-paradigm Debate," in: Richard Little & Michael Smith (eds.), *Perspectives on World Politics* (London: Routledge, 2006).

49 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," p. 425.

50 ينظر: محمد حمشي، "النقاش الثالث بين نظريات العلاقات الدولية: حدود الاتصال المعرفي"، *المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية*، العدد 3 (كانون الأول/ ديسمبر 2014)، ص 93-131؛

Yosef Lapid, "Through Dialogue to Engaged Pluralism: The Unfinished Business of the Third Debate," *International Studies Review*, vol. 5 (2003); Yosef Lapid, "The Third Debate: On the Prospects of International Theory in a Post-Positivist Era," *International Studies Quarterly*, vol. 33, no. 1 (1989).

51 Guzzini, p. 148.

52 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 90.

53 سيحدث لاحقًا تقارب بين الليبرالية والمؤسسية في إطار ما بات يُعرف بالمؤسسية الليبرالية الجديدة Neoliberal Institutionalism. ينظر:

Robert O. Keohane, *International Institutions and State Power: Essays in International Relations Theory* (New York: Routledge, 1989).

54 Wendt, "Anarchy is What States Make of It," p. 394.

55 Ibid., p. 423.

كانت تلك خاتمة المقالة. لكنه بدا في كتاب نظرية اجتماعية للسياسة الدولية، عام 1999، أشد وضوحًا، وربما أشد جرأةً في التعبير عن موقفه، إذ يقول: "إذا أخذ المرء التزاماتي الأنطولوجية الاجتماعية في الحسبان، فسيكون في إمكانه الاعتقاد أنني يجب أن أصطف بقوة إلى جانب ما بعد الوضعية، من خلال تركيزي على الحديث عن الخطاب والتأويل بدلًا من اختبار الفرضيات ووجود واقع موضوعي. ومع ذلك، حين يتعلق الأمر بإبستمولوجيا المعرفة الاجتماعية، فأنا مؤمن قويٌّ بالعلم [...] أنا وضعي. وهذا ما يضعني على نحوٍ ما في قلب النقاش الثالث، لا لأنني أسعى للعثور على إبستمولوجيا انتقائية، بل لأنني لا أعتقد أن الأنطولوجيا الاجتماعية تنطوي بالضرورة على إبستمولوجيا ما بعد وضعية [...] لذلك، يحدوني الأمل، في الواقع، في العثور على [أرضيةً وسطى] بين طرفي النقاش الثالث من خلال التوفيق بين ما يراه الكثيرون بمنزلة مواقف إبستمولوجية وأنطولوجية متضاربة. يقول بعضهم إنه لا توجد أرضية وسطى، وقد يكونون على صواب؛ لكنني مع ذلك سأدافع عن حجتين أساسيتين. تتمثل الأولى في أن الأهم يكمن فيما هو موجود هناك وليس في الكيفية التي يمكننا بها معرفته؛ وتتمثل الثانية في أن العلم ينبغي له أن تحرّكه أسئلة البحث أكثر مما تحرّكه المناهج [...] ولكي أكون أشد صراحة، أعتقد أن ما بعد الوضعيين يركزون على نحوٍ مجحفٍ على الإبستمولوجيا، كما أعتقد أن الوضعيين ينبغي أن يكونوا أشد انفتاحًا على الأسئلة والمناهج. لا أحد يستطيع أن يُجبر الوضعيين وما بعد الوضعيين على الحديث بعضهم مع بعض، غير أنني أمل من سعبي لبناء منطقةً وسطى بين الطرفين أن أبين على الأقل أن ثمة ما يمكن الحديث في شأنه" (61).

على هذا النحو، لا ترفض بنائية ونت فكرة العلم، المتجذرة في الإبستمولوجيا الوضعية، لأنَّ خلافها مع هذه الأخيرة ليس إبستمولوجيًا، بل خلاف أنطولوجي يتعلق بألوية الأنطولوجيا الاجتماعية على المادية، وهو ما يسمح لها باحتلال موقع "الأرضية الوسطى" بين أنصار العلم العقلانيين / الوضعيين وخصومهم التأمليين / ما بعد الوضعيين.

ثمة مستويان لمشروع بنائية ونت. يتعلق المستوى الأول بمحاولة تحدي الوضعية ضمن حدودها الإبستمولوجية الخاصة بها، فهي تهدف إلى استعمال منطلقات الإبستمولوجيا العقلانية لإثبات محدودية الأنطولوجيا المادية، وذلك ببناء برنامج بحثي إمبيريقي يثبت القوة التفسيرية للأفكار والمعايير. أما المستوى الثاني فيتعلق بمحاولة تبرئة التأمليين من التهمة القائلة إنهم لا يقومون بأي عمل

واستراتيجياته مدفوعًا بالأسئلة لا بالمنهج. وإذا لم نُعر مسألة تشكّل الهويات والمصالح اهتمامًا، فقد نجد افتراضات الخطاب العقلاني معقولة تمامًا. بعبارة أخرى، لا ينبغي اعتبار أيٍّ مما ورد في الدراسة هجومًا على العقلانية في حد ذاتها⁽⁵⁶⁾. وفي تعليقه على تمرّك بنائيتها على الدولة، يقول: "أعتقد، مع الواقعيين، أن الدول ذات السيادة ستظل على المدى المتوسط الفاعل المهيمن في النظام الدولي. وأن أيّ انتقال إلى بنى جديدة للهوية والسلطة السياسية العالمية - أي إلى سياسة ما بعد دولية - سيجري بواسطة الحل المؤسسي الخاص الذي يستهدف حل التوتر بين الوحدة والتنوع، أو بين الخصوصية والعالمية، أي الدولة ذات السيادة؛ سيجري هذا الانتقال بواسطة الدولة ذات السيادة وسيعتمد في الوقت نفسه على سرورتها [...] ولذلك، فأنا واقعي ودولتي Statist"⁽⁵⁷⁾. لم يأت تشديده على قربه من الواقعية من دون تأكيد إيمانه بأن بنائيتها يمكن - بل ينبغي - أن تعمل أيضًا يدًا في يد مع ما يسميه الليبرالية القوية من أجل تطوير نظرية دولية تركز على السيرورة Process، التي تغفلها الواقعية. وفي هذا السياق، نجده ينكر على البنائيين الشّخ في بذل الجهد لسبر أغوار الأسئلة السببية والإمبريقية المتعلقة بكيفية إنتاج الهويات والمصالح من خلال الممارسة في ظل الفوضى؛ ومن ثم يؤاخذهم بتجاهل الرؤى الليبرالية بشأن التعلم والإدراك الاجتماعي⁽⁵⁸⁾.

وإذ توقّع ونت، من البداية، إعراض طرفي النقاش الثالث عن خطاب كهذا، فإنه يعزو هذا الإعراض إلى "انهماكهما في الخلافات القائمة حول الحالة الإبستمولوجية التي تشهداها العلوم الاجتماعية"، والتي تجعل الباحثين عرضة للوقوع في "فخّ علوم اجتماعية يحركها منهج البحث لا أسئلته"⁽⁵⁹⁾. ثم يقول: "ليس ثمة سبب وجيه لإيلاء الإبستمولوجيا هذه الأهمية الهائلة؛ فلا الوضعية ولا الواقعية العلمية ولا ما بعد البنيوية تفيدنا في فهم بنية الحياة الدولية ودينامياتها. إنَّ فلسفات العلوم ليست نظريات في العلاقات الدولية. ومما يدعو إلى التفاؤل ههنا أن أنصار الليبرالية القوية والبنائيين الحدائين وما بعد الحدائين يطرحون أسئلة متشابهة، إلى حد بعيد، بشأن جوهر العلاقات الدولية، وهذا ما يميز كلا الفريقين من تحالف الواقعيين الجدد والعقلانيين. لا يزال أمام البنائيين وأنصار الليبرالية القوية مجال واسع للتعلم المتبادل، إذا تمكّنوا من رؤية ما يجمعهم رغم ما تثيره الإبستمولوجيا من سجال"⁽⁶⁰⁾.

56 Ibid.

57 Ibid., pp. 424-425.

58 Ibid., p. 425.

59 Ibid.

60 Ibid.

إثراء حزمة الأدوات التحليلية المتاحة في الحقل⁽⁶⁹⁾، وذلك بتكثيف الاهتمام بالعديد من القضايا المحورية في حقول معرفية أخرى، مثل علم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ والفلسفة؛ ومن بين هذه القضايا: المعايير والهويات والبنائيات والتنشئة الاجتماعية⁽⁷⁰⁾.

لقد أشار كراتوشفيل وراغي، في دراسةٍ لهما حول نظرية المنظومات Regime Theory، إلى وجود تناقض متأصل في هذه النظرية بين الأنطولوجيا والإبستمولوجيا، وقد حذرًا من أنَّ الإحجام عن التعامل نظريًا مع طبيعة المعايير البنائية (أي كونها مبنية اجتماعيًا) سيُقي نظرية المنظومات في مواجهة مشكلة التناقض بين الإبستمولوجيا الوضعية والأنطولوجيا الاجتماعية؛ لأنَّ الوضعية تفترض الانفصال المسبق بين الذات والموضوع (أي بين الباحث وموضوع البحث)، ما يجعلها تنزع إلى التركيز على القوى الموضوعية التي تحرك الفاعلين خلال تفاعلاتهم الاجتماعية، في حين أنَّ الأنطولوجيا الاجتماعية تتبنَّى نزعة بينائية، تجعلها تؤكد معرفتنا بالمنظومات من خلال الفهوم المشاركة التي نكوِّنها (بوصفنا ذواتًا) بشأن أشكال السلوك الاجتماعي المقبولة والمرغوب فيها⁽⁷¹⁾.

لكنَّ مشكلة التناقض بين الإبستمولوجيا الوضعية والأنطولوجيا الاجتماعية، هذه، تجعل الجسر الموعود، الممدود نحو نظرية وضعية مثل الواقعية الجديدة، أمرًا بعيد المنال، لأنها تفتقر إلى البعد البنائيات في بنيانها النظري. وللتغلب على هذه المشكلة، كان على البنائيين أن يختاروا بين حلين: إمَّا أن يتبنَّوا أنطولوجيا بينائية تتوافق مع الإبستمولوجيا الوضعية، وإمَّا أن يعملوا على جعل الإبستمولوجيا الوضعية تنفتح أمام الأدوات التأويلية. ويبدو أنَّ البنائيين (التقليديين تحديدًا) فضلوا الخيار الأول، وذلك بالربط بين الإبستمولوجيا الوضعية والأنطولوجيا البنائية⁽⁷²⁾.

ظلَّ هذا الربط، الذي يُعدُّ روح مشروع بنائية ونت لتجسير الفجوة بين العقلانيين والتأملين، غير متماسك من الناحية الإبستمولوجية. فقد حاجَّ جيم جورج، مثلًا، بأنَّ الانتقادات التي وجهها ونت إلى والتز ظلت متأثرةً بأطروحة وحدة العلم والسعي الحثيث لبناء نظرية دولية تستلهم الافتراضات الأساسية للوضعية، ما جعل قيمتها

إمريقي، وهي تهمة من السهل إدانتهم بها كلما ركزوا على نقد الجوانب الإبستمولوجية والمنهجية، بينما يهملون العمل على بناء تحليلات محكمة مفهوميًا ومؤيدة إميريقيًا⁽⁶²⁾. وفي الوقت نفسه، تعدُّ بنائية الأرضية الوسطى بالاجتهاد في إقناع العقلانيين بمراجعة حجتهم التقليدية القائلة إن المعايير والهويات والخطاب عوامل غير مهمة في الدراسات الدولية. ومن باب الإنصاف القول إن هذا النمط من التوقع المبكر، الذي أصرَّ عليه ونت وغيره من أنصار مشروع الأرضية الوسطى، هو ما سمح للبنائيين بالمساهمة في إثراء العديد من المجالات الفرعية في حقل العلاقات الدولية، مثل الدراسات الأمنية والاقتصاد السياسي الدولي، وأتاح لهم الانخراط في نقاش موضوعات عديدة كانت حكرًا على المقاربات الوضعية، مثل الأمن⁽⁶³⁾، والعلاقة بين النمو الاقتصادي والنزاعات المسلحة⁽⁶⁴⁾، والنزاعات الداخلية⁽⁶⁵⁾، وتوسُّع حلف شمال الأطلسي "الناتو" والاتحاد الأوروبي⁽⁶⁶⁾، من بين نقاشاتٍ مبكرةٍ أخرى عديدة كان للبنائيين دورٌ حاسم في إثرائها.

يُمكن نجاح البنائية في انتقاداتها للوضعية (ممثلةً في التوليفة العقلانية)، حتى إنَّ بدت محدودة في حالة بنائية ونت، في أنها لم تركز على ما تناولته التوليفة العقلانية، بل على ما تجاهلته؛ خاصة فيما يتعلق بمضمون مصالح الدولة والبنية الاجتماعية للسياسة الدولية، ومصادرها⁽⁶⁷⁾. وتفترض البنائية وجودَ تفاعلٍ مستمر بين الفاعلين والبنى، فتصبح الأنطولوجيا البنائية قائمة على فرضية التكوين المتبادل Mutual Constitution، حيث لا يجري اختزال وحدات التحليل، بعضُها في بعض، كما تفعل العقلانية⁽⁶⁸⁾. وكان اتجاه البنائية المبكر نحو تجنُّب المداخلات الإشكالية المتعلقة بالقضايا الإبستمولوجية، والتركيز بدلًا من ذلك على القضايا الأنطولوجية، يُمكِّنها أيضًا من

62 Price & Reus-Smit, p. 264.

63 Seng Tan, "Rescuing Constructivism from the Constructivists: A Critical Reading of Constructivist Interventions in Southeast Asian Security," *The Pacific Review*, vol. 19, no. 2 (2006).

64 Margit Bussmann, "Gerald Schneider & Nina Wiesehomeier: Foreign Economic Liberalization and Peace: The Case of Sub-Saharan Africa," *European Journal of International Relations*, vol. 11, no. 4 (2005).

65 Mary Caprioli & Peter F. Trumbore, "Identifying 'Rogue' States and Testing Their Interstate Conflict Behaviour," *European Journal of International Relations*, vol. 9, no. 3 (2003).

66 K.M. Fierke & A. Wiener, "Constructing Institutional Interests: EU and NATO Enlargement," *Journal of European Public Policy*, vol. 6, no. 5 (1999).

67 Checkel, "The Constructivist Turn in International Relations Theory," p. 324.

68 Ibid., p. 326.

69 تهدف الأدوات البنائية المضافة في الأساس إلى إدراك المعاني البنائية، بما في ذلك تحليل الخطاب وتتبع المسار والجنينولوجيا ومقارنة البنى والمقالات والملاحظة القائمة على المشاركة وتحليل المضمون. ينظر: Finnemore & Sikkink, p. 395.

70 Wiener, p. 7.

71 Friedrich V. Kratochwil & John G. Ruggie, "International Organization: A State of the Art on an Art of the State," *International Organization*, vol. 40, no. 4 (1986).

72 Wiener, pp. 10-11.

تنجم هذه المعضلة عن صعوبة التخفيف من حدة الخلاف حول الإستيمولوجيا، ما يجعل تأكيد ونت أن القضايا ما وراء النظرية هي قضايا أنطولوجية في الأساس وليست إستيمولوجية تأكيداً مبالغاً فيه. ففي مشروعه المشترك مع جيمس كابوراسو وجوزيف جويل حول الاتحاد الأوروبي والمؤسساتية⁽⁷⁷⁾، على سبيل المثال، تذرّ تشاكر من صعوبة إشراك باحثين ذوي توجهات تأويلية أو نقدية؛ نظراً إلى صعوبة الجمع بين المسائل التفسيرية والمسائل القيمية في "سلة" بحثية واحدة⁽⁷⁸⁾. ثم إن الفصل بين القضايا الإستيمولوجية والأنطولوجية للوصول إلى تسوية من قبيل "دعونا نفترض أننا متفقون إستيمولوجياً، ولنناقش ما نختلف بشأنه أنطولوجياً" يظل صعب المنال. وقد أشار كراتوشويل نفسه إلى التشابك المعقد بين القضايا الإستيمولوجية والأنطولوجية؛ على الأقل من خلال الأبنية اللغوية المشكّلة لها⁽⁷⁹⁾.

ولتفكيك هذه المعضلة، اقترحت آنتجه وينر العودة إلى ما وصفته بطبيعة البنائية البنائية في حد ذاتها⁽⁸⁰⁾. فقد لاحظت أنه في الوقت الذي توضع فيه البنائية في سياق زمني واحد ضمن المسار الذي عرفه الحقل خلال العقود الثلاثة التي تلت بروزها في حقل العلاقات الدولية، تأتي المداخلات النظرية المنضوية تحت لوائها، في الواقع، من جماعات أكاديمية متباينة. وهذه الملاحظة لا تدفع إلى إعادة النظر في طبيعة البنائية نفسها فحسب، بل حتى في طبيعة الأرضية الوسطى المنتظر منها احتلالها، والجسر الواصل المنتظر منها بناؤه. ويمكن التساؤل ههنا عما إذا كانت هذه الأرضية الوسطى مجالاً موجوداً مسبقاً على نحو موضوعي، أوجده التعارض الموروث عن النقاش الثالث بين التأملية والعقلانية غير القابلتين للمقايسة⁽⁸¹⁾، أم أنها مجال يُنتظر من البنائيين أن يقوموا على بنائه اجتماعياً، على نحو بينداتي. وتعتقد وينر أن البنائيين، على الرغم من أنهم لا يتقاسمون موقفاً إستيمولوجياً واحداً، يتفقون على أهمية الأنطولوجيا مقارنة بالإستيمولوجيا؛ وبناءً عليه، فهم لا يميلون إلى التقارب عند الزاوية الثالثة للمثلث النظري بحسب التصور السائد (تأملية - بنائية - عقلانية)، ولكنهم في المقابل يعملون على تشكيل نصف دائرة تربط بين طريقي النقاش الثالث، التأملية والعقلانية.

في تجاوز افتراضات الواقعية الجديدة محدودة⁽⁷³⁾؛ هذا إذا افترضنا أن هذا المشروع يستهدف التحرك بعيداً عن الطرفين المتمترسين إستيمولوجياً، وصولاً إلى أرضية وسطى.

على الرغم من هذا التحدي، فإن دعوة ونت لقيت ما لقيته من آذان صاغية؛ إذ شهدت الأعوام اللاحقة لصدور مقالته، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، محاولات استجابة مكثفة لنداء سدّ الفجوة الموروثة من النقاش الثالث، بين العقلانيين والتأمليين، خاصة عبر التوفيق بين البنائية عامةً والمقاربات المناوئة لها، بما في ذلك التوفيق بين الاهتمام بالأبعاد المادية والأبعاد المتعلقة بالأفكار. وبرزت أيضاً، ضمن تلك المحاولات، مساعٍ لتكييف البنائية ضمن مشاريع إمريكية مختلفة، خصوصاً ما تعلق منها بالمؤسسات الدولية والمعايير والإذعان والتنشئة الاجتماعية (داخل الاتحاد الأوروبي مثلاً)⁽⁷⁴⁾. وقد جعل هذا النوع من الاهتمامات النظرية الباحثين ينخرطون في مشاريع لتكييف مقارباتهم النظرية، البنائية والعقلانية على حد سواء، من أجل الاستجابة لنداء تجسير الفجوة بين طريقي النقيض، العقلاني والتأملي.

يعزو تشاكر المعضلة التي واجهت بنائية ونت إلى استمرارها في الانشغال ببناء جسرٍ ممرٍ واحد يصل العقلانيين والبنائيين التقليديين من أنصار بنائية ونت، في وقت كان ينبغي لها أن تفتح ممراً آخر يربط بين البنائيين التقليديين من جهة، والبنائيين النقديين (والتأويليين) من جهة أخرى. وربما كان تيد هوف⁽⁷⁵⁾ من البنائيين القلائل الذين تعاملوا مع مفهوم "الأرضية الوسطى" بجديّة أكبر، لأنه حاول أن يبني جسراً ممرّين: يصل الأول بين البنائيين والعقلانيين، بينما يصل الثاني بين البنائيين التقليديين والبنائيين التأويليين (والنقديين)⁽⁷⁶⁾. بصيغة أخرى، يمكن الحجاج بأن تعدد التيارات داخل البنائية، وانقسامها على أساس خطوط فصل إستيمولوجية، يزيدان من تعقّد مشروعها الذي دشّنه ونت، فبدلاً من أن تركز على بناء الجسر الموعود بين العقلانيين والتأمليين، وجدت نفسها في حاجة ملحة إلى بناء جسور إضافية تهدف إلى سدّ الفجوة بين تياراتها الداخلية ذاتها.

77 James Caporaso, Jeffrey T. Checkel & Joseph Jupille, "Integrating Institutions: Rationalism, Constructivism and the Study of the European Union," *Comparative Political Studies*, vol. 36 (2003).

78 Checkel, "Social Constructivisms in Global and European Politics," p. 242.

79 Kratochwil, p. 73.

80 Wiener, p. 13.

81 عن عدم القابلية للمقايسة في النقاش الثالث، ينظر: حمشي.

73 Jim George, *Discourses of Global Politics: A Critical (Re)Introduction to International Relations* (Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1994), p. 127.

74 Checkel, "Social Constructivisms in Global and European Politics," p. 241.

75 ينظر:

Ted Hopf, *Social Construction of International Politics: Identities and Foreign Policies, Moscow, 1955 & 1999* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002).

76 Checkel, "Social Constructivisms in Global and European Politics," p. 233.

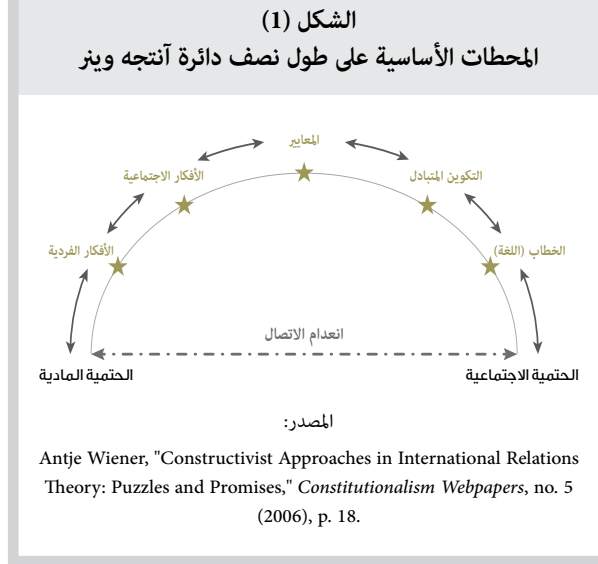
ثالثاً: محطات على امتداد الجسر بين التأملين والعقلانيين

يقترن تشكّل نصف دائرة وينز وامتدادها بظهور مواقف بنائية تتشكل عبر الابتعاد بالمسافة نفسها عن طرفي القاعدة (الشكل 1). وتتميز هذه المواقف بثلاث خصائص⁽⁸²⁾: إعطاء أهمية للأنطولوجيا مقارنة بالإبستمولوجيا (فهو بذلك لا يختلف عن موقف ونت)؛ التمايز عن المواقف غير القابلة للمقايضة التي تتبناها العقلانية والتأملية، مع الاحتفاظ بالقدرة على الانخراط في نقاشٍ مع كليهما؛ والتنوع في الخيارات المتعلقة بالأدوات المنهجية. وكيفية تموقع هذه المواقف على طول نصف الدائرة تحددها النقاشات البنائية التي تجري ضمن مجال الأرضية الوسطى. وبهذه الطريقة، يعمد البنائيون إلى بلورة منطقهم الوسطى التي يُفترض أن تتيح التوفيق بين طرفي القاعدة كلما ابتعدنا عنهما وصولاً إلى الحدود العليا لنصف الدائرة. وهكذا، فإن الأرضية الوسطى للبنائية لا تتشكل من موقف واحد، بل من مواقف متعددة؛ وعلى الرغم من اختلافها فيما بينها، فإنها تأخذ على عاتقها عبء التعامل مع التناقضات بين الأنطولوجيا والإبستمولوجيا. ويدعم هذا التعدد في المواقف ضمن مجال الأرضية الوسطى اعتقاد أن البنائية استطاعت أن تطلق غمطاً جديداً من الاتصال المعرفي المتعدد الأطراف داخل حقل العلاقات الدولية.

”

يعمد البنائيون إلى بلورة منطقهم الوسطى التي يُفترض أن تتيح التوفيق بين طرفي القاعدة كلما ابتعدنا عنهما وصولاً إلى الحدود العليا لنصف القطر. وهكذا، فإن الأرضية الوسطى للبنائية لا تتشكل من موقف واحد، بل من مواقف متعددة؛ وعلى الرغم من اختلافها فيما بينها، فإنها تأخذ على عاتقها عبء التعامل مع التناقضات بين الأنطولوجيا والإبستمولوجيا

“



يفيد مشروع المحطات النظرية، إذا تصورناه بديلاً من مشروع ونت الأصلي، في تأكيد أن قيمة البنائية المضافة تصبح أبعد من ارتباطها ببناء الأرضية الوسطى وتجسير الفجوة بين العقلانيين والتأملين، لتمتد نحو السماح بظهور عدد من النقاشات الفرعية (أو المحادثات Conversations) داخل الحقل؛ وتشبه هذه النقاشات مجموعة من المحطات على طول الجسر الرابط بين العقلانية والتأملية (الشكل 1). وينطوي التوقع ضمن هذه المحطات، التي اقترحتها وينز، على خطوتين: الأولى إبستمولوجية والثانية أنطولوجية. تتضمن الخطوة الأولى الابتعاد عن طرفي القاعدة مع الاحتفاظ بالقدرة على النقاش معهما. أما الخطوة الثانية فتتطوي على إعادة بناء أنطولوجيا جديدة تختلف عن الأنطولوجيات المتباينة التي يتبناها طرفا القاعدة.

يمكن الاستعانة بالعديد من نماذج التنظير في الحقل. مثلاً، جرى التحرك بعيداً عن "الحتمية المادية" نحو محطة "الأفكار الفردية" على الجزء الأيسر لنصف الدائرة من خلال التركيز على "الأفكار"، وهي خطوة تتضمن الابتعاد عن الطرف العقلاني. وفي الوقت نفسه، يمكن القول إن التحرك نحو الأنطولوجيا التكوينية يعبر عن محاولة للاقترب من "الحتمية الاجتماعية"، ومن ثم الاقتراب من الطرف التأملي. وهذا المثال تجسده إسهامات المؤسسات الجديدة (الأقرب إلى البنائية، والتي سبق أن أشاد بها ونت ودعا البنائيين إلى استلهاها). وثمة مثال آخر يتعلق بالحركة التي جرت عبر الابتعاد أكثر عن طرف "الحتمية المادية"، من خلال التنظير للأفكار بوصفها عوامل اجتماعية والإقرار بتأثير الأنطولوجيا التكوينية للبيئة السوسيوثقافية في تشكيل المصالح، وهو ما أدى إلى بناء محطة ثانية، تتمثل في محطة "الأفكار الاجتماعية". ويتموقع في هذه المحطة

المتأصل بين الوضعية وما بعد الوضعية فحسب، بل بصعوبة الاحتواء المتبادل بينهما أيضًا؛ أي كيف يمكن أن تستوعب الإستيمولوجيا الوضعية الافتراضات الأنطولوجية ما بعد الوضعية، والعكس كذلك؟

وأما الحجة الثانية فتكمن في أن المتنقلين عبر الجسر البنائي، يختلف محطاته التي ابتكرتها وينز، هم البنائيون أنفسهم، بل يمكن الحجاج بأن هذا الجسر إن كانت له قيمة مضافة فإن البنائية وحدها تستفيد منها، لأن الجسر يمثل فضاءً للنقاش بين التيارات البنائية نفسها، المنقسمة على أساس خطوط فصل إستيمولوجية كما رأينا في حالة البنائية التقليدية من ناحية، والبنائيتين التأويلية والنقدية من ناحية أخرى. لذلك، فإن جدوى مشروع الأرضية الوسطى، الذي ترمي إليه بنائية ونت، تقوّضه منطلقاته منذ البداية؛ فما دامت البنائية التقليدية تتبنى إستيمولوجيا وضعية، من المستبعد أن تتجح في إقناع المقاربات التأملية ما بعد الوضعية في الالتحاق بها حول طاولة النقاش، فضلًا عن الانخراط في نقاش أصيل مع المقاربات العقلانية الوضعية في الجانب الآخر؛ فالأمر دائمًا يتعلق بالإستيمولوجيا، ولا سبيل لافتراض أن الأنطولوجيا أهم منها، خاصة في ظل ممارسات الانتماء والولاء النظرية السائدة.

إن الانتماء إلى موقف نظري معيّن يقتزن، في الغالب، باكتساب هوية معرفية صارمة. فإذا تبنيت الانتماء إلى العقلانية، فإن الهوية العقلانية التي تكتسبها تفرض عليك التزامًا صارمًا بما يترتب عليها: التفسير، والوضعية، والمنهج العلمي، والتركيز على العوامل المادية. وفي المقابل، إذا تبنيت الانتماء إلى التأملية، فإن هذه الهوية تفرض عليك التزامًا صارمًا بما يترتب عليها: الفهم أو التأويل، وما بعد الوضعية، وإنكار المنهج العلمي، والتحول نحو التركيز على العوامل المتعلقة بالأفكار⁽⁸⁵⁾. ويبدو أن بنائية ونت لا تمثل أي استثناء من هذا التقليد، لأنها تفترض هوية إستيمولوجية وأنطولوجية محددة تلزم الباحث بالتزام معرفية بعينها، وهو ما يفرض حدودًا على ادعاءاتها المتعلقة بتجسير الفجوة بين العقلانية والتأملية. وهو أيضًا ما يجعلها تعيد إنتاج نقاش ثالث آخر بدلًا من جذب طرفيه إلى منطقة وسطى تجمع بينهما. وهذا ما جعل كاتزنشتاين وكيوهان وكراسنر يحاجون بأن البنائية التقليدية لم تخض نقاشًا ثلاثيًا الأطراف مع العقلانية والتأملية بقدر ما خاضت نقاشًا ضيقًا مع العقلانية⁽⁸⁶⁾.

85 Colin Wight, "Philosophy of Social Science and International Relations," in: Walter Carlsnaes et al. (eds.), *Handbook of International Relations* (London: Sage publications, 2002), p. 40.

86 Katzenstein, Keohane & Krasner, p. 646;

وحيث يقول كاتزنشتاين وكيوهان وكراسنر، مثلًا، إن التأملية تقع خارج حدود الحقل، على الأرجح بسبب افتقارها إلى إستيمولوجيا خاصة بها، فإنهم بذلك إما يصفون النظر عن جميع التيارات التأملية، بما في ذلك البنائية التأملية والنقدية. ينظر أيضًا: Price & Reus-Smit, p. 263.

البنائيون التقليديون، بحسب تصنيف كاتزنشتاين وكيوهان وكراسنر، أو البنائيون الحداثيون، بحسب تصنيف روس-سميت. وهي المحطة التي أفضت إلى تطوير مجموعة مهمة من الدراسات الإمبريقية المتعلقة بدور الأفكار والمعتقدات والمعايير في السياسة الدولية. وقد تطلّب بناء هذه المحطة خطوة تضمنت الابتعاد عن الطرف العقلاني، عبر المحطة المؤسسية الجديدة، محطة "الأفكار الفردية"، وصولًا إلى الأرضية الوسطى، وفي الوقت نفسه الابتعاد عن محطة "الحتمية الاجتماعية"، ولكن ذلك يكون من دون الانقطاع عنها⁽⁸³⁾.

ذلك هو الجانب العقلاني. أما على الجانب التأملي في الطرف الأيمن من القاعدة، فيمكن الحديث عن الدور الذي أدته نظرية ألعاب اللغة في تفسير النزاعات وفهمها عبر التركيز على الأنطولوجيا الاجتماعية لأفعال الخطاب Speech Acts، وهو ما سمح ببناء محطة "الخطاب (اللغة)". ثم إن التركيز على العلاقة الحاسمة بين المعايير، بوصفها محركًا، أو معوِّقًا، للعوامل البنوية والبعد الاجتماعي، أدى إلى إعادة الاعتبار للأنطولوجيا الاجتماعية للمعايير، وهو ما سمح ببناء محطة "التكوين المتبادل". وتتقاسم هذه المحطة فكرة التأثير البنوي للمعايير مع البنائين التقليديين، في الوقت الذي تستلهم فيه الأنطولوجيا التكوينية والتفاعلية التي من خلالها يجري فهم الكيفية التي تُبنى بها المعايير وتتغير⁽⁸⁴⁾، وهو ما تشترك فيه مع التيارات التأويلية والنقدية ضمن البنائية. ويسمح التحرك بعيدًا عن محطة "التكوين المتبادل"، وبعيدًا عن محطة "الأفكار الاجتماعية" بالمسافة نفسها من الجانبين نحو الحدود العليا لنصف الدائرة، بالالتقاء عند محطة "المعايير" التي تشكل محطة الالتقاء ضمن الأرضية الوسطى.

يبدو ابتكار مجموعة من المحطات المبنية على نحو بينذاتي، كما تقترح وينز، أمرًا واعدًا في الوهلة الأولى، غير أن وجود هذه المحطات في حد ذاتها لا يعني أن الجميع، أو على الأقل أغلب الأطراف، ستحدوهم الحماسة لعبور الجسر والمروء عبرها على أمل الالتقاء في أرضية وسطى. وأقدم ههنا حجتين أساسيتين يمكن الانطلاق منهما لفهم حدود هذا المشروع. تتمثل الحجة الأولى في ضعف الرهان الذي يضعه البنائيون، بمن فيهم ونت نفسه، على أهمية الأنطولوجيا مقارنة بالإستيمولوجيا. ولا تكمن مشكلة هذا الرهان في نمط الترتيب فحسب، بل أيضًا في صعوبة الفصل بين القضايا الأنطولوجية والإستيمولوجية في التنظير. إن ما يسلم به البنائيون (خاصة التقليديون) إستيمولوجيًا، وما يتبنونه أنطولوجيًا، لا ينبغي أن يجري تقييمه معزولًا عن التطورات الفلسفية التي عرفها الحقل خلال النقاش الثالث. ولا يتعلق الأمر بالتعارض

83 Ibid., pp. 18-19.

84 Ibid., p. 19.

عبر انحيازه الصريح إلى معسكر العقلانية، وإلى الواقعية على وجه التحديد. لكن هذا الانحياز، الذي يُفهم أحياناً تخلياً عن روح البنائية كما وُلدت في كتابات أونوف، لم يشفع لونت ولم يقه انتقادات الواقعيين أنفسهم. يقول جيرار ديسوا: "لا أحد يدهش من أن ونت تعرض لانتقادات أولئك الذين سبق له أن دان منهمهم. لكن يجب أن نضيف أنه وجد نفسه معزولاً في التيار ما بعد الوضعي، وما بعد العقلاني. عمومًا، لقد وقف الجميع ضده"⁽⁹¹⁾.

ليس هذا مقامًا للتوسع والتفصيل في الانتقادات التي استهدفت ونت وبنائيتها، بل البنائية عمومًا⁽⁹²⁾؛ ففي عام 2006، أي في غضون أقل من عقد من صدور كتابه *نظرية اجتماعية للسياسة الدولية*، صدر كتاب جماعي بعنوان *البنائية والعلاقات الدولية: ألكسندر ونت ونقاده*⁽⁹³⁾، يضم مجموعة من الفصول التي تناولت مشروع ونت، والبنائية عمومًا، بالنقاش والنقد، وكتب ونت فصلًا ختاميًا للرد عليها، بعنوان "كتاب *نظرية اجتماعية* بوصفه علمًا ديكارتيًا: نقد ذاتي من منظور كوانتي"⁽⁹⁴⁾. وقد أشار فيه إلى أنه يشعر بشيء من الحرج في الرد على نقاد كتابه، لأنه كان قد شرع في مراجعة حاجاه من أساسه. وفي حين يجد نفسه على اتفاق معهم أحيانًا، فإنه لا يزال مختلفًا معهم أحيانًا أخرى، لكن ذلك ليس للأسباب القديمة التي كانت وليدة النقاشات التي تلت صدوره. وبناءً عليه، قدّم ونت "نقدًا ذاتيًا" للكتاب من منظور كوانتي *A Quantum Perspective*، مغاير للنقاشات السائدة حينئذ بشأن البنائية في حقل العلاقات الدولية.

ربما كانت تلك إشارة، غير صريحة في ذلك الوقت، إلى شروع ونت في الابتعاد عن مشروعه البنائي. وقد أكد ذلك بنفسه بعد زهاء عشرين سنة من كتابته هذا الرد. ففي خطاب نيله، رفقة فينمور، جائزة يوهان سكايت للعلوم السياسية عام 2023، أشار إلى أنه "ترك مجال البنائية حوالى عام 2004"، وأنه "كتب، عام 2006، نقدًا ذاتيًا لأعماله من منظور كوانتي"⁽⁹⁵⁾. وأدى به ذلك إلى تأليف كتاب عن العلوم

في استجابة واضحة للدعوة إلى التوليف بين العقلانية والبنائية⁽⁸⁷⁾؛ كما دفع أيضًا زحفوس إلى القول بأن أرضية ونت الوسطى كانت أقرب إلى العقلانية منها إلى التأملية⁽⁸⁸⁾.

وهكذا، تحوّل مشروع بنائية ونت من مشروع واعد لتجسير الفجوة بين العقلانية والتأملية إلى مشروع ضيق الأفق، يكتفي بسدّ الهوة بين البنائيين التقليديين (أو المعتدلين كما يسمون أحيانًا) و"زملائهم" العقلانيين، مع الاستمرار في عزل "خصومهم" من التأمليين، بمن في ذلك البنائيون النقديون والتأمليون. وتضيف ناليني برسام نقدًا ثاقبًا آخر، إذ إنها تلاحظ ما تسميه "الاستعمال الاستراتيجي للبنائية"⁽⁸⁹⁾، مجادلًا بأنّ وسم البنائية غالبًا ما يجري استخدامه استراتيجيًا (أي عن قصد) لإقصاء مقارباتٍ أخرى أشد راديكالية من الحقل، وذلك بوضع العقلانية على الطرف والبنائية على الطرف الآخر من الطيف. وفضلاً عن ذلك، تضيف زحفوس حجة أخرى فحواها أن التأكيد المستمر على النقاش بين البنائية والعقلانية، بوصفه النقاش الرئيس داخل الحقل، لا يضيف الشرعية على البنائية فحسب، بل إن الأهم من ذلك هو أنه يكسب العقلانية مبررًا أقوى للبقاء⁽⁹⁰⁾ مهيمنة على الحقل.

رابعًا: البنائية (الجديدة) بعد ونت وبعيدًا عنه

يبدو أن المشكلة الأساسية التي حالت دون نجاح بنائية ونت في الدفع بمشروع تجسير الفجوة بين العقلانيين والتأمليين نحو تجسيد مسعاه هي مشكلة الاتساق في البنائية بوصفها مشروعًا بحثيًا في حد ذاته؛ وهي مشكلة أنتجها، ورسخها أكثر فأكثر، ونت نفسه

87 ينظر مثلًا:

Alexander Wendt, "On the Via Media: A Response to the Critics," *Review of International Studies*, vol. 26 (2000), pp. 179-180.

وقد أشار روبرت غاير إلى أن المشروع الذي طرحته بنائية ونت لم يحظ بتأييد العقلانيين ولا بتأييد التأمليين. ففي حين أصر التأمليون على رفض "انحياز" البنائيين الإبيستيمولوجي، عمل العقلانيون في المقابل على دعوة البنائيين ليلتحقوا بهم بوصفهم "زملاء" في مشروعهم النظري. ينظر:

Robert Geyer, "Europeanisation, Complexity, and the British Welfare State," Paper Presented to the UACES/ESRC Study Group on "The Europeanisation of British Politics and Policy-making," Department of Politics, University of Sheffield, 19/9/2003, p. 25.

88 Zehfuss, p. 5.

89 Nalini Persram, "Coda: Sovereignty, Subjectivity, Strategy," in: Jenny Edkins, Nalini Persram & Veronique Pin-Fat (eds.), *Sovereignty and Subjectivity* (London: Lynne Rienner Publishers, 1999), p. 164.

90 Zehfuss, p. 5.

91 جيرار ديسوا، *دراسة في العلاقات الدولية، الجزء الثاني: النظريات البيدولتية*، ترجمة قاسم المقداد (دمشق: دار نينوى، 2015)، ص 228-227.

92 يصعب إحصاء الأدبيات التي تناولت هذه الانتقادات، وللاطلاع على تكتيف جيد لها باللغة العربية، ينظر: المرجع نفسه، ص 193-286.

93 Stefano Guzzini & Anna Leander (eds.), *Constructivism and International Relations: Alexander Wendt and His Critics* (London: Routledge, 2006).

94 Alexander Wendt, "Social Theory as Cartesian Science: An Auto-critique from a Quantum Perspective," in: Guzzini & Leander (eds.), pp. 178-216.

95 Martha Finnemore & Alexander Wendt, "When 'Old' Constructivism Was New: Reflections on Classical Constructivism," *Perspectives on Politics*, vol. 22, no. 4 (December 2024), p. 1249.

مبتغاهها. إن إرضاء الناس، ولا سيما المنظرين منهم، غاية لا تُدرك. فكأن من يلتزم خطوط الانقسام والاستقطاب يحظى بالترحيب (على الأقل ممن يصطف إلى جانبهم)؛ في حين أن من يجتهد، ولو أخطأ، للحد من الاستقطاب يدينه هؤلاء وأولئك على حد سواء. وهذا ربما يفسر "شعور ونت بالملل" وقراره: "ألا أمضي بقية حياتي الأكاديمية في الدفاع عما كتبت في الثلاثينيات من عمري".

”

يمكن الادعاء أن ما يُعدّ إخفاقاً في مشروع ونت للتوفيق بين العقلانيين والتأمليين لا يعود إلى تحيزاته الإستيمولوجية فحسب، بل إنه يعود إلى أن مساعي التوفيق بين المواقف النظرية أيضاً، خاصة المتمترسة إستيمولوجياً، تكون شاقة، وغالباً ما لا تحقق مبتغاهها. إن إرضاء الناس، ولا سيما المنظرين منهم، غاية لا تُدرك

”

ما من شك في أن مشروع ونت الكواتي الجديد يستحق الانتباه والتأمل، لكن هذه الدراسة ليست المقام المناسب لذلك. ما نودّ التركيز عليه هنا هو الحجاج بأن حركة الابتعاد بين البنائية وونت لم تكن في اتجاه واحد؛ فهو لم يكن وحده الذي ابتعد عن البنائية، بل إن البنائية نفسها اتخذت مسالك شتى بعيداً عن نسخته العقلانية الوضعية⁽⁹⁸⁾. ولا شك أيضاً في أن الأدبيات البنائية (في عمومها، وبصرف النظر عن الأسباب) لا تزال متناثرة، وغير متسقة، ولا تمثل حالة نموذجية للنظرية في شكلها التقليدي الذي تمثله نظريات مثل الواقعية الجديدة بمختلف تياراتها، أو المؤسساتية الليبرالية الجديدة⁽⁹⁹⁾. ومن الإجحاف القول إن هذه الميزة تمثل عيباً من عيوبها، إذا أخذنا في الحسبان ما ابتليت به من شقاق واختلاف على نحو ما بيناه في المباحث الثلاثة السابقة من الدراسة. ومن الإجحاف أيضاً الاستمرار في تحميل ونت ورفاقه من البنائيين التقليديين مسؤولية ذلك؛ فهم في نهاية المطاف لا يمثلون سوى

الاجتماعية الكوانتية، صدر عام 2015⁽⁹⁶⁾. وفي مقابلة له عام 2023 أيضاً، ذكر أنه لم يرغب في أن يمضي مزيداً من الوقت في الدفاع عن حججه البنائية. أولاً، لأنه شعر أن النقاش بشأن البنائية قد بلغ أقصاه؛ إذ يقول: "من الواضح أنني كنت ناجحاً، وأن نسختي من البنائية باتت سائدة. في التسعينيات، كان البنائيون ممن أعرفهم يرون في البنائية شيئاً أيديولوجياً له سمة تبشيرية تتعلق بتغيير العالم. ولكنني في حدود عامي 2004 و2005، خرجت في مؤتمرات علنية أعلنت فيها أنني خارج إطار البنائية. وما أنني كتبت كتاباً طويلاً بشأنها، فإني أردت أن أفعل شيئاً مختلفاً". وهذا ما أكدّه أيضاً في مقابلة أخرى، حين قال: "لقد أدليت بدلوي في كتابي الأول، وقلت كل ما أريد قوله [...] لقد انتابني الملل حيال ذلك. وأنا أكتب كتابي الأول دارت في خلدي مسبقاً الانتقادات الممكنة والنقاشات اللانهائية التي قد تخوض فيها أطروحة الكتاب؛ وبناءً على ذلك، اتخذت قراراً بالأمضي بقية حياتي الأكاديمية في الدفاع عما كتبت في الثلاثينيات من عمري". وثانياً، لأنه عثر على شعلة جديدة متقدة من الشغف في العلوم الاجتماعية الكوانتية، ورأى فيها مقاربة واعدة للسياسة الدولية⁽⁹⁷⁾.

ربما يلقي ذلك ضوءاً على جانب سوسيولوجي مهم في سيرورة الجماعات العلمية، خاصة في العلوم الاجتماعية، ويمكننا أن نسميه مجازاً سمة الاجتماع المعرفي (على غرار الاجتماع البشري في أدبيات عبد الرحمن بن خلدون)، إذ لا تخلو سيرورة التفاعل والتبادل والتنازع بين المنظرين من تحيزاتهم الذاتية والنفسية والاجتماعية وغيرها. ومنه، يمكن الادعاء أن ما يُعدّ إخفاقاً في مشروع ونت للتوفيق بين العقلانيين والتأمليين لا يعود إلى تحيزاته الإستيمولوجية فحسب، بل إنه يعود إلى أن مساعي التوفيق بين المواقف النظرية أيضاً، خاصة المتمترسة إستيمولوجياً، تكون شاقة، وغالباً ما لا تحقق

96 Alexander Wendt, *Quantum Mind and Social Science: Unifying Physical and Social Ontology* (Cambridge: Cambridge University Press, 2015).

وعام 2022، حرر ونت رفقة جيمس دودريان كتاباً آخر في الاتجاه نفسه، عنوانه العلاقات الدولية الكوانتية: علم إنساني من أجل السياسة العالمية. ينظر:

James Der Derian & Alexander Wendt (eds.), *Quantum International Relations: A Human Science for World Politics* (Oxford: Oxford University Press, 2022).

97 ينظر: سارة ناصر، "ألكسندر ونت"، موسوعة المعارف العربية-أرابيكا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، [قيد النشر]. وحين عرضنا، في دورية سياسات عربية، على ونت فكرة كتابة ورقة لهذا العدد الخاص، اعتذر بكل لطف وتقريباً للسبب نفسه، قائلاً إن "سنوات عديدة مرت منذ أن اهتم بالبنائية، بوصفها مشروع نظرية كبرى، ثم انتقل منذ زمن إلى مشروعه الكوانتي". لكنه أشاد بأن "مجموعة من باحثي العلاقات الدولية العرب يعملون جماعياً على تقييم مسائل في نظرية العلاقات الدولية"، قائلاً: "إن هذا الأمر لم يسبق له مثيل على حد علمي!". ثم أضاف: "هل من الممكن أن تنضم مدرسة عربية إلى المدارس الصينية الناشئة والإنكليزية القديمة؟ على أي حال، أعتقد أن البنائية مدخل ممتاز لتأملاتكم". ألكسندر ونت، بريد إلكتروني إلى الباحث، 2021/8/25.

98 مع ذلك، ينبغي دوماً تأكيد أن حركة الابتعاد هذه، في الاتجاهين، حدثت من دون أن تختفي بنائية ونت من النقاش ضمن البنائية، فهي تظل مرجعية في دراسة المسالك المختلفة، سواء تلك التي تمسكت ببنائيتها أو التي تحفظت عنها.

99 للاطلاع على مناقشة بشأن هذه المسألة، ينظر: Chris Brown, "The Poverty of Grand Theory," *European Journal of International Relations*, vol. 19, no. 3 (2013).

ووافقه عليه ونت وفينمور عام 2024⁽¹⁰⁶⁾. وقبل ذلك أيضًا، ينبغي الإشارة إلى أن نعت "الجديدة" (بالإنكليزية New وليس Neo) لا يقدم ثنائية أخرى تضاف إلى الثنائيات التي سبقت مناقشتها. ففي مقابلها، تأتي البنائية "القديمة" Old، حتى إن فضل ونت تسميتها كلاسيكية⁽¹⁰⁷⁾، ولعله محق في ذلك. إنها ليست تقليدية Conventional مثلما توحى به الثنائيات التي تناولناها سابقًا، القائمة على الاستقطاب والإقصاء المتبادل، مثل التقليدية والنقدية أو الحداثية وما بعد الحداثية.

تضمّ البنائية الجديدة عددًا كبيرًا متزايدًا من الباحثين الملتزمين بروح المشروع البنائي، بصرف النظر عن الخلافات التي حلت لاحقًا بين التقليديين الحداثيين والنقديين ما بعد الحداثيين من جيل البنائيين الأول. لقد سلك البنائيون مسالك عديدة قد تتعدد بتعدد السالكين، لكنها تتبدى في نهاية المطاف أشبه بمسالك متجاورة ضمن طريق واحدة أوسع. إضافةً إلى استمرار العمل على المشاريع الجزئية المألوفة في التقليد البنائي، مثل الثقافة والهوية والمعايير، تطورت مشاريع بارزة أخرى، مثل نظرية الممارسة⁽¹⁰⁸⁾، والعلائقية⁽¹⁰⁹⁾، والأمن الأنطولوجي⁽¹¹⁰⁾، والأمننة⁽¹¹¹⁾، ودراسة

تيار واحد ضمن البنائية. ولا ريب أيضًا في أن أعمالهم ألهمت جيلًا كاملاً من الباحثين وما زالت تلهمهم⁽¹⁰⁰⁾، وبعضهم لا يصنّف نفسه بنائيًا، لتطوير مقاربات أشد تنوعًا، سواء ضمن التيارات النقدية نفسها، أو ما بعد الكولونيالية، أو النسوية، أو غيرها ممّن أطلق عليهم ديفيد ماكورت اسم البنائيين الجدد⁽¹⁰¹⁾؛ في حين أطلق ونت وفينمور هذا الاسم على كل البنائيين الذين يركزون على العمليات، في مقابل الذين يركزون على البنى⁽¹⁰²⁾ (وونت نفسه من بين هؤلاء). هذا من دون أن نغفل عن دور ونت الفارق في تاريخ الحقل برمته، ويشهد له أونوف بأنّ مقالته، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، ساهمت "في تقديم البنائية إلى العديد من الباحثين أكثر مما فعل كتاب [أونوف] عالم من صنعنا على الإطلاق"، وأنه "ساهم في إضفاء الشرعية على الحركة البنائية ومنحها زخمًا"، فضلًا عن تحويل "البنائية من حركة هامشية إلى سمة مميزة للحقل، اليوم وفي المستقبل المنظور"⁽¹⁰³⁾.

لقد استمرت البنائية في الازدهار بعيدًا عن ونت ومشروعه المبكر لتجسير الفجوة بين العقلانية الوضعية والتأملية ما بعد الوضعية. ولا يعني ذلك أن الفضل في ازدهارها يعود إلى ابتعادها عنه أو ابتعاده عنها، بل سحاج بأنّ ثلاثة عوامل رئيسة ساهمت في ذلك. لكن قبل مناقشة هذه العوامل، ينبغي سبر ما ينضوي تحت لواء "البنائية الجديدة"، وهو وسم أطلقه ماكورت عامي 2016⁽¹⁰⁴⁾ و2020⁽¹⁰⁵⁾،

106 Finnemore & Wendt.

107 يسميها كذلك تشبيهاً لها بالفيزياء الكلاسيكية أو الاقتصاد الكلاسيكي أو الواقعية الكلاسيكية. وهي كلها تحتفظ، على الرغم من أنها أقدم من خليفاتها، بقيمتها المعرفية ضمن مجالها المعرفي الأوسع؛ فكر في الاقتصاد "الكلاسيكي الجديد". ينظر:

Finnemore & Wendt, pp. 1260-1262.

108 Emanuel Adler & Vincent Pouliot, "International Practices," *International Theory*, vol. 3, no. 1 (2011); Ted Hopf, "Common-sense Constructivism and Hegemony in World Politics," *International Organization*, vol. 67, no. 2 (2013); Séverine Autesserre, *Peaceland: Conflict Resolution and the Everyday Politics of International Intervention* (Cambridge: Cambridge University Press, 2014); Lise Morjé Howard, "US Foreign Policy Habits in Ethnic Conflict," *International Studies Quarterly*, vol. 59, no. 4 (2015); Christian Bueger & Frank Gadinger, *International Practice Theory* (Houndmills: Palgrave Macmillan, 2014).

109 Milja Kurki, *International Relations in a Relational Universe* (Oxford: Oxford University Press, 2020); Jackson Patrick Thaddeus & Daniel H. Nexon, "Relations before States: Substance, Process and the Study of World Politics," *European Journal of International Relations*, vol. 5, no. 3 (1999).

110 Brent J. Steele, *Ontological Security in International Relations: Self-Identity and the IR State* (New York: Routledge, 2008); Brent J. Steele, "Ontological Security and the Power of Self-Identity: British Neutrality and the American Civil War," *Review of International Studies*, vol. 31, no. 3 (2005); Jennifer Mitzen, "Ontological Security in World Politics: State Identity and the Security Dilemma," *European Journal of International Relations*, vol. 12, no. 3 (2006); Nina C. Krickel-Choi, "The Concept of Anxiety in Ontological Security Studies," *International Studies Review*, vol. 24, no. 3 (2022); Bahar Rumelili, "Integrating Anxiety into International Relations Theory: Hobbes, Existentialism, and Ontological Security," *International Theory*, vol. 12, no. 2 (2020);

أدهم صولي، "بين الهوية والقلق والحرب: حزب الله وتراجيديا غزة"، *عمران*، مج 49، العدد 13 (2024).

111 تأسس مشروع أبحاث الأمننة منتصف التسعينيات، لكنه استمر في جذب اهتمام باحثي الدراسات الأمنية ولا يزال كذلك.

100 ينظر، على سبيل المثال، كيف أعاد بعض البنائيين الجدد مراجعة أطروحات أونوف (وكراتوشفيل أيضًا) بشأن القواعد والمعايير ودور اللغة:

Harry Gould (ed.), *The Art of World-Making: Nicholas Onuf and His Critics* (London: Routledge, 2017); Tanja E. Aalberts, *Constructing Sovereignty between Politics and Law* (Abingdon: Routledge, 2012); Mark Raymond, *Social Practices of Rule-Making in World Politics* (New York: Oxford University Press, 2019); Mark Raymond, "Social Practices for Rule-Making for International Law in the Cyber Domain," *Journal of Global Security Studies*, vol. 6, no. 2 (2020);

ينظر أيضًا الكتاب الجماعي الذي خُصص، عام 2017، لمراجعة أطروحات أونوف، الذي يُعدّ تميّنًا لها حتى إن اختار له محرره عنوانًا شبيهًا بعنوان الكتاب الذي خُصص عام 2006 لنقد أطروحات ونت:

Harry D. Gould (ed.), *The Art of World-Making: Nicholas Greenwood Onuf and His Critics* (London: Routledge, 2017).

101 ينظر:

David McCourt, "Practice Theory and Relationalism as the New Constructivism," *International Studies Quarterly*, vol. 60, no. 3 (2016); David McCourt, *The New Constructivism in International Relations Theory* (Bristol: Bristol University Press, 2022).

102 Finnemore & Wendt, p. 1261 (note 6).

103 ينظر في هذا العدد: أونوف، ص 26.

104 McCourt, "Practice Theory and Relationalism as the New Constructivism."

105 McCourt, *The New Constructivism in International Relations Theory*.

وتبدي البنائية الجديدة انفتاحًا متزايدًا على النماذج الحاسوبية المنسجمة مع المنطلقات الفلسفية التي تقوم عليها البنائية⁽¹²²⁾؛ فقد بين ماكورت، على سبيل المثال، أهمية استخدام نموذج تحليل البيانات المتعددة المتغيرات Multiple Correspondence Analysis وأهميته⁽¹²³⁾. وإضافة إلى ذلك، يمكن أن يستخدم البنائيون الجدد مناهج أخرى مثل تحليل الشبكات Network Analysis⁽¹²⁴⁾.

وإذ يعيد ماكورت تأكيد ملاءمة الفلسفة البنائية مسوغًا لاستخدام مثل هذه المناهج والنماذج، فإنه يشدد أيضًا على أن كثيرًا من البنائيين الجدد لا يرون في تعلمها ضرورة، لكن استخدامها ممكن ولا ينبغي أن تحول دون معايير صارمة يفرضها الاختصاص⁽¹²⁵⁾. وهذا ما يجعل البنائية الجديدة برنامجًا بحثيًا تقدميًا. وفضلًا عن ذلك، ينافح البنائيون الجدد عن فكرة أن المناهج ينبغي أن تُصمم لتناسب مشكلات البحث، لا العكس؛ فلا ينبغي أن يتبنى الباحث منهجًا ناجزًا فقط لأنه المنهج الذي "يُفترض" أن يتبناه⁽¹²⁶⁾. أما من الناحية الإبيستيمولوجية، وعلى الرغم من أن البنائية (أو البنائيات، مرة أخرى) الجديدة لا تزعم أنها تتخذ موقفًا إبستيمولوجيًا بعينه، فإنها تتسم، في نظر ماكورت، بأنها عملية (بمعنى أنها تأخذ نظرية الممارسة على محمل الجد)، وعلائقية، وتاريخية، وتأملية⁽¹²⁷⁾، وهو ما يكسبها نفوذًا في العديد من البرامج البحثية الناشئة، خلال العقود الثلاثة الأخيرة، مثل الدراسات الأمنية النقدية⁽¹²⁸⁾، والجيوستراتيجية النقدية⁽¹²⁹⁾، ودراسات الإرهاب النقدية⁽¹³⁰⁾، ودراسات الاستخبارات

العاطفة في السياسة الدولية⁽¹³¹⁾، ودراسة الزمن في السياسة العالمية⁽¹³²⁾، وعودة التحليل النفسي في العلاقات الدولية⁽¹³⁴⁾، والتحول نحو المقاربة الكوانتية للسياسة الدولية⁽¹³⁵⁾، وغير ذلك. وحتى المشاريع التقليدية شهدت، أيضًا، تطويرًا ملحوظًا لأطروحاتها مع تطور الأبحاث الإمبريقية المرتبطة بها؛ والمثال الأوضح على ذلك مقارنة أدلر للجماعات الأمنية Security Communities⁽¹³⁶⁾ التي تأثرت بنظرية الممارسة، لتتطور إلى جماعات الممارسة Communities of Practice⁽¹³⁷⁾.

وعلى مستوى المنهج، اتسع نطاق المقاربات البنائية ليشمل المناهج الكمية جنبًا إلى جنب مع المناهج الكيفية⁽¹³⁸⁾. وقد طور بنائيون كثر البنائية بوصفها برنامجًا بحثيًا إمبريقياً؛ فتجاوزوا بذلك المجالات التقليدية، التي اقتصرَت على الأبحاث الكيفية، مثل الدراسات الأمنية⁽¹³⁹⁾ والاقتصاد السياسي الدولي⁽¹⁴⁰⁾ والحوكمة العالمية⁽¹⁴¹⁾.

112 Neta Crawford, "The Passion of World Politics," *International Security*, vol. 24, no. 4 (2000); Janice Bially Mattern, *Ordering International Politics: Identity, Crisis, and Representational Force* (New York: Routledge, 2005); Janice Bially Mattern, "A Practice Theory of Emotion for International Relations," in: Emanuel Adler & Vincent Pouliot (eds.), *International Practices* (Cambridge: Cambridge University Press, 2011); Andrew A.G. Ross, *Mixed Emotions: Beyond Fear and Hatred in International Conflict* (Chicago: Chicago University Press, 2014); Marcus Holmes, "Believing This and Alieving That: Theorizing Affect and Intuitions in International Politics," *International Studies Quarterly*, vol. 59, no. 4 (2015); Emma Hutchison, *Affective Communities in World Politics: Collective Emotions after Trauma* (New York: Cambridge University Press, 2016).

113 Kimberly Hutchings, *Time and World Politics* (Manchester: Manchester University Press, 2013).

114 John Cash, "Psychoanalysis, Cultures of Anarchy, and Ontological Insecurity," *International Theory*, vol. 12 (2020).

115 Der Derian & Wendt (eds.).

116 Emanuel Adler & Michael Barnett (eds.), *Security Communities* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

117 Adler & Pouliot, *International Practices*; Emanuel Adler, *World Ordering: A Social Theory of Cognitive Evolution* (Cambridge: Cambridge University Press, 2019).

118 ينظر مثلاً:

J. Samuel Barkin & Laura Sjoborg (eds.), *Interpretive Quantification: Methodological Explorations for Critical and Constructivist IR* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 2017).

119 ينظر في هذا العدد: عبد النور بن عتر، "الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدول منه"، *سياسات عربية*، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس)، ص 56-82.

120 ينظر مثلاً:

Peter Katzenstein & Stephen Nelson, "Reading the Right Signals and Reading the Signals Right: IPE and the Financial Crisis of 2008," *Review of International Political Economy*, vol. 20, no. 5 (2013); Stephen Nelson & Peter Katzenstein, "Uncertainty, Risk, and the Financial Crisis of 2008," *International Organization*, vol. 68, no. 2 (2014).

121 ينظر مثلاً:

Ian Hurd, *After Anarchy: Legitimacy and Power in the United Nations Security Council* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2007); Michael Barnett & Martha Finnemore, *Rules for the World: International Organizations in World Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2004);

وعن التطورات المنهجية في برنامج البحث البنائي، ينظر:

Finnemore & Wendt, pp. 1257-1259.

122 McCourt, p. 110.

123 Ibid., pp. 100-106.

124 Hafner- Burton, Emilie M., Miles Kahler & Alexander H. Montgomery, "Network Analysis for International Relations," *International Organization*, vol. 63, no. 3 (2009).

125 McCourt, p. 110.

126 Ibid., p. 109.

127 Ibid., p. 51.

128 ينظر في هذا العدد: بن عتر، ص 82-56.

129 Rebin Fard, "Towards a New Concept of Constructivist Geopolitics: Bridging Classical and Critical Geopolitics," *Central European Journal of International and Security Studies*, vol. 15, no. 1 (2021).

130 Rainer Hülse & Alexander Spencer, "The Metaphor of Terror: Terrorism Studies and the Constructivist Turn," *Security Dialogue*, vol. 39, no. 6 (2008); Alexander Spencer, "The Social Construction of Terrorism: Media, Metaphors and Policy Implications," *Journal of International Relations and Development*, vol. 15, no. 3 (2012).

إن لم يَح ذلك). فضلاً عن دعوته إلى المصالحة (وإن كانت صعبة، لكنها ليست مستحيلة) بين الإستيمولوجيا الوضعية والأنطولوجيا الاجتماعية، ما دفع كثيراً من البنائيين، المتقدمين والمتأخرين، نحو الانخراط في أبحاث إمريقية، شددت في وقت مبكر على أن الشغل الشاغل في حقل العلاقات الدولية ينبغي أن ينصرف إلى تحسين فهمنا لآلية عمل العالم، لا إلى الانشغال بكيفية معرفتنا لتلك الآلية. فما يهمنا هو الأنطولوجيا لا الإستيمولوجيا، ولا يعني هذا غياب أسئلة إستيمولوجية (ينبغي أن تكون) مثيرة لاهتمام الحقل المعرفي⁽¹³⁵⁾، ولكن من الأفضل أن يتعامل مع هذه الأسئلة فلاسفة وعلماء متخصصون في مجال علم اجتماع المعرفة، لا علماء السياسة. وبذكرنا ونت بأن الخوض في مسائل إستيمولوجيا نظريات العلاقات الدولية يشتت انتباهنا ويصرفنا عن العمل الحقيقي الذي ينبغي الانشغال به، وهو العلاقات الدولية في حد ذاتها، وأن نقاشاتنا ينبغي أن تنصب على قضايا الدرجة الأولى (الموضوع في حد ذاته)، وألا تنصب على قضايا الدرجة الثانية (المنهج)⁽¹³⁶⁾.

كانت تلك دعوة صريحة إلى التخلي عن حالة استقطاب الحقل ضمن حروب بين البرديات Paradigm Wars. وللخروج من حالة الاستقطاب هذه، دعا ونت الوضعيين وما بعد الوضعيين، على حد سواء، إلى حوار ودّي على أساس قاعدة الاعتراف المتبادل بالأسئلة التي يفضلها كل طرف؛ مشدداً على أنه إذا أريد لعلم السياسة (وحقل العلاقات الدولية نتيجةً لذلك) أن يكون نقدياً وتأملياً، فلا بد من أنه سيكون في حاجة إلى كل/ أي شكل من أشكال المعرفة التي يمكنه الحصول عليها⁽¹³⁷⁾. ونتصور أن كثيراً من البنائيين، بعد نهاية حروب البرديات هذه، تفرغوا للبحث بحرية أكبر، بدلاً من الاستمرار في الدفاع عن خياراتهم الإستيمولوجية، سواء ضمن مشروع المنطقة الوسطى بين الوضعية وما بعد الوضعية أو خارجه. وفي هذا السياق، ربما، تأتي ملاحظة أونوف القائلة إن جمهور ونت كان من "الجيل الجديد الذي صقلته الأحداث لا النقاشات"⁽¹³⁸⁾.

ثانياً، أفسح ونت مجالاً لولوج تأملات مبكرة حول ضرورة إقحام فلسفة واقعية نقدية في حقل العلاقات الدولية، وهي كما يدل اسمها، صيغة نقدية من الواقعية العلمية Scientific Realism التي تبناها ونت، وعلى أساسها بنى أطروحة الرئيسة في كتاب *نظرية اجتماعية*

النقدية⁽¹³¹⁾، والدراسات الشرطية النقدية⁽¹³²⁾، وغيرها من البرامج البحثية التي يزعم بعضها لنفسه حالة الحقل المعرفي المستقل عن نظيره التقليدي (غير النقدي).

نختم الدراسة بالحجاج بأن ثلاثة عوامل أدت إلى ازدهار البنائية (الجديدة) خلال السنوات الأخيرة، بالرغم من الانتقادات التي وُجّهت إلى ونت والإخفاق الذي مُني به مشروعه، رفقة بنائيين آخرين، لتجسير الفجوة بين العقلايين الوضعيين والتأملين ما بعد الوضعيين. وهذه العوامل الثلاثة متشابكة، ينتج بعضها بعضاً ويعززها. العامل الأول هو تراجع حدة الاستقطاب الإستيمولوجي في حقل العلاقات الدولية؛ والثاني هو صعود الواقعية النقدية Critical Realism فلسفةً لعلم العلاقات الدولية؛ والثالث هو تزايد الاهتمام بالانتقائية التحليلية Eclecticism مخرجاً من مأزق النظرية الكبرى في حقل العلاقات الدولية. لقد سبق أن ناقشنا جوهر هذه العوامل الثلاثة⁽¹³³⁾، ولا يتسع المقام للتعمق فيها أكثر، لكننا مهتمون هنا بإبراز كيفية مساهمة البنائية (بتياراتها المبكرة أو الكلاسيكية، بحسب وصف ونت، والجديدة) في هذه الحركات الثلاث، فضلاً عن كيفية مساهمة هذه الحركات في ازدهار البنائية خلال السنوات الأخيرة.

أولاً، عام 2013، نشرت *الدورية الأوروبية للعلاقات الدولية* عدداً خاصاً عن "نهاية نظرية العلاقات الدولية"، أعلن فيه محرروه، تيم دان ولين هانسن وكولين وايت، صراحةً أن "الحروب بين البرديات قد وضعت أوزارها"، وأن حقل العلاقات الدولية قد استقر في حقبة من "السلام النظري". واستدلوا على ذلك بخبرتهم في تحرير هذه الدورية في المدة 2008-2013، إذ لاحظوا تراجعاً حاداً في النقاشات النظرية عبر البرديات المتضاربة والمتمايزة إستيمولوجياً⁽¹³⁴⁾.

يعدّ ونت - ويا للمفارقة! - من بين أبرز الذين دفعوا إلى تراجع حدة الاستقطاب الإستيمولوجي في الحقل (وفي رأينا، هذا دافع من دوافع الشعور بالنجاح الذي انتابه وهو يغادر البنائية، حتى

131 Samantha Newbery & Christian Kaunert, "Critical Intelligence Studies: A New Framework for Analysis," *Intelligence and National Security*, vol. 38, no. 5 (2023); Hamilton Bean, Peter de Werd & Cristina Ivan, "Critical Intelligence Studies: Introduction to the Special Issue," *Intelligence and National Security*, vol. 36, no. 4 (2021).

132 Howard Ryan, "Critical Policing Studies: Toward a 'Fully Social' Framework," *Critical Criminology*, vol. 31, no. 3 (2023).

133 محمد حمشي، مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 379-418.

134 Tim Dunne, Lene Hansen & Colin Wight, "The End of International Relations Theory?" *European Journal of International Relations*, vol. 19, no. 3 (2013).

135 هذا خلاف ما يذهب إليه معظم الواقعيين الذين يعدّون النقاشات الإستيمولوجية سخيقة ومشتمة للانتباه. ينظر في هذا العدد: أونوف، ص 27.

136 Alexander Wendt, "On Constitution and Causation in International Relations," *Review of International Studies*, vol. 24, no. 5 (1998), p. 115.

137 Ibid., p. 117.

138 ينظر في هذا العدد: أونوف، ص 27.

للبحث في حقل العلاقات الدولية البنائي⁽¹⁴²⁾، بينما نُشر الكتاب الثاني بعده بعشر سنوات، وهو التكميم التأويلي: كشف منهجية من أجل حقل العلاقات الدولية النقدي والبنائي⁽¹⁴³⁾. وبعد ثلاث سنوات، نُشر كتاب البنائية التكتيكية والمنهج والعلاقات الدولية⁽¹⁴⁴⁾. وحتى من لم يحمله الفضول على تصفح هذه الكتب، يكفي أن يتأمل عنوان الكتاب الثاني، التكميم التأويلي *Interpretive Quantification* ليدرك حدود جرأة البنائين الإستمولوجية في التوليف بين الكمّي والتأويلي. وإذا كنا لا ندعي أننا نسّم البنائية بالواقعية النقدية، فإننا نزع، بالنظر إلى ما وقفنا عليه من تطورات وتحولات في أبحاث البنائية الجديدة أن البنائية باتت قاب قوسين أو أدنى من تعريف أونوف، المؤسس للبنائية، نظرية اجتماعية تستند إليها نظريات السياسة الدولية⁽¹⁴⁵⁾.

ثالثًا، شهد حقل العلاقات الدولية، مع بداية القرن الحادي والعشرين، صعود الانتقائية التحليلية؛ وهي، في أبسط تعريفاتها وأدقّها، مقارنةً لممارسة البحث تشجّع على "استخراج العناصر التحليلية - المفاهيم والمنطلقات والميكانيزمات السببية والتفسيرات - الخاصة بالنظريات أو السرديات التي جرى تطويرها ضمن برداجات منفصلة، ونقلها ودمجها بصورة انتقائية، لكن على أن تتناول الجوانب ذات الصلة بمشكلات جوهرية لها أهمية علمية وعملية"⁽¹⁴⁶⁾. لقد بدا حقًا أن حقل العلاقات الدولية، على الرغم من أنه ما يزال منظمًا حول تقاليد بحثية محددة، لكل منها التزاماته الإستمولوجية ومفرداته النظرية ومعاييرها البحثية، يشهد نزعة متزايدة، حتى بين بعض من يُعرّف عنهم التزامهم بتقاليد بحثية معيّنة، للإقرار بالحاجة إلى إدماج عناصر تحليلية من مقاربات أخرى (مختلفة)⁽¹⁴⁷⁾.

للسياسة الدولية⁽¹³⁹⁾، والتي يحاجّ كولين وايت وميليا كوركي بأنها أدت دورًا مهمًا في تطوير البنائية، على الرغم من أنها لم تحظ بتأييد جميع البنائين، وعلى الرغم أيضًا من الانتقادات التي تعرّض لها ونت بحجة أن واقعيته العلمية هي التي حالت دون ابتعاده على نحو كافٍ عن حدود النقاش الثالث وأبقته ملتزمًا بنسخة معدّلة من الوضعية⁽¹⁴⁰⁾.

يقدم الواقعيون النقديون أنفسهم بوصفهم نسبيين *Relativists* من الناحية الإستمولوجية، ويجادلون بأن ما من موقف إستمولوجي يملك الأولوية في بناء المعرفة؛ فثمة دائمًا طرائق كثيرة يمكن من خلالها التوصل إلى معرفة العالم. لكن هذا لا يعني أن وجهات نظرهم كلها صحيحة بالدرجة نفسها، وهم يؤمنون بإمكانية الحكم عقليًا على الادعاءات المعرفية المتنافسة. المهم بالنسبة إلى العلوم هو أن أيّ/ كل ادعاء يظل قابلاً لأن تتحده ادعاءات أخرى، ما يؤكد وجوب استناد العلوم إلى الالتزام بالنقد المستمر، بدلاً من الالتزام بالإصرار الدوغمائي على صحة ادعاءاتها. ومن الناحية المنهجية، يتخذ الواقعيون النقديون موقفًا تعدديًا إزاء المواقف والخيارات المنهجية. ولأن العالم الاجتماعي شديد التعقد من الناحية الأنطولوجية، فمن الأفضل ألا يحصر الباحث أساليب البحث في الاستدلال المسبق⁽¹⁴¹⁾.

لا نزع، في هذا السياق، أننا نسّم بالواقعية النقدية البنائية على النحو الذي تطورت به بعيدًا عن ونت، لكنّ ملاحظة مقارنةً بسيطةً بين محتوى أبرز ثلاثة كتب نُشرت عن المنهجيات البنائية، خلال أقل من عقد ونصف على مغادرة ونت للبنائية، تخبرنا بالكثير عن التحولات الإستمولوجية (والمنهجية بالنتيجة) التي شهدها برنامج البحث البنائي، توسعًا وتعميقًا وتوليفًا بين إستمولوجيات لم يكن بينها في الماضي حوارًا يُذكر. نُشر الكتاب الأول عام 2007، وهو استراتيجيات

142 Audie Klotz & Cecelia Lynch, *Strategies for Research in Constructing International Relations* (Armonk, NY: M. E. Sharpe, 2007).

143 Barkin & Sjoberg (eds.), *Interpretive Quantification: Methodological Explorations for Critical and Constructivist IR*.

144 Brent J. Steele, Harry D. Gould & Oliver Kessler (eds.), *Tactical Constructivism, Method, and International Relations* (London: Routledge, 2020).

145 Nicolas Onuf, "Constructivism: A User's Manual," in: Vendulka Kusalkova, Nicholas Onuf, Paul Kowert (eds.), *International Relations in a Constructed World* (London: Routledge, 1998), pp. 58-78.

146 Rudra Sil & Peter J. Katzenstein, *Beyond Paradigms: Analytic Eclecticism in the Study of World Politics* (New York: Palgrave Macmillan, 2010), p. 10; للاطلاع على مناقشة مفضلة عن الانتقائية التحليلية، ينظر: محمد حمشي، "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية"، *سياسات عربية*، مج 5، العدد 28 (أيلول/ سبتمبر 2017)؛ وينظر أيضًا السجل بشأن إمكانيات الانتقائية التحليلية وحدودها، في: سيد أحمد قوجيلي، "أقول النظرية الكبرى: نقد الانتقائية التحليلية"، *سياسات عربية*، مج 10، العدد 56 (أيار/ مايو 2022)؛ محمد حمشي، "الانتقائية التحليلية والنظريات الكبرى: زهّار أم نحلة؟" من كل بستان زهرة، أم شراب مختلّف ألوانه فيه شفاءً للناس؟، *سياسات عربية*، مج 10، العدد 56 (أيار/ مايو 2022).

147 حمشي، "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية"، ص 49.

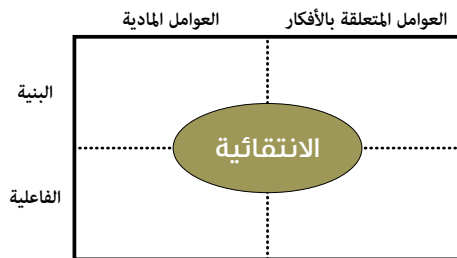
139 Wendt, *Social Theory of International Politics*, pp. 47-91.

140 ينظر: ميليا كوركي وكولين وايت، "العلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية"، في: نظريات العلاقات الدولية، ص 91-97.

141 لا يسمح مجال الدراسة بتوسع أكثر في هذا الشأن. ويمكن العودة إلى: حمشي، مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية؛

Milja Kurki, *Causation in International Relations: Reclaiming Causal Analysis* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008); Milja Kurki, "Critical Realism and Causal Analysis in International Relations," *Millennium*, vol. 35, no. 2 (2007); Colin Wight, *Agents, Structures and International Relations: Politics as Ontology* (New York: Cambridge University Press, 2006); Heikki Patomäki, *After International Relations: Critical Realism and the (Re) construction of World Politics* (London/ New York: Routledge, 2002); Heikki Patomäki & Colin Wight, "After Post-Positivism? The Promises of Critical Realism," *International Studies Quarterly*, vol. 44, no. 2 (2000); Heikki Patomäki, "How to Tell Better Stories about World Politics," *European Journal of International Relations*, vol. 2, no. 1 (1996).

الشكل (2) الانتقائية والانقسامات حول البنية - الفاعلية والعوامل المادية - العوامل المتعلقة بالأفكار



المصدر:

Rudra Sil & Peter J. Katzenstein, *Beyond Paradigms: Analytic Eclecticism in the Study of World Politics* (New York: Palgrave Macmillan, 2010), p. 21.

خاتمة

تجدر الإشارة، في خاتمة الدراسة، إلى أن الفكرة الأصلية التي انبثقت منها كانت احتفائية جداً؛ الاحتفاء بمقالة ونت المرجعية في البنائية "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، التي، بحلول عام 2022، يكون قد مرّ على صدورها ثلاثون عاماً. فضلاً عن ذلك، بحلول عام 2024، تكون قد مرت على الأقلّ عشرون عاماً من بدايات انسحاب ونت من برنامج البحث البنائي، واتجاهه نحو الاهتمام بالعلوم الاجتماعية (ثم العلاقات الدولية) الكوانتية. فكانت فكرة هذه الدراسة هي النظر في أثر ونت ومقالاته المرجعية في صيرورة البنائية خلال الأعوام الثلاثين الماضية. لكن تبلور مشروع هذا العدد الخاص، في دورية سياسات عربية، جعل مسار الدراسة يتحوّل قليلاً نحو سبر صيرورة البنائية والانقسامات التي حلّت بها حول بنائية ونت ومشروعه لاحتلال منطقة وسطى، أو تجسير الفجوة الإستمولوجية، بين طريقي النقاش الثالث. ولم يكن ثمة بُدٌّ من فحص المسالك التي اتخذها برنامج البحث البنائي بعد انسحاب ونت منه.

يمكننا، في خاتمة الدراسة، سَرّ الاستنتاجات الرئيسة التالية:

أولاً، لم تكن البنائية رافداً من روافد الثورة التأملية التي شهدتها حقل العلاقات الدولية مع بداية الثمانينيات فحسب، بل تحوّلت أيضاً إلى نظرية سائدة أعادت صياغة الأسئلة الكبرى في حقل العلاقات الدولية. وإذا كان نشوؤها قد ارتبط، في البداية، بنهاية الحرب الباردة وما بعدها، فإنّ رسوخها في الحقل وامتداد نفوذها لاحقاً لتستقطب عدداً أوسع فأوسع من الباحثين ارتبط على نحو وثيق بمشروع ونت

كان رودرا سيل وبيتر كاتزنشتاين، على حدّ علمنا، أوّل من توسّع في تقديم الانتقائية التحليلية إلى حقل العلاقات الدولية⁽¹⁴⁸⁾. ونشّد ههنا انتباه القارئ إلى ملاحظتين: الأولى هي أنّ كاتزنشتاين (1945-) بنائياً من الرعيل الأول من مؤسسي البنائية؛ والثانية هي أنهما حين قدّما الانتقائية التحليلية إلى الحقل مشفوعة بنماذج من أعمال تتوسل بها في البحث، اقترحا ثلاثة نماذج هي: كتاب جون كامبال، *التغير المؤسسي والعولمة*⁽¹⁴⁹⁾؛ وكتاب روبرت جرفيس، *السياسة الخارجية الأميركية في حقبة جديدة*⁽¹⁵⁰⁾؛ وكتاب مايكل بارنيت ومارثا فينمور، *قواعد من أجل العالم: المنظمات الدولية في السياسة العالمية*⁽¹⁵¹⁾؛ ومن بين هؤلاء بارنيت وفيينمور، وهما بنائيان من الجيل المبكر الذي طوّر البنائية بعد أونوف وكاتزنشتاين وكراوشفيل وونت. وأما جرفيس فيجّد، وهو كذلك بحق، من أبرز منظري العلاقات الدولية المخضرمين الذي أثاروا في التأملات البنائية المبكرة، من خلال أعماله عن الإدراك وسوء الإدراك (Mis)perception في السياسة الدولية⁽¹⁵²⁾.

مع ذلك، قد يكون من الصعب، في غياب دراسة معمقة، الادعاء أنّ الفضل في صعود الانتقائية يعود إلى البنائية، مثلما فعل غريغ بارسونز⁽¹⁵³⁾؛ لكننا ندعو القارئ، ونحن على مشارف خاتمة الدراسة، إلى تأمل الشكل الذي لخص فيه سيل وكاتزنشتاين موقف الانتقائية وموقعها من نقاشات الحقل حول ثنائيتي البنية والفاعل، والعوامل المادية والمتعلقة بالأفكار (ينظر الشكل 2)؛ ثم نطرح السؤال: أليس ما تسعى إليه البنائية من تقريب وجهات نظر العقلانيين والتأمليين، بشأن التعارض بين طريقي ثنائيتي البنية والفاعل والعوامل المادية والمتعلقة بالأفكار، هو تقريباً نفسه ما تدعو إليه الانتقائية بطريقة مختلفة؟ ما نوذ الاستدلال عليه هو أنّ صعود الانتقائية التحليلية تزامن مع ازدهار البنائية (الجديدة) في السنوات الأخيرة.

148 Sil & Katzenstein, *Beyond Paradigms*; Rudra Sil & Peter J. Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics: Reconfiguring Problems and Mechanisms across Research Traditions," *Perspectives on Politics*, vol. 8, no. 2 (2010).

149 John Campbell, *Institutional Change and Globalization* (Princeton: Princeton University Press, 2005).

150 Robert Jervis, *American Foreign Policy in a New Era* (New York: Routledge, 2005).

151 Michael Barnett & Martha Finnemore, *Rules for the World: International Organizations in Global Politics* (Ithaca: Cornell University Press, 2004).

152 ديسوا، ص 197-202: Robert Jervis, *Perception and Misperception in International Politics* (Princeton: Princeton University Press, 1976).

153 Craig Parsons, "Before Eclecticism: Competing Alternatives in Constructivist Research," *International Theory*, vol. 7, no. 3 (2015), p. 530.

موضوعات ومناهج، إمّا أنها لم تُطرق من قبل وإمّا جرى طرقها من زوايا مغايرة، مثل نظرية الممارسة، والعلائقية، والأمن الأنطولوجي، والأمن، والعاطفة في السياسة الدولية، والزمن في السياسة العالمية، فضلاً عن تزايد الاهتمام بالمناهج الكمية والحاسوبية. ومن ثم، فإن البنائية تتكشف عن قدرة لافتة على الاستجابة للتحويلات المعرفية والمنهجية من دون التخلي عن جوهرها بوصفها نظرية اجتماعية.

لقد استعملنا مراراً، عن قصد، عبارة "ما يُعدّ إخفاً" في وصف ما آل إليه مشروع ونت لتجسير الفجوة العقلانية - التأملية. وكان الغرض من هذه العبارة التحفظ عن الحكم عليه بالإخفاق. وحتى لو جارينا هذا الحكم، فإنّ الربط بين إخفاق مشروع معرفي جزئي ضمن برنامج بحثي أوسع ليس معقولاً؛ ويسري ذلك أيضاً على استعجال التفكير في أنّ ملّ ونت من الرد على الانتقادات التي شملت مشروعه، وقراره مغادرة برنامج البنائية البحثي برمته، يعني نهاية البنائية. أولاً، لأنّ ونت يذكر صراحةً أنّ انسحابه من النقاشات مع البنائية وضمها كان مدفوعاً بشغف جديد للاهتمام بمشروع آخر مختلف تماماً (وهو مشروع يستحق الاهتمام). وثانياً، لأنّ هذا يؤكد أنّ البنائية، التي استمرت في النمو والازدهار بعيداً عن ونت، لا ينبغي أن ترتبط باسمه، فهي لم تكن كذلك إلا حين استُخدمت استخداماً استراتيجياً لتعزيز شرعية التيار الوضعي السائد، المتشكّل من التوليفة العقلانية بين الواقعية والليبرالية، بعد أن أعلن ونت تأييده لها من الناحية الإستيمولوجية. وبين أُونوف، في هذا العدد، كيفية ارتباط البنائية بسنوات من العمل ضمن ما بات يسمّى التأملية، قبل أن يتولى ونت زمام تطويرها إلى نظرية ضمن التيار السائد.

بعد ونت، وبعيداً عنه، لم تتوقف البنائية عند حدود نسختها التقليدية، التي فضّل لاحقاً تسميتها كلاسيكية، بل أخذت مسالك متعددة وجديدة. ولا ينبغي أن تُحسب هذه التعددية عليها، بل ينبغي أن يُنظر إليها بوصفها مصدر ثراء وقوة. وبهذا المعنى، تعلّمنا البنائية درساً بليغاً مفاده أنّ قدرة النظرية على الصمود لا تكمن في القدرة على بناء الجدران طلباً لنقاء الهويات النظرية وصوناً للولاءات النظرية، بل تكمن في القدرة على بناء الجسور وفتح المسالك، سواء بين أنصار النظرية نفسها أو مع مناوئها؛ وما جسّر ونت، وإن هجره السالكون زمناً، إلا أبرزها.

النظري والانتقادات التي وجّهها إليه رفاقه من البنائيين النقيدين، فضلاً بطبيعة الحال، عن توسّع العدّة، المنهجية والمفهومية، البنائية لتشمل عدداً من الافتراضات والأطروحات والأدوات المنهجية التي لا تزال تثير اهتمام باحثي العلاقات الدولية.

ثانياً، لا يقتصر إرث ونت على تطوير البنائية نفسها وإكسابها شعبية بين باحثي العلاقات الدولية في مطلع التسعينيات. لقد تمكّن ونت من جعل البنائية تقف على قدم النديّة مع الواقعية والليبرالية، حتى إن كتابه، **نظرية اجتماعية للسياسة الدولية**، تحوّل إلى نص مرجعي في أدبيات حقل العلاقات الدولية، لا يقل أهمية عن كتاب كينيث والتز، **نظرية السياسة الدولية**. أبعد من ذلك، يشمل إرث ونت وأثره أيضاً تحويل البنائية من حالة التأملات النقدية إلى نظرية ذات طموح إمبريقي، والدفع بها نحو بناء أرضية وسطى بين طريقي النقاش الثالث، وتجسير الفجوة الإستيمولوجية بينهما. وعلى الرغم من اتهامه بالانحياز إلى العقلانية، فإنّ إسهاماته أتاحَت للبنائية الانخراط في برامج بحثية جزئية متنامية وواعدة، كما وسّعت نفوذها خارج حدود حقل العلاقات الدولية، خاصة في الدراسات الأمنية والاقتصاد السياسي الدولي.

ثالثاً، اتخذ البنائيون، منذ البداية، مسالك شتى، وتعددت الخلافات بينهم إستيمولوجيةً كانت أو منهجيةً. وعلى الرغم من تعدد مسالك البنائية، بين تقليدية حديثة ونقدية ما بعد حديثة، وعلى الرغم ممّا يُعدّ إخفاً في مشروع ونت لتجسير الفجوة بين العقلانيين والتأملين، فإنّ البنائية استمرت في الازدهار بعيداً عن هذا المشروع. وقد حاجت هذه الدراسة بأنّ هذا الازدهار يمكن أن يعزى إلى ثلاثة عوامل يثري كل منها الآخر: تراجع الاستقطاب الإستيمولوجي في حقل العلاقات الدولية، وصعود الواقعية النقدية فلسفةً لعلم العلاقات الدولية، وصعود النزعة الانتقائية التحليلية التي تزامنت مع حركة ازدهار البنائية خلال الأعوام العشرين الماضية.

رابعاً، يظل ونت وبنائيته حاضرين في سيرورة البنائية، وفي تطور حقل العلاقات الدولية الأوسع، حتى بعد ابتعاده عن البنائية نفسها في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. ولعلّ المفارقة تكمن في أنّ المشروع الذي أرادَه جسراً ذا ممر واحد، تحوّل إلى جسر ذي مسالك متعددة، تسمح بعبور الباحثين بين مقاربات نظرية متنوعة، سواء من البنائيين أنفسهم أو من غير البنائيين. وههنا تكمن قيمة البنائية التي لم تحطّ بها نظرية أخرى في حقل العلاقات الدولية؛ ولعل ذلك ما يسوغ ادعاء التزامن اللافت بين تحولات البنائية (خاصة في نسخها الجديدة) وصعود الانتقائية التحليلية.

خامساً، على الرغم من أنّ البنائية الجديدة تبني على البنائية الكلاسيكية وتتقاطع معها، فإنّها تعمل على توسيع برنامج البحث البنائي لينشغل

المراجع

العربية

_____. *World Ordering: A Social Theory of Cognitive Evolution*. Cambridge: Cambridge University Press, 2019.

Adler, Emanuel & Michael Barnett (eds.). *Security Communities*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Adler, Emanuel & Vincent Pouliot. "International Practices." *International Theory*. vol. 3, no. 1 (2011).

Adler, Emanuel & Vincent Pouliot (eds.). *International Practices*. Cambridge: Cambridge University Press, 2011.

Autoserre, Séverine. *Peaceland: Conflict Resolution and the Everyday Politics of International Intervention*. Cambridge: Cambridge University Press, 2014.

Baldwin, David A. (ed.). *Neorealism and Neoliberalism: The Contemporary Debate*. New York: Columbia University Press, 1993.

Barkin, J. Samuel & Laura Sjoberg (eds.). *Interpretive Quantification: Methodological Explorations for Critical and Constructivist IR*. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2017.

Barnett, Michael & Martha Finnemore. *Rules for the World: International Organizations in Global Politics*. Ithaca: Cornell University Press, 2004.

Barnett, Michael & Raymond Duvall. "Power in International Politics." *International Organization*. vol. 59, no. 1 (2005).

Bean, Hamilton, Peter de Werd & Cristina Ivan. "Critical Intelligence Studies: Introduction to the Special Issue." *Intelligence and National Security*. vol. 36, no. 4 (2021).

Benantar, Abdennour. *Sécurité et immigration: Réflexions sur les études (critiques) de sécurité et l'Ecole de Copenhague*. Oran: Ibn Nadim Editions, 2024.

أونوف، نيكولاس. "ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقال 'الفوضى هي ما صنعه الدول منها؟'. *سياسات عربية*. مج 13، العدد 73 (2025).

بن عنتز، عبد النور. "الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما صنعه الدول منه". *سياسات عربية*. مج 13، العدد 73 (2025).

حمشي، محمد. "النقاش الثالث بين نظريات العلاقات الدولية: حدود الاتصال المعرفي". *المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية*. العدد 3 (كانون الأول/ ديسمبر 2014).

_____. *مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية*. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

_____. "الانتقالي التحليلي والنظريات الكبرى: زهّار أم نحلة؟ 'من كل بستان زهرة' أم 'شراب' مختلف ألوانه فيه شفاء للناس؟". *سياسات عربية*. مج 10، العدد 56 (2022).

ديسوا، جبرار. *دراسة في العلاقات الدولية، الجزء الثاني: النظريات البيدولتية*. ترجمة قاسم المقداد. دمشق: دار نينوى، 2015.

صولي، أدهم. "بين الهوية والقلق والحرب: حزب الله وتراجيديا غزة". *عمران*. مج 49، العدد 13 (2024).

ناصر، سارة. "رحلة ألكسندر ونت من 'نظرية اجتماعية للسياسة الدولية' إلى 'توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية'". *سياسات عربية*. مج 13، العدد 73 (2025).

نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع. تيم دان وميليا كوري وستيف سميث (محررون). ترجمة ديماء الخضراء. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

الأجنبية

Alberts, Tanja E. *Constructing Sovereignty between Politics and Law*. Abingdon: Routledge, 2012.

Adler, Emanuel. "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics." *European Journal of International Relations*. vol. 3, no. 3 (1997).

- Der Derian, James & Alexander Wendt (eds.). *Quantum International Relations: A Human Science for World Politics*. Oxford: Oxford University Press, 2022.
- Dunne, Tim, Lene Hansen & Colin Wight. "The End of International Relations Theory?" *European Journal of International Relations*. vol. 19, no. 3 (2013).
- Edkins, Jenny, Nalini Persram & Veronique Pin-Fat (eds.). *Sovereignty and Subjectivity*. London: Lynne Rienner Publishers, 1999.
- Fard, Rebin. "Towards a New Concept of Constructivist Geopolitics: Bridging Classical and Critical Geopolitics." *Central European Journal of International and Security Studies*. vol. 15, no. 1 (2021).
- Fierke, Karin M. & Knud Erik Jorgensen (eds.). *Constructing International Relations: The Next Generation*. London: Routledge, 2015.
- Fierke, Karin M. & Antje Wiener. "Constructing Institutional Interests: EU and NATO Enlargement." *Journal of European Public Policy*. vol. 6, no. 5 (1999).
- Finnemore, Martha & Alexander Wendt. "When 'Old' Constructivism Was New: Reflections on Classical Constructivism." *Perspectives on Politics*. vol. 22, no. 4 (2024).
- Finnemore, Martha & Kathryn Sikkink. "Taking Stock: The Constructivist Research Program in International Relations and Comparative Politics." *Annual Review of Political Science*. vol. 4 (2001).
- George, Jim. *Discourses of Global Politics: A Critical (Re) Introduction to International Relations*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1994.
- George, Jim & David Campbell. "Patterns of Dissent and the Celebration of Difference: Critical Social Theory and International Relations." *International Studies Quarterly*. vol. 34, no. 3 (1990).
- Biersteker, Thomas J. & Cynthia Weber (eds.). *State Sovereignty as Social Construct*. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.
- Brown, Chris. "The Poverty of Grand Theory." *European Journal of International Relations*. vol. 19, no. 3 (2013).
- Bueger, Christian & Frank Gadinger. *International Practice Theory*. Houndmills: Palgrave Macmillan, 2014.
- Busmann, Margit. "Gerald Schneider and Nina Wiesehomeier: Foreign Economic Liberalization and Peace: The Case of Sub-Saharan Africa." *European Journal of International Relations*. vol. 11, no. 4 (2005).
- Campbell, John. *Institutional Change and Globalization*. Princeton: Princeton University Press, 2005.
- Caporaso, James, Jeffrey T. Checkel & Joseph Jupille. "Integrating Institutions: Rationalism, Constructivism and the Study of the European Union." *Comparative Political Studies*. vol. 36 (2003).
- Caprioli, Mary & Peter F. Trumbore. "Identifying 'Rogue' States and Testing their Interstate Conflict Behaviour." *European Journal of International Relations*. vol. 9, no. 3 (2003).
- Carlsnaes, Walter et al. (eds.). *Handbook of International Relations*. London: Sage Publications, 2002.
- Cash, John. "Psychoanalysis, Cultures of Anarchy, and Ontological Insecurity." *International Theory*. vol. 12 (2020).
- Checkel, Jeffrey T. "Social Constructivisms in Global and European Politics: A Review Essay." *Review of International Studies*. vol. 30 (2004).
- . "The Constructivist Turn in International Relations Theory." *World Politics*. vol. 50, no. 2 (1998).
- Crawford, Neta. "The Passion of World Politics." *International Security*. vol. 24, no. 4 (2000).

- Howard, Lise Morjé. "US Foreign Policy Habits in Ethnic Conflict." *International Studies Quarterly*. vol. 59, no. 4 (2015).
- Hülse, Rainer & Alexander Spencer. "The Metaphor of Terror: Terrorism Studies and the Constructivist Turn." *Security Dialogue*. vol. 39, no. 6 (2008).
- Hurd, Ian. *After Anarchy: Legitimacy and Power in the United Nations Security Council*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2007.
- _____. *Affective Communities in World Politics: Collective Emotions after Trauma*. New York: Cambridge University Press, 2016.
- Hutchings, Kimberly. *Time and World Politics*. Manchester: Manchester University Press, 2013.
- Jervis, Robert. *Perception and Misperception in International Politics*. Princeton: Princeton University Press, 1976.
- _____. *American Foreign Policy in a New Era*. New York: Routledge, 2005.
- Katzenstein, Peter, Robert O. Keohane & Stephen D. Krasner. "International Organization and the Study of World Politics." *International Organization*. vol. 52, no. 4 (1998).
- Katzenstein, Peter & Stephen Nelson. "Reading the Right Signals and Reading the Signals Right: IPE and the Financial Crisis of 2008." *Review of International Political Economy*. vol. 20, no. 5 (2013).
- Keohane, Robert O. *International Institutions and State Power: Essays in International Relations Theory*. New York: Routledge, 1989.
- Klotz, Audie & Cecelia Lynch. *Strategies for Research in Constructing International Relations*. Armonk, NY: M. E. Sharpe, 2007.
- Kratochwil, Friedrich. "Constructing a New Orthodoxy? Wendt's 'Social Theory of International Politics' Geyer, Robert. "Europeanisation, Complexity, and the British Welfare State." A Paper Presented to the UACES/ESRC Study Group on "The Europeanisation of British Politics and Policy-making." Department of Politics. University of Sheffield. 19/9/2003.
- Gould, Harry D. (ed.). *The Art of World-Making: Nicholas Greenwood Onuf and His Critics*. London: Routledge, 2017.
- Guzzini, Stefano. "A Reconstruction of Constructivism in International Relations." *European Journal of International Relations*. vol. 6, no. 2 (2000).
- Guzzini, Stefano & Anna Leander (eds.). *Constructivism and International Relations: Alexander Wendt and His Critics*. London: Routledge, 2006.
- Hafner- Burton, Emilie M., Miles Kahler & Alexander H. Montgomery. "Network Analysis for International Relations." *International Organization*. vol. 63, no. 3 (2009).
- Hollis, Martin & Steve Smith. *Explaining and Understanding International Relations*. Oxford: Oxford University Press, 1990.
- Holmes, Marcus. "Believing This and Alieving That: Theorizing Affect and Intuitions in International Politics." *International Studies Quarterly*. vol. 59, no. 4 (2015).
- Hopf, Ted. "The Promise of Constructivism in International Relations Theory." *International Security*. vol. 23, no. 1 (1998).
- _____. *Social Construction of International Politics: Identities and Foreign Policies, Moscow, 1955 & 1999*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002.
- _____. "Common-sense Constructivism and Hegemony in World Politics." *International Organization*. vol. 67, no. 2 (2013).

- McCourt, David. "Practice Theory and Relationalism as the New Constructivism." *International Studies Quarterly*. vol. 60, no. 3 (2016).
- _____. *The New Constructivism in International Relations Theory*. Bristol: Bristol University Press, 2022.
- Mitzen, Jennifer. "Ontological Security in World Politics: State Identity and the Security Dilemma." *European Journal of International Relations*. vol. 12, no. 3 (2006).
- Nelson, Stephen & Peter Katzenstein. "Uncertainty, Risk, and the Financial Crisis of 2008." *International Organization*. vol. 68, no. 2 (2014).
- Newbery, Samantha & Christian Kaunert. "Critical Intelligence Studies: A New Framework for Analysis." *Intelligence and National Security*. vol. 38, no. 5 (2023).
- Onuf, Nicholas Greenwood. *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations*. Columbia: University of South Carolina Press, 1989.
- _____. "Constructivism at the Crossroads; or, the Problem of Moderate-Sized Dry Goods." *International Political Sociology*. vol. 10, no. 2 (2016).
- Parsons, Craig. "Before Eclecticism: Competing Alternatives in Constructivist Research." *International Theory*. vol. 7, no. 3 (2015).
- Patomäki, Heikki. "How to Tell Better Stories about World Politics." *European Journal of International Relations*. vol. 2, no. 1 (1996).
- _____. *After International Relations: Critical Realism and the (Re)construction of World Politics*. London/ New York: Routledge, 2002.
- Patomäki, Heikki & Colin Wight. "After Post-Positivism?: The Promises of Critical Realism." *International Studies Quarterly*. vol. 44, no. 2 (2000).
- and the Constructivist Challenge." *Millennium*. vol. 29, no. 1 (2000).
- Kratochwil, Friedrich & John G. Ruggie. "International Organization: A State of the Art on an Art of the State." *International Organization*. vol. 40, no. 4 (1986).
- Krickel-Choi, Nina C. "The Concept of Anxiety in Ontological Security Studies." *International Studies Review*. vol. 24, no. 3 (2022).
- Kurki, Milja. "Critical Realism and Causal Analysis in International Relations." *Millennium*. vol. 35, no. 2 (2007).
- _____. *Causation in International Relations: Reclaiming Causal Analysis*. Cambridge: Cambridge University Press, 2008.
- _____. *International Relations in a Relational Universe*. Oxford: Oxford University Press, 2020.
- Kusalkova, Vendulka, Nicholas Onuf & Paul Kowert (eds.). *International Relations in a Constructed World*. London: Routledge, 1998.
- Lapid, Yosef. "The Third Debate: On the Prospects of International Theory in a Post-Positivist Era." *International Studies Quarterly*. vol. 33, no. 1 (1989).
- _____. "Through Dialogue to Engaged Pluralism: The Unfinished Business of the Third Debate." *International Studies Review*. vol. 5 (2003).
- Little, Richard & Michael Smith (eds.). *Perspectives on World Politics*. London: Routledge, 2006.
- Lynch, Cecelia. "E.H. Carr, International Relations Theory, and the Societal Origins of International Legal Norms." *Millennium*. vol. 23 (1994).
- Mattern, Janice Bially. *Ordering International Politics: Identity, Crisis, and Representational Force*. New York: Routledge, 2005.

- and Mechanisms across Research Traditions." *Perspectives on Politics*. vol. 8, no. 2 (2010).
- _____. *Beyond Paradigms: Analytic Eclecticism in the Study of World Politics*. New York: Palgrave Macmillan, 2010.
- Spencer, Alexander. "The Social Construction of Terrorism: Media, Metaphors and Policy Implications." *Journal of International Relations and Development*. vol. 15, no. 3 (2012).
- Srivastava, Swati. "Varieties of Social Construction." *International Studies Review*. vol. 22, no.3 (2020).
- Steele, Brent J. *Ontological Security in International Relations: Self-Identity and the IR State*. New York: Routledge, 2008.
- Steele, Brent J., Harry D. Gould & Oliver Kessler (eds.). *Tactical Constructivism, Method, and International Relations*. London: Routledge, 2020.
- Tan, Seng. "Rescuing Constructivism from the Constructivists: A Critical Reading of Constructivist Interventions in Southeast Asian Security." *The Pacific Review*. vol. 19, no. 2 (2006).
- Thaddeus, Jackson Patrick & Daniel H. Nexon. "Relations before States: Substance, Process and the Study of World Politics." *European Journal of International Relations*. vol. 5, no. 3 (1999).
- Tickner, Ann J. *Gender in International Relations*. New York: Columbia University Press, 1992.
- Walt, Stephen. "International Relations: One World, Many Theories." *Foreign Policy*. vol. 110 (1998).
- Wendt, Alexander. "On Constitution and Causation in International Relations." *Review of International Studies*. vol. 24, no. 5 (1998).
- _____. "On the Via Media: A Response to the Critics." *Review of International Studies*. vol. 26 (2000).
- Powell, Robert. "Anarchy in International Relations Theory: The Neorealist-Neoliberal Debate." *International Organization*. vol. 48 (1994).
- Price, Richard. "A Genealogy of the Chemical Weapons Taboo." *International Organization*. vol. 49 (1995).
- Price, Richard & Christian Reus-Smit. "Dangerous Liaisons? Critical International Theory and Constructivism." *European Journal of International Relations*. vol. 4, no. 3 (1998).
- Raymond, Mark. *Social Practices of Rule- Making in World Politics*. New York: Oxford University Press, 2019.
- Reus-Smit, Chris. "The Constructivist Turn: Critical Theory after the Cold War." *Working Paper*. no. 1996/4. National Library of Australia, 1996.
- Ross, Andrew A.G. *Mixed Emotions: Beyond Fear and Hatred in International Conflict*. Chicago: Chicago University Press, 2014.
- Ruggie, John Gerard. "Peace in Our Time? Causality, Social Facts, and Narrative Knowing." *American Society of International Law Proceedings*. 89th Annual Meeting (1995).
- _____. "What Makes the World Hang Together? Neo-Utilitarianism and the Social Constructivist Challenge." *International Organization*. vol. 52, no. 4 (1998).
- Rumelili, Bahar. "Integrating Anxiety into International Relations Theory: Hobbes, Existentialism, and Ontological Security." *International Theory*. vol. 12, no. 2 (2020).
- Ryan, Howard. "Critical Policing Studies: Toward a 'Fully Social' Framework." *Critical Criminology*. vol. 31, no. 3 (2023).
- Sil, Rudra & Peter J. Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics: Reconfiguring Problems

_____. *Quantum Mind and Social Science: Unifying Physical and Social Ontology*. Cambridge: Cambridge University Press, 2015.

_____. "Anarchy Is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics. " *International Organization*. vol. 46, no. 2 (1992).

_____. *Social Theory of International Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

Wiener, Antje. "Constructivist Approaches in International Relations Theory: Puzzles and Promises." *Constitutionalism Webpapers*. no. 5 (2006).

Wight, Colin. *Agents, Structures and International Relations: Politics as Ontology*. New York: Cambridge University Press, 2006.

Zehfuss, Maja. *Constructivism in International Relations: The Politics of Reality*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

عبد النور بن عنتر | Abdennour Benantar*

الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدول منه

Security from a Constructivist Perspective: Security Is What States Make of it

تتناول هذه الدراسة مسألة الأمن من منظور بنائي، محاولة تحليل إسهامات البنائية وتوضيحها، لا سيما التقليدية والنقدية، في الدراسات الأمنية، والتي شكّل المنعطف البنائي نقلتها الفكرية. وتبين أن البنائية، أو بالأحرى البنائيات، أسهمت في إثراء مفهوم الأمن والدراسات الأمنية عمومًا وتطويرها على ثلاثة ضُعَد. يتمثل الأول في مقاربتها الأمن بوصفه مبنياً اجتماعياً وبيئياً. ويتمثل الثاني في مراجعتها النقدية لمفاهيم المقاربات العقلانية المركزية، وتحديدًا مفاهيمي الفوضى والمعضلة الأمنية. ويتمثل الثالث في إقحام البنائية مفاهيم أساسية في دراسة الأمن؛ هي الهوية والمصالح والمعايير. بيد أن هذه الإسهامات تعاني بعض القصور لا سيما فيما يتعلق بالهوية والأمن، فضلًا عن الخلافات البنائية البينية التي حالت دون وجود إطار نظري بنائي واضح، وإن كانت البنائية النقدية أكثر إسهامًا وتجديدًا في الدراسات الأمنية على عكس البنائية التقليدية. توصلت الدراسة إلى استنتاج أساسي مفاده أن البنائية لم تقدّم نظرية في الأمن قائمة في حد ذاتها، بيد أن إسهاماتها المبتكرة، وكونها مرجعية نظرية لمقاربات الأمن الجديدة، تؤكد وجود منظور بنائي للأمن في نظريات العلاقات الدولية، حيث طوّرت مقاربات الأمن الجديدة، بطيحيها النقدي وغير النقدي، نظرية في الأمن ذات مرجعية بنائية. وهنا يكمن إنجاز البنائية النظري الأهم في الدراسات الأمنية.

كلمات مفتاحية: البنائية، الأمن، الدراسات الأمنية، الفوضى، المعضلة الأمنية، البنية، الفاعل، الهوية، المصالح، المعايير.

This study analyses the constructivist perspective of security and establishes the constructivist contribution to security studies, particularly in terms of the conventional and critical constructivist approaches, arguing that constructivism has constituted an intellectual turning point. It demonstrates how constructivism, or rather constructivisms, has enriched and developed the concept of security and security studies on three levels. First, it approaches security as socially constructed and intersubjective. Second, it has undertaken a critical revision of major rationalist concepts, notably anarchy and the security dilemma. Third, it has introduced concepts of identity, interests, and norms to the field of security studies. However, there are shortcomings in the constructivist contribution on identity and security, in addition to inter-constructivist disagreements, which have prevented the evolution of a clear theoretical framework, even within critical constructivism, which has made the most innovative contributions to the field. The study concludes that constructivism has not formulated a distinct theory of security. However, its innovative contributions and its role as a theoretical reference point for new approaches to security constitute a constructivist perspective within International Relations. Both critical and non-critical strands of the new security approach have developed security theories grounded in constructivist insights. This constitutes the central theoretical achievement of constructivism in the field of security studies.



Keywords: Constructivism, Security, Security Studies, Anarchy, Security Dilemma, Structure, Agent, Identity, Interests, Norms.

* أستاذ، جامعة باريس الثامنة، وباحث، مركز المتوسط الحديث والمعاصر، جامعة كوت دازور، نيس، فرنسا.

مقدمة

ولا يسعنا إلا أن نذكر، في هذا الصدد، بمقولة ستيف سميث: "مفهوم الأمن ساحة معركة في ذاته ولذاته"⁽⁴⁾.

ظلت النقاشات بشأن طبيعة الواقع الدولي وكيفية مقاربتة تشهد، منذ ثلاثة عقود ونيف، سجلاً بين معسكرين: العقلانية (الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة)، والتأملية (ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية، والنظريات النقدية، والنظريات النسوية)، بيد أن هذه النقاشات تركزت تدريجياً في البنائية وتأثرت بها⁽⁵⁾، على الرغم من نظر المقاربات السائدة (العقلانية) إلى هذه الأخيرة بكثير من الشك⁽⁶⁾. فأول مرة، منذ أن تربعت المقاربات العقلانية (ذات الأنطولوجيا المادية والإبستمولوجيا الوضعية) على عرش التنظير في العلاقات الدولية، تظهر مقاربة على درجة عالية من القدرة التفسيرية في إمكانها هزّ بعض أسس المقاربات العقلانية، وهذا بغض النظر عن حدود البنائية وانقساماتها الداخلية (الإبستمولوجية وحتى الأنطولوجية) من ناحية، وصمود المقاربات التقليدية في وجه المقاربات التأملية (ذات الأنطولوجيا الاجتماعية والإبستمولوجيا المناوئة للوضعية) من ناحية أخرى.

تستند البنائية إلى ثلاث مسلّمات أساسية: 1. العالم مبني اجتماعياً من خلال عملية تفاعل بين ذاتية، 2. البناء المتبادل بين الفاعلين والبنى، 3. أهمية العوامل المتعلقة بالأفكار Ideational أو غير المادية (مثل الأفكار والمعايير والهويات وغيرها). وتسعى البنائية لـ "تفسير العمليات التي يتشكل أو يتكوّن من خلالها العالم السياسي وكيفية وصول الفاعلين إلى فهم مصالحهم على النحو الذي يفهمونها به، وكيف عليهم أو قد يتعين عليهم أن يتفاعلوا مع فاعلين آخرين". وعلى الرغم من أهمية المنعطف البنائي، فإن البنائية "ليست نظرية للعلاقات الدولية أو للأمن بقدر ما هي نظرية اجتماعية أوسع تساعد في دراسة الأمن"⁽⁷⁾. ويرى تيد هوف أن البنائية في إمكانها أن

تتأسس المواقف النظرية في حقل العلاقات الدولية على ثلاث فئات من الافتراضات: 1. الأنطولوجية؛ أي نظرية الكائن، "مّم يتكون العالم؟ وما المواضيع التي ندرسها؟"، 2. الإبستمولوجية؛ أي نظرية المعرفة، "كيف نتوصل إلى تكوين معرفة حول العالم؟"، 3. المنهجية؛ أي نظرية المنهج، "ما المناهج التي نستخدمها لاستكشاف المعطيات والأدلة؟". وعلى أساس هذه الافتراضات، قد "يرى" الباحثون العالم بطرائق مختلفة: أنطولوجياً من ناحية مجالات الموضوعات، وإبستمولوجياً من ناحية قبول ادعاءات معرفية معينة أو رفضها، ومنهجياً من ناحية اختيار مناهج معينة للدراسة⁽¹⁾. وعلى هذه الأسس الثلاثة (الأنطولوجية والإبستمولوجية والمنهجية)، ارتكزت مراجعة مقاربات الأمن الجديدة لافتراضات المقاربات التقليدية، مُقدِّمةً على مراجعة معمّقة للأمن: تعميق المفهوم، وتوسيع القطاعات، وتنويع الموضوعات المرجعية، مع فروق متفاوتة داخل هذه المقاربات الجديدة وبينها⁽²⁾. وتعكس هذه المراجعة مدى الانقصاف النظري، في حقل العلاقات الدولية، بين أهل التفسير (العقلانيون) وأهل الفهم (التأمليون)، المترتب على التضادات الإبستمولوجية والأنطولوجية في الحقل.

تأثرت الدراسات الأمنية كثيراً، على غرار نظريات العلاقات الدولية، بالمنعطف البنائي، إلى درجة يمكن القول معها إنه لولاه لما شهدت هذه الدراسات الزخم المعرفي الذي عرفته منذ نهاية الحرب الباردة. فقد تأسست المقاربات الأمنية الجديدة (نستخدم هذه العبارة للإحالة إلى الدراسات الأمنية النقدية وغير النقدية)، في إطار مشروع إعادة مَشْكَلة مفهوم الأمن وفحص معانيه، على صعيدي النظرية والممارسة، على مقاربة الأمن وفق منظور بنائي: الأمن ظاهرة مبنية اجتماعياً وبيئانية. وانخرط في هذا المشروع عدد هائل من الباحثين المنتمين إلى مقاربات مختلفة، نقدية وبنائية خاصة، ما أثرى هذا الحقل الفرعي بفيض هائل من الأدبيات التي عمّقت النقاشات والإسهامات النظرية، لكن هذه الحركة المعرفية أفرزت أيضاً اختلافات كبيرة حول مفهوم الأمن داخل المقاربات وبينها⁽³⁾.

4 Steve Smith, "The Contested Concept of Security," in: Ken Booth (ed.), *Critical Security Studies and World Politics* (Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2005), p. 57.

5 Emmanuel Adler, "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics," *European Journal of International Relations*, vol. 3, no. 3 (September 1997), pp. 319-320.

6 Ted Hopf, "The Promise of Constructivism in International Relations," *International Security*, vol. 23, no. 1 (Summer 1998), p. 172.

يعزو هوف هذا الشك الواقعي إلى الاعتقاد الخاطئ أن البنائية بالضرورة ما بعد حداثية ومناوئة للوضعية؛ وأنها مترددة بشأن ما إذا كان في إمكانها الاندماج في مناهج العلوم الاجتماعية التي تعمل بها المقاربات السائدة من دون التضحية بتميزها النظري؛ وأنها نتيجة هذا التضارب، فشلت في تطوير برنامج بحثي بديل، ينظر: Ibid., p. 171.

7 Matt McDonald, "Constructivisms," in: Paul D. Williams & Matt McDonald (eds.), *Security Studies: An Introduction*, 4th ed. (London: Routledge, 2023), p. 53.

1 Milja Kurki & Colin Wight, "International Relations and Social Science," in: Tim Dunne, Milja Kurki & Steve Smith (eds.), *International Relations Theories: Discipline and Diversity*, 5th ed. (Oxford: Oxford University Press, 2021), p. 15.

2 Abdenour Benantar, *Sécurité et immigration: Réflexions sur les études (critiques) de sécurité et l'Ecole de Copenhague* (Oran: Editions Ibn Nadim, 2024), p. 9.

3 Ibid., pp. 9-11.

ثلاثة عقود ونيف على صدور مقال ونت⁽¹⁰⁾ التأسيسي والمرجعي عن الفوضى والبناء الاجتماعي للسياسة الدولية⁽¹¹⁾. وثانيتها أننا نستخدم البنائية بصيغة المفرد مجازاً، فثمة بنائيات عديدة. بيد أن هذا التنوع لا ينسحب على البنائية دون سواها، بل هو خاصة في مقاربات العلاقات الدولية، حتى تلك الأكثر اتساقاً، مثل الواقعية. ونستخدم صيغة المفرد، إذًا، مع الإبقاء في أذهاننا على سمة تنوع الروافد البنائية وتعددتها؛ روافد أحصتها مختلف التصنيفات، التي لا يتسع المقام هنا لذكرها ولا لمناقشتها، وإن كان التصنيف الأكثر شيوعاً هو ذلك الذي يميّز بين بنائية سائدة أو تقليدية (ونت أحد أبرز أقطابها) وبنائية نقدية⁽¹²⁾؛ تحظى الأولى بشعبية أكبر في الولايات المتحدة الأميركية، بينما تحظى الثانية بشعبية أوسع في أوروبا⁽¹³⁾.

أولاً: إسهامات البنائية في مراجعة مفاهيم مركزية

1. الأمن مبني اجتماعياً وبنائياً

قبل مناقشة مفهوم الأمن من منظور بنائي، يتعيّن اعتماد تعريف إجرائي يكون مدخلاً لمناقشة الإسهام البنائي في هذا الخصوص. عموماً، ثمة صفتان ملازمتان لمفهوم الأمن - لكن لا تنسحبان عليه دون سواه من المفاهيم - هما أنه "ملتبس ومتنازع عليه"⁽¹⁴⁾. فأرنولد والفرز اعتبره ملتبساً⁽¹⁵⁾، وباري بوزان وصفه بالمتنازع عليه⁽¹⁶⁾، مقتبساً عن والتر غالي مقولته الذائعة الصيت: "المفاهيم المتنازع على

تقدّم تفسيرات بديلة من تفسيرات المقاربات المهيمنة في العلاقات الدولية، فيما يتعلق بالفوضى، والتعاون، والمعضلة الأمنية، وتوازن التهديد، وميزان القوى والسلام الديمقراطي، بالاعتماد على أدواتها المفهومية الخاصة بها، لا سيما دور الهوية في السياستين الدولية والداخلية، ودور الثقافة في السياسة الدولية⁽⁸⁾. وعملت البنائية فعلاً على إظهار ذلك، إذ واجه تركيز المقاربات التقليدية على القوة والأمن في السياسة الدولية عموماً، والدراسات الأمنية خصوصاً، تحدياً كبيراً من المقاربات المستندة إلى العوامل المتعلقة بالأفكار، وخاصة البنائية التي تنطلق من مسلمة البناء الاجتماعي، مركزةً على الأفكار والمعايير المحددة بين ذاتياً، والهوية والبنى الاجتماعية وتأثيرها في سلوك الدول وهويتها ومصالحها. وتنطلق البنائية، في مراجعتها افتراضات المقاربات التقليدية، من فكرة مفادها أن الممارسات الاجتماعية تنتج كل هذه العوامل وتعيد إنتاجها⁽⁹⁾.

تحاول هذه الدراسة، لتفحص الإسهامات البنائية في الدراسات الأمنية، مناقشة الإشكالية التالية: إلى أيّ مدى راجعت البنائية افتراضات المقاربات التقليدية وساهمت في إثراء حقل الدراسات الأمنية؟ وتعتمد في ذلك فرضية مفادها أن البنائية لم تقدّم "نظرية للأمن"، لكنّ إسهاماتها في الدراسات الأمنية مهمة لأنها تمثل الرافد النظري الأساسي المشترك للمقاربات الأمنية الجديدة. ولمناقشة الإشكالية واختبار الفرضية، ينظر المبحث الأول من الدراسة في إسهامات البنائية بشأن مراجعة مفاهيم مركزية في الدراسات الأمنية، وتحديدًا الأمن والفوضى والمعضلة الأمنية. وإذا كان مفهوم الأمن عابراً للمقاربات، فإن الفوضى والمعضلة الأمنية مفهومان واقعيان بامتياز. أما المبحث الثاني فيحلّل الإسهامات البنائية على مستوى الإضافات النوعية التي أتت بها في موضوع الأمن، بالتركيز على مفاهيم تشكّل جوهر الترسنة المفهومية البنائية، وهي الهوية والمصالح والمعايير والبنية والفاعل، في علاقتها بالأمن. ثم تصل الدراسة في خاتمتها إلى استنتاج أساسي مفاده أن البنائية لم تقدّم نظرية في الأمن قائمة في حد ذاتها، بيد أن إسهاماتها المبتكرة وكونها مرجعية نظرية للمقاربات الأمنية الجديدة تؤكد وجود منظور بنائي للأمن في نظريات العلاقات الدولية.

يتعين مبدئياً توضيح مسألتين منهجيتين مهمتين. أولاهما أننا نركز في الأساس على بنائية ألكسندر ونت، ليس مبالاةً لهذا الرافد البنائي وإقصاءً لروافد أخرى، بل اتساقاً مع تصور ملف هذا العدد الخاص من دورية سياسات عربية الذي يناقش حال البنائية بعد مرور

10 ينظر، في هذا العدد، مقدمة المحرر. محمد حمشي، "تقديم: البنائية هي ما يصنعه البنائيون منها"، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس 2025).

11 Alexander Wendt, "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 2 (Spring 1992), pp. 391-425;

ينظر ترجمة المقال إلى اللغة العربية، في: ألكسندر ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: السياسة الدولية بوصفها بناءً اجتماعياً"، ترجمة سارة إسماعيل، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس 2025)، ص 123-152.

12 Benatar, pp. 75-76.

وينظر في هذا العدد: محمد حمشي، "البنائية في حقل العلاقات الدولية: المداير والمسالك"، سياسات عربية، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس 2025).

13 Jeffrey T. Checkel, "Social Constructivism in Global and European Politics: A Review Essay," *Review of International Studies*, vol. 30, no. 2 (April 2004), pp. 230-231.

14 Benatar, p. 111.

15 Arnold Wolfers, "'National Security' as an Ambiguous Symbol," *Political Science Quarterly*, vol. 67, no. 4 (December 1952), pp. 481-502.

16 Barry Buzan, *People, States and Fear: An Agenda for International Security Studies in the Post-Cold War Era*, 2nd ed. (New York: Harvester Wheatsheaf, 1991), p. 7.

8 Hopf, p. 172.

9 Theo Farrell, "Constructivist Security Studies: Portrait of a Research Program," *International Studies Review*, vol. 4, no. 1 (Spring 2002), p. 49.

إن تمييز والفرز بين البعدين الذاتي والموضوعي، الذي يهيكل الأمن وسياسة الأمن على حد سواء⁽²³⁾، تبناه بوزان ثم مدرسة كوبنهاغن، بتطبيق المسألة البنائية القائلة بالبناء الاجتماعي، وهي المسألة ذاتها التي تبنتها الدراسات الأمنية النقدية⁽²⁴⁾.

”

إن تمييز والفرز بين البعدين الذاتي والموضوعي، الذي يهيكل الأمن وسياسة الأمن على حد سواء، تبناه بوزان ثم مدرسة كوبنهاغن، بتطبيق المسألة البنائية القائلة بالبناء الاجتماعي، وهي المسألة ذاتها التي تبنتها الدراسات الأمنية النقدية

“

يُعدّ البناء الاجتماعي؛ أي إن الواقع مبني اجتماعيًا، ادعاءً مركزيًا لدى مختلف التيارات البنائية. فعلى نقيض الافتراض العقلاني (المستند إلى إستيمولوجيا وضعية) القائل إن العلاقات الدولية – والواقع الاجتماعي عمومًا – موجودة خارج أذهاننا؛ أي مستقلة عن الخطاب والتصورات، تحتاج البنائية بأن العالم مبني اجتماعيًا. ويرى نيكولاس أونوف (يعود إليه الفضل في إدخال البنائية إلى حقل العلاقات الدولية⁽²⁵⁾) أن "الناس يبنون أو يشكّلون دائماً الواقع"⁽²⁶⁾، مؤكداً أن "البنائية تعتبر أن الناس يصنعون المجتمع، والمجتمع يصنع الناس [...] ولطالما صنع الناس والمجتمع بعضهم بعضاً"⁽²⁷⁾. ووفق الرؤية البنائية، فإن ما هو محل رهان هو الواقع. وتجادل مايا زحفوس، في هذا الصدد، بأن الأمر يتعلق بكيفية تعاملنا بطريقة ملائمة مع وضعنا بالعلاقة بالواقع: نحن "أصلاً

جوهرها"⁽¹⁷⁾. تتعدد تعريفات الأمن بتعدد المقاربات والباحثين إلى درجة أنه يستحيل إحصاؤها؛ وحتى إن كان ذلك ممكناً، فلا طائل منها من ناحية القيمة المضافة لاستيعاب المفهوم؛ لأن الأخذ بتعدد التعاريف يقود بالضرورة إلى تجميع المفاهيم. والأصح منهجياً اعتماد تعريف إجرائي نتخذه أداة لفهم المفهوم وفحصه، وليس بوصفه تعريفاً جامعاً مانعاً، لأن هذا يتناقض وطبيعة العلوم الاجتماعية. بناء عليه، تنبئ تعريف والفرز بوصفه تعريفاً إجرائياً؛ وذلك لمسوغات منهجية وتحليلية، لا سيما أنه يميّز بين البعدين الذاتي والموضوعي للأمن، ما جعله يستبق إشكالية تثيرها المقاربات الأمنية الجديدة.

ثمة، عمومًا، نزعة نحو الإجماع في حقل العلاقات الدولية على التعريف الذي وضعه والفرز عام 1952: "بمعنى موضوعي، يقيس الأمن غياب التهديدات للقيم المركزية، وبمعنى ذاتي، يقيس غياب الخوف من تعرض مثل هذه القيم للهجوم"⁽¹⁸⁾.

يؤكد والفرز على أهمية التمييز بين الموضوعي والذاتي في العلاقات الدولية، لكنه يقرّ بصعوبة قياس التهديد في سياق العلاقات بين الدول؛ أي استحالة "قياس [خطر هجوم ما] موضوعيًا"، لأن الأمر يخضع دائماً لـ "تقييم ذاتي وتخمينات"⁽¹⁹⁾. ويقول تري بالزاك إن وجهة تعريف والفرز تكمن في استجابته لمستلزمات الدراسات الأمنية النقدية، بتغطيته ما تعتبره "مكونات أساسية للأمن، [أي] الطابع التاريخي للموضوع المرجعي وتشابك الخصائص الذاتية والموضوعية للأمن"⁽²⁰⁾. لكن التمييز بين البعدين الموضوعي والذاتي، على أهميته، يظل محدوداً، لأنه، كما يزعم ديدبي بيغو، غير كافٍ ليسمح بالتفكير في مسألة "البناء الاجتماعي للتهديد"⁽²¹⁾. وبغض النظر عن الملاحظات بشأن هذا التعريف⁽²²⁾، الذي يحظى بالإجماع في الحقل، فإنه يفيد في التمييز بين نوعي التهديدات عند تحليل الآثار الموضوعية المترتبة على تهديد ذاتي. وبتمييزه بين بعدي الأمن، الموضوعي والذاتي، يبدو والفرز بنائياً قبل الأوان.

17 W. B. Gallie, "Essentially Contested Concepts," *Proceedings of the Aristotelian Society*, vol. 56, no. 1 (March 1956), pp. 167-198;

وللاطلاع على مناقشة معنى المفهوم المتنازع عليه مع الإشارة إلى مفاهيم في العلاقات الدولية، ينظر: Benantar, pp. 111-113.

18 Wolfers, p. 485.

19 Ibid.

20 Thierry Balzacq, *Théories de la sécurité: Les approches critiques* (Paris: Presses de Sciences Po, 2016), pp. 54-55.

21 Didier Bigo, "L'Europe de la sécurité intérieure: Penser autrement la sécurité," in: Anne-Marie Le Gloannec (dir.), *Entre union et nations: L'état en Europe* (Paris: Presses de Sciences Po, 1998), pp. 66-67.

22 للاطلاع على مناقشة لهذا التعريف، ينظر: Benantar, pp. 108-111.

23 Jef Huysmans, *The Politics of Insecurity: Fear, Migration and Asylum in the EU* (London: Routledge, 2006), p. 3.

24 Benantar, pp. 119-140.

25 ينظر في هذا العدد، مقدمة المحرر: نيكولاس أونوف، "استهلال: ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقالة 'الفوضى هي ما تصنعه الدول منها؟'، سياسات عربية، مج 13، عدد 73 (آذار/ مارس 2025)، ص 28-21.

26 Nicholas Onuf, *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations* (London: Routledge, 2013 [1989]), p. 1.

27 Nicholas Onuf, "Constructivism: A User's Manual," in: Vendulak Kubáľková, Nicholas Onuf & Paul Kowert (eds.), *International Relations in a Constructed World* (London: Routledge, 2015 [1998]), p. 59.

لنظريات العلاقات الدولية السائدة عمومًا والدراسات الأمنية التقليدية خصوصًا، القائلة إنها مسلم بها؛ تقترح البنائية النقدية تصورات أشد نقدية ووضوحًا بشأن البناء الاجتماعي للأمن والأمن والتهديد⁽³²⁾. ترتكز يوتا والدز وزملاؤها، في كتابهم الجماعي، في الأساس، على المقاربة البنائية النقدية، حيث اعتمدوا "خطاب الأمن" موضوعًا للتحليل، محاولين فحص كيفية عمله، وذلك استنادًا إلى افتراض أساسي مفاده أن "الأمن بدل أن يكون طبيعيًا، فهو نتاج اجتماعي وثقافي". ويعني القول إن اللاأمن مبني اجتماعيًا أن الأفراد يتصرفون على أساس المعنى؛ أي، كما يقول ونت، يتصرفون حيال الأشياء والفاعلين الآخرين بناءً على المعاني التي يحملونها بالنسبة إليهم. فالبنائية تزعم أن العالم يتشكل جزئيًا من خلال ممارسات ذات مغزى بالنسبة إلى الفاعلين الاجتماعيين، وأن الناس يتصرفون وفقًا للمعاني التي تحملها الأشياء من منظورهم. وهذه المعاني ثقافية في الأساس، ومن ثم فهي اجتماعية. واللاأمن مبني أيضًا ثقافيًا واجتماعيًا، على غرار الأمن؛ فاللاأمن هو أيضًا نتاج عملية بناء الهوية التي من خلالها تشكل الأنا والآخر(ون). ومن ثم "فالهوية واللاأمن نتاج عملية تكوين متبادلة"⁽³³⁾.

وفي حين ينصبّ اهتمام البنائية التقليدية على إعادة النظر في مسلمات المقاربات الأمنية التقليدية، وليس على "الطعن فيها على نحو أساسي"، متطلعة إلى "برنامج بحثي محايد تحليليًا" يعمل بالافتراضات الأساسية لنظريات العلاقات الدولية السائدة عمومًا والدراسات الأمنية التقليدية خصوصًا، القائلة إنها مسلم بها؛ تقترح البنائية النقدية تصورات أشد نقدية ووضوحًا بشأن البناء الاجتماعي للأمن والأمن والتهديد

جزء من واقع لا يمكن وصفه أو فهمه إلا من خلال تفسيراتنا وبالعلاقة مع ممارساتنا، التي هي في الوقت ذاته تكوينية لهذا الواقع"⁽²⁸⁾.

بناءً على مسلمة البناء الاجتماعي، ليس الأمن، وفق المسلمة البنائية، والمقاربات الأمنية الجديدة، واقعًا موضوعيًا، بل هو بناء اجتماعي. ويقول، في هذا الخصوص، كارستن لاوستن وأول ويفر (من ممثلي مدرسة كوبنهاغن) إن "الأمن لا هو موضوعي (التهديدات نفسها)، ولا هو ذاتي (مسألة إدراك)، وإنما بينذاتي وسياسي: من يمكنه أن يقرّر ما الذي يُؤمن وبأي آثار؟"⁽²⁹⁾. تتبنى مدرسة كوبنهاغن، شأنها شأن الدراسات الأمنية النقدية، فكرة البنائية (وهي مركزية في عملية الأمننة) التي تشكل فكرة أساسية في التحليل البنائي للواقع الاجتماعي والأمن والفضوى.

يتجنب البنائيون تقديم تعريف شامل ومجرد للأمن، مفضلين التركيز على كيفية بناء المعنى الذي يضيفه مختلف الفاعلين على الأمن في فترات مختلفة⁽³⁰⁾. وفيما يتعلق بدراسة الأمن، تستند المقاربات البنائية "إلى افتراضين أساسيين. أولهما أن 'الأمن' و'اللاأمن' فئتان ترتبان على مجال الأنشطة البشرية ويطبّقان عليها؛ وثانيهما، أن العديد من المفاهيم والعمليات والديناميات (البناء الاجتماعي للواقع، والبنائية، وتكوين الهوية، والتنشئة الاجتماعية)، التي سبق أن حددها بيتر بيرغر وتوماس لوكمان في كتابهما، تنطبق على دراسة مختلف مجالات الحياة الاجتماعية ومنها الأمن. ويذهب المدافعون عن مقاربة نظرية بنائية في دراسة الأمن إلى أبعد من ذلك، إذ يجادلون بأن دراسة الأمن ليست مجرد مجال يمكن تطبيق رؤى البنائية الاجتماعية فيه، بل ينبغي تطبيقها فيه"، منتقدين تقليل المقاربات التقليدية لدراسة الأمن الدولي من أهمية البناء الاجتماعي أو تهميشها، بل إغفالها أهميتها الحاسمة⁽³¹⁾.

وفي حين ينصبّ اهتمام البنائية التقليدية على إعادة النظر في مسلمات المقاربات الأمنية التقليدية، وليس على "الطعن فيها على نحو أساسي"، متطلعة إلى "برنامج بحثي محايد تحليليًا" يعمل بالافتراضات الأساسية

28 Maja Zehfuss, *Constructivism in International Relations: The Politics of Reality* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), p. 255.

29 Carsten Bagge Laustsen & Ole Wæver, "In Defense of Religion: Sacred Referent Objects for Securitization," in: Pavlos Hatzopoulos & Fabio Petito (eds.), *Religion in International Relations: The Return from Exile* (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003), p. 150.

30 McDonald, p. 54.

31 Columba Peoples & Nick Vaughan-Williams, *Critical Security Studies: An Introduction*, 3rd ed. (London: Routledge, 2021), p. 19;

يحيل الباحثان هنا إلى كتاب بيرغر ولوكمان اللذين يقولان في مقدمتهما إن "الواقع مبني اجتماعيًا، وعلى سوسيولوجيا المعرفة أن تحلل العملية التي يجري من خلالها ذلك"، ينظر: Peter L. Berger & Thomas Luckman, *The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge* (London: Penguin Books, 1966), p. 13.

32 Peoples & Vaughan-Williams, pp. 17, 24;

وللاطلاع على مناقشة لمفهومي الأمن والأمن، ينظر: Benatar, pp. 127-128.

33 Jutta Weldes et al., "Introduction: Constructing Insecurity," in: Jutta Weldes et al. (eds.), *Cultures of Insecurity: States, Communities and the Production of Danger* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999), pp. 9-11, 13.

مثله مثل حديث نظرية اللعبة، محايد تحليليًا بين الصراع والتعاون"، وأن النظرية النقدية لا تتنبأ بالسلام. فالعرب لا تدحض النظرية النقدية أكثر مما لا يدحض السلام الواقعية. ويعزى هذا الالتباس إلى "الخلط بين الوصف والتفسير"⁽³⁹⁾. لا يهدف المشروع البنائي التقليدي، إذًا، إلى استبدال واقع السياسة الدولية بواقع آخر، بل "يسعى لاستكشاف كيفية تطور الواقع القائم". وفي المقابل، يعتبر بنائيون نقديون النظرية الاجتماعية أداةً لتفكيك المنظومة الاجتماعية القائمة بنقد عدم المساواة والظلم في السياسة الدولية. بيد أن الأمر ليس على هذه الدرجة من الوضوح؛ ذلك أن البنائيين التقليديين يقرّون بإمكانية وجود عوالم بديلة، بتبيانهم كيفية تشكل العمليات والفاعلين، في العلاقات الدولية. وفي الواقع، "يهتم البنائيون بالعالم الذي يعيشون فيه، ولا يُترجم ذلك إلى التزام بإعادة بنائه"⁽⁴⁰⁾.

تري البنائية النقدية أن الأمن ليس "ما تفعله" الدول أو نخبة الدولة فحسب، ولا ينبغي أن يُعتبر كذلك⁽⁴¹⁾. ولا يعني هذا الاهتمام فقط بفئات أخرى (الفرد والمجتمع وغيرهما) بوصفها موضوعًا مرجعيًا للأمن⁽⁴²⁾، على عكس تصور ونت المتمرّك على الدولة⁽⁴³⁾، بل الاهتمام أيضًا بمجالات أخرى غير سياسة الدولة. وبالنظر إلى السمة التكوينية للحس المشترك، يتعيّن، في رأي والدز، الاهتمام بالثقافة الشعبية⁽⁴⁴⁾، التي أصبحت موضوعًا بحثيًا قائمًا في حد ذاته في حقل العلاقات الدولية، في الأكاديمية الأميركية⁽⁴⁵⁾، لفهم السياسة العالمية. وتزعم والدز أن "دارسي العلاقات الدولية قلّمًا ينزلون من أعالي [برج] التفاعل بين الدول لتحليل الظروف الثقافية اليومية التي تجعل أعمالًا معيّنة للدولة ممكنة وحساسة بالنسبة إلى قطاع واسع من الجمهور، [لأن] هذه الظروف العادية هي جزء من الفعل الدولي". فمثلاً، من المهم بالنسبة إلى الفاعلين الرسميين الأميركيين أن يفسّروا ويحددوا السياسة العالمية على نحوٍ يجعلها معقولة ومقنعة من منظور قطاعات واسعة

تعدّ المعاني التي يضيفها الفاعلون على الأشياء حاسمة، لأنها هي التي تحدد تصرف الفاعلين حيالها. فمثلاً، لو طبقنا تحليل ونت، القائل إن الفاعلين يتصرفون حيال الأشياء على أساس المعاني التي يضيفونها عليها⁽³⁴⁾، على الإرهاب لقلنا إن الإرهاب ليس له معنى في حد ذاته، وإنما هو، بوصفه ظاهرة عنف سياسي، مرهون بالمعاني التي يضيفها عليه الفاعلون، الدول تحديدًا؛ ومن هنا، تأتي السمة المبنية والتوظيفية للإرهاب، بغضّ النظر عن حقيقته الميدانية⁽³⁵⁾.

يرى وليام كونولي أن ثمة علاقة وطيدة بين الهوية والاختلاف، إذ لا يمكن أن توجد الهوية إلا من خلال العلاقة بالاختلاف؛ وبهذا المعنى، فالاختلاف يتشكل بالعلاقة مع الهوية⁽³⁶⁾. وقد يصبح الاختلاف تهديدًا للهوية، ليس بسبب الأفعال التي قد يُقبل عليها الآخر، وإنما بسبب اعتبار الأنا حضوره أو وجوده، بوصفه آخر، قويًا. والافتراض البنائي، في هذا الصدد، هو أن الأمن نتاج عمليات ثقافية لبناء الهوية، لأن هويات الأنا والآخرين واللاأمن ليست معطاة، وإنما تنشأ من خلال عملية تمثّلات يصف من خلالها الأفراد (رجال الدولة، والقادة، وأعضاء الحركات القومية، ومستخدمو الإنترنت) أنفسهم والآخرين والعالم الذي يعيشون فيه. ويقتضي، في رأي والدز وزملائها، بناء "اللاأمن عملاً اجتماعيًا معتبرًا" من الإنتاج، وإعادة الإنتاج، وربما التحويل. و"يتعيّن على الخطابات السائدة أن تعيد إنتاج نفسها باستمرار، من أجل الاستجابة لتحديات بناءاتها للعالم وتحديدها لذلك اللاأمن الجدير بالاستجابة". ويعني هذا أن مسألة تحديد الأمن واللاأمن تتطلب "عملًا أيديولوجيًا معتبرًا". أما الخطاب، الذي يحتجّ على الخطاب المهيمن، فيحاول إعادة تصور اللاأمن على نحو يتحدى به التمثّلات السائدة⁽³⁷⁾. ويؤكد بيغو، في هذا الخصوص، أن الأمن محل عملية تعبئة ضخمة، بحيث تبني الوكالات المكلفة بالأمن "الموضوع الشرعي للأمن"، مكرّسة له الوقت والإمكانات، ما يسمح بحدوث مختلف عمليات الوسم السياسية (مثل التحكم في الهجرة ومحاربة الإرهاب وغير ذلك)⁽³⁸⁾.

وبغضّ النظر عن الخلط الذي يقع فيه واقعيون بعدم تمييزهم بين البنائية والنظرية النقدية، فهم يعتبرون البنائية معيارية وتسعى للسلام في السياسة الدولية. فمثلاً، يعتبر جون ميرشايمر النقاش بين الواقعية والنظريات النقدية نقاشًا بين نظريتي الحرب والسلام. وهذا ما يعتبره ونت "خطأً كبيرًا"، مؤكّدًا أن "حديث البناء الاجتماعي،

39 Alexander Wendt, "Constructing International Politics," *International Security*, vol. 20, no. 1 (Summer 1995), p. 76.

40 Farrell, p. 59.

41 Peoples & Vaughan-Williams, p. 26.

42 Benantar, pp. 9, 52, 69-73.

43 Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999), pp. 7-8.

44 Jutta Weldes, *Constructing National Interests: The United States and the Cuban Crisis* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999), p. 240.

45 تكشف الثقافة الشعبية عن المعايير الاجتماعية، والسياسات والهويات السائدة في مجتمع ما، وبوجه عام عن طريقة تمثيل العالم. وهذا ما يجعلها جديرة بالاهتمام بالنسبة إلى الدراسات الأمنية النقدية، ينظر:

Alex Macleod, "La culture populaire visuelle: Un espace à explorer pour les études critiques de sécurité," *Cultures & Conflits*, no. 102 (Été 2016), pp. 17-32.

34 Wendt, pp. 396-397.

35 Benantar, p. 134.

36 Weldes et al., p. 11.

37 Ibid., pp. 11-12, 14, 16.

38 Didier Bigo, "Sécurité et immigration: Vers une gouvernamentalité par l'inquiétude," *Cultures & Conflits*, no. 31-32 (Printemps-Été 1998), p. 27.

فإن تمثّلات الأمن تصبح من المصادر الأساسية للسلطة. ويعبّر ميشيل فوكو عن ذلك في حديثه عن المعرفة والسلطة اللتين تحيل إحداهما إلى الأخرى على نحو مباشر⁽⁵²⁾. وتقتبس والدز وزملاؤها جزءاً من فقرة فوكو ذات الصلة، والتي نقتبسها هنا من مصدرها الأصلي (الفرنسي): إذ يحاجّ بأن "السلطة تنتج المعرفة [...] وأن السلطة والمعرفة تستلزم إحداهما الأخرى على نحو مباشر؛ ولا توجد علاقة سلطة من دون تشكيل سببي لمجال معرفي، ولا توجد معرفة لا تفترض علاقات سلطة ولا تشكّلها في الوقت نفسه"⁽⁵³⁾. وقد انصبّ اهتمام بيغو، في إطار بنائته السوسيولوجية التي تصنّف أيضاً على أنها نقدية، على أهمية الوضع أو المكانة التي يحتلها المخاطب، وعلى التنافس بين الفاعلين داخل الحقول الاجتماعية وبينها، لا سيما حقل الأمن، حول تحديد المسائل الأمنية وشرعنتها، موظفاً تحليلات بورديو. فيقول بيغو إنه في حقل الـ(لا)أمن، "المسألة الأساسية لتعريف الأمن هي معرفة من" يملك السلطة Pouvoir الرمزية لتحديد ماهية التهديدات، وهذا ما يتطلب تجاوز الخطاب إلى الاهتمام بأصحابه ومكانتهم على مستوى السلطة، ومصالحهم في الحقل⁽⁵⁴⁾.

يوضّح بيغو هذه المسألة في خضمّ نقده لتصور ويفر للأمن، معتبراً أن أمنه مشكلة ما من طرف مخاطب يفتقد موقع سلطة (مواطن عادي، مناضل، رجل سياسي يتكلم باسمه الشخصي) لن يكون لها تأثير؛ وحتى تُؤتي هذه العملية أكلها، على المخاطب أن يحظى بمكانة سلطوية (نسبة إلى السلطة) معترف بها اجتماعياً (مثل وزراء الداخلية والدفاع والعدل، ومسؤولي الشرطة، والخبراء "المعترف بهم"، وغيرهم) في الحقل السياسي أو الحقل الأمني⁽⁵⁵⁾. بمعنى أن مفعول الخطاب مرهون بالمكانة التي يحتلها صاحبه في الحقل الاجتماعي المعني. وتستند بنائية بيغو السوسيولوجية إلى أربعة عناصر: 1. "التفاعل الخطابي"، 2. تموقع صاحب الخطاب من حيث السلطة، 3. منطق الحقل الذي يحدد الممكن وغير الممكن قوله، 3. ممارسات وكالات الأمن التي تجعل الأمن ما يصنعه المهنيون [مهنيو الأمن] منه"، باستعارة عبارة ونت⁽⁵⁶⁾ (الأمن هو ما تصنعه الدول منه).

من الشعب الأمريكي. وبناء عليه، لا يمكن حصر إعادة إنتاج الحس المشترك في الممارسات التمثيلية للفاعلين الدوليين، لأن التمثّلات "تندرج ضمن بناءات العالم وكيفية عملها"، وأن الإطار الذي تنتج فيه هذه التمثّلات هو الثقافة الشعبية والممارسات والمعاني المهيكلية للحياة اليومية. وتختتم والدز بالقول إن "الوقت، ربما، قد حان لنولي أفعال الفاعلين الدوليين اهتماماً أقل، ونهتم بالجماهير 'الصامتة' التي يدعي الفاعلون الدوليون التحدث باسمها"⁽⁴⁶⁾.

تهتم البنائية النقدية بالبناء البنيداتي لفهوم الحس العام بشأن العالم وبعملية التنشئة في الحياة اليومية؛ ومن هنا يأتي اهتمامها بالثقافة والثقافة الشعبية في دراسة الأمن. فغالباً ما يستند صناع القرار، في عملية البناء الاجتماعي وتحديد المصلحة القومية، والتهديدات المحدقة بالدول وبهويّتها، "إلى مجموعة واسعة من الموارد الثقافية لمحاولة تحديد طبيعة التهديد وموضوعه المرجعي"⁽⁴⁷⁾. كما تهتم البنائية أيضاً بالخطاب في دراسة الأمن⁽⁴⁸⁾. وتعدّ مدرسة كوبنهاغن، التي تتخذ من البنائية مرجعية نظرية رئيسة، أكثر تركيزاً على الخطاب، لكنها انتقدت بسبب تركيزها عليه؛ فمثلاً يعيب بيغو على مقاربة ويفر، التي تتعامل مع الأمن بوصفه فعلاً خطابياً Speech Act، بأنها "لسانية أكثر من اللازم وغير سوسيولوجية بما يكفي"؛ فهي لا تستوعب علاقات السيطرة ولا القدرات التي يمكن أن تشكّل، من خلال الخطاب، سلطة رمزية تحدد ماهية النظام⁽⁴⁹⁾. وبهذا يتبنّى بيغو تحليل بيير بورديو - صاحب السوسيولوجيا النقدية - وتأكيدَه على القصور في مقاربة أوستين⁽⁵⁰⁾ اللسانية، التي يعتمد عليها ويفر في بناء نظرية الأمن، معتبراً أن الملفوظ الأدائي Performative لن يكتب له النجاح إلا إذا كان صاحبه (المُخاطَب) يملك السلطة التي تخوّله النطق به؛ فالعامل الحاسم، إذًا، هو موقع المُخاطَب (من أين؟ وبأي صفة يتكلم؟) وليس الخطاب⁽⁵¹⁾.

تهتم البنائية بالخطابات الصادرة من مواقع السلطة، بطريقتين مهمتين على الأقل: أولاًهما أن ثمة خطابات أقوى من غيرها لوجودها في السلطة المؤسسية ولمشاركتها فيها، كما هو حال خطابات الدولة؛ وثانيتهما، بما أن الخطابات تحمل معها سلطة تحديد العالم وتشكيله،

52 Weldes et al., p. 17.

53 Michel Foucault, *Surveiller et punir* (Paris: Gallimard, 1993), p. 36.

54 Didier Bigo, "La mondialisation de l'(in)sécurité? Réflexions sur le champ des professionnels de la gestion des inquiétudes et analyse de la transnationalisation des processus d'(in)sécurisation," *Cultures & Conflits*, no. 58 (Été 2005), p. 89;

وعن السلطة الرمزية، ينظر: Bourdieu, pp. 201-211.

55 Bigo, "L'Europe de la sécurité intérieure," p. 70.

56 Bigo, "Sécurité et immigration," p. 38.

46 Weldes, pp. 240-241.

47 Peoples & Vaughan-Williams, pp. 27-28.

48 Weldes et al., p. 17.

49 Bigo, "L'Europe de la sécurité intérieure," p. 70.

50 J. L. Austin, *How to do Things with Words* (Oxford: Oxford University Press, 1962).

51 Pierre Bourdieu, *Langage et pouvoir symbolique* (Paris: Editions du Seuil, 2001), p. 165.

2. الفوضى هي ما تصنعه الدول منها

تقتضي مناقشة مفهوم المعضلة الأمنية مناقشة مفهوم الفوضى⁽⁵⁷⁾، الذي يعدّ مسلّمَةً أساسيةً متفقًا عليها في النظرية الواقعية بمختلف روافدها، لكنّ ثمة اختلافًا بين الواقعيين بشأن الهدف الأسمى في نظام دولي فوضوي البنية⁽⁵⁸⁾. تُعدّ الفوضى مفهومًا مركزيًا في الحقل، إلى درجة أنه يمكن دراسة تاريخ العلاقات الدولية من خلاله⁽⁵⁹⁾. ويُقصد بالفوضى Anarchy غياب سلطة تعلو سلطة الدول. ويرى كينيث والتز أن فوضى النظام الدولي، التي يترتب عليها العنف وانعدام النظام⁽⁶⁰⁾، تفرض منافسة بين الدول المنشغلة ببقائها وأمنها، زاعمًا أنه "بين الدول، حالة الطبيعة هي حالة الحرب، [ومن ثم فإن] الاعتماد على النفس Self-help هو بالضرورة مبدأ العمل في نظام فوضوي". ففي نظام الاعتماد على النفس، مخاوف الدول بشأن بقائها هي التي تحدد سلوكها. وبناءً عليه، فإن شغلها الشاغل هو الحفاظ على موقعها في النظام الدولي، وليس تعظيم قوّتها⁽⁶¹⁾.

يتقاسم الليبراليون الجدد المسلّمات الواقعية الجديدة ذاتها: مركزية الفاعل الدولي، والدول بوصفها فاعلاً وحدويًا وعقلانيًا يوجد في بيئة فوضوية. لكنّ الفوضى بالنسبة إليهم لا تؤدي حصرًا إلى منطق الاعتماد على النفس. وفي سياق النقاش بين الواقعيين الجدد والليبراليين الجدد، أقبل طرفًا النقاش على تنازل متبادل: أقر الليبراليون الجدد بفكرة "القوة السببية للبنية الفوضوية"، في مقابل إقرار الواقعيين الجدد بفكرة مفادها أن "العملية يمكن أن تولّد سلوكًا تعاونيًا" حتى في سياق الاعتماد على النفس⁽⁶²⁾. ويرى الواقعيون الجدد أن التعاون بين الدول ممكنٌ لخفض مخاطر اللامن وضمان مكاسب نسبية غير مطلقة لكل طرف، وأن السياق الفوضوي يمكن أن يكون أقلّ حدّةً لما يكون التنافس بين الدول محكومًا بآليات الأمن التعاوني التي تحدّ من الخداع وقلة الثقة والحسابات الخاطئة. ومن ثم، تحلّ الفوضى الناضجة محلّ الفوضى البحتة، وتكون فرص الحرب أقل. وقد نظّر جوزيف غريكو وتشارلز غلايزر لهذه الواقعية

الجديدة التعاونية التي تلتقي، في تحليلاتها، مع واقعية ليبرالية تستند خصوصًا إلى أفكار هيدلي بول الذي يرى أن الدول قادرة على تجاوز الفوضى بإقامة قواعد تسهّل التعايش وتردّد العدوان⁽⁶³⁾. ويتبنى باري بوزان فكرة الفوضى، مميّزًا بين ثلاثة أنواع: غير ناضجة، ووسطى، وناضجة⁽⁶⁴⁾. فمن الناحية التطبيقية، يبقى النموذج الأول مجردًا، بينما يتوافق النموذج الثاني وبنية العلاقات بين دول العالم عمومًا، وبنية العلاقات بين دول الجماعة الأمنية الأورو-أطلسية وبقية دول العالم، أما النموذج الثالث فينطبق على الجماعة الأمنية الأورو-أطلسية⁽⁶⁵⁾.

ترفض البنائية الفكرة العقلانية القائلة بأسبقية وجود الفوضى، والتي أصبحت مقرونة بعبارة ونت الشائعة: "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، فهي بينذاتية وغير موجودة بذاتها؛ وهي نتاج ممارسات الفاعلين. ومن ثم، فالفوضى، مثلها مثل سياسة الاعتماد على النفس، هي نتاج العمليات Porcesses التفاعلية، وليست نتاج البنية. فبخلاف الادّعاء الواقعي القائل إن الاعتماد على النفس خاصية للفوضى، يعزوه ونت إلى العملية لا إلى البنية: "لا يوجد 'منطق' للفوضى بمعزلٍ عن الممارسات التي تنشئ بنية معينة للمصالح والهويات وتجسدها دون غيرها. إن الاعتماد على النفس وسياسة القوة هما مؤسستان، وليساً سمتين أساسيتين للفوضى. إن الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"⁽⁶⁶⁾. عمليًا، يقرّ ونت بأن الفوضى بنية بينذاتية، سواء أقادت إلى الصراع أم إلى التعاون؛ ويتبنّى، كما قلنا، تحليل الواقعيين الجدد القائل إن الصراع ليس حتميًا وليس التفاعل الوحيد الممكن في سياق فوضوي. ومن ثم، فإن إضافة ونت النوعية تكمن في مقاربتة للفوضى بوصفها بنية بينذاتية من نتاج التفاعلات بين الدول، وليست معطاة مسبقًا.

من منظور بنائي، النظام الدولي، الذي يوصف عادة بأنه فوضوي لافتقاده حكومة مركزية، يبقى نظامًا تصنع قواعده الممارسة البشرية وتعيد إنتاجها. وهذه القواعد البنائية هي وحدها التي تضفي معنى على الممارسات الدولية، وليس الطبيعة البشرية أو الفوضى⁽⁶⁷⁾. وبشأن أهمية القواعد والتكوين المتبادل، يجادل أونوف بأن "الناس

57 للاطلاع على مناقشة موسّعة لهذا المفهوم في الفكر الواقعي، ينظر:

Barry Buzan, Charles Jones & Richard Little, *The Logic of Anarchy: Neorealism to Structural Realism* (New York: Columbia University Press, 1993).

58 عبد النور بن عنتر، "التسلح والمعضلة الأمنية في المنطقة المغاربية: التنافس الجزائري - المغربي"، *سياسات عربية*، مج 12، العدد 68 (أيار / مايو 2024)، ص 13.

59 Brian C. Schmidt, *The Political Discourse of Anarchy: A Disciplinary History of International Relations* (New York: State University of New York Press, 1998).

60 Kenneth N. Waltz, *Theory of International Politics* (Reading: Addison-Wesley, 1979), pp. 101, 114.

61 Ibid., pp. 102, 105, 111, 126.

62 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," pp. 391-392.

63 Charles-Philippe David, *La guerre et la paix: Approches contemporaines de la sécurité et de la stratégie* (Paris: Presses de Sciences Po, 2000), p. 40.

64 Buzan, pp. 21, 147-148, 175-179.

65 Benantar, p. 122.

66 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," pp. 394-396. (في التشديد في النص الأصلي)

67 Stefano Guzzini, "A Reconstruction of Constructivism in International Relations," *European Journal of International Relations*, vol. 6, no. 2 (June 2000), p. 155.

من تشابه موقعيهما 'البنويين' (75)؛ لأن الأولى حليفة في حين أن الثانية تمثل تهديداً، ويعود اختلاف وضعهما هذا إلى مفعول العوامل المتعلقة بالأفكار في السياسة الدولية (76). كما أن معنى الصواريخ البريطانية لدى الولايات المتحدة يختلف عن معنى الصواريخ السوفياتية. ومن ثم، يخلص ونت إلى القول إن "توزيع القوة قد يؤثر دائماً في حسابات الدول، ولكن كيفية التأثير تلك تعتمد على الفهم والتوقعات البينداتية، وعلى 'توزيع المعرفة' التي تشكل تصوراتها عن نفسها وعن الآخر" (77).

يُميز ونت بين ثلاث ثقافات للفوضى (عداوة، وتنافس، وصداقة): ثقافة هوبزية - نسبة إلى توماس هوبز - تنظر فيها الدولة إلى الأخرى على أنها عدو، وثقافة لوكية - نسبة إلى جون لوك - تنظر فيها الدولة إلى الأخرى على أنها منافس، وثقافة كانطية - نسبة إلى إيمانويل كانط - تعتبر فيها الدولة الأخرى صديقاً. وهما أنها أفكار متشاركة، تفضي هذه الثقافات إلى تشكيل هويات الدول ومصالحها، بحيث تختلف تصوراتها ومصالحها من ثقافة إلى أخرى؛ ما يفسر التغير في سلوكها بعضها حيال بعض، إذ يترتب على الانتقال من نموذج ثقافي - فوضوي إلى آخر ظهور أشكال جديدة من الهويات المتشاركة بين الدول، وهكذا دواليك (78).

في رأي ونت، الفكرة المتشاركة الوحيدة التي يمكن أن تكون مستقرة في حال الفوضى، في رأي الواقعيين، هي إمكانية نشوب حرب في أي وقت، ومن ثم فالصراع يكون بسبب العوامل المادية وليس الأفكار المتشاركة. أما هادلي بول، فيرى أن الانتقال من النظام الدولي إلى المجتمع الدولي مرهون بنمو المعرفة المتشاركة، فهو يربط، إذاً، على غرار الواقعيين، بين الفوضى الصراعية في النظام الدولي وحالة الطبيعة التي تغيب فيها الأفكار المتشاركة، كما يربط بين الفوضى التعاونية في المجتمع الدولي ووجود أفكار متشاركة بين الدول. وعلى الرغم من اتفاقهما على آفاق نشوء الأفكار المتشاركة في الفوضى، فإن الواقعيين والغروشين (نسبة إلى هيغو غروشيوس 1583-1645) يتفقون على أن "الأفكار المتشاركة مرتبطة بالتعاون". ومن ثم، فهم يقترحون "أنه في ظل غياب التعاون، فإن أي نظام Order قائم في النظام الدولي يجب أن يكون ناتجاً من عوامل مادية وليس ثقافية". ويعتبر ونت هذا مجحفاً في حق المثاليين الذين يرون أن "الأفكار المشتركة قد

يصنعون القواعد، والقواعد تصنع المجتمع، وقواعد المجتمع هي ما يجعل الناس يتصرفون على نحو معين" (68).

وفي قطعة مع تصور والتز البنوي، يتبنى ونت، إذاً، تصوراً يعطي الأولوية للعملية، التي تحدد، في رأيه، البنية المادية. وحتى إن كان تصوره يسير في اتجاه التصور الليبرالي (69)، فإن منطلقه مختلف: الفوضى غير موجودة بذاتها، وليس لها قدرة سببية بذاتها، بل، على العكس من ذلك، هي مرهونة بالتأويلات التي يضيفها عليها الفاعلون؛ ومن ثم، فهي مبنية اجتماعياً. وبناء عليه، يحاج ونت بأن الفوضى "مبنية اجتماعياً، ومن ثم يمكن أن تقود إلى سياسات تنافسية، كما إلى حالات يمكن أن تنشأ فيها بنى الهوية والمصالح" (70)، ملخصاً إياها في عبارته الذائعة الصيت: "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها". كما يجادل بأن "آثار الفوضى والبنية المادية مرهونة بما تريده الدول" (71)، ويوضح خلافه مع والتز في هذا الصدد قائلاً: "تقود الالتزامات المادية والفردية والتز إلى استنتاج أن الفوضى تجعل السياسة الدولية بالضرورة صراعية، وعالمياً قائماً على 'الاعتماد على النفس'. وتقودني الالتزامات المثالية والكلانية إلى الرأي القائل إن 'الفوضى هي ما تصنعه الدول منها' (72). ويتقاطع تصور ونت القائل إن الفوضى يمكن أن تفضي إلى سياسة تنافسية كما إلى وضعيات يمكن أن تنشأ فيها هويات ومصالح مع رؤية واقعيين جدد تبثوا تصوراً مخالفاً لرؤية والتز، مثل غلايزر (صاحب الواقعية البنوية البديلة) (73)، بيد أن ونت لا يرفض العناصر المادية، ولكنه ينتقد المكانة التي منحها إياها الواقعيون. فبينما يحدد الواقعيون الجدد البنية مادياً، يحددها البنائيون بينداتياً، من دون تجاهل الآثار المترتبة على القدرات المادية (74).

يقول ونت إن تصرف الدول تجاه الأعداء يختلف عن تصرفها حيال الأصدقاء، لأن الأعداء مصدر تهديد، خلاف الأصدقاء، مدعياً أن "الفوضى وتوزيع القوة لا يكفيان لتمييز الصديق من العدو. وتختلف دلالة القوة العسكرية الأميركية لدى كندا عنها لدى كوبا، على الرغم

68 Onuf, *World of our Making*, p. 66.

69 ينظر في هذا العدد: أونوف، ص 21-28.

70 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," pp. 394-396.

71 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 106.

(التشديد في النص الأصلي)

72 Ibid., p. 6.

73 Charles L. Glaser, "Realists as Optimists: Cooperation as Self-help," *International Security*, vol. 9, no. 3 (Winter 1994-1995), pp. 56, 60, 87.

74 Alexander Wendt, "Identity and Structural Change in International Politics," in: Yosef Lapid & Friedrich Kratochwil (eds.), *The Return of Culture and Identity in IR Theory* (Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1996), p. 54.

75 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," p. 397.

76 Ronald L. Jepperson, Alexander Wendt & Peter J. Katzenstein, "Norms, Identity, and Culture in National Security," in: Peter Katzenstein (ed.), *The Culture of National Security: Norms, Identity in World Politics* (New York: Columbia University Press, 1996), p. 34.

77 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," p. 397.

78 Wendt, *Social Theory of International Politics*, pp. 246-312.

وهكذا، قدّم ونت نقدًا بنائيًا لفكرة فوضوية بنية النظام الدولي، التي تقول بها العقلانية، بطيفها الواقعي الجديد والليبرالي الجديد؛ ما سمح بالتوصل إلى فكرة مفادها وجود معانٍ متعددة للفوضى لدى مختلف الفاعلين، وهي "معانٍ مبنية على ممارسات جماعاتهم البيزنطية وفهمها. وإذا كانت الفهم المتعددة للفوضى ممكنة، عندئذ يمكن أن يبدأ المرء في التنظير في المجالات المختلفة ومجالات القضايا في السياسة الدولية التي يفهمها الفاعلون على أنها أكثر أو أقل فوضوية"⁽⁸²⁾.

انخرط طرف ثالث في النقاش بشأن الفوضى، يتمثل في نظرية التعقد التي تطرح افتراض التعقد بديلاً من افتراض الفوضى في نظرية العلاقات الدولية⁽⁸³⁾، معتبرةً مفهوم الفوضى اختزالياً، ومنتقدةً العقلانية والبنائية على حد سواء؛ إذ تعيب على الأولى، التي تعتبر الفوضى "فرضية مؤسسة"، بينما السياسة الدولية دينامية ومعقدة، عجزها عن تفسير بعض نماذج التفاعلات التعاونية (التعاون على المدى البعيد، والاندماج الإقليمي، وغير ذلك) بين الدول وحتى بعض التفاعلات الصراعية. وتعيب على الثانية نقل التركيز من العوامل المنطوية ضمن البنية إلى تلك المنطوية ضمن الفاعلية Agency، في حين أن العوامل غير المادية تتحول، مع الوقت، إلى بنى تنبثق منها ظروف وقيود مماثلة لتلك التي تتولد عن البنى المادية⁽⁸⁴⁾. ويمكن ههنا قلب مثال ونت بشأن الأسلحة النووية لنبيّن أن العوامل غير المادية، لا سيما الهوية، تترتب عليها، مع مرور الزمن، قيود على السلوك الأمريكي حيال كوريا الشمالية مماثلة لتلك المترتبة على القيود المادية، علماً أن التهديد الكوري للأمن الأمريكي محدود جداً نظراً إلى الفارق الضخم بين قوة الطرفين التقليدية والنووية.

3. المعضلة الأمنية ليست متأصلة في الفوضى بل بنية اجتماعية مشكّلة

بالنظر إلى النقاشات النظرية والإمبريقية التي تثيرها المعضلة الأمنية Security Dilemma، يمكن اعتبارها مفهومًا "متنازعاً عليه"⁽⁸⁵⁾. وفكرة المعضلة الأمنية قديمة، كما يتضح من تفسير ثيوسيديديس للحروب الإغريقية: "إن القوة التي كان الأثينيون قد بلغوها والخوف

تشكّل صراعاً"، وفي حق الواقعيين الذين يرون أن "القوى المادية يمكن أن تفضي إلى التعاون". وخلاف ذلك، يزعم ونت أن العوامل المادية، مثلها مثل العوامل غير المادية، قد تحفز على الصراع كما التعاون، لأن المعرفة المشتركة لا تقتصر على التعاون: "يمكن أن تشكّل المعتقدات المشتركة حرب الجميع ضد الجميع الهوبزية أو السلام الدائم الكانطي. ومثل نظرية اللعبة عمومًا، فإن المعرفة المتشاركة ومختلف مظاهرها - المعايير والقواعد وغير ذلك - محايدة تحليليًا فيما يتعلق بالتعاون والصراع"⁽⁷⁹⁾. ويقول رونالد جبرسون وألكسندر ونت وبيتر كاتزنشتاين إن العوامل المادية يمكن أن "تقود أيضًا إلى التعاون"، لذا يتعين على أيّ نظرية للأمن القومي، سواء أكانت واقعية أم غير واقعية، أن تهتم بالتعاون والصراع على حد سواء⁽⁸⁰⁾.

”

وحين يقول ونت "إن الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، فذلك يعني أن ثمة العديد من المفهوم المختلفة للفوضى في العالم، وأن أفعال الدولة ينبغي أن تكون أشد تنوعاً من مجرد الاعتماد على النفس؛ أي إن قوة الممارسات هي ما يبقّي على المواقف المختلفة للفوضى، والمتجذرة في البنى الاجتماعية، على نحو يحول تقريباً دون تغييرها

”

وحين يقول ونت "إن الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، فذلك يعني أن ثمة العديد من المفهوم المختلفة للفوضى في العالم، وأن أفعال الدولة ينبغي أن تكون أشد تنوعاً من مجرد الاعتماد على النفس؛ أي إن قوة الممارسات هي ما يبقّي على المواقف المختلفة للفوضى، والمتجذرة في البنى الاجتماعية، على نحو يحول تقريباً دون تغييرها. ويكمن إسهام البنائية، في هذا الخصوص، في تقديمها إحاطة بشأن أمرين أساسيين: "كيف وأين يمكن أن يحدث التغيير؟"⁽⁸¹⁾.

82 Ibid., p. 174.

83 Dylan Kissane, *Beyond Anarchy: The Complex and Chaotic Dynamics of International Politics* (Stuttgart: Ibidem-Verlag Press, 2014), p. 23.

84 محمد حمشي، مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 234-235.

85 Paul Roe, *Ethnic Violence and Societal Security Dilemma* (London: Routledge, 2005), p. 8.

79 Ibid., pp. 160, 252-253.

يرى ونت بشأن المعرفة أن "مفهوم المعرفة المشتركة يعادل مفهوم 'الفهم البيزنطية' الذي يحثّه البنائيون"، ينظر: Ibid., p. 160.

80 Jepperson, Wendt & Katzenstein, p. 39.

81 Hopf, p. 180.

لتأكيد فناعة الدولة الأولى بأن تخوفها كان في محله⁽⁹²⁾. فالعلاقة بين الفوضى والمعضلة الأمنية علاقة تفاعل وتأثر و(إعادة) إنتاج متبادل؛ تولّد الفوضى المعضلة الأمنية التي تنتج وتخذي، أيضًا، الفوضى⁽⁹³⁾.

تكمّن أهمية اعتماد مفهوم المعضلة الأمنية الواقعي - على الرغم من الانتقادات الموجهة إليه⁽⁹⁴⁾ - في استناده إلى ركيزتين: مادية، أي الإمكانات العسكرية؛ وغير مادية، أي المدركات، ومن ثم مسألة التأويل. ومن المنطقي، إذًا، أن يمتد نقد البنائية للفوضى إلى المعضلة الأمنية بدحض التصور الواقعي (الجديد)⁽⁹⁵⁾ القائل إن المعضلة الأمنية متأصلة في بنية النظام الدولي الفوضوية⁽⁹⁶⁾. ويزعم ونت أنه لا يمكن فهم المعضلة الأمنية حقًا، والتي لا تزال في صميم المقاربات التقليدية، إلا من خلال إطار التحليل البنائي⁽⁹⁷⁾. فهو لا يعتبرها متأصلة في الفوضى، بل بنية اجتماعية مشكّلة من الفهم البنائية التي تكون فيها الدول غير واثقة ببعضها البعض إلى درجة افتراضها الأسوأ فيما يتعلق بنبات الدول الأخرى. ومن ثم، تحدّد مصالحها على أساس الاعتماد على النفس، الذي هو أصلًا نتاج الممارسات الاجتماعية. وبناءً عليه، فالتغير في الممارسات يؤدي إلى التغير في المعرفة البنائية التي تشكّل النظام الدولي⁽⁹⁸⁾. ويؤكد ونت، عند مناقشته خصائص البنى الاجتماعية أو عناصرها (المعرفة المشتركة، والموارد المادية، والممارسات) أن الفهم المشتركة والتوقعات أو المعرفة هي التي تحدّد، جزئيًا، البنى الاجتماعية، وهي تشكّل الفاعلين وطبيعة علاقاتهم، سواء أكانت تعاونية أم صراعية. ضاربًا المثل بالمعضلة الأمنية بوصفها نتاج الممارسات⁽⁹⁹⁾. وحتى إذا كان ونت يقبل بفكرة وجود معضلات أمنية بين الدول كما يقرّ بأهمية العوامل المادية، فإنه لا يمنحها الأولوية في عملية التشكيل/ التكوين.

تتفق الدراسات الأمنية النقدية مع تصور ونت البنائي القائل إن التغير في الممارسات يقود إلى التغير في المعرفة البنائية التي تشكّل

الذي كانوا يثرونه في نفوس الإسبارطيين أرغمهم على الحرب⁽⁸⁶⁾. ويمكن اعتبار هوبز أول من وضع تعريفًا للمعضلة الأمنية: "بسبب عدم ثقة الواحد بالآخر، لا سبيل لأيّ إنسان إلى أن يأمن على نفسه على نحو معقول بما فيه الكفاية إلا بالاستباق؛ أي بالقوة أو بالحيلة للتسلط على الناس جميعًا ما استطاع، حتى لا يرى قوة أخرى كبرى بما يكفي لتعرّضه للخطر [...]، وأيضًا لأنّ ثمة من يستمتعون بالتأمل في قوتهم بأعمال الغزو فيسعون له إلى أبعد مما يقتضيه أمنهم، وإذا كان الآخرون، الذين سيسعدهم، بخلاف ذلك، أن يكونوا مرتاحين في حدود متواضعة وألا يزيدوا قوتهم بالغزو، فإنهم لن يكونوا قادرين على البقاء طويلًا بالاعتماد على دفاعهم فقط"⁽⁸⁷⁾. لكن جون هيرتز هو أول من سكّه بوصفه مفهومًا، حين أشار إلى أن الدول، في سياق فوضوي، ولحماية نفسها تحسبًا لأيّ هجوم، تسعى لحيازة المزيد من القوة، ما يجعل دولًا أخرى تشعر همزٍ من اللاأمن فتستعد، مرغمًا للأسوأ. وبما أنه لا يمكن أن تشعر أيّ دولة بالأمن التام في عالم يتسم بالتنافس بين وحداته، فإن هذا الوضع يفضي إلى حلقة مفرغة من مراكمة الأمن والقوة⁽⁸⁸⁾، وفي النتيجة إلى دوامة الفعل ورد الفعل، ما يجعل احتمال اندلاع الحرب واردةً على الدوام⁽⁸⁹⁾. ولا يمكن، إذًا، أن تتخذ الدول بسهولة إجراءات لتعزيز أمنها من دون أن تجعل الدول الأخرى تشعر بأمن أقل. وبما أن الإمكانات العسكرية قد تستخدم للدفاع كما للهجوم، فمن الصعب على الدول التمييز بين الإجراءات التي تتخذها الدول الأخرى للدفاع عن نفسها، وتلك التي تتخذها للاعتداء على الآخرين⁽⁹⁰⁾.

يعزو الواقعيون المعضلة الأمنية إلى بنية النظام الدولي الفوضوية⁽⁹¹⁾. ففي بيئة فوضوية، يقول والتز، "ما هو مصدر راحة بالنسبة إلى إحدى الدول، هو مصدر توجّس بالنسبة إلى الأخرى، وبناءً عليه فالدولة التي تراكم وسائل الحرب، حتى لو كان ذلك لدفاعها الخاص، تعتبرها دول أخرى تهديدًا يقتضي الرد. وهذا الرد في حد ذاته يُستخدم حينئذ

92 Kenneth N. Waltz, "The Origin of War in Neorealist Theory," *Journal of Interdisciplinary History*, vol. 18, no. 4 (Spring 1988), p. 619.

93 عبد النور بن عتر، "التسلح والمعضلة الأمنية"، ص 14.

94 من منظور الدراسات الأمنية النقدية، المعضلة الأمنية ظاهرة مهمة في العلاقات بين الدول، لكنها تبقى نتاج ممارسات الفاعلين. ينظر: Ken Booth, "Security and Self: Reflections of Fallen Realist," in: Keith Krause & Michael C. Williams (eds.), *Critical Security Studies: Concepts and Cases* (London: UCL Press, 1997), p. 108.

95 بن عتر، "التسلح والمعضلة الأمنية"، ص 14.

96 Herz, p. 157; Waltz, "The Origin of War in Neorealist Theory," p. 619.

97 Peoples & Vaughan-Williams, p. 20.

98 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," p. 407; Wendt, "Constructing International Politics," p. 73.

99 Wendt, "Constructing International Politics," pp. 73, 77.

86 Thucydide, *Histoire de la guerre du Péloponnèse*, tome 1, Jean Voilquin (trad.), Jean Capelle (notes) (Paris: GF-Flammarion, 1966), p. 43.

87 Thomas Hobbes, *Leviathan* (Oxford: The Clarendon Press, 1909), p. 95.

88 John H. Herz, "Idealist Internationalism and the Security Dilemma," *World Politics*, vol. 2, no. 2 (January 1950), p. 157.

89 حمشي، ص 297.

90 Barry Buzan & Eric Herring, *The Arms Dynamic in World Politics* (London: Lynne Rienner Publishers, 1998), p. 85.

91 Herz, pp. 157-180; Robert Jervis, "Cooperation under the Security Dilemma," *World Politics*, vol. 30, no. 2 (January 1978), pp. 167-214;

عن مراجعة تحليلية لمفهوم المعضلة الأمنية، ينظر:

Charles L. Glaser, "Security Dilemma Revisited," *World Politics*, vol. 50, no. 1 (October 1997), pp. 171-201.

بنى اجتماعية دائمة نسبيًا على أساسها نحدد هوياتنا ومصالحنا⁽¹⁰⁶⁾؛ ما يمكن إعادة تحديد الهويات والمصالح من المساعدة في الخلاص من المعضلة الأمنية. وهنا يمكن أن نستعر فكرة ونت، لنقول إن المعضلة الأمنية هي ما تصنعه الدول منها. أما الدراسات الأمنية النقدية، التي تعتبر هي الأخرى المعضلة الأمنية نتاج الممارسات الاجتماعية، فتقول بإمكانية تجاوزها؛ إذ يرى بوث أن "المعضلة الأمنية ليست قدرًا محتومًا"، بل يمكن تجاوزها بـ "خلق الظروف السياسية للثقة (بالخصوص في شكل جماعات أمنية)"⁽¹⁰⁷⁾.

وإذا كان ونت، الذي يتبنى مفاهيم واقعية مركزية مثل الفوضى والمعضلة الأمنية، يتعامل معها من منطلقات مغايرة، فإن بنائين آخرين يشككون في الجدوى التحليلية للمعضلة الأمنية، مثل هوف الذي يقول: "بما أن الهويات والمعايير والممارسات الاجتماعية تقلل من اللاتيقين، فإن المعضلة الأمنية لا ينبغي أن تكون نقطة الانطلاق لتحليل العلاقات بين الدول"⁽¹⁰⁸⁾. وخلقًا للدعاء الواقعي القائل إن المعضلة الأمنية نتاج اللاتيقين وعدم الثقة بنيات الآخرين، يقول البنائي هوف إنه مهما كانت أهمية المعضلة الأمنية لفهم العلاقات الصراعية بين الدول، فليس ثمة أدلة كثيرة على المعضلات الأمنية بين دول أو مجموعات دول: دول أعضاء في التحالف نفسه، ودول أعضاء في هيئة اقتصادية، وربما دولتان مسالمتان أو دولتان محايدتان، وما إلى ذلك. وعلى خلاف الواقعيين، يقول هوف بإمكانية التعامل مع اللاتيقين، في السياسة الدولية، بوصفه متغيرًا وليس ثابتًا. وفي هذا السياق، "يمكن أن توفر البنائية فهمًا لما يحدث في أغلب الأوقات في العلاقات بين الدول. فتوفير المعنى، تقلل الهويات من اللاتيقين، لأن الدول تفهم بعضها بعضًا بأشكال مختلفة؛ فمثلاً، كان للقدرات السوفياتية والفرنسية معنى مختلف بالنسبة إلى بريطانيا". ويؤكد هوف هنا على نقطة مهمة: اليقين ليس دائمًا مصدرًا للأمن؛ فمعرفة دولة أن دولة أخرى معتدية لا يحل في الحقيقة المعضلة الأمنية، بل يستبدلها فقط "بنوع من اللأمن"، إذ تكون على يقين بأن الدولة الأخرى مهددة لها بالفعل. وبناء عليه، يرى هوف أن مهمة البنائية تتمثل في "إبراز السياق" الذي يجعل اللاتيقين متغيرًا يتعين فهمه، بدل ثابت يتعين افتراضه⁽¹⁰⁹⁾.

ثمة نقطة أخرى ينبغي الإشارة إليها، وهي أن السمة الصراعية في العلاقات بين الدول ليست بالضرورة نتاج المعضلة الأمنية، إذ لا يمكن اختزال الصراعات في مجرد سوء التفاهم، الناتج من الارتباك والشك

النظام، حيث تعتبر، هي الأخرى، المعضلة الأمنية نتاج ممارسات الفاعلين⁽¹⁰⁰⁾. وفي هذا الشأن، يتوافق تحليل كان بوث (أبرز ممثلي مدرسة آبرستويث للدراسات الأمنية النقدية) للمعضلة الأمنية وتحليل ونت (البنائية التقليدية) للفوضى والمعضلة الأمنية؛ فهما يتقاسمان الافتراض ذاته الذي مؤداه أن ثمة ممارسات اجتماعية أخرى يمكن أن تحفز التعاون بين الدول⁽¹⁰¹⁾. بمعنى أن الممارسات الاجتماعية قد تفضي إلى الصراع تمامًا كما تفضي إلى التعاون.

ما الخلاص من المعضلة الأمنية؟ ثمة اختلاف في الرؤى بين الواقعيين. يقول والتز إن الدول محكوم عليها بالعيش مع المعضلة الأمنية - المترتبة على أوضاعها، وليس على إراداتها، التي لا يمكن حلها، وإنما التعامل معها⁽¹⁰²⁾. ويشاطره ميرشايمر الرأي مدعيًا أنه لا سبيل لتحسين المعضلة الأمنية طالما أن الدول تعيش في سياق فوضوي⁽¹⁰³⁾. في حين سبق لوالفرز أن جادل بأن المخرج يكمن في ضبط النفس، فقال إن "الرغبة في الإفلات من هذه الحلقة المفرغة [المعضلة الأمنية] تفترض الكثير من تمالك النفس والاعتدال لا سيما في اختيار مستوى المستهدف"⁽¹⁰⁴⁾، خاصة أن المسألة تبقى حبيسة التأويل؛ تأويل الإشارات بمنحها مضمونًا عدائيًا أو غير عدائي. لكن المشكلة ليست دائمًا في التأويل في حد ذاته، وإنما في السياق. فمثلاً، في سياق عادي لا تنظر الدولة إلى مناورات عسكرية على مقربة من حدودها، بغض النظر عن حجمها، على أنها تحضير لعمل عدائي من طرف الدولة المجاورة، لكن لو أجريت المناورات نفسها في سياق يتسم بالتوتر في العلاقة الثنائية لاختل تأويلها لتلك المناورات.

أما البنائية فترى، خلقًا للتصور الحتمي للواقعية الجديدة، أن ثمة مخرجًا من المعضلة الأمنية، مطبقةً عليها تحليلها للفوضى نفسه: بما أن المعضلة الأمنية نتاج ممارسات اجتماعية، فإن التغير في الممارسات يؤدي إلى التغير في المعرفة البنائية المشكّلة للنظام الدولي⁽¹⁰⁵⁾. ويزعم ونت أن الهويات والمصالح عرضة للتغير من خلال فهم جديدة، ما يجعل المعضلة الأمنية غير حتمية. ومن ثم، فإن افتراض الأسوأ بشأن نيّات الآخرين ليس أمرًا لا مفر منه، خلقًا لما يدّعيه الواقعيون؛ ذلك أننا "من خلال التفاعل الاجتماعي [...] نخلق وننشئ

100 Booth, "Security and Self," p. 108.

101 Benantar, pp. 126-127.

102 Waltz, *Theory of International Politics*, p. 187.

103 John J. Mearsheimer, *The Tragedy of Great Powers Politics* (New York: W.W. Norton & Company, 2001), p. 53.

104 Wolfers, p. 495.

105 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," p. 407; Wendt, "Constructing International Politics," p. 73.

106 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," pp. 404, 406.

107 Ken Booth, *Theory of World Security* (Cambridge: Cambridge University Press, 2012), p. 430.

108 Hopf, p. 199.

109 Ibid., p. 188.

الضابطة Regulative والتكوينية Constitutive: الأولى ذات طبيعة أمرة وإكراهية في علاقتها بالسلوك، بينما الثانية ذات طبيعة تكوينية، تشكل فاعلين أو مصالح أو فئات أفعال جديدة⁽¹¹⁶⁾. وتأتي الطبيعة السببية للمعايير من وظيفتها الضابطة للسلوك⁽¹¹⁷⁾.

في رأي البنائية، المعايير متغيرة، ومن ثم يمكن أن تؤثر في مصالح الدول بتغييرها وإنشاء مصالح جديدة. وفي هذا، ترى فينمور أن "السياق المعياري" بالغ الأهمية لأنه هو الذي يحدد تصورات المصالح⁽¹¹⁸⁾، وأن البحث في المصالح، التي هي بينداتية، يقتضي مقاربات مختلفة منها تلك التي تركز على المعايير الدولية وكيفية هيكلتها المصالح، معتبرة أن مقارنة المعايير هذه تلقي الضوء على كيفية تغير المصالح. وبناء عليه، تخلص فينمور إلى القول: "بما أن المعايير مبنية اجتماعيًا، فهي تتطور وفق التغيرات في التفاعل الاجتماعي. يشكل فهم هذا التطور المعياري والمصالح المتغيرة الذي يخلقها محور تركيز رئيساً لأي برنامج بحث بنائي"⁽¹¹⁹⁾.

تحتل الشرعية مكانة مركزية في المعايير، بحيث تميزها من القوة. فخلافاً الأخيرة، تسعى المعايير، على الرغم من سمتها الإكراهية، إلى رضا الفاعلين وما يترتب عليه من قابلية المحاجة بتلك المعايير في حقهم. ومن ثم، ما يميز المعايير من القوة يكمن في درجة شرعيتها أكثر مما يكمن في درجة قدرتها على الإكراه⁽¹²⁰⁾. وقد بينت أهمية الشرعية وما يترتب عليها في عملية تدويع المعايير كما يلي: "إن القول بأن المعيار شرعي يعني أن الفاعل يقبل تماماً ادعاءاته على نفسه، وهو ما يعني تبني الدور الذي تم وضعه فيه ذاتياً من قبل الآخر المعمم"⁽¹²¹⁾. أما بشأن تبني المعايير، فتحدد فينمور وسيكينك ثلاث مراحل: الانبثاق، والانتشار/ القبول، والتدويع⁽¹²²⁾. وفيما يتعلق بتدويع المعايير، يقترح ونت ثلاثة أنماط تتوافق ومنظورات العلاقات الدولية الرئيسية: القوة أو الإكراه في الحالة الأولى (منظور واقعي)، والمصلحة في الحالة الثانية (منظور ليبرالي)، والشرعية في الحالة الثالثة (منظور بنائي). في النمط الأول، الذي يكون فيه الانصياع للمعايير قسرياً، لا يترتب على قبول المعايير تأثير في هوية الفاعل أو طريقة

المبادلة. وفي النتيجة، فإن القول إن كل صراع هو نتاج المعضلة الأمنية يعني أن كل صراع غير عقلاني ونتاج من سوء تفاهم⁽¹¹⁰⁾. فثمة الكثير من الصراعات في العالم لا يمكن اختزالها في المعضلة الأمنية.

ثانياً: إسهامات/ إضافات بنائية بشأن الأمن

1. المعايير وتأثيرها في سلوك الدول ومصالحها

على الرغم من اهتمام الليبراليين بالمعايير ومناقشتهم لها، فإن البنائيين هم من طوروا هذا المفهوم في نظرية العلاقات الدولية، معتبرين إياها نتاج عملية بينداتية، ومن ثم فهي لا تشكل في فراغ، بل هي تطويرية؛ يصوغها الفاعلون الاجتماعيون ويعيدون إنتاجها ويشرعونها، وهنا تكمن أهميتها في فهم الهويات وتفسيرها وتطور المعايير في المجتمعات وبينها⁽¹¹¹⁾. وثمة علاقة وطيدة بين المعايير والمنظومات الدولية Regimes، لأن الأخيرة نتاج معايير، لكن يمكنها أيضاً، مع مرور الوقت، أن تسهم في إنتاجها⁽¹¹²⁾. وتعرف مارثا فينمور وكاثرين سيكينك المعايير بأنها "مقياس السلوك الملأئم بالنسبة إلى الفاعلين من ذوي هوية معينة". وبما أن المعايير تحيل إلى "مقاييس السلوك الملأئم أو الصحيح"، فإن الأبعاد البينداتية والتطويرية حاضرة في كل نقاش بشأنها⁽¹¹³⁾. وخلاف الأفكار، التي ليست لها بالضرورة تبعات على السلوك، فإن "المعايير متشاركة واجتماعية؛ فهي ليست ذاتية فحسب، بل بينداتية [و] تخص تحديد السلوك"⁽¹¹⁴⁾. فالمعايير تصف، إذًا، "التوقعات الجماعية بشأن سلوك الفاعلين الملأئم من ذوي هوية معينة"⁽¹¹⁵⁾. وثمة نوعان من المعايير:

110 Stefano Guzzini & Sten Rynning, "Réalisme et analyse de la politique étrangère," in: Frédéric Charillon (dir.), *Politique étrangère: Nouveaux regards* (Paris: Presses de Sciences Po, 2002), p. 45.

111 Audie Klotz & Cecelia Lynch, "Le constructivisme dans la théorie des relations internationales," *Critique internationale*, vol. 2, no. 1 (Hiver 1999), pp. 58, 60.

112 Robert Axelrod & Robert O. Keohane, "Achieving Cooperation Under Anarchy: Strategies and Institutions," *World Politics*, vol. 38, no. 1 (October 1985), p. 250.

113 Martha Finnemore & Kathryn Sikkink, "International Norm Dynamics and Political Change," *International Organization*, vol. 52, no. 4 (Autumn 1998), p. 891.

114 Martha Finnemore, *National Interest in International Society* (Ithaca: Cornell University Press, 1996), p. 22.

115 Peter J. Katzenstein, "Introduction: Alternative Perspective on National Security," in: Katzenstein (ed.), p. 5.

116 Finnemore & Sikkink, p. 891.

117 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 82.

118 Martha Finnemore, "Constructing Norms of Humanitarian Intervention," in: Katzenstein (ed.), pp. 154, 157.

119 Ibid., p. 157.

120 Laïdi Zaki, "L'Europe, puissance normative internationale," in: Renaud Dehousse (dir.), *Politiques européennes* (Paris: Presses de Sciences Po, 2009), p. 227.

121 Wendt, *Social Theory of International Politics*, pp. 272-273.

122 Finnemore & Sikkink, p. 895.

ثمة زاوية مئة في التحليل البنائي للمعايير، وهي علاقتها بالقوة، أو ما يمكن أن نعبر عنه بالتعارض بين قوة المعايير ومعايير القوة، لأن وضع المعايير وتطبيقها في السياسة الدولية كانا ولا يزالان رهان قوة: تتطور عملية ضبط سلوك الدول والتصورات والأفكار التي تسعى دول لتدوينها من قبل غيرها في سياق علاقات قوى. ولا غرابة، إذًا، في أن تكون معظم المعايير الدولية نتاج الفاعلين الأشد نفوذًا عالميًا وذلك وفقًا لمصالحهم، ما يدل على أهمية علاقات القوة في وضع المعايير والعمل بها أو مراجعتها. لذا، فالقوى المهيمنة تصقل المعايير الدولية، لكنها لا تتردد في التنصل منها وانتهاكها إذا رأت أن مصالحها تقتضي ذلك، متحوّلةً من عملية بناء المعايير والدفاع عنها إلى عملية "مراجعة المعايير". كما أن الدول تسعى قدر الإمكان للمشاركة في وضع المعايير حتى لا تُبنى في غيابها و/أو على حسابها. وفضلاً عن ذلك، لا تحدد المعايير سلوك الدول والفاعلين الاجتماعيين عمومًا إلا إذا تقيّدوا بها. فالدول توظفها على صعيدين: إنها تقبل بها من دون أن تتقيد بها حتى لا تُتهم بعرقلة المنظومة المعيارية الدولية أو إجهاضها؛ وحين تقبل بها وتتقيد بها، لا تتردد في توظيفها و/أو انتهاكها وفقًا لمصالحها. فثمة قوى كبرى، لا سيما الولايات المتحدة، تؤدي دورًا أساسيًا في بناء المعايير الدولية، لكنها لا تتردد في انتهاكها. فالقوى الكبرى التي لها الفضل في بناء المعايير ونشرها وتبنيها دوليًا تنخرط أيضًا في مراجعة المعايير، مقوّضةً المنظومة المعيارية الدولية التي وضعتها، أو شاركت في وضعها إلى جانب غيرها، أو كانت من وضع غيرها⁽¹²⁸⁾.

2. الهوية والمصالح والأمن

إذا كانت معظم المقاربات، في حقل العلاقات الدولية، تتفق اليوم على أهمية الهوية بوصفها أداة لفهم الأمن والسياسة الأمنية، فإنها تختلف بشأن المضامين المفهومية للهوية وتفسيرات آثارها في سلوك الدول. ومع ذلك، يمكن تمييز ثلاثة تصورات أساسية بشأن العلاقة بين الهوية الوطنية والأمن. تتبنى المقاربة العقلانية "تصورًا جوهريًا للهوية" مفاده أن الهوية مرتبطة في الأساس بالدولة، ويُنظر إليها بوصفها "معطى ثابتًا، وطبيعيًا، ووحديًا، ومميزًا، وساكًا". وعلى نقيض هذا التصور، تتبنى المقاربتان الثانية والثالثة تصورًا مفاده أن الهوية مبنية اجتماعيًا وتاريخيًا، وتتعيّن دراستها بطريقة علمية. وتلتقي هاتان المقاربتان في "المنعطف البنائي" لنظريات العلاقات الدولية، لكنهما تختلفان في تفسيرهما للهوية. فمن جهة، ثمة البنائية التقليدية التي تنظر إلى "الهوية بوصفها معطى ثابتًا نسبيًا، وإن كانت عرضة للتغيير"، ومن جهة أخرى، ثمة "النظريات

تعريف نفسه بالعلاقة مع الآخرين. وفي النمط الثاني، الذي يكون فيه العمل بالمعايير تحكمه اعتبارات مصلحة، يتعرض سلوك الفاعل لتغير طفيف لحصوله على مزايا أو مكاسب لكن الفاعل، مع ذلك، لا يعيد تعريف هويته ولا علاقته بالمجموعة المنخرطة في عملية التدوين ذاتها. بينما في النمط الثالث، الذي يعتقد فيه الفاعل أن المعايير شرعية، تنشأ عملية تعريف الهوية بالعلاقة مع المجموعة، ما يؤثر في الطريقة التي يحدد بها الفاعل هويته⁽¹²³⁾. ويشير ونت إلى أنه إذا كانت المعايير غير مذوتة، فإن الناس يتبنون حيالها موقفًا توظيفيًا، حيث يمكن أن يتماشوا مع المجموعة، لكن على أساس حسابات مفادها أنه من المفيد بالنسبة إليهم بوصفهم أفرادًا أن يتصرفوا، في تلك اللحظة، على هذا النحو فحسب⁽¹²⁴⁾.

ويجادل ثيو فاريل بأن المقاربات البنائية في الدراسات الأمنية تواجه "مشكلتين منهجيتين: إثبات وجود المعايير، وإظهار أثرها في النتائج السلوكية". تأتي المشكلة الأولى من المكانية الإستمولوجية التي منحها تلك المقاربات لما هو "غير قابل للملاحظة": فالبنائيون يقولون إن للمعايير وجودًا موضوعيًا، فهي "معتقدات متشاركة موجودة 'هناك' في العالم الواقعي، في المعنى الذي تعطيه للأشياء المادية" مثل حظر الانتشار النووي. لكن إذا كان من الممكن ملاحظة الممارسات الاجتماعية على نحو مباشر، فالأمر ليس كذلك بالنسبة إلى "المعتقدات المتشاركة التي تجسدها"، ومن هنا يأتي السؤال المحير: "كيف نعرف أن هذه المعتقدات المتشاركة موجودة؟"⁽¹²⁵⁾. ما يهم بالنسبة إلى البنائيين هو ما يتقاسمه الأفراد، فهم لا يهتمون بـ "المعتقدات التي يحملها الفاعلون بقدر ما يهتمون بتلك التي يتشاركونها. إذ يجب التعبير عن المعتقدات، إن لم يكن تدوينها وتسجيلها، حتى يتم تشاركتها. وبهذه الطريقة، غالبًا ما تترك المعتقدات المتشاركة بقايا مادية"⁽¹²⁶⁾. ويمكن إثبات المعايير الدولية من خلال القوانين الدولية والوطنية والقرارات والقوانين والوثائق والتصريحات الرسمية وغير العلنية ... وما أنه من غير الممكن ملاحظة المعايير في مجملها، فلا سبيل إذًا لإقامة العلاقات السببية بين المعايير والسلوك على نحو قاطع. لذلك، فإن كيفية تفسير البنائية للفعل مرهونة بالنظر في الآليات المنتجة لهذه العلاقات السببية، ما يمكن البنائية من أن تبين "كيف أن شيئًا (الثقافة) لا يمكننا ملاحظته مباشرة يشكل شيئًا يمكننا ملاحظته (السلوك)"⁽¹²⁷⁾.

123 Wendt, *Social Theory of International Politics*, pp. 250, 268-275.

124 Ibid., p. 220.

125 Farrell, p. 60.

126 Ibid.

127 Ibid., pp. 60, 62.

128 Abdenmour Benantar, "L'Algérie et la construction d'une norme internationale: Criminalisation de paiement de rançon," *The Algerian Journal of Political Sciences and International Relations*, vol. 16, no. 1 (June 2023), pp. 156-157.

المصالح وتحدها. ومن ثم، يتعين الأخذ في الحسبان مدركات الدول فيما يتعلق بمصالحها، خاصة أن الأخيرة تحددها الهويات التي هي أبعد من أن تكون ساكنة⁽¹³⁶⁾. ويرى ونت أن "الهويات هي أساس المصالح"⁽¹³⁷⁾، إذ لا يمكن فاعلاً أن يعرف ماذا يريد ما دام لا يعرف من هو⁽¹³⁸⁾. فالهويات نتاج التفاعلات الاجتماعية وتنتج المصالح، والهويات والمصالح بين ذاتية وتتغير تبعاً للسياق الاجتماعي⁽¹³⁹⁾. لكن حتى إن كان ونت يعتبر الهوية والمصالح نتاج عملية التفاعل والممارسات الاجتماعية، فإنه يظل، إلى حد ما، واقعياً في تصوره لما يتعلق الأمر بالحفاظ على هذه الهوية⁽¹⁴⁰⁾؛ "إعادة إنتاج هوية دولة، فالمجموعة في حاجة إلى إدامة احتكار الاستخدام الشرعي للعنف على أراضيها"⁽¹⁴¹⁾.

يشكل فهم كيفية بناء الهويات والمعايير والممارسات الاجتماعية التي تنتجها وتعيد إنتاجها، وكذلك البناء المتبادل لهذه المسائل، جزءاً رئيساً من برنامج البنائية البحثي، إذ إنها تفترض أن الهويات جزء من الممارسات التكوينية للدولة، ومن ثم فهي مُنتجة لتصرفاتها داخلياً وخارجياً. فالدول تتصرف على نحو مختلف بعضها حيال بعض وفقاً لهوية كل واحدة منها. وبناء عليه، يمكن توقع وجود أنماط سلوك مختلفة بين مجموعات الدول التي لها هويات ومصالح مختلفة. وإذا كان من المغربي القول إن التشابه يوئد التعاون، فإن من المستحيل اعتبار ذلك تحليلاً مسبقاً. وتوفر الهوية لكل دولة فهماً بشأن الدول الأخرى، من حيث طبيعتها، ومصالحها، وأفعالها المحتملة، ومواقفها ودورها في سياق سياسي معين. لذا، فإن هوية الدولة، في السياسة العالمية، "هي في جزء منها نتاج الممارسات الاجتماعية التي تكوّن هذه الهوية داخل البلاد. وبهذه الطريقة، تقيّد سياسة الهوية في داخل البلاد مصالح الدولة وأفعالها في الخارج كما تتيحها". وبناء عليه، فإن حاجة الدولة إلى بناء هوية وطنية في الداخل بغية شرعنة سلطتها تؤثر في هويتها في الخارج. ومن ثم فإن تحليلاً بنائياً أكثر نقدية قد يبدأ بإلقاء الضوء على حاجة الدولة إلى الآخر، في السياسة الدولية، حتى تبرر سلطتها داخلياً⁽¹⁴²⁾.

النقدية"، لا سيما البنائية النقدية وما بعد الحداثة والنسوية، التي تعتبر "العلاقة بين الهوية والأمن نتيجة بناء وإعادة بناء دائمين"⁽¹²⁹⁾.

واجهت افتراضات المقاربات التقليدية بشأن القوة والأمن، في السياسة الدولية عموماً والدراسات الأمنية خصوصاً، تحدياً كبيراً من المقاربات المستندة إلى العوامل المتعلقة بالأفكار، لا سيما البنائية التي تهتم بالأفكار والمعايير، المحددة بين ذاتياً، والهوية والبنى الاجتماعية وتأثيرها في سلوك الدول وهويتها ومصالحها؛ إذ تنتج الممارسات الاجتماعية كل هذه العوامل وتعيد إنتاجها⁽¹³⁰⁾. وتركز البنائية على "دور الأفكار، والمعايير، والمعرفة، والثقافة، والحجة في السياسة" مشددة، في الخصوص، على "الأفكار والفهم البنائية في الحياة الاجتماعية"⁽¹³¹⁾. وتستند البنائية تحديداً إلى ثلاثة مبادئ أساسية: 1. "يتشكل التفاعل الإنساني في المقام الأول من خلال العوامل المتعلقة بالأفكار، وليس العوامل المادية فحسب"، 2. "أهم العوامل المتعلقة بالأفكار مشاركة على نحو واسع أو هي معتقدات 'بين ذاتية'، لا تختزل في الأفراد"، 3. "تبنى هذه المعتقدات المشاركة مصالح الفاعلين وهوياتهم". وتهتم البنائية بـ "الوقائع الاجتماعية" (السيادة، والحقوق، وغير ذلك) التي "ليس لها واقع مادي، لكنها موجودة فقط لأن الناس يؤمنون جماعياً بوجودها ويتصرفون على أساس ذلك. ويعدّ فهم كيف تتغير الوقائع الاجتماعية والظرائق التي تؤثر بها في السياسة شغل التحليل البنائي الشاغل"⁽¹³²⁾.

تُعدّ الهوية⁽¹³³⁾ مفهوماً مركزياً في التحليلات البنائية، ومن ثم في المقاربات الأمنية الجديدة، سواء النقدية أو غير النقدية، والتي تتقاسم كلها مع البنائية الفكرة القائلة بوجود علاقة بين الهوية والأمن⁽¹³⁴⁾. ويرى كتّاب الدراسات الأمنية النقدية، على غرار بوث، أن مسألة الهوية لا يمكن فصلها عن الأمن⁽¹³⁵⁾، إذ تقيم البنائية علاقة بين الهوية والأمن، مؤكدة على دور الهوية في السياسة الدولية، وبوجه خاص من ناحية إسهامها في تفسير تنوع سلوك الدول. فالهوية تولّد

129 Alex Macleod, Isabelle Masson & David Morin, "Identité nationale, sécurité et la théorie des relations internationales," *Etudes internationales*, vol. 35, no. 1 (Mars 2004), pp. 12-13.

130 Farrell, p. 49.

131 Martha Finnemore & Kathryn Skink, "Taking Stock: Constructivist Research Program in International Relations," *Annual Review of Political Science*, vol. 4 (2001), p. 392.

132 Ibid., pp. 392-393.

133 للاطلاع على مناقشة معمقة لمفهوم الهوية، ينظر: عزمي بشارة، "تأملات في مسألة الهوية"، تبين، مج 11، العدد 41 (صيف 2022)، ص 47-15.

134 Benantar, *Sécurité et immigration*, p. 147.

135 Booth, "Security and Self," p. 88.

136 Macleod, Masson & Morin, p. 16.

137 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," p. 398.

138 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 321.

139 Abdenour Benantar, "Quelle architecture de sécurité pour la Méditerranée?" *Critique Internationale*, no. 69 (Octobre-Décembre 2015), p. 140.

140 Benantar, *Sécurité et immigration*, p. 148.

141 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 130.

142 Hopf, pp. 193, 195-196.

الاجتماعيون الموجودون في نظام ما وكيف يعملون ويتشابكون، وكيف يتصلون بعضهم ببعض⁽¹⁵⁰⁾. لقد انصبَّ اهتمامهم، إذًا، على تأثير الثقافة والهوية في الأمن القومي: "ما يهمّ هو كيف تؤثر الهويات والمعايير في الطرائق التي يحدد بها الفاعلون مصالحهم في المقام الأول"⁽¹⁵¹⁾. إنهم يُشكلون مصالح الدول، التي غالبًا ما تعتبرها التفسيرات السائدة للأمن القومي أمرًا مسلمًا به، استنادًا إلى العوامل الثقافية، مجادلين بأن الفاعلين يحددون مصالحهم الأمنية على أساس عوامل ثقافية. لكن هذا لا يعني أن العوامل المادية غير مهمة في تحليل الأمن القومي، وإِما لتأكيد أن جملة من العوامل غير المادية (المعايير والهوية والثقافة) صارت أشد أهمية في تفسير الأمن القومي. ويشددون على أن "مصالح الدولة ليست موجودة 'ليستكشفها' الفاعلون العقلانيون المهتمون بمصالحهم. فالمصالح تُبنى من خلال عملية تفاعل اجتماعي". ويهتمون بتأثير الهويات السياسية، معتبرين "الدول فاعلين اجتماعيين"، ويحللون "الهويات في سياقات تاريخية خاصة"، سعيًا منهم لفهم "تأثيرات الهويات المتغيرة في المصالح السياسية، ومن ثم في سياسات الأمن القومي"⁽¹⁵²⁾.

يزعم جرسون وونت وكاتزنشتاين أن "التباين في هوية دولة ما، أو التغيرات في هويتها، يؤثر في مصالح الأمن القومي أو سياسات الدول، فالهويات تولّد المصالح وتشكلها"⁽¹⁵³⁾. وخلاف التصور الواقعي القائل إن "المصالح القومية" هي ببساطة موضوعات يمكن ملاحظتها أو استكشافها، تقدّم والذ تصورًا بنائيًا يعتبر المصالح القومية أبنية اجتماعية من نتاج معانٍ بينداتية وثقافية، يُفهم على أساسها النظام الدولي ومكانة الدولة فيه؛ أي تمثّلات يعطي وفقها مسؤولو الدولة والآخرون معنى للعالم المحيط بهم⁽¹⁵⁴⁾. ويحيلنا تحليل والذ إلى مفهوم "المخيال الأمني" الذي سكّته؛ وتُقدّم به "بنية معانٍ وعلاقات اجتماعية راسخة، تنشأ انطلاقًا منها تمثّلات عالم العلاقات الدولية"⁽¹⁵⁵⁾. ويجعل المخيال الأمني التمثّلات ممكنة، وهي التي تسمح بتوضيح، سواء للرسميين أو للآخرين، من "نحن؟ وماذا تمثّل؟ ومن هم أعداؤنا؟ وماذا يمثلون والطريقة التي يهددوننا بها؟ وكيف يمكننا أن نفعل ما في وسعنا لمعالجة تلك التهديدات؟"⁽¹⁵⁶⁾

تظهر هويات الدول، وفق التصور البنائي، من خلال تفاعلاتها مع بيئتها المحلية والدولية، حيث تشكّل المجتمعات الدولية والمحلية، التي توجد فيها الدول، هوياتها على نحو قويّ وتصلقها. وبما أنها فاعل اجتماعي، فالدولة مدمجة في قواعد اجتماعية وأعراف تكوّن هويتها وتحدد مصالحها⁽¹⁴³⁾. وفي هذا الصدد، تجادل والذ وزملاؤها بأن "تشكيل الهويات غالبًا ما يكون عملية متبادلة"، إذ يسعى كل طرف لتحقيق هويته، وبذلك يهدد الآخرين الذين تندغم هويتهم ردًا على ذلك⁽¹⁴⁴⁾. وعمومًا، توجد الغيرية، أو بناء الآخر Othring، في صميم العملية الهوياتية. فالآخر يجري إدراكه على أنه يمنع الأنا من أن تكون، لكنه في الوقت نفسه ضروري لها كي تكون؛ إنه شرط سابق لوجود هويتها⁽¹⁴⁵⁾. ففي عملية (بناء) الهوية، الآخر مطلوب ومستبعد في الوقت نفسه⁽¹⁴⁶⁾. وعمومًا، تُبنى الهويات من خلال سرديات إقصائية تقيم حدودًا تفصل بين الأنا والآخرين⁽¹⁴⁷⁾. ويمكن أن نطبّق فكرة المعضلة الأمنية على الهوية، إذ ثمة ما يمكن تسميته بـ "معضلة هوياتية"، حيث يؤدي سعي طرف ما لتحقيق هويته إلى تهديد إمكانية تحقيق الطرف الآخر لهويته.

تتميز البنائية، وبالتحديد أنطولوجيًا، من المقاربات العقلانية بتركيزها على الأفكار والمعايير، في السياسة الدولية، مؤكدةً على الدور الذي تضطلع به الهوية ومقيدةً علاقةً بينها وبين الأمن. وعلى غرار العوامل المادية عند الواقعيين، تعتبر البنائية الهوية عاملًا محددًا في تفسير سلوك مختلف الدول في النظام الدولي. ويعدّ الكتاب الجماعي **ثقافة الأمن القومي**، الذي حرره بيتر كاتزنشتاين، أحسن مثال على ذلك⁽¹⁴⁸⁾، إذ يقترح وزملاؤه "منظورًا سوسولوجيًا لسياسة الأمن القومي"، بالتركيز على العوامل الاجتماعية، بغية تحليل دور الثقافة والمعايير وتشكيل الهوية وتأثيرها في مختلف قضايا الأمن القومي⁽¹⁴⁹⁾. ويستخدمون الثقافة في كتابهم بمعنى "جملة من المقاييس التقييمية (مثل المعايير أو القيم) والمقاييس المعرفية Cognitive (مثل القواعد أو النماذج) التي تحدد من هم الفاعلون

143 Katzenstein, "Introduction: Alternative Perspective on National Security," pp. 23-24.

144 Weldes et al., p. 15.

145 Ole Wæver, "Insécurité, identité: Une dialectique sans fin," in: Le Gloannec (dir.), pp. 119-120.

146 Mark B. Salter, *Barbarians & Civilization in International Relations* (London: Pluto Press, 2002), p. 10.

147 Macleod, Masson & Morin, p. 20.

148 Ibid., pp. 15-16.

149 Katzenstein, "Introduction: Alternative Perspective on National Security," pp. 1, 5, 29.

150 Ibid., p. 6.

151 Ibid., pp. 17, 30.

152 Ibid., pp. 1-2, 25.

153 Jepperson, Wendt & Katzenstein, p. 60. (التشديد في النص الأصلي)

154 Jutta Weldes, "Constructing National Interests," *European Journal of International Relations*, vol. 2, no. 3 (September 1996), p. 280.

155 Jutta Weldes, *Constructing National Interests*, p. 10.

156 Ibid., p. 15.

الشأن، هو أن "الهويات والمصالح تتشكل من خلال المعاني الجماعية التي هي دائماً قيد العمل In Process". وفي الحصلة، فإن وجود الدول في نظام الاعتماد على النفس يعود إلى ممارساتها، وبناء عليه، "سيؤدي تغيير الممارسات إلى تغيير المعرفة البينداتية التي تكوّن النظام"⁽¹⁶⁰⁾ الذي توجد فيه تلك الدول.

وبحسب ونت، لا يستند اكتساب الدول هويات إلى "توزيع القوة" فحسب، بل إلى "الفهم والتوقعات البينداتية"⁽¹⁶¹⁾، وتوجد مسألة التوقعات في صميم التصور البنائي للجماعات الأمنية⁽¹⁶²⁾. ويضرب مثلاً على دور الفهم المشتركة والتوقعات في تمييز الصديق من العدو من خلال البنية العلائقية بين الفاعلين: ليست الأسلحة النووية في حد ذاتها المشكلة، وإنما وضع/ هوية من يمتلكها، أهو صديق أم عدو؟ ذلك أن الصداقة والعداء هما من قبيل "الفهم المشتركة". فالإدراك الأميركي لـ 500 سلاح نووي بريطاني و5 أسلحة نووية كورية شمالية مختلف تماماً. يفسّر ونت هذا بأن الولايات المتحدة تعتبر بريطانيا صديقاً، بينما كوريا الشمالية غير ذلك⁽¹⁶³⁾. ويؤكد البنائيون أهمية العوامل المتعلقة بالأفكار على المستوى الدولي لتأثيرها في تصورات الأمن وممارساته، وخاصة أهمية الهوية الوطنية وتأثيرها في سياسة الدولة الأمنية؛ فعلى أساس الهوية يكون توسيم الدولة للأخرى بوصفها عدوًا أو صديقاً⁽¹⁶⁴⁾. وثمة حالات أخرى في السياق نفسه، تتعلق بالإدراك الأميركي، والغربي عموماً، للأسلحة النووية التي تمتلكها قوى غربية وإسرائيل من جهة، والأسلحة النووية الروسية، والعراقية المزعومة في وقت من الأوقات، والكورية الشمالية، والإيرانية المحتملة اليوم. فالدول الغربية لا تعتبر الأسلحة النووية الإسرائيلية تهديداً لها وتتغاضى عنها تماماً مطبقة انتشاراً نووياً انتقائياً. فلا غربة، إذًا، في أن يتعامل الاتحاد الأوروبي مثلاً مع تونس والمغرب، في وثائق أعدت في إطار سياسة الجوار الأوروبية، وكأنهما دولتان معنيتان بالانتشار النووي وستسمحان به، على الرغم من أنهما لم تسعيا يوماً لامتلاك هذه الأسلحة ولم يُشتبه فيهما قط، بينما تتغاضى الوثيقة الخاصة بإسرائيل عن ترسانة هذه الأخيرة النووية⁽¹⁶⁵⁾.

خلافًا للواقعية الجديدة التي "تفترض أن جميع الوحدات في السياسة العالمية لها هوية ذات معنى واحد ودائم"، تزعم البنائية أن هوية الدولة متغيرة وفقاً للسياق التاريخي والاجتماعي والسياسي؛ لذلك، فالهوية مسألة إمبريقية يتعين "التنظير لها في سياق تاريخي"⁽¹⁵⁷⁾. وفيما يتعلق بأهمية السياق وتحوله، يقول عزمي بشارة، مذكراً بالسمة المصطنعة والمركبة للهوية، إن "تعريف الناس لهوياتهم الجماعية يتغير عبر المراحل التاريخية، وأحياناً في المرحلة ذاتها، وفق تغير النظام الاجتماعي والسياسي القائم، وكذلك وفق تحديد الآخر الذي ترتسم بموجبه صورة جماعة الانتماء في كل مرة بوصفها مختلفة عن الآخر"⁽¹⁵⁸⁾.

”

خلافًا للواقعية الجديدة، تزعم البنائية أن هوية الدولة متغيرة وفقاً للسياق التاريخي والاجتماعي والسياسي؛ لذلك، فالهوية مسألة إمبريقية يتعين "التنظير لها في سياق تاريخي"

”

يشدد جبرسون وونت وكاتزنشتاين على أهمية العوامل الثقافية في تشكيل هوية الدولة، وأن بناء الهوية يكون بالعلاقة مع هوية الآخر. فإذا كانت بعض المصالح مثل البقاء Survival "موجودة خارج الهويات الاجتماعية الخاصة"، فإن "العديد من مصالح الأمن القومي مرهونة ببناء معيّن لهوية الذات بالعلاقة مع هوية الآخرين المتصورة [...] وغالباً لا يمكن أن يقرر الفاعلون مصالحهم حتى يعرفوا ماذا يمثلون - 'من هم' - وهذا مرهون بالعلاقات الاجتماعية"⁽¹⁵⁹⁾. وبالنظر إلى التفاعل الإدراكي بين الدول، يعتبر ونت الهوية والمصالح متغيرات داخلية المنشأ Endogenous، تنشأ داخل نظام التفاعل بين الدول؛ وفي النتيجة، إذا كانت "أنظمة التفاعل المتنافسة عرضة لـ 'معضلات' أمنية"، فإن أشكال الهوية والمصلحة التي تشكل هذه المعضلات الأمنية هي في حد ذاتها آثار مستمرة للتفاعل، وليست خارجية المنشأ Exogenous [...] ليست المعضلات الأمنية معطاة بالفوضى أو الطبيعة. بالطبع، بعد مأسستها، قد تصبح مثل هذه المعضلة صعبة التغيير". والأمر الأهم الذي يتعين تأكيده، في هذا

160 Wendt, "Anarchy is What States Make of it," p. 407.

161 Ibid., p. 397.

162 Emmanuel Adler & Michael Barnett (eds.), *Security Communities* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

163 Wendt, "Constructing International Politics," p. 73.

164 McDonald, p. 55.

165 عبد النور بن عنتر، *غرب المتوسط مركباً أمنياً: مبادرة 5+5 دفاع وديناميات الأمن والهجرات*، ترجمة عومرية سلطاني (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2024)، ص 139.

157 Ibid., pp. 175-176; Hopf.

159 Jepperson, Wendt & Katzenstein, pp. 58, 60.

158 بشارة، ص 37.

ومسألة القدرة على التغيير. وإذا كان البنائيون النقاد يقرّون، عن وعي، بمشاركتهم في عملية إنتاج البنى الاجتماعية وتكوينها وتثبيتها، وبعد إمكانية الفصل بين ذاتية الباحث والموضوع محل الملاحظة البحثية (البعد النقدي والتأملي)، فإن البنائيين التقليديين يتجاهلون ذلك ويتبنّون، في المقابل، الفهم التأويلي لموضوعات متصلة بعضها ببعض في شبكة من المعاني البنائية، يكون فيها الملاحظ منفصلاً عن موضوع بحثه⁽¹⁷¹⁾.

وفي حين يكتفي البنائيون التقليديون بتفسير معرفي Cognitive للهوية، أو لا يقترحون أي تفسير، إذ يقبلون بفكرة وجود الهويات ويسعون إلى فهم إعادة إنتاجها وآثار ذلك، فإن البنائيين النقاد يميلون إلى "اعتبار أن شكلاً من الاغتراب هو أصل الحاجة إلى الهوية. ويوظف البنائيون النقاد النظرية الاجتماعية النقدية لتوضيح فهمهم لأصل الهوية". فمثلاً، يرى تزفيتان تودوروف وأشيس نادندي أن الهويات الأوروبية لم تكن مكتملة، من دون الأخرى، حتى لقائها شعوب الأمريكتين والهند. وتوضح أهمية الاختلاف بين الأنا والآخر في تحديد الأنا هويتها، في حكاية هيغل عن العبودية: حتى مالك العبيد الأقوى لا يمكنه أن يعرف هويته الخاصة ويحددها ويمارس سلطته على الرقيق إلا لما يساعده هؤلاء الرقيق على بناء هويته من خلال ممارسة العبودية. قد تقبل البنائية التقليدية هذه الفرضية: أي الحاجة إلى الآخر لبناء الأنا، أما البنائية النقدية فتذهب أبعد من ذلك⁽¹⁷²⁾. وتجدر الإشارة هنا إلى أننا إذا قبلنا بفكرة اكتمال الهوية الأوروبية بقاء الآخر، فإن ذلك حدث مع الإسلام قبل اكتشاف الأمريكتين، إذ يقول هشام جعيط إن أوروبا تحدت بالعلاقة وبالتعارض مع الإسلام، وإن شبه الجزيرة الإيبيرية، التي صارت أول قوة أوروبية تسيطر على العالم، تحدت بالعلاقة وبالتعارض مع الإسلام، في إطار الـريكونكيستا⁽¹⁷³⁾.

وهكذا، تظل البنائية التقليدية قريبة من المقاربات التقليدية، وتحديداً الواقعية والليبرالية، مدعية إمكانية دراسة العالم ووصفه وتحليله موضوعياً، في حين أن البنائية النقدية تشدد على أهمية أشكال التمثيلات في تشكيل العالم الحقيقي. وبالنسبة إلى البنائيين التقليديين، يكمن الاهتمام الأساسي من وصف العلاقة بين الأمن والهوية في إظهار أن الهوية (والخبرة التاريخية أو السياق الثقافي المرتبط بها) تساعد في تحديد مضامين مصالح الدول، ومن ثم

يتعمق التحليل البنائي لهذه المسألة موضعاً أهمية البناء الخطابي للتهديدات وانتقائيتها، وخاصة أهمية البعد غير المادي؛ أي المعاني التي يضيفها الفاعلون على العناصر المادية؛ إذ تبين الحالات المشار إليها آنفاً دور ما تسميه والدز وزملاؤها "التكوين الخطابي للتهديد الذي تمثله الأسلحة النووية"، حيث يعمل الخطاب الجماعي على وضع تهديدات في الواجهة، بينما يتجاهل أخرى؛ ما ينم، بحسب والدز وزملائها، عن بناء اجتماعي للتهديد، بغض النظر عن الخطر الفعلي للأسلحة النووية، لأن ما يهم في فهم هذه الأمثلة هو مسألة المعاني⁽¹⁶⁶⁾. ويخلص ونت، من تحليله لإدراك الأسلحة النووية وعلاقة الصداقة - العداء، إلى أن "القدرات المادية في حد ذاتها لا تفسر شيئاً، فأثارها تفترض وجود بنى معرفة متشاركة متنوعة لا يمكن اختزالها في القدرات"⁽¹⁶⁷⁾. ومن ثم، يتعين اعتبار القوة مادية وخطابية في الوقت نفسه؛ ذلك أن "فهم أنماط السلوك بوصفها نتيجة لعمل القوة المادية أو الاقتصادية [يكون] بالتضافر مع البنى الأيديولوجية، والممارسات الاجتماعية، والمعايير المؤسسة وشبكات المعنى البنائية"⁽¹⁶⁸⁾.

3. البنائيان التقليدي والنقدية: اتفاق حول مركزية الهوية وخلاف حول طبيعتها وعلاقتها بالأمن

يعبر البنائيون⁽¹⁶⁹⁾ الهوية في بناء الأمن أهمية كبيرة، لكنهم يختلفون بشأن طبيعة العلاقة بين الهوية والأمن⁽¹⁷⁰⁾؛ فالبنائيان التقليدي والنقدية تختلفان بشأن موضوع الهوية، ويجد الخلاف بينهما جذوره في خيارتهما الإستيمولوجية والأنطولوجية.

تسعى البنائية التقليدية للكشف عن الهويات والممارسات الاجتماعية المرتبطة بإنتاجها وإعادة إنتاجها، وفهم كيفية تحديد تلك الهويات أفعالاً معينة، بينما لا تتوقف البنائية النقدية عند تأثير الهويات، بل تسعى لتفسير كيف ينتهي الأمر بالناس إلى الاعتقاد برواية وحيدة للحقيقة؛ أي إن "البنائية النقدية تهدف إلى نفس الأساطير المرتبطة بتكوين الهوية، بينما يرغب البنائيون التقليديون في التعامل مع تلك الهويات بوصفها أسباباً محتملة للفعل". فعلى خلاف البنائية التقليدية، تدعي النظرية النقدية الاهتمام بالتغيير،

166 Weldes et al., "Introduction: Constructing Insecurity," p. 12.

(التشديد في النص الأصلي)

167 Wendt, "Constructing International Politics," p. 73.

168 Hopf, p. 199.

169 مقارنة مختصرة لأهم نقاط التوافق، وخاصة الخلاف بين أطراف البنائية، بحسب تصنيف جيمري تشاكل، من خلال مراجعة لبعض الأدبيات، ينظر: Chekel, pp. 229-244.

170 McDonald, p. 56.

171 Hopf, pp. 183-184.

172 Ibid., p. 184.

173 Hichem Djaït, "L'Europe et l'Islam: La dynamique historique," Diogenes, no. 91 (Juillet-Septembre 1975), p. 15.

تصبح دراسة الهوية دراسةً لمختلف التمثيلات التي تتنافس مع أخرى لتوفير تمثيل واقعي لهوية مجموعة معينة، والطريقة التي يتعين على هذه المجموعة أن تتصرف بها⁽¹⁸⁰⁾.

يتقاسم البنائيون، بمختلف أطرافهم، ثلاث أفكار أساسية بشأن الأمن: 1. الأمن مبني اجتماعيًا، 2. يختلف معناه باختلاف السياقات، 3. هو محل تفاوض وتنازع، إذ يتنافس الفاعلون لتحديد هوية مجموعة ما وقيمها بطريقة توفر أساسًا للعمل السياسي. ويعتبر البنائيون الهوية والمعايير مركزية في دراسة الأمن، لأن كليهما توفر حدود العمل السياسي الشرعي. أما الفاعلون والبنى، فإن أحدهما يشكل الآخر. وما أن العالم من صنع الفاعلين، فإن "التغيير ممكن، حتى إن كان صعبًا"⁽¹⁸¹⁾. وتستند البنائية النقدية إلى ثلاث مسلّمات أساسية: 1. الواقع مبني اجتماعيًا، 2. بناء الواقع انعكاس لعلاقات السلطة وتشيّتها، وفي المقابل، يؤدي الفاعلون دورًا محوريًا في إنتاج هذا الواقع المبني وإعادة إنتاجه، 3. تنزع البنائية السمة الطبيعية عن الأبنية المسيطرة، وتسهّل تصور عوالم حياتية بديلة، كما تُشكّل البنائية النقدية شروط ادعاءاتها الخاصة، لذلك فهي أيضًا تأملية⁽¹⁸²⁾.

ثمة فروق مهمة بين البنائيتين التقليدية والنقدية بشأن قضايا مفهومية وإمبيقية (الإبستمولوجيا، والهوية، وغيرهما)، إذ ينشئ التزامهما بفكرة البناء الاجتماعي أرضية مشتركة لمناقشة "مقاربة بنائية للأمن". لكن على الرغم من الالتزام المشترك بافتراض البناء الاجتماعي للأمن، فإن "محاولات تبيان كيف يعمل الأمن وكيف يمكننا دراسة هذا البناء [تبقى] أكثر إثارة للجدل". وإذا كان معظم البنائيين قد تجنّبوا هذه المسألة، فإن مدرسة كوبنهاغن حاولت تطوير نظرية أكثر تماسكًا لدراسة الأمن⁽¹⁸³⁾. والملاحظ أن البنائية النقدية لم تدخل في نقاش نظري مع البنائية التقليدية، لكنها فعلت ذلك مع مدرسة كوبنهاغن، التي تعدّ المجموعة البحثية الأوسع إسهامًا في تجديد الدراسات الأمنية منذ نهاية الحرب الباردة⁽¹⁸⁴⁾. وهو ما أثمر إسهامًا نظريًا ثريًا جدًا في الدراسات الأمنية إلى جانب النقاش النقدي البيئي والنقاش بين المقاربات النقدية وغير النقدية في الدراسات الأمنية، إذ تشترك كلها في تفاعلات نقاشية مع مدرسة كوبنهاغن للدراسات الأمنية. وهي نقاشات تركزت في ثلاثة إسهامات

الطريقة التي ستتصرف بها في السياسة العالمية⁽¹⁷⁴⁾. فالهوية شيء يمكن الكشف عنه من خلال التحليل. وهذا ما "يتسق مع الالتزام بالإبستمولوجيا الوضعية: الاعتقاد أن المحللين يمكنهم أن يفحصوا موضوعية العالم الموجود هناك". وتُقارب الهويات، وفق هذا الإطار التحليلي، على أنها "مستقرة نسبيًا". ويعدّ عملاً كاتزنشتاين (1996) وونت (1999) مثالين معيّنين عن هذه المقاربة: فكلاهما اقترح العمل بالأطر الإبستمولوجية والمنهجية لنظرية العلاقات الدولية التقليدية، واعتبر البنائية مكملًا فكريًا للمقاربات المادية في داخل الحقل. وفي هذه الحالة، يمكن أن يفسر فحص العلاقة بين الهوية والأمن تردد ألمانيا واليابان في استخدام القوة في السياسة الدولية المعاصرة بالنظر إلى خبرتهما خلال الحرب العالمية الثانية⁽¹⁷⁵⁾.

أما البنائيون النقديون فيركزون في الأساس، في دراسة العلاقة بين الأمن والهوية، على فحص الكيفية التي تصبح بها سرديات الهوية الوطنية مسيطرة، وتساعد في تحديد حدود شرعية عمل سياسي، وقابلة للتحقيق في سياقات معينة ووقت معين⁽¹⁷⁶⁾. وهذا ما يتضح من تحليل الدلّز وزملائها، المشار إليه آنفًا، والذي يبيّن أن السردية الأمنية المهيمنة تشدد على تهديدات في حين أنها تتجاهل أخرى⁽¹⁷⁷⁾. ويرى البنائيون النقديون أن التحليلات الساعية لتحديد "الهوية الوطنية" تنطوي على مخاطر صراع السلطة من خلال تفضيل بعض سرديات الهوية وتهميش أخرى. ويتسق مثل هذا الموقف مع الإبستمولوجيا ما بعد الوضعية، التي يستحيل على المحلل فيها أن يقف خارج العالم الذي يحاول تحليله⁽¹⁷⁸⁾. ولا ينصبّ الاهتمام البنائي هنا على سؤال "لماذا" تتصرف الدول على النحو الذي تتصرف به؟ بقدر ما ينصبّ على سؤال "كيف يمكنها ذلك؟" وهما من الأسئلة التي وضحتها روكسان دوتي: "كيف يجري إنتاج المعاني؟ وكيف تُربط بمختلف الأشياء والفاعلين الاجتماعيين، ومن ثم تشكيل آليات تفسيرية تخلق إمكانيات ما وتنقص أخرى؟"⁽¹⁷⁹⁾. ومن بين أهم المنظرين المهتمين بهذا النوع من البنائية، والدز، وفيرك، وبارنيت. وبخلاف البنائية التقليدية، تعتبر البنائية النقدية الهوية غير مستقرة بطبيعتها؛ فهي متغيرة ومحل تنافس دائم. ويمكن أن تكون تمثيلات الأمن والتهديد مركزية في هذا الصدد، حيث تصلح لتحديد من 'نحن' والآخر/ الآخرون' الذي/ الذين نحن في حاجة إلى الحماية منهم. وبناء عليه،

180 Ibid.

181 Ibid., p. 67.

182 Weldes et al., "Introduction: Constructing Insecurity," p. 13.

183 McDonald, p. 67.

184 Alex Macleod, "Les études de sécurité: Du constructivisme dominant au constructivisme critique," *Cultures & Conflits*, no. 54 (Été 2004), p. 37.

174 McDonald, p. 56.

175 Ibid., p. 57.

176 Ibid.

177 Weldes et al., "Introduction: Constructing Insecurity," p. 12.

178 McDonald, p. 57.

ما ذهبت إليه مدرسة كوبنهاغن، لا يعتبر ماكسوني الهوية "متغيرًا مستقلًا"، وإنما نتاج "عملية توسيم Labelling تعكس صراع مصالح على المستوى السياسي". ومن ثم، فإن وضع هوية معينة أو وجاهتها لا يمكن أن يتقرر مسبقًا. وبخلاف ما ذهبت إليه مدرسة كوبنهاغن أيضًا، يرى ماكسوني أن مشكلة الأمن لا تأتي من كون الأفراد لهم هويات منفصلة، بل على العكس، قد تكون لهم هويات متميزة تحديدًا بسبب مشكلة الأمن. فالهوية الاجتماعية هي قبل كل شيء مسألة توسيم، على غرار "الأمن والأمن اللذين يبدآن أيضًا في إدراكنا للانكشافات والتهديدات" (189).

في رأي ماكسوني، لا يمكن أن نقرر بموضوع الهوية، ولا بوجاهتها، مسبقًا، فهي، حتى لو كانت وجيهة، ليست بالضرورة سببًا لمشكلة أمن، كما يفترضها كتاب مدرسة كوبنهاغن، إذ من المرجح أيضًا أن تكون هي المفْعول. ومن ثم، يتعين تفكيك عملية تشكيل الهوية على المستوي المجتمعي الفرعي. فعلى سبيل المثال، شهدت إيرلندا الشمالية تعايشًا بين تضارب المصالح ومشكلة الأمن وصراع الهوية بين الوندوين والقوميين، كما حدث بين الصرب والكروات في يوغسلافيا السابقة، وبين الجمهوريات المختلفة في الاتحاد السوفياتي السابقة. فمشكلة الأمن، إذًا، لا تنشأ لأن للناس هويات منفصلة فحسب، بل يمكن أن تكون لهم هويات منفصلة بسبب مشكلة الأمن. وكما وضح روجرز بروبايكر، فإن القومية في الجمهوريات السوفياتية لم تكن سببًا في القمع، بل كانت نتيجة له (190). لذلك، لا يمكن اعتبار الهوية متغيرًا مستقلًا، بخلاف ما يدعيه كتاب مدرسة كوبنهاغن، لأنها نتاج عملية توسيم تعكس تضارب المصالح على المستوى السياسي (191). فالأمن، في "المقاربة السوسيولوجية البديلة" لدراسة الأمن الدولي التي يقترحها ماكسوني، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالهوية، كما ترتبط سياسة الأمن ارتباطًا وثيقًا بإعادة بناء الهوية الجماعية. ويكمن مفتاح إنتاج الأمن وسياسة الأمن وإعادة إنتاجهما في عملية إنتاج الهوية الجماعية. فنحن "نختار مشكلتنا الأمنية كما نختار المصالح والهوية التي تصاحبها" (192).

لمدرسة كوبنهاغن، هي: توسيع الأمن، والأمن المجتمعي، والأمننة، من أصل أربعة (المركب الأمني الإقليمي هو إسهامها الرابع) (185).

تستند مقاربة النظرية النقدية للهوية إلى افتراضات بشأن السلطة، إذ ترى النظريات النقدية أن "السلطة تمارس في كل تبادل اجتماعي، وأن ثمة دائمًا فاعلاً مسيطراً في هذا التبادل؛ [لذلك] تعدّ إمالة اللثام عن علاقات السلطة هذه جزءاً أساسياً من الأجندة البحثية للنظرية النقدية". في حين تبقى البنائية التقليدية "محايدة تحليلياً" في مقاربتها لموضوع علاقات القوة. ويؤمن البنائيون التقليديون "بفكرتي وجود السلطة في كل مكان وإعادة الممارسات الاجتماعية إنتاج علاقات القوة"، لكنهم "لا يهتمون بالضرورة بمساءلة هذه العلاقات". وتجدر الإشارة هنا إلى وجود مفارقة، تكمن في تشابه تصور النظرية النقدية القائل إن "كل العلاقات الاجتماعية توجد في مواقف هرمية، أو تبعية أو سيطرة"، مع التصور الواقعي الذي يقول بوجود السمات ذاتها في العلاقات الدولية. وبالنظر إلى الخلافات البنائية البينية، تنطوي مختلف التصورات البنائية على أجندات نظرية مختلفة. ففي حين تسعى البنائية التقليدية لـ "إنتاج معرفة ورؤى جديدة مبنية على فهم جديد [...] تحلل النظرية النقدية القيود الاجتماعية والفهم الثقافية من منطلق اهتمام الإنسان الأسمى بالتنوير والانعقاد" (186). وهي بذلك تشارك مع المقاربات الأمنية النقدية مفهوم الانعقاد. لكن لا تقول كل أطراف البنائية النقدية والدراسات الأمنية بفكرة الانعقاد، وهي مفهوم مركزي عند طيف أساسي في الدراسات الأمنية النقدية، والمتمثل في مدرسة أبرستويث (187).

4. العلاقة بين الهوية والأمن: قصور تحليلات البنائية ومدرسة كوبنهاغن

تعتبر الهوية مفهومًا مركزيًا في تحليلات مدرسة كوبنهاغن، إلى درجة اختزالها مفهوم الأمن المجتمعي في الأمن الهوياتي (188). وقد قدّم بيل ماكسوني، في نقده لتحليلات مدرسة كوبنهاغن بشأن الهوية والأمن، نقدًا ينسحب أيضًا على البنائية (التقليدية) ولو بطريقة غير مباشرة كما سترى. فهو يحاج بأن "الهوية ليست واقعة اجتماعية؛ بل هي عملية تفاوض بين الأفراد ومجموعات المصالح. فأن يكون المرء إنكليزيًا أو إيرلنديًا أو دنماركيًا هو نتيجة عملية سياسية". وخلاف

189 Bill McSweeney, *Security, Identity and Interests: A Sociology of International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), pp. 73-74.

190 ينظر مثلاً:

Rogers Brubaker, "Nationhood and the National Question in the Soviet Union and Post-Soviet Eurasia: An Institutional Account," *Theory and Society*, vol. 23, no. 1 (1994), pp. 47-78.

191 McSweeney, p. 73.

192 Ibid., p. 12.

185 عن إسهام مدرسة كوبنهاغن في الدراسات الأمنية والنقاشات/ الانتقادات التي أثارها، ينظر (خاصة الفصول الخمسة الأخيرة): Benantar, *Sécurité et immigration*.

186 Hopf, p. 185.

187 Benantar, *Sécurité et immigration*, pp. 50, 55, 58.

188 للاطلاع على تحليل لرؤية هذه المدرسة للهوية وانتقاداتها، ينظر: Ibid., pp. 141-166.

السياسة مع مرور الوقت سيفضي إلى تأكل الهويات الأناثية وستخلق هويات جماعية⁽¹⁹⁵⁾؛ بمعنى الانتقال من ثقافة فوضوية إلى أخرى.

تزعم البنائية، إذًا، أن ثمة تكوينًا متبادلًا بين الفاعل والبنية، وأن المصالح جزء من عملية بناء الهوية، وأن القوة مادية وخطابية على حد سواء، وأن التغيير في السياسة الدولية ممكن وصعب في الوقت نفسه⁽¹⁹⁶⁾. وتعدّ البنية مفهومًا مركزيًا أيضًا نال قسطًا كبيرًا من الاهتمام، لا سيما من خلال النقاش بشأن العلاقة بين البنية والفاعل. وتُعرف البنية، في السياسة الدولية، بأنها "جملة من القيود غير القابلة للتغيير نسبيًا والمفروضة على سلوك الدول"⁽¹⁹⁷⁾. ويقوم التصور البنائي للعلاقة بين الفاعلية والبنية، الذي أسس له ونت في مقاله عام 1987⁽¹⁹⁸⁾، على فكرة مفادها أن للبنية علاقةً وطيدةً بالفاعل والهوية. وتهتم البنائية بسؤالين مركزيين: "إلى أي مدى تقيّد البنى أفعال الدول وتمكّنها؟ وإلى أي مدى يمكن أن يحدد الفاعلون عن قيود البنى؟". فما تهتم به البنائية هو الكيفية التي تنتج بها الأفعال الفاعل والبنية، أو لا تنتجها، انطلاقًا من اعتبارها أن "سلوكًا أو تصرفًا ذا معنى غير ممكن إلا في إطار سياق اجتماعي بينذاتي"؛ أي ضمن بنية اجتماعية تتكون من عناصر متشاركة (أفكار، وقيم، ومعتقدات، ومعايير، وثقافة، ومدرجات، وغير ذلك). ففي حال غياب المعايير، تفقد ممارسة السلطة أو الأفعال المعنى؛ ذلك أن المعايير التكوينية هي التي تحدد الهوية بتحديد الأفعال التي على أساسها يتعرّف الآخرون إلى تلك الهوية ويستجيبون لها على نحو ملائم⁽¹⁹⁹⁾. "وبما أن البنية لا معنى لها من دون مجموعة من المعايير والممارسات الموضوعية، فإن الفوضى، وهي العنصر البنوي الأسمى أهمية في نظرية العلاقات الدولية السائدة، لا معنى لها"⁽²⁰⁰⁾. فالبنى الاجتماعية هي ما يؤثر في هويات الفاعلين ومصالحهم ومدرجاتهم للتهديد، وليس العوامل المادية التي تظل ثانوية ولا يكون لها مفعول إلا لما يمنحها الفاعلون معاني بينذاتية⁽²⁰¹⁾. فوفق الرؤية البنائية، يقول ونت إنه من خلال بنية المعرفة المتشاركة فحسب، تكتسب الموارد المادية معنى بالنسبة إلى أفعال الفاعلين⁽²⁰²⁾.

يمكن تطبيق تحليل ماكسويني، القائل إن مشكلة الأمن هي السبب في وجود هويات مختلفة وليس العكس، على حالات ليست فيها الهوية سابقة للصراع. ويمكن أن نذكر بحالة العلاقة الأميركية - الكورية الشمالية، التي ذكرها ونت مثالًا على الأسلحة النووية والهوية (وضع الصديق والعدو)، لنتساءل: أيهما أسبق في هذه الحالة العامل المادي أم غير المادي؟ فماذا عن مدرجات العلاقة بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية لو لم تتدخل الأولى في الحرب الكورية؟

إذا كان من الصعب دحض مقولات البنائية وحججها بشأن العلاقة بين الهوية والأمن، فإن ثمة بعض "الزوايا الميتة" في تحليلاتها، لا سيما مسألة الأسبقية. ويستند الادعاء البنائي إلى فكرة مركزية مفادها أن الدول تتصرف (تتصارع و/ أو تتعاون) على أساس الهوية، التي تحدد المصالح. وتوجد، بطبيعة الحال، حجج تدعم هذا الطرح، بيد أن ثمة حالات تتشكل فيها الهوية بالموازاة أو لاحقًا.

5. البنية والفاعل والهوية والأمن

يرى البنائيون، بخلاف الواقعيين الذين يقولون بالبعد المادي فحسب للبنية، أن ثمة علاقة تكوينية/ تشكيلية متبادلة بين الفاعلين والبنى الاجتماعية؛ فالفاعلون يشكّلون البنى، والعكس صحيح، وثمة علاقة بين الهوية والمصالح؛ فالثانية هي من تحدد الأولى. يُشكل البنائيون، إذًا، كيفية نشأة الهوية والمصالح وتكوّنها وتغيرها وتأثيرها (تأثر وتأثير)، وذلك على عكس الواقعيين الجدد والليبراليين الجدد الذين يعتبرونها معطاة ومفروغةً منها⁽¹⁹³⁾. وهنا، يمنح ونت البنية والفاعل مقامًا أطولوجيًا متساويًا، ويجادل بأنهما يتشكلان بطريقة متبادلة، حتى إن كانا متمايزين أنطولوجيًا⁽¹⁹⁴⁾. فمن خلال "انخراطهم في ممارسات اجتماعية معينة، يُنتج الفاعلون ويعيدون إنتاج البنى الاجتماعية التي تكوّن تلك الممارسات والهويات المرتبطة بها وتضبطها. وحتى إن كان الفاعلون والبنى الاجتماعية يتبادلون التكوين والتحديد، فإن الآلية التي يجري من خلالها هذا [...] هي ما يفعلها الفاعلون: فهويتنا تتحدد - أو تصبح محدّدة - بما نفعله. يمكن أن يفعل الفاعلون أشياء حتى لو لم تكن لديهم بالفعل الهويات التي ستخلقها تلك الممارسات في نهاية الأمر". فالدول يمكنها أن تخرط في سياسة اجتماعية لدواعٍ أناثية (كما هو الحال في بنية فوضوية لوكية)، بيد أن استمرار هذه

195 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 342.

(التشديد في النص الأصلي)

196 Hopf, p. 181.

197 Ibid., p. 172.

198 Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations," pp. 335-375.

199 Hopf, pp. 172-173.

200 Ibid., p. 173.

201 Wendt, *Social Theory of International Politics*, pp. 23-24.

202 Wendt, "Constructing International Politics," p. 73.

193 Farrell, p. 50.

194 Alexander Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations," *International Organization*, vol. 41, no. 3 (Summer 1987), pp. 339, 360; وينظر ترجمة المقال إلى اللغة العربية، في: ألكسندر ونت، "مشكلة الفاعل - البنية في نظرية العلاقات الدولية"، ترجمة أحمد قاسم حسين، سياسات عربية، مج 13، العدد 72 (كانون الثاني/ يناير 2025)، ص 103-130.

أجل السيطرة على السلطة الضرورية اللازمة لإنتاج المعنى في مجموعة اجتماعية. وطالما أن ثمة اختلافات، فثمة إمكانية للتغيير⁽²⁰⁴⁾.

خاتمة

بعد ثلاثة عقود ونيف من صدور مقال ونت الذائع الصيت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، لم تتوصل البنائية بعد إلى وضع نظرية في الأمن، على الرغم من إسهاماتها المعترية في هذا الخصوص التي شكّلت أرضية نظرية خصبة مشتركة للمقاربات الأمنية الجديدة، بشقيها النقدي وغير النقدي، التي تطورت في إطار المنعطف البنائي. لكن كيف يمكن مطالبة البنائية، التي لا تُعتبر نظرية في العلاقات الدولية، أن تقدّم نظرية في الأمن؟ حتى لا نكون مجحفين في حق البنائية، بمختلف أطيافها، يتعين الإقرار بأن التزام هذه الأطياف بافتراض البناء الاجتماعي واعتمادها على العوامل المتعلقة بالأفكار في دراسة الأمن يكتّان من الحديث عن وجود مقارنة بنائية للأمن، لكنها مقارنة تقاطعية لأنها تتجاوز البنائية لتمتد إلى المقاربات الأمنية الجديدة، النقدية وغير النقدية، التي تشترك في المرجعية النظرية البنائية. فمن المفارقة أن هذه المقاربات الأمنية الجديدة هي التي طوّرت تصورًا بنائيًا للأمن خارج المقاربة البنائية من ناحية التوقع، لكن على أساسها، بوصفها مرجعية نظرية مركزية. ونظرًا إلى أن البنائية رافد نظري لمقاربات أمنية مختلفة، فإن نظريات الأمن التي طوّرتها الأخيرة لا يستقيم أمرها من دون المرجعية البنائية. لكن كيف يمكن تفسير هذه المفارقة البنائية؟ يمكن اقتراح ثلاثة تفسيرات أساسية.

التفسير الأول، على الرغم من إسهامات البنائية في الدراسات الأمنية، فإنها لم تطور نظرية في الأمن، ولم تسع لذلك بالنسبة إلى نسختها السائدة أو على الأقل بعض أطرافها، إذ أبقت البنائية التقليدية على تحليلاتها في إطار يجعلها امتدادًا وتطورًا لتحليلات المقاربات العقلانية، أكثر منها قطعة مع هذه الأخيرة. ويتأكد هذا الارتباط بالمقاربات التقليدية بوضوح في الكتاب الجماعي الذي حرره كاتزنشتاين⁽²⁰⁵⁾ وفي كتاب ونت⁽²⁰⁶⁾. فكلهما اصطف إلى جانب العقلانية على حساب التأملية. ويشدد كاتزنشتاين وزملاؤه على "الحاجة إلى منهجية تأويلية خاصة"⁽²⁰⁷⁾. وهذا موقف مناقض للنظرية النقدية، بوصفها نظرية تكوينية، والتي لها مأخذ

يزعم هوف أن "الهويات ضرورية، في السياسة الدولية كما في المجتمع المحلي، من أجل ضمان حد أدنى، على الأقل، من مستوى القابلية للتنبؤ والنظام"؛ ذلك أن "التوقعات الدائمة بين الدول" تقتضي "هويات بينذاتية مستقرة بما فيه الكفاية لضمان أماط سلوك قابلة للتوقع". ففي حال غياب الهويات، يكون العالم شواشيًا ولايقينيًا؛ أي أشدّ خطورة من الفوضى. وفي رأيه، تؤدي الهويات ثلاث وظائف ضرورية: "تقول لكم، وللآخرين، من أنتم، وتقول لكم من هم الآخرون". وبذلك، فهي تحدد جملة معينة من المصالح والتفضيلات بشأن خيارات الفعل. لذلك، فهوية الدول تنطوي "على تفضيلاتها وما يترتب عليها من أفعال"، والدولة تفهم "الآخرين وفق الهوية التي تنسبها إليهم، بينما تعيد بالتوازي إنتاج هويتها الخاصة من خلال الممارسات الاجتماعية اليومية". ومع ذلك، فإن مُنتج الهوية لا يتحكم في معناها بالنسبة إلى الآخرين، لأن البنية البنائية هي التي تحسم أمر المعنى في النهاية. فمثلًا، كانت دول من أوروبا الشرقية تنظر، إبان الحرب الباردة، إلى الاتحاد السوفياتي على أنه روسيا، على الرغم من الجهد الكبير الذي كان يبذله لبناء هوية سوفياتية⁽²⁰³⁾.

ترجم البنائية أن القوة المادية والقوة الخطابية ضروريتان لفهم السياسة الدولية، والتأكيد عليهما مهم لأن البنائيين غالبًا ما يوصفون بعدم الواقعية "لإيمانهم بقوة المعرفة والأفكار والثقافة والأيدولوجيا واللغة؛ أي الخطاب". وتتمثل القوة الخطابية، في رأي هوف، في هذه العناصر (قوة المعرفة، والأفكار، والثقافة، وغيرها). وتعود "الفكرة القائلة إن الأفكار شكل من أشكال السلطة [...]، وإن القوة المادية والقوة الخطابية مرتبطتان إحداهما بالأخرى" إلى تحليلات فوكو بشأن العلاقة بين السلطة والمعرفة، وأنطونيو غرامشي بخصوص الهيمنة الأيديولوجية، وماكس فيبر بشأن السلطة، وكلها أفكار استلهمت منها البنائية. وتبيّن أبحاث في حقل العلاقات الدولية والدراسات الأمنية أهمية دراسة الأبعاد المادية والخطابية للسلطة، كون قوة الممارسات الاجتماعية تكمن "في قدرتها على إنتاج معانٍ بينذاتية تشكّل البنى الاجتماعية والفاعلين على حد سواء". ويتمثل الجانب الأهم في قوة الممارسات "في قدرتها على إنتاج إمكانية التنبؤ، ومن ثم النظام"، إذ تقلل الممارسات الاجتماعية "إلى حد بعيد من اللابقيين بين الفاعلين داخل جماعة مهيكلية اجتماعيًا". فأفعال الدولة في مجال السياسة الخارجية تقيدها وتعززها الممارسات الاجتماعية السائدة في داخل الدولة وخارجها. وتجادل البنائية بأن سياسة الهوية صراع مستمر من

204 Ibid., pp. 177-180.

205 Katzenstein (ed.).

206 Wendt, *Social Theory of International Politics*.

207 Katzenstein, "Introduction: Alternative Perspectives on National Security," p. 67.

203 Hopf, pp. 174-175.

أساسي"⁽²¹³⁾. ثانياً، يتبنّى ونت الافتراضات الواقعية؛ فهو يقول إنه يتقاسم الافتراضات الواقعية التي لحّصها ميرشايمر في خمسة عناصر: 1. فوضوية السياسة الدولية، 2. سعي الدول لامتلاك قدرات هجومية، 3. اللابيقين، إذ لا يمكن أن تكون الدول واثقة تمامًا بنبأت غيرها، 4. سعي الدول للبقاء، 5. الدول فاعلون عقلانيون⁽²¹⁴⁾. ويضيف أنه يمكن تقاسم افتراضين إضافيين: 1. الدولة بوصفها وحدة تحليل، 2. أهمية التنظير النظامي أو "الصورة الثالثة"⁽²¹⁵⁾.

التفسير الثاني، وهو تفسير مرتب على الأول، وجود خلافات بنائية بينية - على غرار الخلافات الواقعية البينية حول تفسير الفوضى والمعضلة الأمنية - بشأن تحليل مسائل مركزية مثل طبيعة العلاقة بين الهوية والأمن ونطاق الأخير. وحتى لا نجحف في حق البنائيين، يتعين الإشارة هنا إلى أن إسهامات البنائية النقدية خففت من وقع غياب "نظرية بنائية" للأمن، مقترحةً منظوراً بنائياً موسعاً للأمن.

التفسير الثالث، ربما ساهمت مكانة البنائية، بوصفها مرجعية مشتركة لمختلف المقاربات الأمنية الجديدة، في الحد من تطوير "نظرية بنائية" في الأمن. وما أن مختلف المقاربات الأمنية الجديدة، التي تتفق في الأساس حول رفض المقاربات الأمنية التقليدية، تتغذى كلها من الرافد البنائي عموماً، وإن كانت منتقدة لنسخته التقليدية لخياراتها ولانحيازها إلى المقاربات التقليدية، فإنها لا ترفض البنائية التقليدية، ممثلة في ونت أساساً، جملة وتفصيلاً، بل تتعامل معها بانتقائية نظرية، ما أوجد نوعاً من خطوط التوافق حول تصورات بشأن مفاهيم مركزية (الفوضى، والمعضلة الأمنية، والعلاقة بين الهوية والأمن، وغير ذلك). إذًا، ترفض المقاربات الأمنية الجديدة خيارات البنائية التقليدية الإبتيمولوجية، لكنها تتقاسم معها الأنطولوجيا الاجتماعية ومسئمة البناء الاجتماعي والتصورات ذاتها بشأن مفاهيم مركزية.

يتمثل الاستنتاج الأهم من كل هذا في أنه إذا كانت البنائية (التقليدية) لم تفلح في مشروعها التوفيقي بوصفها أرضية وسطى بين المقاربات العقلانية والمقاربات التأملية، فإن نجاح البنائية، بأطيافها

كثيرة على الوضعية⁽²⁰⁸⁾. وقد وصل هذا الاصطفاف حد الإقصاء الواضح للدراسات الأمنية ذات التوجه البنائي التأملي. فبعد أن أكد كاتزنشتاين وزملاؤه أنهم يتبنّون تصوراً ضيقاً للدراسات الأمنية⁽²⁰⁹⁾، جاءت خاتمة الكتاب أشد وضوحاً في هذا الخصوص: "لا ينبغي أن تقتصر الدراسات الأمنية على الدول ومسائل الأمن العسكري فحسب، ولا ينبغي أيضاً توسيعها حتى تشمل كل المسائل المرتبطة على نحو مباشر أو غير مباشر بالعنف بين الأفراد والجماعات. يمكن أن تضيف الدراسات الأمنية الأوسع إلى التحليل التقليدي للأمن القومي إذا كانت للمسائل والفاعلين الذين تدرسهم روابط قابلة للإثبات مع الدول والمسائل ذات الأهمية العسكرية"⁽²¹⁰⁾. فتصورهم الضيق للدراسات الأمنية يتوافق والتصور ذاته عند ستيفن والت⁽²¹¹⁾. أما ونت، فهو الآخر واضح في انحيازه الصريح إلى التيار العقلاني، على الرغم من أن مشروعه البحثي يدّعي تجسير الهوة بين العقلانية والتأملية، مجهضاً منذ البداية، محاولته التوفيقية هذه.

تواجه البنائية معضلتين: الأولى "خارجية" على مستوى التعارض الإبتيمولوجي الوضعي - ما بعد الوضعي، لكن ونت حسمه بالتزامه الوضعي قائلاً: "أنا وضعي"⁽²¹²⁾. وقد قوّض انحيازه هذا مشروعه التوفيقي بين العقلانية والتأملية. أما الثانية فتقاطعية داخلية - خارجية، وتتمثل في العلاقة بين البنائيتين التقليدية والنقدية، إذ إن أي "تصالح" بين بنائية ونت والبنائية النقدية يعني إخلاله بالتزامه الإبتيمولوجي الوضعي، وفي المقابل يقوّض أي "تصالح" بنائي بني علاقة ونت مع الواقعية، وعلاقة البنائية النقدية مع المقاربات النقدية وما بعد الحداثة والتأملية عموماً. وبالطبع، حسم ونت الأمر، كما قلنا، بتفضيل التزامه الخارجي (إزاء الواقعية والعقلانية عموماً) على حساب التأملية عموماً والبنائية الأخرى (أي النقدية) خصوصاً، ما قوّض، في نهاية المطاف مشروع الأرضية الوسطى لأنه مرفوض أصلاً من البنائية النقدية.

يمكن اعتبار بنائية ونت واقعية، وذلك لسببين. أولاً، ينصبّ اهتمام بنائية ونت، والبنائية التقليدية عموماً، على مراجعة مسلمات الدراسات الأمنية التقليدية، وليس "الطعن فيها على نحو

213 Peoples & Vaughan-Williams, p. 17.

214 Wendt, "Constructing International Politics," p. 72;

لتفاصيل بشأن هذه الافتراضات وتحليل ميرشايمر، ينظر: John J. Mearsheimer, "The False Promise of International Institutions," *International Security*, vol. 19, no. 3 (Winter 1994-1995), pp. 5-49.

215 Wendt, "Constructing International Politics," p. 72.

تحيل فكرة "الصورة الثالثة" إلى تحليل والتز لمستويات التحليل: الفرد (طبيعة الإنسان وسلوكه - حالة الطبيعة)؛ الدولة (بنيتها الداخلية)؛ النظام الدولي (بنيتها الفوضوية). يتحدث والت، في تقديمه لكتابه، عن أصل فكرة "الصور الثلاث" ومبررها، ينظر:

Kenneth N. Waltz, *Man, the State and War: A Theoretical Analysis*, 3rd ed. (New York: Columbia University Press, 2001 [1959]).

208 Hopf, p. 183.

209 Katzenstein, "Introduction: Alternative Perspectives on National Security," p. 10.

210 Peter Katzenstein, "Conclusion: National Security in a Changing World," in: Katzenstein (ed.), p. 525.

211 Stephen M. Walt, "The Renaissance of Security Studies," *International Studies Quarterly*, vol. 35, no. 2 (June 1991), p. 212.

212 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 39.

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. "تأملات في مسألة الهوية". تبيين. مج 11، العدد 41 (صيف 2022).

بن عنتر، عبد النور. "التسلح والمعضلة الأمنية في المنطقة المغاربية: التنافس الجزائري - المغربي". سياسات عربية. مج 12، العدد 68 (أيار/ مايو 2024).

_____. غرب المتوسط مركبًا أمنيًا: مبادرة 5+5 دفاع وديناميات الأمن والهجرات. ترجمة عومرية سلطاني. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2024.

حمشي، محمد. مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

الأجنبية

Adler, Emmanuel & Michael Barnett (eds.). *Security Communities*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Adler, Emmanuel. "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics." *European Journal of International Relations*. vol. 3, no. 3 (September 1997).

Alex, Macleod. "Les études de sécurité: Du constructivisme dominant au constructivisme critique." *Cultures & Conflits*. no. 54 (Été 2004).

Axelrod, Robert & Robert O. Keohane. "Achieving Cooperation Under Anarchy: Strategies and Institutions." *World Politics*. vol. 38, no. 1 (October 1985).

Austin, J. L. *How to do Things with Words*. Oxford: Oxford University Press, 1962.

Balzacq, Thierry. *Théories de la sécurité: Les approches critiques*. Paris: Presses de Sciences Po, 2016.

المختلفة، يكمن في مستوى آخر، ربما لم يكن متوقعًا بهذا الحجم: فهي أصبحت، بفضل إسهاماتها النظرية الأصلية أرضية نظرية مشتركة للمقاربات الأمنية الجديدة، مُشكّلةً رافدها النظري الأساسي. وههنا، يكمن نجاح البنائية نظريًا في حقل الدراسات الأمنية، بل يمكن القول إن كل المقاربات الأمنية الجديدة بنائية.

- Buzan, Barry & Herring Eric. *The Arms Dynamic in World Politics*. London: Lynne Rienner Publishers, 1998.
- Buzan, Barry, Charles Jones & Richard Little. *The Logic of Anarchy: Neorealism to Structural Realism*. New York: Columbia University Press, 1993.
- Charillon, Frédéric (dir.). *Politique étrangère: Nouveaux regards*. Paris: Presses de Sciences Po, 2002.
- Checkel, Jeffrey T. "Social Constructivisms in Global and European Politics: A Review Essay." *Review of International Studies*. vol. 30, no. 2 (April 2004).
- David, Charles-Philippe. *La guerre et la paix: Approches contemporaines de la sécurité et de la stratégie*. Paris: Presses de Sciences Po, 2000.
- Dehousse, Renaud (dir.). *Politiques européennes*. Paris: Presses de Sciences Po, 2009.
- Djaït, Hichem. "L'Europe et l'Islam: La dynamique historique." *Diogenes*. no. 91 (Juillet-Septembre 1975).
- Dunne, Tim, Milja Kurki & Steve Smith (eds.). *International Relations Theories: Discipline and Diversity*. 5th ed. Oxford: Oxford University Press, 2021.
- Farrell, Theo. "Constructivist Security Studies: Portrait of a Research Program." *International Studies Review*. vol. 4, no. 1 (Spring 2002).
- Finnemore, Martha. *National Interest in International Society*. Ithaca: Cornell University Press, 1996.
- Finnemore, Martha & Kathryn Sikkink. "International Norm Dynamics and Political Change." *International Organization*. vol. 52, no. 4 (Autumn 1998).
- _____. "Taking Stock: Constructivist Research Program in International Relations." *Annual Review of Political Science*. vol. 4 (2001).
- Benantar, Abdenmour . "Quelle architecture de sécurité pour la Méditerranée?" *Critique Internationale*. no. 69 (Octobre-Décembre 2015).
- _____. "L'Algérie et la construction d'une norme internationale: Criminalisation de paiement de rançon." *The Algerian Journal of Political Sciences and International Relations*. vol. 16, no. 1 (June 2023).
- _____. *Sécurité et immigration: Réflexions sur les études (critiques) de sécurité et l'Ecole de Copenhague*. Oran: Editions Ibn Nadim, 2024.
- Berger, Peter L. & Thomas Luckman. *The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge*. London: Penguin Books, 1966.
- Bigo, Didier. "Sécurité et immigration: Vers une gouvernementalité par l'inquiétude." *Cultures & Conflits*. no. 31-32 (Printemps-Été 1998).
- _____. "La mondialisation de l'(in)sécurité? Réflexions sur le champ des professionnels de la gestion des inquiétudes et analyse de la transnationalisation des processus d'(in)sécurisation." *Cultures & Conflits*. no. 58 (Été 2005).
- Brubaker, Rogers. "Nationhood and the National Question in the Soviet Union and Post-Soviet Eurasia: An Institutional Account." *Theory and Society*. vol. 23, no. 1 (1994).
- Booth, Ken (ed.). *Critical Security Studies and World Politics*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2005.
- _____. *Theory of World Security*. Cambridge: Cambridge University Press, 2012.
- Bourdieu, Pierre. *Langage et pouvoir symbolique*. Paris: Editions du Seuil, 2001.
- Buzan, Barry. *People, States and Fear: An Agenda for International Security Studies in the Post-Cold War Era*. 2nd ed. New York: Harvester Wheatsheaf, 1991.

- Krause, Keith & Michael C. Williams (eds.). *Critical Security Studies: Concepts and Cases*. London: UCL Press, 1997.
- Kubáľková, Vendulak, Nicholas Onuf & Paul Kowert (eds.). *International Relations in a Constructed World*. London: Routledge, 2015 [1998].
- Laïdi, Zaki. *La norme sans la force: L'énigme de la puissance européenne*. Paris: Presses de Sciences Po, 2013.
- Lapid, Yosef & Friedrich Kratochwil (eds.). *The Return of Culture and Identity in IR Theory*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1996.
- Le Gloannec, Anne-Marie (dir.). *Entre union et nations: L'état en Europe*. Paris: Presses de Sciences Po, 1998.
- Macleod, Alex. "La culture populaire visuelle: Un espace à explorer pour les études critiques de sécurité." *Cultures & Conflicts*. no. 102 (Été 2016).
- Macleod, Alex, Isabelle Masson & David Morin. "Identité nationale, sécurité et la théorie des relations internationales." *Etudes internationales*. vol. 35, no. 1 (Mars 2004).
- McSweeney, Bill. *Security, Identity and Interests: A Sociology of International Relations*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.
- Mearsheimer, John J. "The False Promise of International Institutions." *International Security*. vol. 19, no. 3 (Winter 1994-1995).
- _____. *The Tragedy of Great Powers Politics*. New York: W.W. Norton & Company, 2001.
- Onuf, Nicholas. *World of Our Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations*. London: Routledge, 2013 [1989].
- Peoples, Columba & Nick Vaughan-Williams. *Critical Security Studies: An Introduction*. 3rd ed. London: Routledge, 2021.
- Foucault, Michel. *Surveiller et punir*. Paris: Gallimard, 1993.
- Gallie, W. B. "Essentially Contested Concepts." *Proceedings of the Aristotelian Society*. vol. 56, no. 1 (March 1956).
- Glaser, Charles L. "Realists as Optimists: Cooperation as Self-help." *International Security*. vol. 9, no. 3 (Winter 1994-1995).
- _____. "Security Dilemma Revisited." *World Politics*. vol. 50, no. 1 (October 1997).
- Guzzini, Stefano. "A Reconstruction of Constructivism in International Relations." *European Journal of International Relations*. vol. 6, no. 2 (June 2000).
- Hatzopoulos, Pavlos & Fabio Petito (eds.). *Religion in International Relations: The Return from Exile*. Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003.
- Herz, John H. "Idealist Internationalism and the Security Dilemma." *World Politics*. vol. 2, no. 2 (January 1950).
- Hobbes, Thomas. *Leviathan*. Oxford: The Clarendon Press, 1909.
- Hopf, Ted. "The Promise of Constructivism in International Relations." *International Security*. vol. 23, no. 1 (Summer 1998).
- Huysmans, Jef. *The Politics of Insecurity: Fear, Migration and Asylum in the EU*. London: Routledge, 2006.
- Katzenstein, Peter (ed.). *The Culture of National Security: Norms, Identity in World Politics*. New York: Columbia University Press, 1996.
- Kissane, Dylan. *Beyond Anarchy: The Complex and Chaotic Dynamics of International Politics*. Stuttgart: Ibidem-Verlag Press, 2014.
- Klotz, Audie & Cecelia Lynch. "Le constructivisme dans la théorie des relations internationales." *Critique internationale*. vol. 2, no. 1 (Hiver 1999).

- Wendt, Alexander. "The Agent-Structure Problem in International Relations." *International Organization*. vol. 41, no. 3 (Summer 1987).
- _____. "Anarchy is What States Make of It: The Social Construction of Power Politics." *International Organization*. vol. 46, no. 2 (Spring 1992).
- _____. "Constructing International Politics." *International Security*. vol. 20, no. 1 (Summer 1995).
- _____. *Social Theory of International Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.
- Williams, Paul D. & Matt McDonald (eds.). *Security Studies: An Introduction*. 4th ed. London: Routledge, 2023.
- Wolfers, Arnold. "'National Security' as an Ambiguous Symbol." *Political Science Quarterly*. vol. 67, no. 4 (December 1952).
- Zehfuss, Maja. *Constructivism in International Relations: The Politics of Reality*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.
- Robert, Jervis. "Cooperation Under the Security Dilemma." *World Politics*. vol. 30, no. 2 (January 1978).
- Roe, Paul. *Ethnic Violence and Societal Security Dilemma*. London: Routledge, 2005.
- Salter, Mark B. *Barbarians & Civilization in International Relations*. London: Pluto Press, 2002.
- Schmidt, Brian C. *The Political Discourse of Anarchy: A Disciplinary History of International Relations*. New York: State University of New York Press, 1998.
- Thucydide. *Histoire de la guerre du Péloponnèse*. Jean Voilquin (trad.). Jean Capelle (notes). Paris: GF-Flammarion, 1966.
- Walt, Stephen M. "The Renaissance of Security Studies." *International Studies Quarterly*. vol. 35, no. 2 (June 1991).
- Waltz, Kenneth N. *Theory of International Politics, Theory of International Politics*. Reading: Addison-Wesley, 1979.
- _____. "The Origin of War in Neorealist Theory." *Journal of Interdisciplinary History*. vol. 18, no. 4 (Spring 1988).
- _____. *Man, the State and War: A Theoretical Analysis*. 3rd ed. New York: Columbia University Press, 2001 [1959].
- Weldes, Jutta et al. (eds.). *Cultures of Insecurity: States, Communities and the Production of Danger*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999.
- Weldes, Jutta. "Constructing National Interests." *European Journal of International Relations*. vol. 2, no. 3 (September 1996).
- _____. *Constructing National Interests: The United States and the Cuban Crisis*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999.

مروة فكري | Marwa Fekry*

تحولات النظام الإقليمي العربي: مقاربة بنائية

Transformations of the Arab Regional Order: A Constructivist Approach

تسعى هذه الدراسة للبحث في دور الهوية والأفكار والمعايير والمصالح في تشكيل النظام الإقليمي العربي عبر مراحل تاريخية مختلفة، انطلاقاً من أطروحات ألكسندر ونت البنائية. وتهدف أيضاً إلى تقييم إمكانيات النظرية البنائية في تفسير ديناميات المنطقة، والكشف عن حدودها التفسيرية. وتركز على مراحل محورية ارتبطت بأحداث كبرى مثل حلف بغداد (1955)، وهزيمة حزيران/ يونيو 1967، وحرب الخليج الأولى (1990)، وغزو العراق (2003)، والربيع العربي (2011)؛ وتبين كيف أعادت هذه الأحداث تشكيل الهويات الإقليمية من خلال صراع الروايات والثنائيات المهيمنة؛ إذ اعتمدت شرعية الفاعلين على قدرتهم على فرض رواياتهم وإعادة تعريف القضايا الأساسية. وتخلص إلى أن الهوية والمعايير أديا دوراً محورياً في تشكيل السياسة الإقليمية؛ إذ تجاوزت الصراعات التنافس على القوة المادية، إلى الصراع على التصورات والأدوار. وعلى الرغم من مساهمة البنائية في ربط الهوية بالتفاعلات الإقليمية، فإن تفسيراتها تبقى محدودة، فشأنها شأن نظريات العلاقات الدولية الأخرى.

كلمات مفتاحية: البنائية، ألكسندر ونت، النظام الإقليمي العربي، الدول المراجعة، دول الوضع القائم.

This study examines the role of identity, ideas, norms, and interests in shaping the Arab regional order across different historical periods, building on Alexander Wendt's constructivist approach. It critically evaluates both the explanatory power and inherent constraints of this approach in explaining regional dynamics within the Arab region. The study focuses on pivotal junctures linked to major events such as the Baghdad Pact (1955), the 1967 defeat, the Gulf War (1990), the Iraq invasion (2003), and the Arab Spring (2011). It demonstrates how these events reshaped regional identities through competing narratives and dominant dichotomies, where actors' legitimacy depended on their ability to impose narratives and redefine core issues. The study concludes that identity politics and normative frameworks played a central role in shaping regional policies and dynamics. Regional conflicts mainly manifested as struggles over ideational factors and positional roles rather than crude power maximization. Although constructivism offers valuable insights into how identity shapes regional interactions, its explanatory scope remains partial. As with all IR theoretical perspectives, it emphasizes certain dimensions while neglecting others.

Keywords: Constructivism, Alexander Wendt, Arab Regional Order, Revisionist States, Status-Quo States.

* أستاذة العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

Assistant Professor of Political Science, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University.

Email: marwa.fekri@feps.edu.eg

مقدمة

ومكانية مختلفة؛ فإن سؤالاً يُثار عن إمكانية تطبيق أفكاره على النظام الإقليمي العربي، وإذا ما كان من شأن هذا التطبيق إثراء قدرتنا على فهم أنماط التحالفات والخصومات، وسلوك الدول عمومًا، في المنطقة في مراحل زمنية مختلفة. ومن ثم، تطرح هذه الدراسة سؤالاً رئيسًا، مفاده: كيف ساهمت الهوية والأفكار والمعايير في رسم ملامح النظام الإقليمي العربي عبر فترات زمنية مختلفة من صيرورته؟ ومن هذا السؤال الرئيس تتفرّع، على الأقل، ثلاثة أسئلة فرعية: كيف شكّلت هويات الفاعلين تصوّرات التهديد، ومن ثم نمط التحالفات السائدة في المنطقة؟ وما أثر التحوّلات في الهوية في طبيعة الخطاب السياسي السائد؟ وكيف بدّلت الطائفية من السياسة الإقليمية؟ وكيف أثر نظام الدول الإقليمي في الطائفية؟

أولاً: مدخل نظري إلى إشكالية البحث

تعتمد هذه الدراسة على مقولات البنائية الرئيسة، خاصة تلك التي صاغتها كتابات ونت، لتقييم مدى فائدتها في دراسة النظام الإقليمي العربي وحدود التحليل الذي يُبنى عليها. تستند البنائية في تفسيرها سلوك الدول الخارجي إلى عوامل مستمدة من دور الأفكار Ideational؛ أي غير مادية، بحسبان أنها هي التي تُضفي معنى ودلالة على العوامل المادية. ويرفض ونت ادعاء الواقعية والليبرالية بوجود واقع خارجي موضوعي مستقل عن فهمنا له. وتهتم نسخة البنائية الونتية Wendtian Constructivism، في المقابل، بأثر المعايير والقيم والأفكار والهويات والثقافة المشتركة وتصورات الذات في سلوك الدول، انطلاقاً من مقولة ونت الشهيرة التي مؤداها أن: "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها". فلا يتحدّد سلوك الدول، وفقاً له، تحت تأثير بنية النظام الدولي وتوزيع القوة المادية بينها فحسب، بل أساساً من خلال هوياتها وأفكارها ومعاييرها⁽³⁾.

ما يهمّنا، في هذا السياق، هو ما يتعلّق بفكرة الهوية⁽⁴⁾ وآثارها في المصلحة، ومن ثم في التفاعل والبنية. فالفاعل لا يحوز هويةً فحسب، بل يحرص على عرضها أيضاً. وتنتج هوية الفاعل من نظرتة إلى نفسه في علاقته بالآخر؛ أو، كما بيّن ونت، هي تلك الصورة المتجذّرة في الفهم الذاتي للفاعل (أي فهم الفاعل لذاته). ومن ثم، يمكن أن تؤسس الدول أفعالها على الدين أو الأيديولوجيا أو العرق، أو غير ذلك. وعلى هذا

لا يستطيع المتأمل في أنماط الصراعات والتحالفات، التي تتميز بها السياسة الإقليمية العربية، إغفال أهمية الأبعاد المتعلقة بالهوية، والاختلافات حول المعايير والمبادئ التي ينبغي أن يؤسّس عليها النظام الإقليمي. فعلى سبيل المثال، يمثل الصراع السُني - الشيعي لعبةً قوةً أساسيةً في المنطقة بين المملكة العربية السعودية وإيران؛ وهو صراع اتخذ أبعاداً جديدة مع الربيع العربي - وما قبله أيضاً - أهمها بروز البعد الطائفي في السياسات الداخلية والخارجية لدى فاعلين كثر في المنطقة؛ إضافة إلى الانقسامات البينية الأخرى التي رسمت طبيعة التحالفات والمحاور في المنطقة ما بين اعتدال وممانعة، واستقرار واضطراب، وغيرهما. في الوقت نفسه، لا يخلو الخطاب السياسي الذي تتبنّاه غالبية الدول العربية، على سبيل المثال، من الإشارة إلى "الأمة العربية" و"المصلحة العربية" و"الشعوب العربية"، وهي مفاهيم تعكس انتماءً ثقافياً مشتركاً، وتحمل إرثاً أفكار القومية العربية التي، وإن توارت مع الوقت، لا تزال تنطوي على توقعات لدى الأفراد، بل يفرض هذا الخطاب على النخب الحاكمة تبرير أفعالها إذا ما جانبته.

تستدعي هذه الأمثلة أطروحات النظرية البنائية في حقل العلاقات الدولية⁽¹⁾، التي تُركّز على دور العوامل غير المادية في تشكيل سلوك الدول، ومن ثم طبيعة البنية التي توجد فيها. وقد أوضح ألكسندر ونت في مقالة له معروفة بعنوان "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، منشورة في عام 1992، أن الفوضى - بمعنى غياب سلطة مركزية عن النظام الدولي - هي نتاج لعملية تفاعل اجتماعي أنتجت ممارسات الفاعلين في النظام، وأثّرت في بنيته، وتأثّرت بها في الوقت نفسه. ويعني ذلك أن طبيعة النظام الدولي، وما يترتب عليها، هي نتاج عمليات وعلاقات اجتماعية بين الوحدات في تفاعلها مع بنية النظام الدولي⁽²⁾. ويؤكد ونت في هذا السياق دور الأفكار والإدراكات والهويات في السياسة الدولية وتعاضم تأثيرها، مقارنة بالقوى والعوامل المادية.

على الرغم من أن ونت طرح أفكاره في الأساس على مستوى النظام الدولي لفهم طبيعة العلاقات الدولية السائدة في سياقات زمنية

1 ثمة جدل بشأن إمكانية حساب البنائية نظرية في العلاقات الدولية. وترى هذه الدراسة أنها نظرية، لكن ليس بالمعنى الوضعي التقليدي الذي يتوقع من النظرية بناء ارتباطات سببية تُمكن من التنبؤ بالسلوك لاحقاً؛ وهي بدلاً من ذلك، تُركّز على العمليات الاجتماعية بدلاً من القوانين السببية.

2 Alexander Wendt, "Anarchy is what States Make of it," *International Organizations*, vol. 46, no. 2 (1992), pp. 391-425;

وينظر ترجمة المقال إلى اللغة العربية، في: ألكسندر ونت، "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: السياسة الدولية بوصفها بناءً اجتماعياً"، ترجمة سارة إسماعيل، *سياسات عربية*، مج 13، العدد 73 (آذار/ مارس 2025)، ص 123-152.

3 Ibid.

4 ميّز ونت بين أربعة أنواع من الهويات: الشخصية Personal، والنوعية Type، والمتعلقة بالدور Role-Related، والجماعية Collective. وفقاً له، تُفعل معظم الهويات بانتقائية، اعتماداً على المواقف التي نجد فيها أنفسنا. ينظر: Alexander Wendt, *Social Theory of International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999), p. 230.

بالنسبة إليهم. ثالثًا، المصالح، التي تُعرّف بعد تحديد الهوية، وتتغير بتغيرها. وهنا، تتمثل المسألة المهمة في أن هذه العناصر مترابطة إلى حد بعيد، وهي ضرورية لفهم النتائج الاجتماعية؛ إذ "لا وجود لمصالح من دون أفكار؛ ومن دون مصالح، لا وجود لشروط مادية ذات مغزى، ومن دون شروط مادية، لا يوجد واقع على الإطلاق"⁽¹⁰⁾.

عطفًا على ذلك، يمكن الحديث عن نظام إقليمي عربي⁽¹¹⁾ يتشكل اجتماعيًا وتاريخيًا منذ نشأته، من خلال الأفكار التي مثلت دينامية دافعة في تطوره وتشكل هويته. فقد ولد هذا النظام حاملًا معه سمات مميزة؛ فهو نظام ما بين الدول، لكنه متجذر في هويات فوق الدولة، على حد تعبير ريموند هينبوش⁽¹²⁾، إضافة إلى أنه يحظى بدرجة عالية من التماسك اللغوي والثقافي والاجتماعي. وتمثل هذه الخصائص بنية الهوية التي تحدث عنها ونت، كما تُفسر الثنائيات في الأفكار والهويات التي طالما اتسمت بها طبيعة العلاقات في الإقليم، ومجموعة القيم التي نتجت من التفاعلات العربية - العربية منذ نشأة النظام الرسمية في عام 1945 وحددت هويته. فقد كانت العروبة في مرحلة معينة، على سبيل المثال، أداة قوية دفعت الدول العربية إلى تشكيل مجموعة من المعايير القومية العربية التي أصبحت معيارًا للشرعية - على الأقل على المستوى الشعبي - ومن ثم شكّلت سلوك الدولة بطرائق لم يكن الماديون البنيويون يتوقعونها⁽¹³⁾.

وانطلاقًا من رؤية ونت، لكل هوية نقيضها، فوجود الأنا يتطلب وجود الآخر. ومن هنا، نفهم، على سبيل المثال، الكثير من الثنائيات التي ظهرت على مدار تاريخ تطوّر الإقليم، مثل القومية العربية، في مقابل الانتماءات غير العربية، أو العروبة (تحديدًا، القومية الناصرية)، في مقابل النزعة الإسلامية، أو الدول الرجعية، في مقابل الدول التقدمية، فضلًا عن الإسلام السُّني، في مقابل الإسلام الشيعي، وهكذا. يتعلّق المكوّن الثاني، كما بينّ ونت، بكيفية التفاعل مع الظروف المادية.

النحو، تعني الهوية، لدى ونت، الرؤية والوجهة اللتين تُحدّدان كيفية تصرف الفاعلين تجاه بيئتهم، والمصالح المراد تحقيقها؛ إذ يتغير الهوية، يختلف تعريف الفاعل لمصلحته، ومن ثم يتغير سلوكه⁽⁵⁾.

عبر ونت عن هذه الفكرة من خلال مفهوم "بنية الهوية والمصلحة"، موضحًا أنه لا توجد بنية واحدة تترتب منطقيًا على الفوضى⁽⁶⁾؛ فالمصلحة الوطنية ليست شيئًا محددًا على نحو موضوعي، بل هي مشروع دائم التشكّل، ويختلف باختلاف الزمن، وباختلاف علاقات الفاعل الاجتماعية. ويعني ذلك أيضًا أن البنية ليست واحدة أو ثابتة؛ إذ تُشكّل المعايير المختلفة، وفقًا للأفكار والهويات السائدة، أنواعًا مختلفة من الفوضى في النظام الدولي: هوبزية (نسبة إلى توماس هوبز)، حيث عالم من الأعداء، أو لوكية (نسبة إلى جون لوك)، حيث عالم من المنافسين الأنايين، وكانطية (نسبة إلى إيمانويل كانط)، حيث عالم من الأصدقاء⁽⁷⁾.

يبرز هنا مبدأ أساسي من مبادئ البنائية الاجتماعية، كما عبر عنه ونت، فحواء أن الأفراد يتصرفون تجاه الأشياء - بمن في ذلك الفاعلون الآخرون - بناءً على المعاني التي تحملها هذه الأشياء بالنسبة إليهم. ولذلك، تتصرف الدول بطريقة مختلفة تجاه الأعداء، مقارنة بالأصدقاء؛ ومن هنا، فإن الفوضى وتوزيع القوى لا يكفيان للتمييز بين العدو والصديق. صحيح أن توزيع القوى يؤثر في حسابات الدول، لكن كيفية ذلك تعتمد على المعاني والتوقعات البيئانية intersubjective التي تُشكّل التصورات المتبادلة عن الذات والآخر. وعلى هذا النحو، تشكّل المعاني الجماعية البنى التي تُنظّم أفعالنا، ويكتسب من خلالها الفاعلون هوياتهم⁽⁸⁾.

يفترض ونت أن أي بنية اجتماعية تتألف من ثلاثة عناصر: أولًا، الأفكار التي تشكّل الفاعلين في موقف ما، وطبيعة علاقاتهم، سواء أكانت تعاونية أم صراعية⁽⁹⁾. ثانيًا، الظروف المادية؛ إذ يتصرف الفاعلون على أساس المعاني المبنية اجتماعيًا، التي تحملها الأشياء

10 Ibid., 139.

في مقالة سابقة نشرت في عام 1995، عرّف ونت العامل الثالث من عوامل البنية الاجتماعية بأنها "الممارسات". وبناء عليه، لا توجد البنى الاجتماعية في عقول الفاعلين، ولا تعتمد على القدرات المادية فحسب، بل ترتبط أيضًا بالممارسات التي تُعيد إنتاج البنى الاجتماعية. ينظر: Alexander Wendt, "Constructing International Politics," *International Security*, vol. 20, no. 1 (1995), p. 73.

11 تعود البدايات السياسية للنظام الإقليمي العربي إلى نشأة التيارات العروبية التي انطلقت من الشام في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر في وجه سياسة التتريك والجامعة الإسلامية العثمانية التي أطلقتها الأستانة.

12 Raymond Hinnebusch, "The Sectarian Surge in the Middle East and the Dynamics of the Regional State-System," *Tidsskrift for Islamforskning*, vol. 13, no. 1 (2019), p. 36.

13 Raymond Hinnebusch, "Identity in International Relations: Constructivism Versus Materialism, and the Case of the Middle East," *The Review of International Affairs*, vol. 3, no. 2 (2003), pp. 358-362.

5 فصل ونت أكثر في هذه الأفكار في كتابه *نظرية اجتماعية للسياسة الدولية*، حيث بين أن البنية الناتجة تتأثر بالأفكار أكثر من تأثرها بالعوامل المادية، مؤكدًا تشكّل مصلحة الفاعل وهويته، سواء أكان فردًا أم جماعة أم دولة، عن طريق هذه الأفكار المشتركة والتفاعلات المتبادلة أكثر من الأمور المادية أو الطبيعية. ينظر:

Ibid., pp. 96, 135, 136; Alexander Wendt, "Identity and Structural Change in International Politics," in: Yosef Lapid & Friedrich Kratochwil (eds.), *The Return of Culture and Identity in IR Theory* (London/ Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 1996), p. 50.

6 Wendt, "Anarchy is what States Make of it," p. 396.

7 Wendt, *Social Theory*, pp. 98-99, 105-106.

8 Wendt, "Anarchy is what States Make of it," pp. 397, 398.

9 بنية النظام الدولي، بحسب ونت، هي بنية من الأفكار المتشاركة؛ إذ تؤدي الأفكار المتشاركة المختلفة إلى أفعال ومصالح مختلفة. ينظر:

Wendt, *Social Theory*, p. 231.

بأحداث كبرى، مثل تأسيس حلف بغداد في عام 1955، وهزيمة حرب حزيران/ يونيو 1967، وحرب الخليج الأولى في عام 1990، وغزو العراق في عام 2003، وانتفاضات الربيع العربي في عام 2011. وتحدد أهمية هذه الأحداث من خلال التغيرات في مسألة أيّ الروايات أو الثنائيات التي سيطرت في كل مرحلة تاريخية؛ إذ تعتمد صدقية كل فاعل على قدرته على تحييد الروايات المنافسة، وقدرته على تحديد طبيعة القضايا السياسية المهمة في لحظة محددة وطبيعتها⁽¹⁸⁾.

يُبين تاريخ النظام الإقليمي العربي أن الهويات المتعددة التي يتّسم بها قد تتصارع أحياناً حين يفرض السياق على الفاعلين الاختيار بين مطالب هوياتية متباينة. ويمكن أن تعاني الدول، في هذا السياق، صراعاً هوية، من المحتمل أن يظهر في ظل ظرفين أساسيين: الأول، حين تدفع التعريفات المتنافسة للهوية الجماعية نحو سلوكات أو أدوار متناقضة. والثاني، حين لا تصبح تعريفات الذات الجماعية مقبولة في ظل ظروف تاريخية جديدة

سبق أن قدّم مايكل بارنيت مقارنة بنائية لسيروية تطوّر النظام الإقليمي، قائمة على التنافس بين هويتين أساسيتين وطبيعة النظام الإقليمي المرغوب فيه المرتب على كل منهما، وهما الهوية القائمة على العروبة، والأخرى النابعة من السيادة الوطنية. وعلى الرغم من براعة بارنيت في توظيف البنائية في تعزيز فهم السياسة العربية⁽¹⁹⁾، فإنه همّش، بدرجة كبيرة، مكوّنًا مهمًا من مكوّنات الهوية الإقليمية، ألا وهو الدين - تحديداً الإسلام - وتأثيراته في هويات الفاعلين الرئيسيين في المنطقة، من الدول، وغير الدول أيضاً.

وتشير العوامل المادية إلى سمات النظم السياسية والاقتصادية في الدول المكوّنة النظام، إضافة إلى الإطار السياسي الإقليمي والدولي ومحدداتهما وقيودهما، ونمط الإمكانات ومستوى القوة في النظام⁽¹⁴⁾. ومن المهم هنا التمييز بين الدول التي تُمثّل قلب النظام ومحور تفاعلاته السياسية، والدول الهامشية التي لا تنخرط في تفاعلات مكثّفة مع بقية دول النظام⁽¹⁵⁾. وينشأ من تفاعل الأفكار مع العوامل المادية تصوّرات للتهديد بناء على المعاني التي تُمثّلها هذه الأوضاع عند الفاعلين، كما تتولّد معايير مقبولة وأخرى مفروضة للسلوك. ويأتي التغيّر في توجهات القيادة المصرية بعد نكسة عام 1967 بخصوص طرائق تحقيق الوحدة العربية مثلاً على ذلك، كما سيأتي لاحقاً.

ثم هناك المصالح التي تتحدّد على أساس الهوية، والتي تتغيّر بتغيّرها؛ فالهويات والمصالح تنبعان من التفاعل، ولا تنشأ خارجة⁽¹⁶⁾؛ فالمصالح المترتبة على غلبة هوية الوحدة العربية، على سبيل المثال، تختلف عن تلك التي تنبع من التأكيد على هوية شرق أوسطية، وهكذا. وتنعكس المصالح أيضاً على نمط السياسات والتحالفات، وطبيعة العلاقات السائدة، وماهية القضايا التي يُثار الخلاف حولها⁽¹⁷⁾.

بحسب ونت، لا تتغيّر الهوية بسهولة إلا إذا كان ثمة تغيير كبير يجعل الفاعلين ينخرطون في علاقات اجتماعية جديدة تُسهم في تحديد هوية جديدة. كما يمكن أن تكون لدى الأفراد والجماعات والدول هويات متعددة، قد تُدمج على نحو متجانس في بعض الأحيان، بينما تنتظم في أوقات أخرى على نحو تراتبي. وهنا، تصبح إحدى تلك الهويات بمنزلة الهوية المركزية، أو الهوية القلب، في حين يجري تشغيل الهويات الأخرى في لحظات اجتماعية معيّنة على نحو لا يُقوّض مقومها الأساسي.

يُبين تاريخ النظام الإقليمي العربي أن الهويات المتعددة التي يتّسم بها قد تتصارع أحياناً حين يفرض السياق على الفاعلين الاختيار بين مطالب هوياتية متباينة. ويمكن أن تعاني الدول، في هذا السياق، صراعاً هوية، من المحتمل أن يظهر في ظل ظرفين أساسيين: الأول، حين تدفع التعريفات المتنافسة للهوية الجماعية نحو سلوكات أو أدوار متناقضة. والثاني، حين لا تصبح تعريفات الذات الجماعية مقبولة في ظل ظروف تاريخية جديدة. لذلك، تحدد هذه الدراسة عدداً من المراحل المحورية التي شهدت تغييراً في طبيعة هوية الإقليم من خلال تشغيل مستويات معيّنة في بنية الهوية وتهميش الأخرى. وغالباً ما ارتبطت هذه المراحل

18 Andrea Teti, "A Role in Search of a Hero: Construction and Evolution of Egyptian Foreign Policy," *Journal of Mediterranean Studies*, vol. 14, no. 1 (2004), p. 94.

19 Michael N. Barnett, "Identity and Alliances in the Middle East," in: Peter J. Katzenstein (ed.), *The Culture of National Security: Norms and Identity in World Politics* (New York: Columbia University Press, 1996), pp. 400-447; Michael Barnett, *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order* (New York: Columbia University Press, 1998).

14 جميل مطر وعلي الدين هلال، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، ط 5 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986)، ص 18-19.

15 المرجع نفسه.

16 Wendt, "Anarchy is what States Make of it," p. 394.

17 مطر وهلال، ص 18-19.

العربية وتبلورها في شكل تيار سياسي مُراجع، يسعى للتأكيد على استقلال العرب عن الدولة العثمانية، وكذلك منع أيّ تدخّل أجنبي للسيطرة على البلدان العربية⁽²⁴⁾. وكانت أبرز ملامح التعبير عنها الثورة العربية بقيادة الشريف حسين في عام 1916. وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، كانت الفكرة القومية قد انتشرت بدرجة ملموسة في المنطقة، خاصة في بلاد الشام، وتراجعت الهوية الدينية - خاصة بين النُخب - التي ربطت الشعوب العربية من قبل بالدولة العثمانية. وإن كانت حدود هذه الأمة لم تكن محلّ اتفاق بعد⁽²⁵⁾. وباتت ملامح النظام الإقليمي العربي وحدوده، مع مرور الوقت، أوضح، واتخذت شكلها المعروف اليوم، وأصبحت تُمثّل إطاراً تحدثت ضمنه التطورات السياسية في المنطقة⁽²⁶⁾.

مع نهاية الحرب العالمية الثانية (1945)، نضجت الأفكار القومية بدرجة كبيرة، وكذلك أفكار التحرر الوطني من الاستعمار. وارتبط مفهوم الوطن في هذه المرحلة ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم تقرير المصير والاستقلال، بعيداً عن الرابطة الدينية⁽²⁷⁾. وأخذ القوميون العرب في فترة الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات يطورون تصوّراً جديداً للوحدة العربية، مُستمدّاً من افتراضهم أن الأمة العربية ما هي إلاّ كيان اجتماعي ينبغي تحوّلُه إلى وحدة سياسية واحدة، تتماهى مع الحدود التاريخية والجغرافية للغة العربية⁽²⁸⁾؛ وهي الأفكار التي أدّت إلى بروز تيارين رئيسيين يُعبّران عن شكلين من أشكال الهوية في بنية الهوية⁽²⁹⁾: الدعوة القومية والمنطق القطري، على حساب الروابط الدينية والمحلية الأخرى. وترتب على ذلك تشكّل كتلتين رئيسيتين متنافستين، تطرحان أفكاراً متناقضة بشأن طبيعة النظام الإقليمي المرغوب فيه، هما: الكتلة المراجعة التي تمثّلت في الكتلة

لذلك، تتبنّى هذه الدراسة فكرة ونت الخاصة ببنية الهويات والمصالح، التي تحمل في ثناياها فكرة تعدد الهويات وإمكانية اختلاف تراتبيتها وفقاً لتطوّرات بعينها، أو عبر لحظات تاريخية مختلفة. وتتبع في رصدها تطوّر النظام الإقليمي ثنائية الدول المراجعة Revisionist، في مقابل الدول المحافظة على الوضع القائم Status quo، وذلك من خلال تحديد الهويات التي تستند إليها كل فئة من هذه الدول، والقضايا التي تهتم بها، والمصالح التي تصوغها، وطبيعة النظام الإقليمي الذي ترغب فيه⁽²⁰⁾. وتفهم الدراسة الدول المراجعة باعتبارها تلك الراغبة في تغيير قواعد اللعبة السائدة، خاصة ما يتعلّق بتصور دورها والهوية التي تُعبّر عنها (أو تدّعي التعبير عنها) في النظام، ومصادر الشرعية التي تستند إليها. أما دول الوضع القائم، فهي تلك التي تسعى للحفاظ على الأدوار والهويات ومصادر الشرعية على ما هي عليه⁽²¹⁾.

ثانياً: تحولات النظام الإقليمي العربي

تستلهم الدراسة، إذًا، المراحل التي أوضحها ونت في مقالته، والتي تجري من خلالها سيروية التغيّر في الهوية والمعايير؛ وتبدأ بانهايار الإجماع حول التزامات الهوية، مروراً بالفحص النقدي للأفكار القديمة عن الذات والآخر، وأخيراً الممارسة الجديدة التي تتضمن تغيّراً في الهويات والمصالح⁽²²⁾، مع إضافة بعض المراحل المهمة لفهم هذه التحولات الخاصة بالسياق العربي تحديداً. وننتقل في ما يلي إلى فحص هذه المراحل.

1. النشأة وولادة التناقضات (1916-1948)⁽²³⁾

تمتد هذه المرحلة من الحرب العالمية الأولى حتى تأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي (1948)؛ وشهدت تصاعد نشاط الحركة القومية

24 حتى نهاية القرن التاسع عشر، تعددت البنى السياسية التي خضع لها الإقليم. فقد مثّلت الإمبراطورية العثمانية والإسلام والبنى القبلية والقروية المحلية جزءاً من حياة الأفراد، ومن ثم شكّلت هوياتهم السياسية. ينظر: Barnett, *Dialogues in Arab Politics*, p. 58.

25 وفقاً للمؤتمر العربي في باريس، في عام 1913، اقتضت الحدود الجغرافية لمفهوم القومية العربية على شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب. ينظر: يوسف الشويري، *القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي، نظرة تاريخية* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 114.

26 مطر وهلال، ص 61-105.
Kristina Kausch, "Debating Middle Eastern Alliances," *Conference Report*, KAS Regional Program Political Dialogue South Mediterranean (March 2020), p. 3, accessed on 5/5/2024, at: <https://acr.ps/1L9zRWD>

27 الشويري، ص 104-105.

28 المرجع نفسه، ص 169.

29 أشكر المحكم المُغفل الهوية على ملاحظته الخاصة بإدخال الحركة في التحليل. فلا يعني ظهور كتلتين رئيسيتين في هذه المرحلة استمراريتها بضرورة التشكّل نفسها وللأسباب نفسها. وهنا يفتح التحليل البنائي المجال لفهم عملية التشكّل وإعادة التشكّل في المراحل المختلفة.

20 Wendt, *Social Theory*, pp. 98-99, 105-106.

21 ينبغي لنا الإشارة هنا إلى أن مفاهيم مثل الدول "المراجعة" ودول "الوضع القائم" هي مفاهيم مبنية اجتماعياً أيضاً، لأنها تتشكّل عبر التفاعلات والصراعات والتوافقات بين الفاعلين. ومن ثم، فهي قابلة لإعادة التأويل وإعادة التشكيل باستمرار وفقاً للتغيّرات في العوامل المادية، وكذلك في الإدراك الجمعي لهذه التغيّرات. قد تؤدي هذه التحولات إلى إعادة صوغ مفهوم الشرعية أو إلى تعديل في معايير السلوك المقبولة، وما إلى ذلك.

22 Wendt, "Anarchy What States Make of it," p. 420.

23 وقعت المنطقة العربية أو الشرق الأوسط تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية، حتى الحرب العالمية الأولى. وكانت هذه الإمبراطورية مزيجاً من القوميات، مثل الدين الإسلامي الرابط المشترك بينها. ونتيجة لذلك، وحتى بداية القرن العشرين، لم تكن هناك حركة شعبية قوية تنادي بالاستقلال العربي. إلا أن هذا تغيّر مع اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914)، فقد شجّعت بريطانيا ثورة الشريف حسين (1916)، الحاكم الهاشمي لإقليم الحجاز، من أجل إضعاف موقف الإمبراطورية العثمانية في الحرب. وبعد حملته الناجحة ضد العثمانيين وانتهاء الحرب، طالب حسين بمملكة عربية تضم غالبية الجزيرة والهلال الخصيب، إلا أن الغرب أقام بدلاً من ذلك دول انتداب في العراق وشرق الأردن وسورية. وتقلّد ولدا حسين، فيصل وعبد الله، حكم العراق والأردن على التوالي. للمزيد من التفصيل، ينظر:

Adeed Dawisha, *Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2003).

شبه الجزيرة العربية نفسها⁽³⁴⁾؛ ومن هنا، أصرت على استقلال كل دولة عربية استقلالاً تاماً، مع تشجيع التعاون متى تطلبت الضرورة. وجاء ميثاق الجامعة بالفعل مُعبراً عن الحد الأدنى المشترك؛ إذ حُدِّدت أهدافها في: 1. التخلص من الاحتلال الأجنبي وتمكين الأقطار العربية من الحصول على الاستقلال التام، 2. مواجهة المشروع الصهيوني بحسبانه خطراً على كل الدول والشعوب العربية، 3. رفض واقع التجزئة، والعمل على تشجيع كل أشكال التنسيق والتضامن والتعاون بين الأقطار العربية إلى أن تتمكن شعوبها من إقامة دولتها الموحدة⁽³⁵⁾.

كان لهذا الصراع بين هويتين أثر ممتد يتعلق باستمرار ضعف المنظمة وعدم فاعليتها⁽³⁶⁾، وهو ما يُفسر أيضاً أزمة الثقة التي نشأت وتأسلت بين الجامعة والرأي العام العربي، كونها لم تحقق الحد الأدنى من الأمان القومي حتى الآن⁽³⁷⁾. وكان لغياب التعاون والاندماج الإقليمي دوره في هزيمة الجيوش العربية وتأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي في عام 1948، وهو الحدث الذي أفرز قواعد للسلوك العربي وبعض المعايير الإقليمية، وفي مقدمها المشروع القومي للعمل السياسي.

وهكذا، أفرز الكفاح من أجل الاستقلال، ثم قيام دولة الاحتلال الإسرائيلي، شعوراً بالتهديد المشترك، نابغاً من الهوية المشتركة القائمة على الانتماء إلى العروبة. وتطوّرت في تلك الفترة مفاهيم القومية العربية والأمة العربية على نحو أشدّ دقة، وارتبطت بمعاني معاداة الاستعمار وتحقيق الاستقلال السياسي، في حين تراجعت الهوية الدينية. وعلى الرغم من أن النزعة الوطنية (أو القطرية) التي تقتصر على بلد عربي معين بقيت قوة سياسية لا يُستهان بها، فإن الدعوة إلى وحدة عربية أوسع، احتلت درجة أعلى في بنية الهويات، وحلّت محلّها على نحو متزايد، وحجبتها في أحوال كثيرة.

2. المدّ القومي والحرب الباردة العربية (1950-1967)

مثّلت المرحلة الممتدة بين عام 1950 وحرب عام 1967 مرحلة المدّ القومي، أو كما يُطلق عليها بعضهم "الحرب الباردة العربية"⁽³⁸⁾؛ إذ صعدت الهوية القومية العربية لتكون أعلى مستوى في البنية الهوياتية

الهاشمية، وسعت لتحقيق الاندماج وتكوين سوريا الكبرى؛ وكتلة الوضع القائم التي تزعمتها مصر، والتي دعمت فكرة سيادة الدولة وبقاء الوضع الإقليمي القائم على ما هو عليه⁽³⁹⁾.

ترتبت على هذه الأفكار المتعلقة بالهوية مجموعة من المعايير والقواعد والقيم السياسية العربية الحاكمة لسلوك أعضاء النظام، المتعلقة بمجموعة من القضايا، مثل الاستقلال عن الاستعمار والوحدة العربية والقضية الفلسطينية. كما أنشئ الإطار المؤسسي للنظام، متمثلاً في جامعة الدول العربية، في عام 1945⁽³¹⁾، الذي جسّد التناقض بين الهويتين المتقابلتين الأبرز في هذه المرحلة: القومية العربية الساعية نحو الوحدة العربية من خلال إعادة النظر في الحدود السياسية القائمة، والهوية المستندة إلى استقلال الدول وبسط سيادتها. وعبرت جامعة الدول العربية عن النقيضين، فهي من ناحية منظمة إقليمية تضم دولاً متجاورة جغرافياً، تحترم سيادة كل منها؛ وتُعبّر، من ناحية أخرى، عن فكرة قومية، كونها إطاراً جامعاً للشعوب العربية، أو الأمة العربية بمفردات أخرى. وقد ظهر ذلك بوضوح في المشاورات العربية حول مشروع الجامعة؛ إذ قُدمت أربعة مقترحات متضاربة، تُمثّل رؤى العراق وسورية والسعودية ومصر. فقد هدف العراق إلى مشروع يضم الهلال الخصيب إلى جانب مصر⁽³²⁾، في حين طرحت مصر مشروعاً أوسع للتعاون يضم الوطن العربي كله⁽³³⁾، لكنه لا يرقى إلى الاندماج التام، أما سورية فعارضت مشروعَي سورية الكبرى والهلال الخصيب المقترحين من شرق الأردن والعراق، ودافعت في المقابل عن فكرة وحدة آسيا العربية، مع إضافة مصر، لصعوبة تجاهلها. وبالنسبة إلى السعودية، فقد عارضت المشروعات كلها الصادرة عن الأسرة الهاشمية في عمّان وبغداد، تحت وطأة الريبة بشأن نيّاتها وفهم هذا على أنه مجرد خطوات أولية نحو استعادة نفوذ العائلة الهاشمية والمطالبة به في

30 عمومًا، وقفت السعودية وسورية إلى جانب موقف مصر حتى عام 1957، عندما أخذت السياسات المصرية والسعودية في الاختلاف. وكانت الرغبة في كبح الطموحات الهاشمية في الهلال الخصيب القاسم المشترك بينهما. ينظر: المرجع نفسه، ص 204.

31 يعتبر النظام الإقليمي العربي مفهومًا أعم وأشمل من جامعة الدول العربية؛ فالجامعة من الناحية التنظيمية جزء من النظام، كونها تُمثّل التنظيم الإقليمي الذي يضم الأقطار كلها، أعضاء النظام، وتعكس سياسات هذه البلدان وتطلعاتها ومصالحها. ينظر: مطر وهلال، ص 62-63.

32 الشويري، ص 203.

33 طُرحت أول مرة إمكانية إشراك دول شمال أفريقيا في المداولات، على الرغم من حقيقة أن جلّ أقاليمها كان لا يزال تحت الحكم الاستعماري الفرنسي. وعلى الرغم من عدم السماح لأي ممثلين عن شمال أفريقيا بحضور المداولات بسبب الاعتراضات الفرنسية، فإن الإشارة المصرية إلى شمال أفريقيا وسعت مجال العروبة إلى ما هو أبعد من سورية الكبرى والهلال الخصيب. ينظر: المرجع نفسه، ص 203.

34 أدى قضاء عبد العزيز بن سعود على السلطة الهاشمية في غرب شبه الجزيرة، في عام 1926، إلى النظر بعين الريبة والشك إلى المشاريع الهاشمية للوحدة العربية.

35 عمر كامل حسين، النظام الإقليمي العربي بين التحديات المزممة والمتغيرات الجيوسياسية الراهنة (عمّان: دار الخليج للنشر والتوزيع، 2020)، ص 29.

36 مطر وهلال، ص 61.

37 المرجع نفسه، ص 168.

38 Malcom Kerr, *The Arab Cold War, 1958-1964: A Study of Ideology in Politics* (Oxford: Oxford University Press, 1965).

كانت هذه أول محاولة في النظام الإقليمي العربي لإدخال أطراف غير عربية في معادلة النظام الأمنية، وترسيخ دور الغرب ضامنًا لأمن الإقليم. وتزعّمت مصر حركة الرفض هذه؛ إذ تصوّرت أن تلك المحاولة تُعزّز إطارًا استعماريًا يُقوّض المصالح العربية واستقلال الإقليم العربي⁽⁴²⁾. ومن ثم، كان جوهر الصراع بشأن حلف بغداد صراعًا رؤى حول هوية النظام الإقليمي المرغوب فيه: الرؤية العراقية التي ترى أن التحالف مع الغرب أمرٌ مقبول، وكذلك ضم أطراف غير عربية؛ والرؤية المصرية الأشدّ عداءً للغرب، والأشدّ تأكيدًا على هوية النظام العربية⁽⁴³⁾. لذا، لم يكن جوهر الصراع بالضرورة هو توازن القوى، إنما الاختلاف حول تعريف العروبة والقومية العربية والمعايير التي تحكم تفاعل الدول العربية، بعضها مع بعض، والتي تحكم علاقتها مع الآخرين. وكشفت الحملة الإعلامية الشرسة التي شنتها النظام المصري ضد العراق، والدول التي لم تعارض الحلف، عن كيفية فرض مفاهيم القومية العربية قيودًا معيارية على قدرة الدول العربية على انتهاز سياسة سيادية، كما كشفت عن عمق مفهوم القومية العربية وخصوصية النظام العربي من ناحية حدة تفاعلاته وكثافتها وتشابكها.

كان لأزمة قناة السويس، في عام 1956، أثرها في سيطرة الناصرية على المشهد السياسي، بما تضمّنته من أفكار الهوية المرتبطة بالوحدة العربية واتباع سياسة عدم انحياز تجاه قطبي الحرب الباردة. وأثارت هذه السيطرة - خاصة القدرة على استثارة الجماهير وتعبئة الرأي العام العربي - قلق بعض الأطراف من السياسة المصرية، خاصة السعودية التي أقنعتها الولايات المتحدة الأميركية بأن الأهداف المصرية تساعد الخطط السوفياتية في المنطقة وتُشجّع الشيوعيين العرب على تولّي المراكز القيادية في أجهزة الإعلام وبعض المراكز الحساسة، ولهذا أعلنت الرياض تأييدها لمبدأ أيزنهاور⁽⁴⁴⁾. من ناحية أخرى، شعر الأردن بأنه المستهدف الأول من حملة المراجعة المصرية، وأن الخناق يضيق عليه مع كل خطوة يخطوها النظامان السوري والمصري نحو الوحدة، فسعى لكسب تأييد السعودية والعراق،

في المنطقة، ما نتج منه إعادة تعريف قوى الوضع القائم والقوى المراجعة. تشكّلت الأولى من الدول المحافظة ذات العلاقات الوثيقة مع الغرب، والأكثر استيعابًا لدوره في المنطقة، والمتمسكة بمعايير عدم تدخل الدول العربية بعضها في شؤون بعض. وأما الدول المراجعة، فكانت أشدّ عداءً للغرب وتوجّسًا من رغبته في السيطرة على الإقليم، إضافة إلى كونها أكثر تقبّلًا للانخراط في صراع مسلّح مع إسرائيل، وميلها إلى تصدير السياسة الثورية لقوى الوضع القائم⁽³⁹⁾. ودار الخلاف بين الطرفين حول قضايا عدة، أهمها: الاستقلال عن الشرق أو الغرب (إذا ما كان على الدول أن تكون غير منحازة، أو يُمكنها الانضمام إلى التكتلات الغربية أو تقوية روابطها مع الاتحاد السوفياتي)، والوحدة العربية (الدرجات المختلفة للالتزام بها والاختلاف حول معنى تحقيقها)، وأخيرًا الاستجابة العربية للقضية الفلسطينية⁽⁴⁰⁾. وترتب على هذه التوجهات والمواقف تصوراتٌ مختلفة لمصادر تهديد النظام العربي: فهناك من تصوّر التهديد مرتبطًا بالدول الغربية التي فقدت مكانتها وتخشى على مصالحها في المنطقة، في مقابل من تصوّر أن مصدر التهديد يكمن في تعاظم النفوذ السوفياتي ونشاط الأحزاب الشيوعية العربية، هذا إضافة إلى الخطر الإسرائيلي، وإن كان لم يحتلّ الأولوية حتى هذه اللحظة بعد. ولعل المعركة بشأن حلف بغداد تُلخّص جوهر الصراع الذي ساد في هذه المرحلة.

بدأ الصراع بانضمام العراق - تحت حكم الأسرة الهاشمية في ذلك الوقت - في عام 1955 إلى اتفاق أمني مشترك مع بريطانيا وتركيا وإيران وباكستان، أصبح يُعرف بحلف بغداد؛ وكان هدفه المعلن صدّ أيّ توسّع محتمل للاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط. وأراد العراق من هذا الانضمام انتزاع الاعتراف بدوره ممثلًا أساسيًا للقضايا العربية، إضافة إلى تأمين قدر أكبر من الاستقلالية ضد التأثيرات الإقليمية. واعتقد نوري السعيد - رئيس الوزراء العراقي في ذلك الوقت - أن الدول الصغيرة لا تملك ترف الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية، إضافة إلى اعتقاده أن خطر الاتحاد السوفياتي والشيوعية حقيقي، وأن الصهيونية والشيوعية خطران كامنان يهددان أمن العراق والوطن العربي، وبناء عليه كان التعاون مع الغرب وفقًا لوجهة النظر هذه أمرًا طبيعيًا⁽⁴¹⁾.

42 مطرو وهلال، ص 80.

43 وقفت السعودية في هذه المعركة مع الجانب المصري لمنع العراق من إحداث تغييرات في القلب من المنطقة العربية؛ الأمر الذي يدعم فكرة الهوية القومية للنظام، حتى إن اختلفت التوجهات بعد ذلك حول الطريقة المثلى التي تربط بين وحدته. ينظر: المرجع نفسه، ص 80.

44 جرجس، ص 129؛ يشير مبدأ أيزنهاور إلى الإعلان الصادر عن الكونغرس الأمريكي في عام 1956، والذي حدّد المبادئ العامة للاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط بعد العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956. وهدف الإعلان في الأساس إلى احتواء التمدد السوفياتي في المنطقة من خلال تفويض الرئيس الأمريكي سلطة استخدام القوة العسكرية في الحالات التي يراها ضرورية لضمان السلامة الإقليمية، وحماية الاستقلال السياسي لأي دولة، وتفويض الحكومة في تنظيم برامج المساعدة العسكرية لأي دولة أو مجموعة من دول المنطقة.

39 Amr Yossef, "The Regional Impact of the Abraham Accords," *MWI Report*, no. 2 (2021), p. 4.

40 Mohamed Anis Salem, "Arab Schism in the 1980s: Old Story or New Order?" *The World Today*, vol. 38, no. 5 (1982), pp. 175-176;

للمزيد بشأن هذه القضايا، ينظر: أحمد يوسف أحمد، *الصراعات العربية - العربية (1945-1981)* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988).

41 فواز جرجس، *النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى: دراسة في العلاقات العربية - العربية والعربية - الدولية* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)، ص 48.

الجزيرة العربية، ما يعني بالتبعية امتداداً للنفوذ السوفياتي⁽⁵⁰⁾. ولذلك، تزعمت السعودية قيادة التيار المحافظ في النظام العربي، في مواجهة حادّة مع مصر، ولجأت إلى تفعيل الهوية القائمة على الدين وتشجيعها، أملاً في أن تُوازن، أو أن تسود على الهوية القومية العلمانية التي سيطرت على النظام منذ نشأته. وبفضل التأييد الأمريكي، نجحت السعودية في حثّ الدول الإسلامية والعربية على الدخول في حلف إسلامي⁽⁵¹⁾.

وفي هذا الإطار، اتهم عاهل الأردن، الملك حسين بن طلال، في خطاب له في الجمعية العامة للأمم المتحدة، في عام 1960، عبد الناصر بالتآمر لقلب نظام حكمه، باستخدام الطرائق والوسائل نفسها التي يستخدمها السوفييات لخدمة الحركة الشيوعية العالمية، مُدّعياً أن مصر صارت مركزاً للتغلغل الشيوعي في الوطن العربي. وقد دفعه هذا التصوّر إلى تقديم مساعدة سياسية ومادية للانفصاليين في سورية قبل عام 1961، وكان أول حاكم عربي يعترف بالنظام الانفصالي في دمشق. وقد دفع هذا الفهم المشترك السعودية والأردن إلى التحالف لإيقاف مدّ القومية العربية في الجزيرة العربية، استناداً إلى إدراك الدولتين أنهما ستواجهان المصير ذاته في نظام عربي يسود فيه عبد الناصر وأنصاره من القوميين العرب⁽⁵²⁾.

خلاف عقد الخمسينيات، شهدت الستينيات بروز الصراع العربي - الإسرائيلي، بوصفه متغيراً مهماً، يتداخل مع السياسات الإقليمية في المنطقة. فقد نتج من التنافس بين الدول الراديكالية المراجعة عودة الصراع العربي - الإسرائيلي إلى قمة أولويات النظام العربي؛ إذ أصبح التزامها بالعروبة يتحدّد من خلال مواقفها من القضية الفلسطينية⁽⁵³⁾. وظهر ذلك جلياً مع مؤتمر القمة العربية الأولى في عام 1964، الذي تقرّر فيه اعتبار القضية الفلسطينية بمنزلة البؤرة الأساسية للعلاقات الدولية العربية، والمقياس الذي تُفرّق به البلدان العربية بين العدو والصديق⁽⁵⁴⁾. ولا يمكن فهم زيادة درجة التصعيد العسكري مع دولة الاحتلال الإسرائيلي من دون إلقاء الضوء على تصوّرات الهوية والأدوار لدى الأطراف العربية وتشابك القضية الفلسطينية بخيوط الحرب الباردة العربية. فعلى سبيل المثال، مارست معايير الوحدة والتضامن التي تبناها عبد الناصر لتقييد سلوك السياسة الخارجية لدى الدول العربية تأثيراً في الدور المصري

وأعلن تأييده مبدأ أيزنهاور⁽⁴⁵⁾. وهكذا، أصبح الانقسام واضحاً بين الدول التي اعتُبرت ثورية وتقدمية مراجعة، والدول المحافظة.

تُظهر الحماسة الشعبية التي سادت النظام العربي، نتيجة قيام الوحدة بين مصر وسورية في عام 1958، استبداد أفكار الوحدة بالرأي العام العربي، ومن ثم ممارستها قوّة معيارية كبيرة على تفاعلات النظام؛ إذ جاءت غالبية التفاعلات العربية التي حدثت خلال عام الوحدة نفسه، في صورة استجابة لهذه الحماسة الشعبية الجارفة⁽⁴⁶⁾. فقد كانت الحرب الأهلية اللبنانية (1958) مدفوعة برغبة النخبة المارونية في القضاء على التيار القومي المتصاعد؛ بينما لم يكن الاتحاد بين العراق والأردن، ثم الانقلاب في العراق، سوى تداعيات لهذا الحدث الأكبر. وبالمناطق نفسه، يمكننا تفسير مسارعة النظام اليمني بطلب الانضمام إلى دولة الوحدة⁽⁴⁷⁾.

لذلك، كان انهيار تجربة الوحدة حدثاً مفصلياً في تطوّر العلاقات البينية في فترة الستينيات، ودفعت بها إلى المزيد من الاستقطاب الأيديولوجي - الهوياتي⁽⁴⁸⁾. فقد فهم جمال عبد الناصر الانقلاب على الوحدة مع سورية بوصفه مؤامرة من صنع الرجعية العربية، بالتعاون مع الإمبريالية الغربية، لإعادة رسم خريطة المنطقة السياسية ومعاقبة مصر على رفضها قبول الأحلاف الغربية وعزقلتها لمبدأ مناطق النفوذ⁽⁴⁹⁾. ومن هنا، جاء هجوم عبد الناصر على السعودية والأردن، متّهماً إياهما بالتآمر وتمويل نسف الوحدة مع سورية. في حين فهمت السعودية التدخل العسكري المصري لمصلحة النظام الجمهوري في صنعاء بوصفه عقاباً لها على تدخلها في شؤون الجمهورية العربية المتحدة، ورغبةً في إطاحة النظام الملكي السعودي والسيطرة على ثرواته النفطية الهائلة. ورأت أيضاً في وجود القوات المصرية في اليمن امتداداً لسطوة مصر ونفوذها نحو شبه

45 المرجع نفسه، ص 81-82.

46 ثمة من يرى أن تجربة الوحدة ذاتها نتجت من الضغوط المعيارية التي شكّلها عبد الناصر بنفسه، فمارست عليه تأثيرها أيضاً، فقد صعب عليه رفض العرض السوري، في الوقت الذي كان ينادي دوماً بالوحدة العربية. وبناء عليه، كانت الحسابات المعيارية، وليست العسكرية الاستراتيجية، وفقاً لوجهة النظر هذه، هي أساس القرار. ينظر في ذلك، على سبيل المثال:

Barnett, *Dialogue in Arab Politics*, pp. 128-129.

47 مطر وهلال، ص 82.

48 المرجع نفسه، ص 84.

49 شعر المصريون بعزلتهم في المنطقة بعد انهيار الوحدة، لأن علاقاتهم مع الاتحاد السوفياتي كانت في أدنى مستوياتها. وزاد الاعتراف العاجل من موسكو وواشنطن بنظام الحكم السوري من مخاوف النخبة الحاكمة في القاهرة التي أضحت على قناعة بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يهدفان إلى السيطرة على مصير العرب من خلال إقامة حكومات ضعيفة يكون من السهل على الدولتين إملاء أوامر مباشرة عليها. ينظر: جرجس، ص 198-199.

50 المرجع نفسه، ص 204، 205.

51 مطر وهلال، ص 85.

52 جرجس، ص 208.

53 Barnett, *Dialogues in Arab Politics*, p. 123.

54 جرجس، ص 25.

تفاوض، لا اعتراف، لا سلام مع إسرائيل⁽⁶⁰⁾. لكنها، من ناحية أخرى، كشفت عن صعود في قوّة أصوات قوى الوضع القائم "المعتدلة"، المطالبة بحل سياسي للصراع وإبقاء الحوار مفتوحًا مع الغرب⁽⁶¹⁾.

3. انحسار القومية العربية وانحيار الإجماع حول التزامات الهوية (1970-1989)

ساهمت ثلاثة أحداث أساسية، خلال هذه المرحلة، في تشكيل ملامح النظام وهويته. وعلى الرغم من أنها تبدو في ظاهرها تطورات سياسية معتادة في العلاقات الدولية عمومًا، فإنها انطوت في جوهرها، وفي تداعياتها أيضًا، على العديد من الأبعاد المعيارية والهوياتية المهمة. وتمثّلت هذه الأحداث في: معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية في عام 1979، والثورة الإيرانية في عام 1979، وأخيرًا الحرب العراقية - الإيرانية (1980-1988).

شهدت المرحلة التالية لنكسة عام 1967 تغييرًا في المعايير والأفكار السائدة في النظام العربي، ومن ثم ملامح هويته. وكان من أبرزها التحوّل في النظرة إلى دولة الاحتلال الإسرائيلي، والقبول من حيث المبدأ بالاعتراف بها. وتمثّلت بداية هذا التحوّل في قبول غالبية الدول العربية قرار مجلس الأمن رقم 242 (22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1967) الذي ينص على الاعتراف بحدود آمنة ومُعترف بها لكل الدول، بعد أن تُنهي إسرائيل احتلالها وتسحب قوّاتها من جميع المناطق التي احتلتها بعد عام 1967. وقد تركّز الخلاف بشأن كيفية تعامل الدول العربية مع الصراع العربي - الإسرائيلي، أياكون بصيغة منفردة أم جماعية؟ من خلال الأساليب الدبلوماسية أم العسكرية؟ عن طريق التدرّج والتجزئة، أم التشديد على الحلول الشاملة؟⁽⁶²⁾

يُلاحظ في هذه المرحلة اقتران تراجع الدور المصري نحو التركيز على الجبهة الداخلية - وفي ما بعد وفاة عبد الناصر (28 أيلول/ سبتمبر 1970) - بتراجع واضح للبعد القومي في تشكيل سياسة دول المنطقة وصعود معيار أولوية مصلحة الدولة⁽⁶³⁾، في ظل رجحان كفة دول

نفسه. فلم يكن في وسع مصر أن تبقى سلبية وتُعزّض صورة زعامتها للتشويه إزاء مشروع المياه الإسرائيلي لتحويل مياه نهر الأردن، وهي التي جعلت القضية الفلسطينية بؤرة مركزية لسياستها العربية، خاصة مع اتّهام القوى المراجعة التقدمية الأخرى لمصر بالاتفاق مع الولايات المتحدة على السكوت عن المشروع⁽⁵⁵⁾. كما لا يمكن فهم انضمام الأردن إلى حرب عام 1967، على الرغم من الهجوم المتبادل بينه وبين عبد الناصر طوال ثمانية عشر شهرًا قبل الحرب، من دون الرجوع إلى المعايير والهويات الحاكمة في المنطقة. فلو لم يشترك الأردن في الحرب، لتعاظمت احتمالات نشوب حرب أهلية داخله. ومن ثم، كان الخوف من حدوث فوضى في البلاد، فاختر الأردن عدم البقاء على هامش الأحداث، وكان هذا الخيار نابغًا من تقديرات للقيود الداخلية والخارجية المفروضة على صانع القرار ورغبته في التأكيد على السمات العربية التي يتحلّى بها الأردن؛ أي إن شواغل الهوية والشرعية سبقت الشواغل الاستراتيجية⁽⁵⁶⁾.

بحدوث نكسة عام 1967، فرضت قوى الوضع القائم المحافظة مساوماتٍ على القيادة الثورية المراجعة. ومع ذلك، لم تُنتج الهزيمة آثارًا قصيرة المدى في بنية النظام العربي وهويته. إلّا أن آثارها البعيدة اتّضحت تَباعًا في المراحل التالية. فقد أُجبرت مصر - التي بقيت تُحاول، طوال سنوات، تشكيل تحالف من الدول العربية بزعامتها، يستبعد دولة الاحتلال الإسرائيلي⁽⁵⁷⁾ - على الإقرار ضمنيًا بما نص عليه القرار رقم 242 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، الذي يعترف بحقيقة الوجود الإسرائيلي في المنطقة وشرعيته، ومن ثم تقويض هوية النظام العربي السائدة، وما ارتبط بها من معايير القومية والاستقلال وعدم الانحياز⁽⁵⁸⁾. كما قَبِل عبد الناصر بشرعية البلدان العربية ووعد بالألا يتدخل في شؤونها الداخلية، ما يعني التخلي عن السعي نحو الوحدة العربية⁽⁵⁹⁾.

تجلّى ذلك التوجه في قمة الخرطوم، في عام 1967، التي حاولت التأكيد على هوية النظام العربي وقيمه ومركزية الصراع العربي - الإسرائيلي، ومحاولة صوغ استراتيجية عربية جماعية تجاه دولة الاحتلال الإسرائيلي، تتمحور حول اللاءات الثلاث الشهيرة: لا

60 المرجع نفسه، ص 315.

61 المرجع نفسه، ص 302-303؛ ينبغي لنا القول إن نتائج حرب عام 1967 امتدت إلى الدول العربية كلها، ولم تقتصر على دول الطوق. فقد ولدت الهزيمة شعورًا بالخطر الذي تُشكّله إسرائيل، واستراتيجيتها الرامية إلى توسيع مجالها الجيوسياسي، على أمن النظام العربي واستقراره.

62 Barnett, *Dialogues in Arab Politics*, p. 166.

63 على سبيل المثال، طالب الرئيس المصري السادات بسلام منفصل مع إسرائيل، ووطّد الرئيس السوري حافظ الأسد علاقاته مع الاتحاد السوفياتي وبسط نفوذه في لبنان (1976)، كما رفع الملك السعودي فيصل حظر النفط (18 آذار/ مارس 1974) بعد الضغوط التي مورست عليه. ينظر: سالم، ص 7-8.

55 المرجع نفسه، ص 225.

56 المرجع نفسه، ص 285.

57 من هنا جاء رفض الحكّام العرب الشديد وإدانتهم الاقتراح الذي قدّمه الرئيس التونسي آنذاك، الحبيب بورقيبة، في عام 1965، الذي دعا فيه إلى تسوية سلمية نهائية مع إسرائيل من خلال القبول بقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة أساسًا لمعاهدة سلام مع الدولة اليهودية. ينظر: المرجع نفسه، ص 257-258.

58 بول سالم، "الشرق الأوسط: مراحل تطور وتفكك النظام الإقليمي"، أوراق كارنيغي، العدد 9 (2008)، ص 7.

59 جرجس، ص 310.

مع تراجع التنافس بين استقلالية الدولة ومنطق العروبة، صعد تناقض هوياتي آخر، وهو منطق الدعوة الوطنية، في مقابل صعود الإسلام السياسي الذي دعمته حركات وقوى ناشطة من داخل النظام وخارجه. وكانت للثورة الإسلامية في إيران آثارها في تصاعد هذا البعد، خاصة مع محاولات إيران تصدير الثورة وقيادة العالم الإسلامي⁽⁷⁰⁾. وكانت السعودية - كما سبق أن أشرنا - قد تبنت الهوية الإسلامية بالفعل في محاولاتها موازنة نفوذ القوميين العرب. وهكذا، أصبحت إحدى القضايا الجدلية في العلاقات العربية البينية، تدور حول ضم - أو عدم ضم - وحدات إسلامية غير عربية في المنظومة العربية. وهو الخلاف الذي فتح الباب أمام أطراف فاعلة غير عربية، مثل إيران وتركيا، لأداء أدوار ناشطة في شؤون المنطقة واختراق النادي المغلق للأقطار العربية. وكلها تطورات مهّدت لدوبان النظام العربي في نظم فرعية أو إقليمية أخرى⁽⁷¹⁾.

من ناحية أخرى، أثّرت الحرب الإيرانية - العراقية، في عام 1980، بشدة في النظام العربي. فقد كانت الحرب ذاتها تعبيراً عن هويات متصارعة: هوية قومية، وأخرى تتبنّى شكلاً من أشكال الإسلام السياسي. وما يهّم في هذا الصدد هو ما أكّده الحرب على الهوية المضطربة في النظام في ظل اصطفاف بعض الدول العربية - أبرزها ليبيا وسورية - مع إيران ضد العراق. وهو ما يُعدّ إعلاءً واضحاً لاعتبارات المصلحة القطرية على أي اعتبارات قومية، ومؤذناً بتزايد تأثير الأطراف غير العربية في النظام العربي⁽⁷²⁾.

وهكذا، شهدت المرحلة، منذ عام 1970، تناميّاً في أدوار القوى الإقليمية غير العربية في الإقليم. وهو ما كشف عن تدهور الإجماع حول تعريف الإقليم وحدوده وأعضائه، ومن ثم هويته القومية، واتجاه الدول العربية إلى اعتماد المعايير المادية والجغرافية والبراغماتية، وليست تلك القائمة على الهوية المشتركة أساساً لسياستها. ونتج من هذا التطور استقرار نسبي حول معايير السيادة ونظام الدول الإقليمية⁽⁷³⁾، وفهم الوحدة العربية بوصفها تنسيقاً للمصالح المشتركة والمقتصرة، إلى حد بعيد، على العلاقات الاقتصادية⁽⁷⁴⁾.

الوضع القائم المحافظة وتراكم ثرواتها⁽⁶⁴⁾، انطلاقاً من أن القومية العربية تقوم على الاعتراف المتبادل بالسيادة وحماية الأمة العربية من التهديد الصهيوني⁽⁶⁵⁾. وبذلك حدث تحوّل معياري، حيث الانتقال من فكرة الوحدة العربية إلى فكرة التضامن/ التعاون العربي⁽⁶⁶⁾. وكان للهزيمة أيضاً أثرها في تفعيل الهوية الإسلامية وصعودها في بنية الهويات، خاصة على المستوى الشعبي، ولدى الفاعلين من غير الدول، انطلاقاً من أن الابتعاد عن الدين كان سبباً أساسياً في الهزيمة.

تشكّلت القوى المراجعة في هذه الفترة في الأساس من فاعلين من غير الدول، في طليعتهم منظمة التحرير الفلسطينية التي شنت ضربات على إسرائيل وفقاً لحساباتها. وأدّى ذلك إلى تصاعد التوترات بينها وبين الأردن، فقد شكّلت المجموعات الفدائية وجوداً شبه مستقل عن السلطة الأردنية. وبينما حاولت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) - الجناح الأشد اعتدالاً في المنظمة - الوصول إلى اتفاق مع الحكومة الأردنية، تبنت فصائل أخرى أكثر تشدداً، مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية، نهجاً صدامياً تجاه السلطات الأردنية والملك، الأمر الذي تطوّر إلى صراع عنيف بين الطرفين، بلغ ذروته خلال ما يعرف بأحداث "أيلول الأسود" (1970)⁽⁶⁷⁾.

ثم جاء الحدث المفصلي الكاشف بوضوح عن الهوية المتغيرة للنظام متمثلاً بتوقيع مصر معاهدة سلام مع إسرائيل (26 آذار/ مارس 1979)، اعترفت بمقتضاها بالكيان الإسرائيلي وتطبيع العلاقات معه. وبهذا، فكّك الرئيس محمد أنور السادات، آنذاك، أساساً جوهرياً لمعنى القومية العربية، وهو ذلك الخاص بمسؤولية الدول العربية، بعضها أمام بعض، في ما يتعلق بسياساتها تجاه دولة الاحتلال الإسرائيلي. فقد شدّد السادات على معايير السيادة والهوية الوطنية التي تتيح له حق التفاوض الأحادي الجانب مع الإسرائيليين من أجل عودة سيناء⁽⁶⁸⁾. وهكذا، انتقل النظام العربي إلى مرحلة جديدة، أبرز ملامحها إخراج مصر من المنظومة العربية، بطردها من جامعة الدول العربية⁽⁶⁹⁾.

64 تزايدت التوجّهات الانعزالية في مصر، وتصاعدت الحملات الإعلامية والسياسية المعارضة للفكر القومي، متهمّة إياه بالتسبب في الخسائر التي حلتّ بالبلاد، مصوِّرة الحروب العربية - الإسرائيلية نتيجة للمواقف والسياسات القومية التي أغفلت مصالح مصر لحساب الفلسطينيين، أو سعياً وراء أحلام القيادة. واستغلّت الحملة المشكلة الاقتصادية المتفاقمة للترويج للمزايا المترتبة على التحالف مع الولايات المتحدة. ينظر: مطر وهلال، ص 123.

65 Barnett, *Dialogues in Arab Politics*, p. 171.

66 أشكر المحكم المغفل الهوية على صوغه هذه الفكرة. حول هذا التطور، ينظر: Ali E. Hilal Dessouki, "The New Arab Political Order: Implications for the 1980s," in: Malcolm H. Kerr et al. (eds.), *Rich and Poor States in the Middle East: Egypt and the New Arab Order* (New York: Routledge, 1982).

67 Ibid., p. 175.

68 Ibid., p. 182.

69 مطر وهلال، ص 238.

70 المرجع نفسه، ص 47.

71 جرجس، ص 313.

72 مطر وهلال، ص 57-58.

73 Anis, p. 182.

74 Makrom Muhammad Ahmad, "Chief Editor Views Egypt's Arab Role," *Al-Musawwar*, 24/5/1989;

نقلًا عن: Barnett, *Dialogues of Arab Politics*, p. 49.

مُبرّرًا ذلك، بأن "كل دولة لها حق شرعي للدفاع عن سيادتها وإقليمها باستخدام الأدوات والوسائل المتاحة لها، بما فيها دعوة قوى خارجية لهذا الغرض"⁽⁷⁷⁾. وهكذا، أعلنت حرب الخليج هوية الدولة الوطنية ومصالحها، وتسببت في تدهور حاد في أي اعتبارات للهوية الحاكمة للسياسات العربية - العربية، وقوّضت معيارًا آخر من المعايير المؤسسة للنظام العربي؛ أي رفض النفوذ الأجنبي.

كما أفسح صعود الدولتين وتدهور العروبة المجال واسعًا للجدل مرةً أخرى بشأن النظام الإقليمي المرغوب فيه: أهو نظام إقليمي عربي، أم نظام شرق أوسطي لا تقتصر فيه الترتيبات الإقليمية على الدول العربية؟ فقد رُوّجت الولايات المتحدة، بالتحالف مع إسرائيل، لترتيبات إقليمية غير مقيّدة بسمّة العروبة، تكون بديلةً أو وريثةً للنظام الإقليمي العربي. وتمثّل ذلك في الدعوة إلى إطار شرق أوسطي، يبدأ بالتعاون في ميادين اقتصادية، تبدو هامشية، ثم ما تلبث أن تحصد ثمارًا سياسية⁽⁷⁸⁾.

انعكس ذلك جليًا على القضية العربية المركزية، القضية الفلسطينية، لتتحول هوية الصراع "العربي - الإسرائيلي" من صراع هوية، إلى صراع سياسي بين الدول، خاصة بعد مؤتمر مدريد في عام 1991. فقد مثّل تفاوض إسرائيل ثنائيًا مع الفلسطينيين وغيرهم من الدول العربية تغييرًا جوهريًا في إدارة الصراع وترسيخ السيادة أساسًا للنظام الإقليمي، بعيدًا عن معايير الوحدة والتضامن القومي ورفض دولة الاحتلال الإسرائيلي. وانعكس التغيّر في تصوّرات الهوية على تصوّرات التهديد المرتبطة به؛ وبدأت الدول العربية بالتقليل من تصوّرها للتهديد الإسرائيلي صراحة. وأشار وزراء الخارجية العرب في اجتماع عقدته جامعة الدول العربية في عام 1991 إلى أن كل دولة عربية ستحدّد علاقات العداء الخاصة بها كل على حدة، على الرغم من أن إسرائيل شكّلت العدو اللدود للأمة العربية مدة خمسين عامًا⁽⁷⁹⁾. وقُلل هذا التغير في تصورات التهديد من الدافع إلى التنسيق والتعاون، وفتح المجال أمام ترتيبات إقليمية أخرى، تتجاوز الهوية القومية للإقليم⁽⁸⁰⁾، وتكون أكثر انفتاحًا على الاعتراف بالمصالح المشتركة مع إسرائيل، حيث لا يكمن الخلاف في الاعتراف بها، بل بالوتيرة التي تُدمج من خلالها في المنطقة.

77 Barnett, *Dialogues in Arab Politics*, p. 224.

78 عبد الفتاح الرشدان، "مستقبل النظام الإقليمي العربي في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية المستجدة"، أبحاث اليرموك (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج 12، العدد 3 (1996)، ص 72.

79 Barnett, *Dialogues in Arab Politics*, pp. 220, 221.

80 ينظر في ذلك: عبد القادر فهمي، النظام الإقليمي العربي: احتمالات ومخاطر التحول نحو الشرق أوسطية (عمّان: دار وائل للنشر، 1999).

”

مثل الغزو العراقي للكويت، في آب/أغسطس 1990، حدثًا مفصليًا في تطوّر النظام الإقليمي العربي، وفي المعايير والقواعد والأفكار التي تحكمه؛ إذ اكتسب صعود الهوية الدولية أبعادًا جديدة مع اعتداء دولة عربية على أخرى، ومحاولة ضمّها

“

4. الفحص النقدي للأفكار القديمة عن الذات والآخر (1990-2003)

مثل الغزو العراقي للكويت، في آب/أغسطس 1990، حدثًا مفصليًا في تطوّر النظام الإقليمي العربي، وفي المعايير والقواعد والأفكار التي تحكمه؛ إذ اكتسب صعود الهوية الدولية أبعادًا جديدة مع اعتداء دولة عربية على أخرى، ومحاولة ضمّها. فقد هزّ الحدث أفكارًا راسخة ومؤسسة للنظام العربي، خاصة أن مصدر تهديده المادي، يأتي دائمًا من الخارج، وليس من داخله⁽⁷⁵⁾. كذلك شكّل الحدث انتهاكًا للمعايير التي ترسّخت خلال المرحلة السابقة، والقائمة على مبادئ السيادة وعدم التدخل وحلّ النزاعات من دون اللجوء إلى القوة. وأوقع هذا الحدث الدول العربية في حيرة بين أمرين: الأول، الحاجة إلى معارضة التدخل الأجنبي لاستيعاب المشاعر القومية بين مواطنيها؛ والثاني، الرغبة في دعم تحرير الكويت لترويض اعتداء صدام حسين وسلوكه المراجع للمعايير الحاكمة للعلاقات البينية⁽⁷⁶⁾.

قوّضت الاستجابة الكثير من المعايير المقيّدة لسلوك السياسة الخارجية لدى الدول العربية، وعلى رأسها التحالف الأمني الصريح مع قوى خارجية، وتحديدًا الولايات المتحدة. فقد اتّخذت معايير الدولية أبعادًا جديدة تتعلّق بمسؤولية كل دولة عن أمنها والسماح لها باتخاذ أيّ ترتيبات أمنية تراها مناسبة. فعلى سبيل المثال، بينما كان الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية قبل حرب الخليج - عبد الله بشارة - صارمًا في اعتراضه على وجود قوّة عظمى في المنطقة، فإنه سرعان ما أعلن عن عدم تحفّظه على الوجود الأجنبي،

75 Pinar Bilgin, *Regional Security in the Middle East: A Critical Perspective* (London: Routledge Curzon, 2005), p. 3.

76 Michaelle Browsers, *Political Ideology in the Arab World: Accommodation and Transformation* (Cambridge: Cambridge University Press, 2009), p. 24.

الاهتمام بالعالم العربي. وسعت تركيا، تحت قيادته، لتأكيد هويتها الإسلامية والعمل على استعادة مكانتها ونفوذها في المنطقة، منقلبةً بذلك على توجهها التقليدي نحو الغرب. وترتب على هذا التحول في هوية تركيا ابتعادها عن تحالفها مع إسرائيل وتزايد انخراطها في سورية، كما أصبحت من أبرز المدافعين عن القضية الفلسطينية⁽⁸⁵⁾.

يشير هذا التحول في السياسات الخارجية العربية في الإقليم إلى تحول في الأفكار والهويات والمعايير الإقليمية والممارسات، من ناحية طبيعة النظام وبنيته وفاعليه وأهمّات تفاعلاته من تحالفات وخصومات وغير ذلك. لكن يبدو أن الدول اكتسبت المزيد من الثقة في انتهاج قرارات سياسية خارجية لا تحظى بالضرورة بالقبول الشعبي، وأبرز مثال على ذلك ما يتعلّق بالعلاقات مع إسرائيل. وفي مقابل تراجع الهوية القومية، اتخذت الهويات في الإقليم مناحي مختلفة، يُعبّر بعضها عن هويات أشدّ عمومية، مثل الدعوة إلى الجماعة الإسلامية، ويتمسك بعضها أكثر بالهوية الوطنية، في حين يُعبّر بعضها الآخر عن هويات أكثر تحديدًا وخصوصية تتعلّق بالمذهب والطائفة والإثنية. وهكذا، على الرغم من سعي الدولة العربية لترسيخ هوية وطنية (قُطرية) مستقلة، فإنها بقيت متداخلة مع هويات أوسع (مثل الهوية العربية القومية والهوية الدينية الإسلامية)، ومن دون أن تتمكن أيضًا من التخلص من الهويات الأضيق (مثل الانتماءات الطائفية)⁽⁸⁶⁾.

5. الربيع العربي وإعادة تعريف العدو والصديق (2010-2022)⁽⁸⁷⁾

مع نشوب الثورات العربية، أدّت ديناميات عدة دورًا أساسيًا في تشكيل النظام الإقليمي العربي. ويظهر هنا بوضوح أثر تعمّق البعد الطائفي، خاصة في الخطاب الرسمي للدول، والتوجهات بشأن الانتقال الديمقراطي وتصورات التهديد المرتبطة به. وتشكّل هذه الأبعاد هويات الدول بدرجة كبيرة، ومن ثم رؤيتها لمصالحها ومصادر تهديدها؛ ذلك أنها تتشكل ضدّ "آخر"، سواء أكان "هوية دينية أم إثنية مختلفة أم دولة مجاورة"⁽⁸⁸⁾. لقد عمّقت الثورات حدّة الانقسامات العربية. فمن ناحية، بدأ أن موجة الثورات العربية في بداياتها كانت عامل تمكين للقوى المراجعة. وظهر ذلك في ترحيب إيران وتركيا بالربيع العربي، وإدراكهما له على أنه صحوّة إسلامية.

كما انعكس هذا التغير في إدراكات النظام الإقليمي على خريطة الاصطفافات والتحالفات في المنطقة؛ إذ انقسم الفاعلون في النظام إلى قوى اعتدال، أو قوى "وضع قائم"؛ في مقابل قوى "مراجعة"، أو ما عُرف بقوى الممانعة. تشير الأولى إلى مجموعة الفاعلين الأكثر توافقًا مع الغرب، وعلى رأسها مصر والأردن والسعودية؛ في حين تتخذ الثانية مواقف رافضة ومقاومة للسياسة الغربية في المنطقة، خاصة تلك المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وتضم إيران وسورية من الدول، وحركة حماس وحزب الله من الفاعلين غير الدول.

ترسّخ هذا التقسيم بين قوى الوضع القائم/ المعتدلة والمراجعة/ الممانعة مع غزو العراق في عام 2003. ويلاحظ في هذه المرحلة صعود الهوية الدينية - الطائفية تحديدًا - في بنية الهويات، حيث ساد تأطير فضفاض للمعسكرين المتنافسين على أنهما، من ناحية، كتلة سُنّية معتدلة مناصرة للغرب، وتتبنّى السلام مع إسرائيل خيارًا استراتيجيًا؛ ومن ناحية أخرى، محور ممانعة وصفه بعضهم بالهلال الشيعي⁽⁸¹⁾، معارض للنفوذ الغربي وللسلام، ويتبنّى خيار الصراع المسلح⁽⁸²⁾. وتنافس المعسكران على النفوذ في العراق ولبنان، حيث المجتمعات منقسمة طائفيًا، كما عبّر عن مواقف معيّنة في الحروب الإسرائيلية في المنطقة⁽⁸³⁾. فعلى سبيل المثال، حمل المعسكر السُنّي "المعتدل" حزب الله المسؤولية عن حرب لبنان في تموز/ يوليو 2006 مع إسرائيل. وكذلك الحال بالنسبة إلى الحروب الإسرائيلية المتكررة على قطاع غزة الذي تسيطر عليه حركة حماس منذ عام 2007؛ إذ اتهمتها مصر والسعودية بأنها مقلب إيران في المنطقة⁽⁸⁴⁾.

وبذلك، اتخذت المعايير، المنقسمة عليها من الفاعلين، بُعدًا طائفيًا إقليميًا مع غزو العراق؛ فقد أطلق الغزو الأميركي شرارة الحرب الأهلية الطائفية التي سرعان ما امتدت إقليميًا. وفُهم صعود الشيعة إلى الحكم في العراق على حساب السُنّة على أنه تمكين لإيران، ما أثار حفيظة السعودية، السُنّية، التي كثّفت من استخدام الخطاب السُنّي الطائفي ضد التدخل الإيراني في الشؤون العربية. إلّا أن هذا البعد الطائفي كان لا يزال في بداياته، خاصة مع صعود دور تركيا في الساحة الإقليمية لمصلحة محور الممانعة. فقد اتجه حزب العدالة والتنمية في تركيا، بقيادة رجب طيب أردوغان، نحو المزيد من

81 على الرغم من كون حماس حركة سُنّية، فإنها تُحسب على معسكر الممانعة، بسبب علاقاتها القوية مع إيران وتبنيها سياسة مخالفة للموقف السُنّي الموصوف بالمعتدل، وهي أقرب إلى المواقف الإيرانية.

82 Yossef, p. 5.

83 Hinnebusch, "The Sectarian Surge," p. 46.

84 Morten Valbjorn & Andre Bank, "The New Arab Cold War: Rediscovering the Arab Dimension of Middle East Regional Politics," *Review of International Studies*, vol. 38, no. 1 (2012), pp. 5-7.

85 Hinnebusch, "Secretarian Surge," p. 47.

86 أشكر المحكم المغفل الهوية على هذه الملاحظة الدقيقة.

87 تم الانتهاء من هذه الدراسة قبل عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 والعدوان الإسرائيلي الذي تلاها على غزة. وهي لحظة فارقة تستدعي دراسة متأنية عن تأثيراتها في النظام الإقليمي العربي.

88 Hinnebusch, "Secretarian Surge," pp. 37-38.

صريحاً لأمنها⁽⁹¹⁾. ومن هنا وسم الخطاب السعودي إيران بأنها تمثل التشيع "المنحرف"، إضافة إلى كونها غير عربية، ومن ثم لا يحق لها الانخراط في السياسة العربية الإقليمية. في حين سعت إيران لتصوير نفسها قائداً إسلامياً إقليمياً جامعاً للمقاومة ضد الإمبريالية الأميركية - الصهيونية، وهو وسم يحظى بميزة على معسكر السعودية، خاصة خلال العقد الأول من الألفية الجديدة. لكن مع تعمق الطائفية واكتسابها طابعاً مُسلحاً⁽⁹²⁾ في بعض الأحيان وشيطنة الآخر وتكفيره⁽⁹³⁾، تدهور قبول الشارع العربي لمحور الممانعة. وعلى الرغم من أن توظيف الطائفية كان استمراراً لصراع العقد الأول من الألفية، فإن ما استجدّ هو أن الشارع العربي الذي كان يبدو محصناً ضد الطائفية، بات يشهد تعبئة وتجييشاً متزايدين في الدول الفاشلة، وفي الدول ذات الأقليات الشيعية البارزة. وفي الوقت نفسه، أصبحت إيران أشد صراحة في تجسيدها موقف المدافع عن الأقليات الشيعية ضد التكفيريين السُّنة⁽⁹⁴⁾. وقد أعاد بروز البعد الطائفي هذا إحياء فكرة أن النظام العربي هو في حقيقته شكل مصطنع من أشكال التفاعلات السياسية، وليس تعبيراً طبيعياً عن مظاهر الفكرة القومية التي تسبق الوحدة السياسية. ومن هنا، جاءت إعادة طرح فكرة نظام إقليمي يشمل أطرافاً إسلامية وأخرى متاخمة جغرافياً، لا أن يقتصر بالضرورة على الدول العربية⁽⁹⁵⁾.

وسرعان ما أُضيف إلى هذا الصراع الهوياتي - الطائفي صراعاً معياري آخر نتج منه تفكك متزايد في المعسكر السُّني، سواء على مستوى الدول أم على مستوى الفاعلين غير الدول⁽⁹⁶⁾. وتُحور هذا الانقسام أساساً حول الموقف من صعود جماعات الإسلام السياسي في الدول العربية التي شهدت ثورات الربيع العربي. ففي الوقت الذي دعمت تركيا وقطر هذا الصعود، جاء الموقف السعودي والإماراتي معارضاً له. ووصلت حدّة هذا الصراع إلى درجة جعلت بعض المحللين يشبهونه بالحرب الباردة العربية الجديدة⁽⁹⁷⁾. فقد نظرت قوى الوضع القائم إلى صعود أيديولوجيا الإسلام السياسي بوصفه تهديداً مباشراً وتحدياً

ومن ناحية أخرى، رجّحت الثورات كفة دول الخليج داخل قوى الوضع القائم⁽⁹⁸⁾، الأمر الذي ترتبت عليه سيطرة تصوّرات هذه القوى في ما يتعلق بمصادر التهديد التي تتبع من هوية هذه الدول بوصفها أنظمة ملكية، تستند إلى شرعيات متعددة، أبرزها الدينية في حالة السعودية. وقد شعرت غالبية قوى تحالف الوضع القائم في المنطقة - ما عدا قطر - بالتهديد من الاحتجاجات الشعبية، وما قد يترتب عليها أيضاً من استغلال إيران حالة عدم الاستقرار في توسيع نفوذها، خاصة في ظل تراجع الدور الأميركي في المنطقة حينها⁽⁹⁹⁾. وقد ولدت هذه الديناميات ثلاثة تكتلات إقليمية أساسية: محور الممانعة (إيران وسورية وحزب الله)، ومحور محافظ مؤيد للغرب وللوضع القائم (السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر بعد عام 2013)، وتكتل مؤيد للإسلاميين، يضمّ قطر وتركيا، ويتفق في قضايا عدة، خاصة القضية الفلسطينية، مع قوى الممانعة.

”

مع نشوب الثورات العربية، أدّت ديناميات عدة دوراً أساسياً في تشكيل النظام الإقليمي العربي. ويظهر هنا بوضوح أثر تعمق البعد الطائفي، خاصة في الخطاب الرسمي للدول، والتوجّهات بشأن الانتقال الديمقراطي وتصوّرات التهديد المرتبطة به

”

أدّى تراجع القوى الإقليمية العربية التقليدية - مصر وسورية والعراق - إلى تعاظم النفوذ السياسي لدى دول الخليج، وعلى رأسها السعودية والإمارات وقطر. ونتيجة للعداء المشترك والتناقض بين الهويتين السعودية والإيرانية، نظرت المملكة إلى التحولات في الإقليم عبر عدسة تنافسها الإقليمي مع إيران. وبذلك، مثّل وجود إيران - بل الجماعات الشيعية داخل حدود المملكة، أو قربها - تهديداً

89 قد يجادل بعضهم بأن حالة دول الخليج تدحض ثنائية دول مراجعة - دول وضع قائم، لأنها كانت محافظة في بعض الحالات، مثل حالة ثورة البحرين، ومراجعة في حالات أخرى، مثل الثورتين الليبية والسورية. وترى الدراسة أن التحليل الأصح هو أن تلك الدول بقيت قوى وضع قائم "ذكية"، إذ تستخدم أدوات "تشبه المراجعة" أحياناً، لكنها في الجوهر لم تُغيّر سياستها الهادفة إلى الحفاظ على النظام الإقليمي القائم لمصلحتها. وبناء عليه، فإن الاختلاف بين الحالات لم يكن تحوُّلاً في المبادئ، بل في التكتيكات والأدوات المستخدمة.

90 Yossef, p. 7.

91 Bessma Momani & Crystal Ennis, "Shaping the Middle East in the Midst of the Arab Uprisings: Turkish and Saudi Foreign Policy Strategies," *Third World Quarterly*, vol. 34, no. 6 (2013), p. 1128.

92 أبرز الأمثلة على ذلك تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام المعروف باسم داعش.

93 Hinnebusch, "The Sectarian Surge," p. 44.

94 Ibid., p. 52.

95 مطر وهلال، ص 248.

96 Hinnebusch, "The Sectarian Surge," p. 54.

97 Gregory Gause III, "Beyond Sectarianism: The New Middle East Cold War," *Brookings Doha Center Analysis Paper*, no. 11, The Brookings Institution (2014), pp. 1-23.

إسرائيل، في إطار اتفاقيات أبراهام (أو الاتفاقيات الإبراهيمية) في عام 2020. وبهذا، أصبحت إسرائيل، بحكم الأمر الواقع، جزءاً من كتلة قوى الوضع القائم، ولم تعد القضية الفلسطينية العامل الحاسم في تشكيل التحالفات في الإقليم.

وتحمل الاتفاقيات الإبراهيمية الكثير من الدلالات الرمزية والعملية، فهي تدعم موقف قوى الوضع القائم، وتُمثل خسارة للقوى المراجعة في هذا الصراع. ولذلك، وصفتها الإمارات بأنها تقوية لمحور الاعتدال، في مقابل محور التطرف. وكذلك، كسرت هذه الاتفاقيات المحذور العربي المتعلق بتطبيع العلاقات مع إسرائيل وبتعريف مصالح أمنية مشتركة⁽¹⁰¹⁾.

وهكذا، تفكك نظام الدول العربي بعد الثورات، واستمر تراجع أهمية معايير الوحدة والتضامن⁽¹⁰²⁾. وفقدت القضية الفلسطينية مكانتها باعتبارها عاملاً بنوياً أساسياً في سياسة الشرق الأوسط. وأصبحت الطائفية أشد بروزاً على المستويين الرسمي والشعبي، التي كانت في حد ذاتها نتاجاً للتحوّلات الحادثة في هوية الإقليم. فقد أفسح تراجع الهوية القومية المجال لتنافس الهويتين القطرية والدينية اللتين سرعان ما انزلقتا إلى دوائر أضيق، مثل الولاءات الفرعية في الحالة الأولى، أو المذهبية في الحالة الثانية. ثم أصبح البعد الطائفي نفسه عاملاً أساسياً في صوغ هذه الهوية الإقليمية وتشكيلها، وفي رسم تحالفاتها ومصالحها.

خاتمة

تكشف هذه الدراسة كيف أدّت الهويات والمعايير دوراً مركزياً في تشكّل النظام الإقليمي العربي؛ إذ يصعب فهم السياسة العربية من دون تسليط الضوء على هذا البعد. فالكثير من الصراع والتنافس لم يكن على القوة العسكرية فحسب، بل أيضاً على التصوّرات والأدوار والمعايير، بما في ذلك مساعي المنافس لتشكيل صورة عن الآخر تصمه بانتهاك معايير النظام العربي. ولهذا السبب، حرص قادة الدول العربية على وصف سياساتهم بأنها تصبّ في مصلحة الأمة العربية، وتصوير منافسيهم بأنهم يُقوّضون هذه المصالح. وقد تشكّلت التحالفات وخطوط الانقسام وفقاً لهذه الآلية⁽¹⁰³⁾.

معياريًا للقاعدة الدينية المؤسّسة عليها أنظمتهم في حال أصبحت الثورة المصرية نموذجاً مُلهماً للدول الأخرى⁽⁹⁸⁾. فالسعودية، على سبيل المثال، ترى في نفسها القوة الممثلة للمسلمين السُنّة في مواجهة إيران الشيعية، ومن ثم رأت أن مصر بقيادة حركة الإخوان المسلمين السُنّة ستكون منافساً قوياً لدورها. وازدادت هذه المخاوف مع تأييد تركيا هذا الصعود وترويجها لتجربة الإسلام السياسي فيها نموذجاً يُحتذى به. فقد مثل الإسلام السياسي التركي بديلاً من النموذجين الريعي السعودي والثيوقراطي الإيراني غير المُلهمين للشارع العربي، بينما يجمع النموذج التركي بين الديمقراطية والإسلام والإنجاز الاقتصادي⁽⁹⁹⁾. وأولت الإمارات التهديد النابع من جماعات الإسلام السياسي والتحالف التركي - القطري أولوية كبرى في سياستها نتيجة لحالة انعدام الثقة التي طالما اتّسم بها الموقف الإماراتي من جماعة الإخوان المسلمين. كما شملت أولوياتها المواجهة الإقليمية مع إيران التي طالما مثّلت هاجساً لبقاء الدولة الإماراتية وأمنها منذ نشأتها⁽¹⁰⁰⁾.

بطبيعة الحال، لم يجر تأطير مواقف قوى الوضع القائم بوصفها مناهضة للديمقراطية، بل جرت صياغتها عبر التشديد على مجموعة من المعايير، على رأسها الاستقرار (الداخلي والإقليمي) ومحاربة الإرهاب. ومن ثم اتّخذ الانقسام بين المعسكرين بُعداً معيارياً حول القيم والمعايير التي يجري الدفاع عنها. فمن ناحية، ثمة المعسكر الذي يدعم الانتقال الديمقراطي بوصفه تمثيلاً للإرادة الشعبية، ويتهّم المعسكر الآخر بدعم الاستبداد والثورات المضادة؛ وعلى الطرف الآخر، ثمة المعسكر الداعم للاستقرار ومحاربة الإرهاب، ويتهّم الآخر بإشاعة الفوضى والتطرّف وزعزعة الاستقرار.

انعكست عمليات تشكّل الهويات هذه، والاختلافات بشأن المعايير الحاكمة للسلوك، على تعريف المصالح وتحديد مصادر التهديد. ووضح ذلك على نحو أساسي في الموقف من القضية الرئيسية في النظام الإقليمي العربي؛ أي القضية الفلسطينية، التي أصبحت قضية من الدرجة الثانية من ناحية الأهمية، مقارنةً بانشغالات الفاعلين الإقليميين، الوطنية والبنية؛ فلم تعد معاداة الصهيونية سمة محددة للسياسة العربية. ومن هنا جاء التقارب بين دولة الاحتلال الإسرائيلي وعدد من الدول العربية، الذي تكلّل بتطبيع علاقات بعضها مع

101 Yossef, p. 9.

102 لا تقتصر شواهد ذلك على الحرب الأهلية السورية الطويلة وأزمة حصار قطر، بل باتت أشد وضوحاً مع افتقار الموقف العربي الرسمي إلى الفاعلية خلال العدوان الإسرائيلي، في أعقاب عملية طوفان الأقصى، على قطاع غزة في المقام الأول، وعلى الضفة الغربية ولبنان واليمن وسورية لاحقاً. وقد تم الانتهاء من كتابة هذه الدراسة في وقت سابق على ذلك.

103 ينظر: Paul Noble, "From Arab System to Middle Eastern System? Regional Pressures and Constraints," in: Bahgat Korany & Ali E. Hillal Dessouki (eds.), *The Foreign Policies of Arab States: The Challenge of Globalization* (Cairo: The American University in Cairo, 2010).

98 Bassel Salloukh, "The Arab Uprisings and the Geopolitics of the Middle East," *Italian Journal of International Affairs*, vol. 48, no. 2 (2013), p. 44.

99 Momani & Ennis, pp. 1129-1139.

100 Peter Salisbury, "Risk Perception and Appetite in UAE Foreign and National Security Policy," Chatham House (July 2020), accessed on 10/4/2022, at: <https://acr.ps/1L9zSaR>; David Roberts, "Qatar and the UAE: Exploring Divergent Responses to the Arab Spring," *Middle East Journal*, vol. 71, no. 4 (2017), pp. 544-562.

للعديد من التحولات. وتغيّرت مع الوقت القيم والمعايير المرتبطة بهما، نتيجة للمنافسة الحادة بين قوى الإقليم، على تحديد ما تعنيه هوية النظام الإقليمي العربي، أو تحديد معايير سلوك أطرافه، أو تعريف أطرافه في حد ذاتهم (الدول العربية أو دول الإقليم بصرف النظر عن معيار العروبة).

وبذلك، توضح هذه الدراسة أن المنافسة الشديدة بين دول المنطقة في الفترات الزمنية المختلفة لم تكن في الأساس على الحدود أو العوامل المادية الأخرى، لكنها كانت أساساً على المكونات المعيارية المرغوب فيها للنظام الإقليمي. ولذلك، فإن أهم القوى المحركة خلف منطقتي التحالفات في المنطقة تمثّلت في الانقسام بين القوى المراجعة وقوى الوضع القائم التي اختلفت حول التصورات بشأن ماذا يمثل تهديداً؟ ومن يُمثّل؟ وبشأن طبيعة الأدوار المنوطة بالفاعلين. ومع اختلاف نمط تشكل كل تكّلت مع الوقت، بقيت خطوط الانقسام الرئيسية كما هي. وهو ما يتفق مع مقولات ونت الخاصة بأن المصالح نفسها إما هي مدركات أو أفكار أو "معتقدات بشأن كيفية تلبية التوقعات" (107).

ولما كانت الهويات هي قاعدة المصالح، بحسب ونت، فقد أنتج التنوّع في الهويات في الإقليم توابع مختلفة لنظام الدول. فالعروبة، على سبيل المثال، وضعت - على الأقل حتى غزو العراق للكويت - قيوداً معيارية على صراع القوة والقيادة بين الدول العربية، في حين أن الطائفية والتطيف يؤلّدان عنفاً ضد المذاهب المختلفة والدول الداعمة لها. وباستخدام مفردات ونت، يمكن القول إن النظام الإقليمي العربي تحوّل من نظام قائم على فوضى لوكية نسبياً، قد يتّسم بخطاب احترازي في ظل سيطرة معايير العروبة والدعوة إلى الوحدة، إلى نظام فوضى هوبزية، حيث تشتد العداوة وتتفشى حروب الوكالة (108). وهو ما يتطابق مع فكرة ونت القائلة إن "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها".

لقد تبدّلت تراتبية بنى الهويات، ومن ثم بنى المصالح، في النظام الإقليمي العربي منذ نشأته الرسمية. وكانت الهويات المؤثرة في صراعات ما بين الدول حتى عام 2011 مقتصرة على القومية العربية والوحدة الإسلامية والسيادة القطرية. وبقيت القومية العربية تقريباً مهيمنة طوال فترة الأربعينيات، إلى السبعينيات، وإن تباينت الأدوات المُفعّلة لها، ثم تدهورت بعد هزيمة عام 1967، ثم مع الثورة الإيرانية في عام 1979. وعلى الرغم من أن الهوية الدينية، مثلها مثل العروبة، يفترض أن تُعزّز هوية شاملة جامعة أساساً للنظام

من هنا، تبرز أهمية المقاربة البنائية في فهم الكيفية التي تُشكّل بها هويات الفاعلين مصالحهم وسلوكهم، وهو جانب كثيراً ما تهمله الدراسات عن المنطقة. فهناك صراع مستمر في الإقليم بين هويات متنافسة، على القوة والمكانة، حتى قبل سقوط الدولة العثمانية؛ فقد نشأ النظام الإقليمي العربي من رحم هويات متعددة ومنوعة، توجد معاً في الوقت نفسه، سواء لدى الأفراد أم الجماعات أم الدول. وهناك بنية من الهويات - وفقاً لتعبير ألكسندر ونت - تفرز صراعات مستمرة حول المعايير، وأدوار السياسة الخارجية وشرعية النظم. وتتجلّى هذه الهويات على ثلاثة مستويات. المستوى الأول هو ما دون الدولة؛ فأحد آثار الدول المصطنعة هو استمرار الهويات الفرعية السابقة للدولة، نتيجة لتشتت الأقليات الاجتماعية عبر الحدود. ويتمثّل المستوى الثاني في الدولة التي تدّعي السيادة؛ لكنها، نظراً إلى ظروف نشأتها، طالما استمدّت شرعيتها في الداخل من درجة التزامها واحترامها المعايير التي تفرضها العروبة أو الإسلام. والثالث، مستوى ما فوق الدول، المتمثّل في الأفكار الخاصة بالوحدة العربية، فضلاً عن الجماعة الإسلامية التي تتفرّع إلى هويات سُنية وشيعية عابرة للحدود. ودائماً، أدّت الهوية ما فوق الدولة دوراً في التطلّع إلى دور القيادة الإقليمية، أو التأكيد على هذا الدور من خلال تبني القضايا العربية أو الإسلامية ومناصرتها (104).

نلاحظ من هذه الدراسة كيف أن التوازن بين سيادة الدولة والهوية ما فوق الدولة قد اختلف من فترة إلى أخرى. فالقادة العرب لم يكن في إمكانهم الاعتماد كلياً على قيم العروبة أو الإسلام، لما في ذلك من تضحية بمصالح أنظمتهم، كما لم يكن في إمكانهم، في الوقت نفسه، الاعتماد كلياً - على الأقل في البداية - على هوية الدولة الوطنية بسبب فقدانها الصديقة الكافية لدى المواطنين (105)؛ وإن كانت الكفة قد رجّحت في النهاية لمصلحة الأخيرة بدرجة كبيرة. وتدل سيورة الهويات المتعددة التي شهدتها النظام العربي، سواء على مستوى الدولة أم الأفراد، على أن الهوية عادة ما تكون ذات طبيعة مؤقتة وتتغيّر مع الوقت، ويترتب على ذلك تغيّر في المصالح والقضايا المركزية (106). فعلى سبيل المثال، كانت القضايا الأساسية التي عرّفت العروبة في فترة المد القومي هي رفض الهيمنة الغربية والدفاع عن القضية الفلسطينية وطموح الوحدة العربية، والتوقع من الدول العربية تنسيق سياستها في المحافل الدولية للدفاع عن المصالح العربية. إلا أن معاني العروبة والوحدة وأهدافها تعرّضت

104 Hinnebusch, "Identity in International Relation," p. 5.

105 Raymond Hinnebusch, *The International Politics of the Middle East* (Manchester: Manchester University Press, 2003), p. 57.

106 Hinnebusch, "Secretarian Surge," pp. 39-40.

107 Wendt, *Social Theory*, pp. 122, 130.

108 Hinnebusch, "Sectarian Surge," p. 45.

الخارجي التي تتسم بها السياسة العربية. وهكذا، تغفل بنائية ونت، في تركيزها على المحركات الهوية، تأثير التغير البنيوي في المستويين الإقليمي والدولي. ولذلك، فإنها قد لا تشرح على نحو وافي التحول المفاجئ من الصداقة إلى الخصومة الذي اتسمت به بعض مراحل تطور النظام العربي.

وفضلاً عن ذلك، تركز أطروحة ونت في الأساس على الدولة والهوية والمعايير التي تحكم سلوكها؛ إلا أن فحص تطورات الإقليم يُبين أنها حافلة بأدوار مؤثرة لفاعلين من غير الدول، وهي تُعبر عن هويات قومية أو عابرة للحدود، وتدخل في تحالفات مع الدول، أو تتصارع معها.

إن على باحثي العلاقات الدولية، المهتمين بدراسة سياسة النظام الإقليمي العربي وفهم سلوك دوله، الانتباه إلى وعود النظرية البنائية وحدودها. فهي من ناحية، تقيم جسراً بين دراسات المناطق وإسهامات العلاقات الدولية من خلال أخذ عوامل الهوية ومعايير السلوك والتفاعل في الحسبان؛ إلا أنها تنفي صفة الاستثنائية عن الإقليم من خلال التأكيد على انطباق المقولات البنائية العامة عليه، على غرار أقاليم أخرى. ومن ناحية أخرى، ثمة حدود متضمنة في مفهوم البنائية للسياسة الإقليمية العربية؛ فتاريخ المنطقة وضرورة تشكيلها وتغلغل النفوذ الخارجي فيها، لا يجعل الديناميات المحركة لسلوك الدول نابعة من هوياتها فحسب، بل إنها أيضاً تتأثر بالعوامل المادية البنيوية الأخرى المرتبطة بطبيعة النظام الدولي وطبيعة تكوينها الداخلي. ومن هنا، فإن البنائية، مثلها مثل نظريات العلاقات الدولية الأخرى، تركز على جوانب، وتهمل أخرى.

المعياري الإقليمي، فإنها فتحت المجال أيضاً للصراع حول الإسلام "الحقيقي"⁽¹⁰⁹⁾. وهو ما انعكس على المصالح في النظام. فبينما كان الإجماع على التزامات الهوية ممثلاً في رفض الهيمنة الغربية والدفاع عن فلسطين عربية، ازداد مع الوقت دور أطراف غير عربية، وعلى رأسها دولة الاحتلال الإسرائيلي التي تزايد أيضاً الاتجاه الرسمي نحو الاعتراف بها، في الوقت الذي نمت اتجاهات العداء لإيران والفاعلين غير الدول المتحالفين معها.

وعلى الرغم مما تمثله هذه النتائج من إبراز أهمية أطروحات ونت البنائية في فهم العلاقات الدولية، فإنها تبرز أيضاً بعضاً من أوجه القصور؛ وأبرزها الاهتمام بالعوامل الداخلية لدى الفاعلين الرئيسيين في النظام. ففي حين يُجادل ونت بأن هوية الدولة تُحدد مصالحها، ومن ثم أفعالها وسياساتها، يهمل إلى حد بعيد التطورات التي تشهدها في المجال الداخلي. لذا، فهو يتعامل، في أثناء تركيزه على مستوى النظام وكيفية عمل نظام الدول، مع وجود الدول بوصفها معطى Given، ولا يأخذ عمليات التشكل الداخلية للدول في الحسبان. على سبيل المثال، لا يمكن فهم موقف الأردن في حرب الخليج، في عام 1990، الرافض لإدانة العراق من دون معرفة التشكيلة الديموغرافية في الأردن، التي تضم قطاعاً من الفلسطينيين الداعمين للعراق وموقفه من القضية الفلسطينية. ونتج من ذلك عدم اقتصار تصوّرات التهديد لدى دول المنطقة على التهديدات الخارجية فحسب، وامتدادها لتشمل أيضاً التهديدات النابعة من الداخل، التي قد تفوق في بعض الأحيان التهديدات الخارجية.

وعلى الرغم من إبراز الدراسة أهمية العوامل غير المادية، مثل الهوية والمعايير، فإن من الصعوبة الجزم بأولويتها على تلك المرتبطة بالبنية المادية، كما تدّعي بنائية ونت. على سبيل المثال، أدّى تفكيك الإمبريالية للإقليم إلى عدد من الدول الصغيرة التي تعاني الشعور بعدم الأمن، إلى تكريس الحاجة إلى حماية غربية دائمة، وهو ما شكّل عائقاً بنيوياً أساسياً في وجه الوحدة العربية؛ كما تبين ذلك في الانقسام بين الملكيات المحافظة والجمهوريات الثورية في مرحلة المد القومي. فضلاً عن ذلك، مكّنت بنية القطبية الثنائية الدولية جمال عبد الناصر من صوغ نظام معياري عربي وحدوي، وهو ما فشل صدام حسين في تحقيقه في التسعينيات بسبب اختلاف طبيعة النظام الدولي في المرحلة اللاحقة. ومن ثم، يحتاج فهم ديناميات النظام الإقليمي العربي إلى مقارنة تحليلية تربط بين دور العوامل ذات الصلة بالأفكار، مثل الهوية والمعايير، بتلك الخاصة بالبنية المادية المتعلقة بالنظامين الإقليمي والدولي في ظل حالة الاختراق والتغلغل

المراجع

العربية

Dawisha, Adeed. *Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2003.

Gause III, Gregory. "Beyond Sectarianism: The New Middle East Cold War." *Brookings Doha Center Analysis Paper*, no. 11. The Brookings Institution (2014).

Hinnebusch, Raymond. "Identity in International Relations: Constructivism versus Materialism, and the Case of the Middle East." *The Review of International Affairs*. vol. 3, no. 2 (2003).

_____. "The Sectarian Surge in the Middle East and the Dynamics of the Regional State-System." *Tidsskrift for Islamforskning*. vol. 13, no. 1 (2019).

_____. *The International Politics of the Middle East*. Manchester: Manchester University Press, 2003.

Katzenstein, Peter J. (ed.). *The Culture of National Security: Norms and Identity in World Politics*. New York: Columbia University Press, 1996.

Kausch, Kristina. "Debating Middle Eastern Alliances." *Conference Report*. KAS Regional Program Political Dialogue South Mediterranean (March 2020). at: <https://acr.ps/1L9zRWD>

Kerr, Malcolm H. et al. (eds.). *Rich and Poor States in the Middle East: Egypt and the New Arab Order*. New York: Routledge, 1982.

Kerr, Malcom. *The Arab Cold War, 1958-1964: A Study of Ideology in Politics*. Oxford: Oxford University Press, 1965.

Korany, Bahgat & Ali E. Hillal Dessouki (eds.). *The Foreign Policies of Arab States: The Challenge of Globalization*. Cairo: The American University in Cairo, 2010.

Lapid, Yosef & Friedrich Kratochwil (eds.). *The Return of Culture and Identity in IR Theory*. London/Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 1996.

أحمد، أحمد يوسف. *الصراعات العربية - العربية (1981-1945)*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.

جرجس، فواز. *النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى: دراسة في العلاقات العربية - العربية والعربية - الدولية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.

حسين، عمر كامل. *النظام الإقليمي العربي بين التحديات المزمنة والمتغيرات الجيوسياسية الراهنة*. عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع، 2020.

الرشدان، عبد الفتاح. "مستقبل النظام الإقليمي العربي في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية المستجدة". أبحاث اليرموك (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية). مج 12، العدد 3 (1996).

سام، بول. "الشرق الأوسط: مراحل تطور وتفكك النظام الإقليمي". أوراق كارنيغي. العدد 9 (2008).

الشويري، يوسف. *القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي، نظرة تاريخية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.

فهمي، عبد القادر. *النظام الإقليمي العربي: احتمالات ومخاطر التحول نحو الشرق أوسطية*. عمان: دار وائل للنشر، 1999.

مطر، جميل وعلي الدين هلال. *النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية*. ط 5. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.

الأجنبية

Barnett, Michael. *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order*. New York: Columbia University Press, 1998.

Bilgin, Pinar. *Regional Security in the Middle East: A Critical Perspective*. London: Routledge Curzon, 2005.

Browers, Michaelle. *Political Ideology in the Arab World: Accommodation and Transformation*. Cambridge: Cambridge University Press, 2009.

- Momani, Bessma & Crystal Ennis. "Shaping the Middle East in the Midst of the Arab Uprisings: Turkish and Saudi Foreign Policy Strategies." *Third World Quarterly*. vol. 34, no. 6 (2013).
- Roberts, David. "Qatar and the UAE: Exploring Divergent Responses to the Arab Spring." *Middle East Journal*. vol. 71, no. 4 (2017).
- Salem, Mohamed Anis. "Arab Schism in the 1980s: Old Story or New Order?" *The World Today*. vol. 38, no. 5 (1982).
- Salisbury, Peter. "Risk Perception and Appetite in UAE Foreign and National Security Policy." *Chatham House* (July 2020). at: <https://acr.ps/1L9zSaR>
- Salloukh, Bassel. "The Arab Uprisings and the Geopolitics of the Middle East." *Italian Journal of International Affairs*. vol. 48, no. 2 (2013).
- Teti, Andrea. "A Role in Search of a Hero: Construction and Evolution of Egyptian Foreign Policy." *Journal of Mediterranean Studies*. vol. 14, no. 1 (2004).
- Valbjorn, Morten & Andre Bank. "The New Arab Cold War: Rediscovering the Arab Dimension of Middle East Regional Politics." *Review of International Studies*. vol. 38, no. 1 (2012).
- Wendt, Alexander. "Anarchy is What States Make of It: The Social Construction of Power Politics." *International Organizations*. vol. 46, no. 2 (1992).
- _____. "Constructing International Politics." *International Security*. vol. 20, no. 1 (1995).
- _____. *Social Theory of International Relations*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.
- Yossef, Amr. "The Regional Impact of the Abraham Accords." *MWI Report*. no. 2 (2021).

مي درويش | May Darwich*

ألكسندر ونت في الشرق الأوسط: كيف يبنى الاختلاف في قلب الهويات الجماعية؟**

Alexander Wendt Meets the Middle East: The Construction of Difference within Collective Identities

يضطر الباحثون الذين يدرسون الشرق الأوسط، غالبًا، إلى إعادة النظر في الأطر النظرية ذات المركزية الأوروبية، التي رُسمت للعالم في حقل العلاقات الدولية، وذلك من خلال التشديد على خصوصيات هذه المنطقة التي تتحدى كوتية نظريات العلاقات الدولية ذات الأصول الغربية وتضعها موضع التساؤل. وقد عدّ الكثيرون البنائية الاجتماعية، التي تركز على الفاعلية والسيرورات، مقارنة قادرة على مراعاة السياقات الخاصة، التاريخية والثقافية وتلك المتعلقة بالأفكار، في منطقة الشرق الأوسط. ويبدو أن البنائية الاجتماعية التي سكتها ألكسندر ونت، في كتاباته (1992، 1994، 1999)، يمكن تكييفها لتلائم المنطقة، فتقدم في شأنها رؤى جديدة. بناءً عليه، تعيد هذه الدراسة النظر في بعض جوانب بنائية ونت، مستكشفة قابليتها للتطبيق في منطقة الشرق الأوسط. وتتناول ثقافات الفوضى عند ونت لتوضيح كيفية التي تتحول فيها العلاقات التعاونية، بفعل سيرورات التفاعل، إلى صراع. وتفحص الإمكانيات والتحديات التي تدفع بها المنطقة أمام حجة ونت، وذلك بالتمغن في مثال العلاقات بين المملكة العربية السعودية وحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، مع التركيز خاصة على حلقة حرب غزة عام 2009. ثم تستكشف "لغز" كيفية الذي انتقلت به المملكة، على مدى سنوات، من دعم حركة حماس والمقاومة الفلسطينية، إلى تصنيفها عدواً لها، على الرغم من تشاركتها هويةً جماعية قوامها نزعة الوحدة الإسلامية.

كلمات مفتاحية: ألكسندر ونت، الهوية الجماعية، الفوضى، نزعة الوحدة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، حركة حماس.

Scholars studying the Middle East often challenge the IR discipline's Eurocentric framings of the world by emphasizing the particularities of the Middle East, which defy and challenge the universality of Western-rooted IR theories. Social constructivism, focusing on agency and processes, has been regarded by many as an approach with the potential of taking into consideration specific historical, ideational, and cultural contexts in the Middle East region. Social constructivism, as developed by Alexander Wendt (1992, 1994, 1999), seems to lend itself especially well to adaptations to provide insights for the Middle East. This article revisits some aspects of Wendt's constructivism and explores its applicability in the Middle East. The article examines Wendt's cultures of anarchy to show how cooperative relations transform into conflict through processes of interaction. I examine how the Middle East provides both a potential and challenge to his argument by examining the case of Saudi relations with Hamas, with a particular focus on the episode of the 2009 Gaza war. The article examines the puzzle of how Saudi Arabia changed and evolved over the years from supporting Hamas and the Palestinian resistance to identifying it as an enemy, despite sharing pan-Islamism as a collective identity.

Keywords: Alexander Wendt, Collective Identity, Anarchy, Pan-Islamism, Saudi Arabia, Hamas.

* أستاذة مشاركة في العلاقات الدولية للشرق الأوسط، جامعة برمنغهام، المملكة المتحدة.

Associate Professor in International Relations of the Middle East, University of Birmingham, United Kingdom.

Email: m.darwich@bham.ac.uk

** أشكر المترجمة عومرية سلطاني على تكديدها عناء تعريب هذه الدراسة من اللغة الإنجليزية. وأود أن ألفت انتباه القارئ إلى أن بعض التصريحات المقتبسة في المتن مستمدة من مصادر باللغة الإنجليزية، وقد تظهر فيها فروق بسيطة عند مقارنتها بالصيغ العربية الأصلية.

مقدمة

في هذا الحقل، وذلك بتأكيد خصوصيات الشرق الأوسط، التي تتحدى كونية نظريات العلاقات الدولية بأصولها الغربية. فمن جهة، يواجه باحثو المنطقة التحدي الدائم المتمثل في استخدام نظريات العلاقات الدولية لتفسير السياسة الإقليمية، والاستعانة بها على الرغم من أنها أداة نظرية نادرًا ما تصرّح بإشكالية التحيزات الجيوإستيمية لهذا الحقل المعرفي. ومن جهة أخرى، غالبًا ما تكون الحالات القادمة من الشرق الأوسط اختبارًا صعبًا لنظريات العلاقات الدولية ومفاهيمها، سواء أُنشئت الأمر بالحرب أم بالصراع أم بالسلام أم بالاقتصاد السياسي الدولي أم بالسيادة. وانعكس هذا التوتر على "سجال دراسات المناطق"، الذي يكشف عن الافتقار إلى التلاقح المتبادل بين نظريات العلاقات الدولية والشرق الأوسط. وقد تجاوز عدد من الدارسين الغربيين للمنطقة والباحثين المنحدرين منها هذا الانقسام على نحو متزايد، داعين إلى حوار بين نظريات العلاقات الدولية وخصوصيات الشرق الأوسط وتعقيداته⁽⁴⁾. وقد شهدت العقود الثلاثة الماضية نشر الكثير من الأعمال المتميزة والرصينة التي جمعت بين نظريات العلاقات الدولية والمعرفة العميقة بالشؤون الإقليمية⁽⁵⁾. وعمد بعض الباحثين إلى موضوعة مقاربات العلاقات الدولية السائدة في سياق يجعلها تتلاءم مع الخصائص الإقليمية الاستثنائية المفترضة، في حين تبني آخرون انتقائية من داخل التخصص تجمع بين رؤى متباينة من عدة مقاربات، وتتيح تحديد الديناميات السياسية في المنطقة⁽⁶⁾.

واعتبر الكثيرون أن البنائية، التي تركز على الفاعلية والسيورات، تمثل مقاربة يمكنها مراعاة السياقات الخاصة، التاريخية والثقافية وتلك

تتباين النظريات الرئيسة في حقل العلاقات الدولية تباينًا جليًا في مفاهيمها عن الصراع والتعاون، لكنها تتقاسم مشتركًا واحدًا، هو تجذرها العميق في الخبرة الغربية وتاريخها الفكري. ولقد بُنيت اتجاهات نظرية متنوعة في الحقل على فكرة أنها "كونية"، على الرغم من أنها جاءت انعكاسًا لخبرات تخصّ العالم الغربي في المقام الأول. وتزداد انتقادات مقاربات العلاقات الدولية المهيمنة (أي الواقعية والليبرالية)، لتغاضيه عن محدودية منظوراتها، وتصل هذه الانتقادات إلى حد مسالة الطبيعة الفعلية لحقل العلاقات الدولية نفسه، مثلما تجسدها مقالة ستانلي هوفمان المنشورة عام 1977⁽¹⁾، حين وصف الحقل بأنه "علم اجتماعي أمريكي". وقد كان إسهام المقاربات النظرية النقدية، مثل النسوية وما بعد البنيوية وما بعد الكولونيالية، بالغًا في فهم الإنتاج الاجتماعي للمعرفة. وفي هذا الصدد، تخبرنا ملحوظة روبرت كوكس الشهيرة بأن "النظرية لطالما كانت لفائدة شخص ما ولغرض ما [...] و(ما من) شيء عن وجود نظرية قائمة بذاتها، منفصلة عن وجهة نظر ما داخل الزمان والمكان"⁽²⁾، كاشفة عن نقاشات نقدية في شأن الكيفية التي قد يتسع بها الحقل على نحو يمكن أن يعكس فيه تجربة العالم غير الغربي وتواريخه وثقافته. وقد شهدنا في العقدَيْن الماضيين أدبيات ومناقشات متنامية أولت اهتمامها لإمكانات وضرورات تبلور نظرية غير غربية للعلاقات الدولية (ما بعد غربية/ عالمية)⁽³⁾.

وواجهت دراسة حقل العلاقات الدولية في منطقة الشرق الأوسط تمثّلات مشوّهة شبيهة بالتمثّلات التي واجهتها مناطق أخرى في الجنوب الكبير؛ إذ غالبًا ما يعيد الباحثون في المنطقة، سواء أكانوا من المنحدرين من المنطقة أم من المقيمين فيها، أم من الأجانب الذين انكبوا على دراستها، الأطر ذات المركزية الأوروبية التي رُسمت للعالم

4 Mark Tessler, Jodi Nachtwey & Anna Banda, *Area Studies and Social Science: Strategies for Understanding Middle East Politics* (Bloomington: Indiana University Press, 1999); Morten Valbjørn, "Toward a 'Mesopotamian Turn': Disciplinarity and the Study of the International Relations of the Middle East," *Journal of Mediterranean Studies*, vol. 1, no. 2 (2004), pp. 47-75; Andrea Teti, "Bridging the Gap: IR, Middle East Studies and the Disciplinary Politics of the Area Studies Controversy," *European Journal of International Relations*, vol. 13, no. 1 (2007), pp. 117-145.

5 Francesco Cavatorta, Gennaro Gervasio & Lillian Frost, "The Middle East and North Africa in Political Science Scholarship: Analyzing Publication Patterns in Leading Journals, 1990-2019," *International Studies Review*, vol. 24, no. 3 (2022), pp. 1-27; Melani Cammett & Isabel Kendall, "Political Science Scholarship on the Middle East: A View from the Journals," *PS: Political Science & Politics*, vol. 54, no. 3 (2021), pp. 448-455; Andrea Teti & Pamela Abbott, "Scholarship on the Middle East in Political Science and International Relations: A Reassessment," *PS: Political Science & Politics*, vol. 56, no. 2 (2023), pp. 259-264.

6 Fred Halliday, *The Middle East in International Relations: Power, Politics and Ideology* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005); Raymond Hinnebusch, *The International Politics of the Middle East*, 2nd ed. (Manchester: Manchester University Press, 2015).

1 Stanley Hoffmann, "An American Social Science: International Relations," *Daedalus*, vol. 106, no. 3 (1977), pp. 41-60.

2 Robert Cox, "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory," in: *Approaches to World Order* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), pp. 85-123.

3 Amitav Acharya, "Global International Relations (IR) and Regional Worlds a New Agenda for International Studies," *International Studies Quarterly*, vol. 58, no. 4 (2014), pp. 647-659; Ann J. Tickner, "Knowledge Is Power: Challenging IR's Eurocentric Narrative," *International Studies Review*, vol. 18, no. 1 (2016), pp. 157-159; Deepshikha Shahi & Gennaro Ascione, "Rethinking the Absence of Post-Western International Relations Theory in India: 'Advaitic Monism' as an Alternative Epistemological Resource," *European Journal of International Relations*, vol. 22, no. 2 (2016); Pinar Bilgin, "Thinking Past 'Western' IR," *Third World Quarterly*, vol. 29, no. 1 (2008), pp. 5-23.

ويبدو أن البنائية الاجتماعية، على النحو الذي تطورت به على يد ألكسندر ونت في كتاباته⁽¹²⁾، تتميز بقابليتها العالية للتكيف وبقدرتها على تقديم رؤى معمّقة تتعلق بمنطقة الشرق الأوسط. وقد استحضت كتابات ونت من الإشادة ومن النقد القدر الوافر داخل حقل العلاقات الدولية، بين من تبوّأ أفكاره وبنوا عليها لتطوير المقاربات البنائية داخل الحقل، ومن انتقدوا عمله لأسباب مختلفة، منها أن ما قدّمه يعدّ منهجًا أكثر من كونه نظرية، وتركيزه المفرط على المنظورات البنيوية التي تتجاهل السياسة الداخلية، والافتقار إلى التطبيق الإمبريقي وتجارب "العالم الواقعي". وفي دراسة الشرق الأوسط، طبّق الكثير من الباحثين البنائية وركزوا على الأفكار والهويات والمعايير في أبحاثهم، لكن فئة قليلة منهم استمدّت الأساس النظري لأعمالها، على نحو صريح، من أعمال ونت⁽¹³⁾.

تعيد هذه الدراسة النظر في بعض جوانب بنائية ونت الواردة في مقالته الرائدة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، مستكشفة قابليتها للتطبيق في الشرق الأوسط. وتحتاج البنائية الاجتماعية على نحو ما سكّها ونت، بأن وجود هوية جماعية بين الدول في منطقة معيّنة يمكن أن يتجلى في منطق خاص من الفوضى؛ فسياسات القوة Power Politics والاعتماد على النفس Self Help، هما بنيتان مبنيتان اجتماعيًا، ويمكنهما التغيّر بتغيّر الهوية والمصالح. ويتجلى منطق الفوضى بأشكاله المتميزة في معايير الصراع والتعاون. ويمكن أن يحدث الانتقال داخل البنية الدولية من بنية الفوضى، التي تقوم على سياسة الاعتماد على النفس، إلى بنية تعاونية، بواسطة التفاعل بين الفاعلين عبر مسارات مقترحة: أولاً، مؤسسة السيادة؛ وثانيًا، تنمية التعاون؛ وثالثًا، تحوّل الهويات الأنانية إلى هويات جماعية⁽¹⁴⁾.

ويقوم مفهوم ونت للهوية الجماعية، بوصفها مصدرًا للتعاون والسلام (التحوّل من الفوضى المستندة إلى سياسة الاعتماد على النفس)، على النماذج الغربية للتعاون إلى حد ما، متجاهلاً الأشكال الثقافية الأخرى من التبعية للمسار Path Dependencies، القائمة في مناطق أخرى، ومنها الشرق الأوسط. وفي هذا الصدد تحتاج هذه الدراسة بالآتي: في حين يُفترض أن تنتقل الدول من الهويات الأنانية إلى الهويات الجماعية، فإن الهويات الجماعية في الشرق الأوسط لطالما كانت مصدرًا للاختلاف

المتعلقة بالأفكار، التي تسم منطقة الشرق الأوسط⁽⁷⁾. فكانت المنطقة أرضًا خصبة أثّرت النقاشات عن سياسة الهوية والعلاقات الدولية، بفضل ما تتسم به من تعقّد من جراء اشتغالها على هويات دولية، وما دون الدولة، وما فوق الدولة⁽⁸⁾. وقد عثر بعض الباحثين في حقل العلاقات الدولية، القادمين من منظور بنائي بوجه خاص، على دراسات حالة مثمرة في الشرق الأوسط، أسهمت في تطوير مقارباتهم وأطروحتهم النظرية⁽⁹⁾. واعتبر الباحثون المشتغلون بالمنطقة أن مقاربات البنائية الاجتماعية تُعدّ أشد مرونة وأقل اعتمادًا على التصورات المسبقة التي تسم المقاربات المهيمنة في الحقل، بل إنها تعتمد بديلًا من ذلك على فرضية مفادها أن سلوك/ تصرفات الدولة ومصالحها "مبنية اجتماعيًا". وهكذا انتهى دارسو الشرق الأوسط إلى أن البنائية مقاربة مرنة يمكن تكييفها لدراسة ظواهره، على الرغم من أن مفهومها الذي تتأسس عليه ربما كان قائمًا على أفكار وخبرات غربية، بيد أنهم توافقوا على أن تطبيقها يمكن أن يستقي من الأفكار والهويات والمعايير داخل ثقافة الشرق الأوسط السياسية وتاريخه. وفي الجهود التي تروم تكييف البنائية، عمد الباحثون، غالبًا، إلى المزج بين البنائية وتيارات من الواقعية الجديدة⁽¹⁰⁾، أو اقترحوا ردّ الأفكار والهويات الكامنة في علاقات المنطقة الدولية، مرة أخرى، إلى أصولها في السياسة الداخلية⁽¹¹⁾.

7 Teti.

8 Morten Valbjørn, "Still Dripping with Identity Politics? Beyond Classic Identity Politics: Three Ways of Discussing Identity Politics in the Study of the International Relations of the New Middle East," *APSA MENA Politics Newsletter*, vol. 2, no. 1 (2019), pp. 33-35; Morten Valbjørn, "Studying Identity Politics in Middle East International Relations," in: *The Routledge Handbook to the Middle East and North African State and States System*, Raymond Hinnebusch & Jasmine K. Gani (eds.) (Abingdon, Oxon: Routledge, 2019), pp. 251-269.

9 Michael Barnett, *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order* (New York: Columbia University Press, 1998); Shibley Telhami & Michael Barnett (eds.), *Identity and Foreign Policy in the Middle East* (Ithaca: Cornell University Press, 2002); Marc Lynch, *State Interests and Public Spheres: The International Politics of Jordan Identities* (New York: Columbia University Press, 1999).

10 Gregory F. Gause, "Balancing What? Threat Perception and Alliance Choice in the Gulf," *Security Studies*, vol. 13, no. 2 (2003), pp. 273-305; Raymond Hinnebusch, "Identity in International Relations: Constructivism versus Materialism, and the Case of the Middle East," *The Review of International Affairs*, vol. 3, no. 2 (2003), pp. 358-362; May Darwich, *Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region* (Cambridge: Cambridge University Press, 2019).

11 Ewan Stein, "Beyond Arabism vs. Sovereignty: Relocating Ideas of International Relations of the Middle East," *Review of International Studies*, vol. 38, no. 4 (2012), pp. 881-905.

12 Alexander Wendt, "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 2 (1992), pp. 391-425; Alexander Wendt, "Collective Identity Formation and the International State," *American Political Science Review*, vol. 88, no. 2 (1994), pp. 384-396; Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

13 ينظر على سبيل المثال: Barnett.

14 Wendt, "Anarchy is What States Make of it."

المقاومة وألقت عليها باللائمة وحملتها مسؤولية معاناة الشعب الفلسطيني. لذلك، تتناول الدراسة لغز التغير الذي طرأ وما على مدى سنوات، ناقلاً المملكة من دعم حركة حماس والمقاومة الفلسطينية إلى الخوف من فاعل غير دولتي، على نحو يُظهر تحولاً واضحاً من ثقافة كانطية Kantian للفوضى إلى ثقافة هوبزية Hobbesian، مكنتها سيرورات التفاعل.

ويعدّ مثال العلاقات بين السعودية وحركة حماس حالة واحدة (أو دراسة حالة توضيحية)، تكشف عن السيورة التفاعلية داخل نظام إقليمي فوضوي. وتوضح أن التعاون، من خلال التفاعل على المستوى البنيوي، يمكنه أن يتحول إلى صراع. وتكشف، أيضاً، عن تداعيات نظرية أوسع تلقي ضوءاً واضحاً في وقت واحد على الصلاحية التي تحظى بها حجة ونت، وعلى حدود تطبيقها في الجنوب العالمي، وفي الشرق الأوسط خاصة. ثم إنها تثير الدراسات الناشئة عن السعودية، لأن هذه الحالة تقدّم مثلاً عن الكيفية التي تطورت بها نظرة المملكة إلى فاعلين غير دولتيين إذ اعتبرتهم أعداءً، لا سيما الفاعلين الذين يتبنون أيديولوجيا الإسلام السياسي. وإنّ تركيز هذه الدراسة على الحلقة التي تمثلها حرب غزة، عام 2009، لا يحول دون صلاحية التحليل الذي يمكنه أن يلقي الضوء على السياسة السعودية حيال الحلقات اللاحقة من الحروب على غزة في الشرق الأوسط، وسياساتها تجاه القضية الفلسطينية. وفي هذا الصدد، يمكن النظر إلى دراسة الحالة المنفردة هذه بوصفها حالة "نموذجية" تفسر السلوك السعودي تجاه حركة حماس.

وُلدت حماس، بوصفها حركة إسلامية، من رحم جماعة الإخوان المسلمين، ذات الروافد الفكرية السنية. وقد عدّتها السعودية تهديداً، على الرغم من التقارب في الهوية وحلقات التعاون بينهما في الماضي؛ إذ كان من المتوقع أن تدعم السعودية الحركة بسبب مركزية القضية الفلسطينية في السردية التي تروي هوية النظام وشرعيته في الداخل، لكنّ المملكة باعدت بينهما وبين التوقعات والوصفات التي تحملها هذه الهوية الجماعية، على نحو دفع إلى الصدارة ديناميات الاعتماد على النفس المتزايدة في المنطقة، وكشف عن تحول واضح في اتجاه ثقافة فوضى هوبزية باتت تهيمن على علاقاتهما.

تتطرق الدراسة في البداية إلى المبادئ الرئيسة التي تستند إليها حجة ونت. ثم تبين أن الشرق الأوسط يتيح إمكانية لتطبيق هذه الحجة ورهاناً لها في الوقت نفسه؛ وذلك حين توضح المدركات السعودية التي جعلت من حركة حماس تهديداً للمملكة، مع التركيز خاصة على حالة الحرب على غزة عام 2009.

والصراع. وقد لحظ الباحثون في كثير من الأحيان أن الهويات الجماعية المختلفة، مثل القومية العربية ونزعة الوحدة الإسلامية، المتعارضة بطبيعتها مع المنطق الأناني، كانت مصدراً للصراع؛ بسبب عوامل داخلية متعلقة بالشرعية، و/ أو لأن الفاعلين يملكون تأويلات متباينة للهوية ذاتها، بما هي هوية عابرة للحدود⁽¹⁵⁾. وقد لحظ ستيفن والت أن "بعض الأيديولوجيات تمثل مصدراً للانقسام أكثر من كونها مصدراً للوحدة، على الرغم من أن الأيديولوجيا تفترض صراحةً مبدأ التعاون الوثيق بين أتباعها"⁽¹⁶⁾. وعلى نحو مماثل، خلص مايكل بارنيت⁽¹⁷⁾ إلى أن القومية العربية كان لها تأثير انقسامي في أتباعها. ويوضح ونت في كتابه، بناءً على قراءات للتاريخ الأوروبي وديناميات حقبة ما بعد الحرب الباردة، أن الفوضى القائمة على الاعتماد على النفس يمكن أن تتحول إلى نظام تعاوني من خلال التغيرات والتحولات الواعية وغير الواعية في هويات الفاعلين ومصالحهم. بيد أن منطق الفوضى anarchy في الشرق الأوسط يكشف عن ديناميات مختلفة.

تقدّم هذه الدراسة حجة تقول إن هذه التبعية للمسار التي تقوم على تغير الهوية في اتجاه التعاون لا تعكسها ديناميات الهويات الجماعية في الشرق الأوسط، التي كانت بالأحرى مصدراً للعداء والتهديدات، على الرغم من أن هذه الهويات تتضمن التزامات ووصفات للتعاون والدعم المتبادل، وتعريفات جلية للأعداء والتهديدات المشتركة. فأثناء سيرورات تشكّل الدولة في الشرق الأوسط، وعلى الرغم من أن السيادة كانت قد ترسّخت خلالها، انتقلت الهويات الجماعية من التعاون إلى ديناميات أنانية قوامها الاعتماد على النفس. ولتوضيح هذه الديناميات، تفحص هذه الدراسة موقف المملكة العربية السعودية من حركة حماس خلال الحرب في قطاع غزة عام 2009. ففي 27 كانون الأول/ ديسمبر 2008، شنت إسرائيل عملية عسكرية أطلقت عليها اسم "الرصاص المصبوب"، استهدفت القطاع والحركة. وإنه لمن اللافت للانتباه أن المملكة، التي كانت تقليدياً داعمة للقضية الفلسطينية والممول الرئيس لحماس في المدة 1987-2007⁽¹⁸⁾، أدانت

15 Barnett; Rubin Lawrence, *Islam in the Balance: Ideational Threats in Arab Politics* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2014); Stephen Walt, *The Origins of Alliances* (Ithaca: Cornell University Press, 1987); Mark L. Haas, "Ideology and Alliances: British and French External Balancing Decisions in the 1930s," *Security Studies*, vol. 12, no. 4 (2003), pp. 34-79; Gause; Gregory F. Gause, "Ideologies, Alignments, and Underbalancing in the New Middle East Cold War," *PS: Political Science & Politics*, vol. 50, no. 3 (2017), pp. 672- 675.

16 Walt, p. 170.

17 Barnett.

18 للاطلاع على تفاصيل في شأن تطور العلاقات بين المملكة العربية السعودية وحركة حماس، ينظر: حمزة إسماعيل أبو شنب، "حماس والسعودية.. آفاق العلاقة المستقبلية"، الجزيرة نت، 2015/7/22، شوهدي في 2024/1/18، في: <https://acr.ps/1L9zRmj>; "Saudi Arabia and Hamas: A Pragmatic Partnership," *Stratfor* (2015), accessed on 18/5/2025, at: <https://acr.ps/1L9zS6s>

أولاً: بنائية الكسندر ونت وإمكانية تكييفها في الشرق الأوسط

وكان لكتابات ونت، لا سيما كتابه، نظرية اجتماعية للسياسة الدولية *Social Theory of International Politics* (23)، أثر واضح في حقل العلاقات الدولية وتطور البنائية. وعلى الرغم من أن مفاهيمه خضعت لنقاشات وسجلات حماسية ومتكررة، حافلة بالإشادة وبالنقد أيضاً، فإن تجذرها خارج الغرب كان محدوداً جداً، وهو ما يعدّ لافتاً للانتباه؛ بالنظر إلى التطبيق الواسع للبنائية في مناطق الجنوب الكبير، ومنها الشرق الأوسط (24)، وجنوب شرق آسيا (25). فعلى الرغم من أن الباحثين اعتمدوا المعايير والأفكار في أبحاثهم القائمة على البنائية، على نحو ما ذكرنا من قبل، فإن فئة قليلة منهم استمدت الأسس النظرية لأبحاثهم من أعمال ونت على نحو صريح. ثم إن ونت لم يبدِ انشغالاً بانعكاس مفاهيمه في "العالم الواقعي"، كما في مفهومه عن "أشكال منطق الفوضى" *Logics of Anarchy*. على نحو لم يعزّز تطبيقها إمبريقياً، ويقرّ بأنّ "القرّاء الذين ينشدون مقترحات مفصلة في شأن النظام الدولي، فضلاً عن اختبارات إمبريقية، سيصابون بخيبة أمل" (26).

نمت أفكار ونت على نحو انتهى إلى تطور فكري بات بَيِّنًا في كتاباته. وأفضل مثال على عمله الأوّلي هو مجموعة مقالاته المهمة (27) التي توجّها بكتابه المذكور آنفًا. ثم مثل عمله اللاحق "تحولاً غائباً" تكشف عنه مقالاته المعنونة "لِم تُعدّ الدولة العالمية حتمية؟" (28)، وعمله اللاحق عن "التحول الكوانتي" في "النظرية الاجتماعية بوصفها علمًا ديكارتيًا" (29). وبالنظر إلى هذه التحولات الأخيرة التي طرأت على كتابات ونت، فإن هذه الدراسة لا تناقش "كل كتاباته" والإمكانية التي تقدمها في دراسة الشرق الأوسط، بل تركز على بنائيتها الاجتماعية الأولية القائمة على الافتراضات الثلاثة الآتية:

1. لا تزال الدول القومية تُعدّ المستوى الرئيس للتحليل. وينظر ونت إلى المستوى النظامي، أي مستوى النظام الدولي، المؤلف من

حاولت البنائية (19) أن ترأب الفجوة بين التفسيرات الواقعية والليبرالية للسياسة العالمية، وذلك بإضافة بُعد متعلق بالأفكار لدراسة سلوك الدولة على المستوى الدولي. وفي ذلك، قدّم البنائيون نماذج نظرية تستند إلى العلاقة بين الهوية وسلوك الدولة (20). وعلى النقيض من الواقعية والليبرالية المهيمنتين، تفترض البنائية أن البنى لا تتشكل من عوامل مادية فحسب، بل من عناصر معيارية أيضاً، ويشارك الفاعلون والبنى، علاوة على ذلك، في عمليات نشوء وإعادة إنتاج متبادلة تصوغ مصالح الفاعلين. ووفق هذا المنظور، فإن الهوية تتشكل المصالح، ومن ثمّ تحدد سلوك الفاعلين. وفي حين يفترض الواقعيون أن المصالح تنبع، على نحو موضوعي، من التوزيع النسبي للقوة في البنية الدولية، ويفترض الليبراليون أن مصالح الدولة هي تجميع لمصالح مجموعات مختلفة في الداخل، يحاجّ البنائيون بأن المصالح لا تنبع موضوعياً، بل هي مبنية اجتماعياً بوساطة التفاعلات التي تجري على المستوى البنيوي. وتتحدّى البنائية افتراضات الواقعية الجديدة عن المصالح الثابتة المستمدة من الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي. وعلى الرغم من أن البنائية انبثقت بوصفها نظرية اجتماعية ذات تنويعات تقليدية ونقدية (21)، فإنّ بعض الباحثين يحاجّون بأنها تطورت لتصير نظرية سائدة في العلاقات الدولية (22).

19 تنتمي الأدبيات البنائية المذكورة في هذه الدراسة إلى البنائية "المخففة" *Thin* أو التقليدية في حقل العلاقات الدولية، بخلاف التنويعات البنائية "الكثيفة" *Thick* أو النقدية، ينظر:

Wilm Robertson, "In the Thick and The Thin of Social Constructivism," *Canadian Review of Comparative Literature/ Revue Canadienne de Littérature Comparée*, vol. 26, no. 2 (June 1999), pp. 251-261;

وتحاجّ البنائية المخففة بأن الواقع الاجتماعي موجود، وأنه يمكن الوصول إليه من خلال البحث الإمبريقي. وبخلافها، تحاجّ البنائية الكثيفة بأن الواقع ليس له وجود مستقل خارج ملاحظتنا له.

20 Nicholas Onuf, *World of Our Own Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations* (Columbia: University of South California Press, 1989); Wendt, *Social Theory of International Politics*; Ted Hopf, "The Promise of Constructivism in International Relations Theory," *International Security*, vol. 23, no. 1 (1998), pp. 171-200.

21 ينظر الباحثون إلى البنائية، في أغلب الأحيان، بوصفها أرضية وسطى بين مقاربات العلاقات الدولية السائدة والنظريات النقدية. فهم يرفضون الموقف السائد القائل إن الظواهر الاجتماعية كونية، وإن التعميمات الكونية ممكنة، ويرفضون كذلك الموقف النقدي القائل إن العالم غير متجانس للحد الذي يجعل الظواهر الاجتماعية فريدة ومختلفة. ينظر: Hopf, pp. 183-185; Emmanuel Adler, "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics," *European Journal of International Relations*, vol. 3, no. 3 (1997), pp. 319-363.

22 Hoyoon Jung, "The Evolution of Social Constructivism in Political Science: Past to Present," *Sage Open*, vol. 9, no. 1 (2019).

23 Wendt, *Social Theory of International Politics*.

24 Barnett; Lynch.

25 Stefan Rother, "Wendt Meets East: ASEAN Cultures of Conflict and Cooperation," *Cooperation and Conflict*, vol. 47, no. 1 (2012), pp. 49-67; Amitav Acharya, "How Ideas Spread: Whose Norms Matter? Norm Localization and Institutional Change in Asian Regionalism," *International Organization*, vol. 58, no. 02 (2004), pp. 239-275.

26 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 6.

27 Wendt, "Collective Identity Formation and the International State."

28 Alexander Wendt, "Why a World State Is Inevitable," *European Journal of International Relations*, vol. 9, no. 4 (2003), pp. 491-542.

29 Wendt Alexander, "Social Theory as Cartesian Science: An Auto-Critique from a Quantum Perspective," in: Stefano Guzzini & Anna Leander (eds.), *Constructivism and International Relations* (London: Routledge, 2006).

تبدّل من خلال التفاعل⁽³²⁾. ويرى ونت أنّ التفاعل قد يجلب التغير في هويات الدولة، مفضياً إلى أشكال متعددة من "منطق" الفوضى، وهو ما يسميه أيضاً "ثقافات" الفوضى. ويستخدم هنا مفهوم أشكال منطق الفوضى، القابلة للتحقق، ليحدد ثلاث ثقافات تسم الفوضى⁽³³⁾. بناءً على ذلك، يمكن النظر إلى التحليل الواقعي بوصفه إحدى ثقافات الفوضى، وربما كانت هي المهيمنة في عالمنا اليوم، لكنها قد لا تظل مهيمنة إلى ما لا نهاية؛ لأنّ ونت يزعم أنّ الفوضى، على المستوى الكلي، يمكنها أن تتخذ ثلاث بنى متباينة على الأقل؛ العداء أو التنافس أو الصداقة، ويسمّيها، استناداً إلى تراث المدرسة الإنكليزية: الثقافات الهوبزية، واللوكية، والكانطية.

تشير أشكال منطق الفوضى لدى ونت إلى أنماط مختلفة من المجتمعات القائمة داخل البنية الفوضوية الرسمية للنظام الدولي، يستند كلّ منها إلى علاقات اجتماعية مختلفة؛ ما يعني أنها ليست مادية، بل هي بنية ثقافية تصوغها أدوار مختلفة: الصديق، والمنافس، والعدوّ. ويتأثر سلوك هذه المجتمعات بتوزيع الهويات بين الفاعلين، ولكلّ منهم موقفه الخاص به تجاه الآخرين ومقاصده أيضاً فيما يتصل باستخدام العنف. وتتلور الثقافة السائدة في أي نظام بفعل أفكار الفاعلين فيه، وهذه الأفكار تحدّد السلوك الملزم الذي قد تتخذه الدول. فعلى سبيل المثال، إذا نظر أغلب المشاركين في النظام بعضهم إلى بعض بوصفهم أعداء، تهيم الثقافة الهوبزية؛ وفي مثل هذا السيناريو، يعرف بعضُ الفاعلين بعضهم الآخر بوصفهم أعداء، فيصير الصراع سمة مميزة لتفاعلاتهم. لذلك كانت أول ثقافة فوضوية حددها ونت هي الثقافة الهوبزية؛ إذ يتسم النظام فيها بالصراع على الهيمنة وشيوع العلاقات العدائية بين الفاعلين. ويضع هؤلاء الفاعلون في حساباتهم، على الدوام، إمكانية حدوث تغيرات سلبية، ساعين للتفوق على خصومهم لتحقيق مكاسب نسبية. وتشمل العناصر الرئيسة لهذا النوع من الفوضى: الأنانية، والعقلانية، واستخدام القوة ضمن استراتيجيات السياسة الخارجية. وفي هذه الثقافة، يجري تصوير "الآخر" في دور العدو، على نحو يبرر استخدام العنف غير المحدود، وأي قيد على استخدام العنف قد يرتبط بعدم قدرة من الفاعل على التصرف (بسبب توازن القوى أو القيود الداخلية).

الدول؛ إذ يمكن أن يتحقق التغيير، على نحو جوهري، بوساطة الفاعلين المشكّلين لهذا النظام. وكان هذا الجانب قد تعرّض للنقد أكثر في عمل ونت، لتجاهله تأثير السياسة الداخلية في تشكيل هويات الدول وسلوكها على المستوى النظمي.

2. ليست مصالح الدول وهوياتها معطى متأثراً من خارجها، بل هي مبنية. ويعرّف جيبسون وآخرون الهوية بأنها تمثّل "الطابع الأساسي للدول"⁽³⁰⁾، مع اعترافهم بإمكانية تغييرها من خلال الإحالة على مفهوم شائع في علم النفس الاجتماعي، بالقول إنها "تحيل على صور الفردية والتمايز (الذاتية) التي يحملها الفاعل ويبرزها، والتي تتشكّل (وتعدّل بمرور الوقت) من خلال العلاقات مع 'الآخرين' ممن يحظون بالاهتمام". ومن ثمّ، يشير المصطلح (على النحو المتعارف عليه) إلى صور مبنية على نحو متبادل وتطورية عن الذات والآخر. وههنا، قد تتولد مصالح الدول أو يعاد تعريفها بوساطة الهويات الجماعية، في حين يمكن هذه الهويات الجماعية أن تتمدد وتتطور، حتى لو لم تكن متناغمة مع هويات بعض الأعضاء.

3. أما الافتراض الثالث، والمركزي، فمفاده أنّ الفوضى لها أكثر من منطق، وهو ما تعكسه مقالة ونت التي يُستشهد بها على نحو واسع: "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: سياسة القوة بوصفها بناءً اجتماعياً"⁽³¹⁾. وتتجلى الفكرة الرئيسة هنا في أنّ ما يميز مقارنة ونت التأملية هو أنّ المقاربة العقلانية تتجسد في رؤيته عن الفاعلية Agency. وتفترض الواقعية الجديدة والمؤسسية الليبرالية الجديدة أنّ مصالح الدول، مثلها مثل أولوية الاعتماد على النفس، هي مصالح خارجية المعطى، تنتج من البنية الفوضوية للنظام الدولي. في حين يحاجّ ونت، من جهة أخرى، بأنّ الاعتماد على النفس وسياسة القوة قد لا ينبعان من حالة الفوضى، لا من حيث البديهية ولا بالاعتماد على السببية. ومن ثمّ، ما من "منطق" معطى للفوضى خارج الممارسات التي تنشئ نوعاً بعينه من بنية الهويات والمصالح وتجسّده: إذ إنّ "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها". وحين لا تكون هوية الدولة ومصلحتها المركزية معطاة مسبقاً على نحو ما تفترضه الواقعية خاصة، فإن هذه المتغيرات يمكنها أن

32 Wendt, "Collective Identity Formation and the International State," p. 386.

33 Wendt, *Social Theory of International Politics*, p. 246.

30 Ronald Jepperson, Alexander Wendt & Peter J. Katzenstein, "Norms, Identity and Culture in National Security," in: *The Culture of National Security: Norms and Identity in World Politics*, Peter J. Katzenstein (ed.) (New York: Columbia University Press, 1996), p. 59.

31 Wendt, "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics."

ويقول ونت إن ثمة ثلاث مراحل يجري من خلالها تذويت المعايير Norm Internalization داخل كل نمط من أنماط ثقافة الفوضى في النظام الدولي. في المرحلة الأولى، تُتبع المعايير، في المقام الأول، بسبب التهديد باستخدام القوة عقابًا على الانتهاكات التي تشملها؛ ثم تحدث المرحلة الثانية حين يلحظ الفاعلون أن التزام المعايير يتماشى مع مصالحهم الخاصة؛ وقد يؤول الامتثال المستمر إلى المرحلة الثالثة من التذويت، حيث يُنظر إلى المعايير على أنها شرعية وجزء من هوية الدولة. وهذه المرحلة هي التي "تبنى" فيها المعايير الدول حقًا، حين تؤثر في مصالحها وهوياتها الأساسية. بيد أن ثقافة الفوضى الهوبزية قد تنبثق من الأفكار المشتركة والسيرورات الاجتماعية في نطاق هذا المستوى الثالث، لا من العوامل المادية فحسب. وبالمثل، قد تتطور ثقافة الفوضى الكانطية من المصالح التي تحركها إما تهديدات العقاب (المستوى الأول)، وإما منافع التعاون (المستوى الثاني). ويعتمد الحد الذي يبلغه التعاون بين الفاعلين على المستوى الثالث من التذويت؛ إذ تفسر الدول بنية الدور الذي تقوم عليه ثقافة الفوضى القائمة تفسيرًا ذاتيًا، لا انطلاقًا من نمط الثقافة بعينها، وذلك استنادًا إلى فهمها العام للعلاقات بين الدول.

شكل يوضح مستويات التذويت ودرجات حالة المجتمع أو التعاون

			المستوى الثالث
			درجة تذويت الثقافة
			المستوى الثاني
			المستوى الأول
كانطي	لوي	هوبزي	

درجة الاجتماع (التعاون)

المصدر:

Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999), p. 254.

تتشكل ثقافات الفوضى داخل النظام الدولي عبر الممارسات الخطابية والسيرورات التاريخية التي تعزز الكيفية التي ينظر بها كل طرف إلى نفسه وإلى الآخرين أو تغيرها. بعبارة أخرى، تعمل الدول على نشوء الفوضى وتسهم في الحفاظ على هذا الإنشاء، أو مثلما يقول ونت في عبارته الشهيرة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، أو "الفوضى هي ما تُنشئه الدول بتفاعلاتها". فالنظام الهوبزي لن يستمر إلا إذا

”

تشير أشكال منطق الفوضى لدى ونت إلى أنماط مختلفة من المجتمعات القائمة داخل البنية الفوضوية الرسمية للنظام الدولي، يستند كل منها إلى علاقات اجتماعية مختلفة؛ ما يعني أنها ليست مادية، بل هي بنية ثقافية تصوغها أدوار مختلفة: الصديق، والمنافس، والعدو. ويتأثر سلوك هذه المجتمعات بتوزيع الهويات بين الفاعلين، ولكل منهم موقفه الخاص به تجاه الآخرين ومقاصده أيضًا فيما يتصل باستخدام العنف

“

أما النمط الثاني من الفوضى، فهو الثقافة اللوكية Lockean culture التي تتسم بالتنافس؛ إذ يتولى الفاعلون دور الخصوم المتنافسين، وتخضع علاقاتهم لمبادئ مثل توازن القوى والحياد وإدارة الصراعات، وكلها تحد من طموحاتهم على الساحة الدولية. وعلى الرغم من أن المتنافسين ينظرون بعضهم إلى بعض هنا من خلال عدسة العنف المحتمل، فإنهم يُعدّون أقل تهديدًا بعضهم لبعض مقارنة بالنمط الهوبزي. وعلى النقيض من مدركات العداء، يتوقع المتنافسون احترام السيادة والحرية، ويغيب الدافع إلى الهيمنة؛ إذ تلتزم الدول في الفوضى اللوكية بالوضع القائم فيما يتعلق بسيادة كل منها؛ ما يخفف من المخاطر الأمنية. والمتنافسون الخصوم قادرون على استخدام القوة لتسوية النزاعات، لكن استخدامهما ليس محوريًا كما في النظام الهوبزي. ومن ثم، فإن توازن القوى بالغ الأهمية في صوغ هذا النمط من النظام الأناركي، الذي يستوعب داخله إمكانية الحياد أو عدم الانحياز أيضًا.

وأما الثقافة الكانطية هي نظام "السلام الأبدي" الذي يتسم بهيمنة قيم القانون؛ إذ تخلق الدول شعورًا مشتركًا بالـ "نحن" من خلال التزام القواعد والمعايير المشتركة داخل البيئة الدولية. وفي هذا النمط، ينظر الفاعلون بعضهم إلى بعض على نحو إيجابي، ويسعون جاهدين لإرساء ممارسات الأمن الجماعي. وفي مثل هذا النظام، تتوقع الدول بعضها من بعض حل النزاعات من دون اللجوء إلى الحرب (مبدأ عدم استخدام القوة)، والعمل جماعيًا في مجال الدفاع إذا ما تعرض أي عضو فيه للتهديد من طرف خارجي (مبدأ المساعدة المتبادلة).

التي نتجت من إعادة تعريف الهوية التي تحدث بعد تعرض فاعل من الفاعلين لتغيير داخلي (المعايير الداخلية/ المحلية). ويمكن هنا أن تكون لدراسات المناطق إسهامات كبيرة في النشاط البحثي، بما توفره من سياقات تاريخية وثقافية، وهو ما يفتقر إليه باحثو العلاقات الدولية في أغلب الأحيان. وقد عدّ الدارسون منطقة الشرق الأوسط، بما تنطوي عليه من سياسة هوية متعددة الطبقات، أرضاً خصبة لاختبار فرضيات البنائية⁽³⁵⁾. فقد سمحت البنائية بتفسير جديد للسياسة العربية يأخذ في الحسبان خصوصية الشرق الأوسط من دون المجازفة بالانزلاق في بركة الحجج الثقافية ذات الطابع الاختزالي⁽³⁶⁾. بيد أن دراسات قليلة جداً اعتمدت على منطق الفوضى المتعدد مثلما سكه ونت.

يقدم بارنيت قراءة بنوية للسياسة العربية البينية بناءً على مقارنة بنائية تعتبر التفاعل بين الفاعلين والبنية Agents and Structure مصدرًا رئيسًا للهوية والمصالح⁽³⁷⁾. ويبيّن أن البنية الإقليمية بيندائية، بما في ذلك هويات الفاعلين جنبًا إلى جنب مع المعايير التي تملي السلوك المناسب لكل هوية. ففي حقبة ما بعد الاستعمار، تطورت الدول العربية إلى بنى بيندائية قوامها "العروبة" التي صاغت هويتها العربية، و"السيادة" التي صاغت هوياتها بوصفها دولاً قومية ذات سيادة. وقد أمّلت كل واحدة من البنيتين توقعات سلوكية اتسمت بالتناقض في كثير من الأحيان، ما أدى إلى التوترات والصراعات في السياسة العربية البينية. وبسبب التفاعلات والممارسات، تغيرت هوية الدول العربية حين تراجعت القومية العربية وتعززت الهويات الوطنية والسيادة. ومع إقحام متغيرات غير مادية، مثل الهويات والقيم والأفكار والمعتقدات، في تشكيل سلوك الدولة، مكّنت البنائية الباحثين الذين يدرسون الشرق الأوسط من تحدي افتراضات الواقعية الجديدة بشأن المصالح الثابتة الناجمة عن الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي. وفي هذا السياق، يوضح بارنيت أن التغير في محتوى الهوية له تأثير بالغ في السلوك الاستراتيجي وسياسة التحالف. فأثناء حقبة حلف بغداد⁽³⁸⁾، تركّز النقاش داخل النظام السياسي العربي على صوغ تعريفٍ لـ "الهوية الجماعية"؛ ومن ثم، شملت الخصومة المعايير التي ينبغي لها أن تحكم

استمرت الأطراف في التصرف بناءً على الدوافع الأنانية والعسكرتارية؛ ولكن في حال بروز ممارسات جديدة، ربما تتطور الثقافة الهوبزية، في نهاية المطاف، إلى نمط مختلف. وقد تشهد ثقافات الفوضى أيضًا مراحل انتقالية؛ إذ إنها تتبنّى خصائص من أنماط الثقافات الأخرى. وفي مثل هذه الحالات، ربما تسعى الدول لتحقيق أهداف وتوظّف أساليب يتبنّاها فاعلون ينتمون إلى مستويات بنوية مختلفة.

تعمل الدول على نشوء الفوضى وتسهم في الحفاظ على هذا الإنشاء، أو مثلما يقول ونت في عبارته الشهيرة "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، أو "الفوضى هي ما تُنشئه الدول بتفاعلاتها". فالنظام الهوبزي لن يستمر إلا إذا استمرت الأطراف في التصرف بناءً على الدوافع الأنانية والعسكرتارية

كيف يمكننا تطبيق هذا النموذج المعقّد الذي يكاد يعتمد، حصراً، على الخبرات الغربية، في سياق الشرق الأوسط؟ تحتاج هذه الدراسة بأن البنائية الاجتماعية هي نظرية جيدة التصميم للتطبيق في سياق إقليمي مختلف، لقدرتها على مراعاة مصادر مختلفة للأفكار. وإذا كان ونت قد اقترح ثقافات تستند إلى فلاسفة غربيين، أمثال جون لوك أو إيمانويل كانط، فإن المجال ما يزال متاحاً للحديث عن فوضى مختلفة تستند إلى هويات مختلفة. وقد أشار كاتزنشتاين وسيل إلى أن طبيعة الهوية الجماعية في آسيا "تتأثر تأثراً شديداً - بطرائق لم تشرع النظريات المعاصرة للعلاقات الدولية في تحليلها بعد - بالخبرات التاريخية وإرث العالم الذي تحتل الصين مركزه، وهو عالم يختلف في كثير من المناحي عن تراث العالم الإغريقي - الروماني"⁽³⁴⁾.

تتمثل إحدى طرائق تطبيق البنائية الاجتماعية في الشرق الأوسط، ومناطق الجنوب الكبير الأخرى، في دراسة المعايير والهويات الجماعية التي جرى بناؤها بواسطة التفاعل في المنطقة (المعايير التفاعلية)، وتلك التي جرى جلبها من الخارج وتوطينها بنجاح (المعايير الخارجية)، وتلك

35 Barnett, *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order*; Telhami & Barnett; Lynch.

36 بخلاف وجهات نظر أخرى مثل:

Fouad Ajami, *The Dream Palace of the Arabs: A Generation's Odyssey* (New York: Knopf Doubleday Publishing Group, 2009); Paul Salem, *Bitter Legacy: Ideology and Politics in the Arab World* (Syracuse: Syracuse University Press, 1994).

37 Barnett, *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order*.

38 ضم حلف بغداد كلاً من بريطانيا والعراق وتركيا وإيران وباكستان، وتأسس في عام 1955 للحؤول دون الاختراق السوفياتي في الشرق الأوسط. وقد واجهت الطموحات البريطانية حينئذ موقفاً شديداً من الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي قاد ضدها معارضة شعبية في عموم العالم العربي.

34 Peter J. Katzenstein & Rudra Sil, "Rethinking Asian Security: A Case for Analytical Eclecticism," in: J. J. Suh, Peter J. Katzenstein & Allen Carlson (eds.), *Rethinking Security in East Asia: Identity, Power, and Efficiency* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2004), p. 23.

هدفت، صراحةً، إلى التغلب على الاختلافات الإقليمية الوطنية، مصدرًا للتفتت والانقسام.

وانتهى الباحثون إلى أن الأثر التعاوني للهويات الجماعية غالبًا ما يجري اجتنابه بسبب شيوع منطق "بقاء النظام"؛ إذ يمكن أن تمثل الهويات الجماعية تهديدات للاستقرار في الداخل؛ فيصير القادة العرب، في عمومهم، أكثر ما يبصرون، أن التهديدات التي تحملها الأفكار، والتي تنبع من الخارج وتستهدف الاستقرار الداخلي للنظم الحاكمة العربية، تعدّ الأبرز والأهم. ويعدّ كتاب لورانس روبن، **الإسلام وميزان القوى**⁽⁴⁴⁾، محاولة لتحليل كيفية تهديد الأفكار ممثلة في الأيديولوجيا السياسية، لبقاء النظم؛ فقد تطرّق إلى موضوع مدرّكات التهديد والسياسات التي اتبعتها دولتان عربيتان ذواتا أغلبية مسلمة، هما مصر والسعودية، في استجابتهما حيال الثورة الإسلامية في إيران (1979) والحكومة الإسلامية في السودان (1989). وباستخدام دراسات الحالة المقارنة هذه، يقدّم روبن تحليلًا للكيفية التي تجعل الأفكار تهديدًا للدول، لا سيما الأيديولوجيا السياسية. ويحاجّ بأنّ الأيديولوجيات العابرة للحدود الوطنية يمكنها أن تمثل تهديدات أعظم وأشدّ إلحاحًا من التحولات في ميزان القوى العسكري. فالأفكار والأيديولوجيا العابرة للحدود الوطنية قد تحمل تهديدًا للاستقرار الداخلي والشرعية في دولة أخرى، مع ما تحمله من إمكانية إحداث صدى في دول أخرى. واستجابة لهذه التهديدات، تشارك الدول في "موازنة بالأفكار" Ideational Balancing، تحيل على استجابة غير عسكرية تقوم على تعبئة الموارد والتأطير المضاد للأفكار⁽⁴⁵⁾.

أما دراسة غريغوري غوس، "موازنة حيال ماذا؟ مدرّكات التهديد وخيارات التحالف في الخليج"⁽⁴⁶⁾ - وهي دراسة مستوحاة من الواقعية النيوكلاسيكية - فتطرح فرضيات في شأن كيفية تحديد القادة الأولويات في خضمّ تهديدات متعددة، وتُجري اختبارًا لخيارات التحالف التي اتخذتها سورية والأردن والسعودية، فيما يتعلق بالترتيبات الأمنية في الخليج العربي في المدة 1971-1991. ويجعل غوس العوامل المتعلقة بالأفكار أكثر واقعية باستخدام منطق بقاء النظام، ليحاجّ بأنّ الدول العربية أدركت في عمومها التهديدات المتعلقة بالأفكار، التي كانت تنبع من الخارج واستهدفت الاستقرار الداخلي للنظم الحاكمة العربية، على أنها أشد أهمية مقارنة بالتهديدات المادية. وقد نجح في تقديم هذه العوامل في طابع ملموس والربط بين المستويات النسقية والداخلية.

العلاقات بين الدول العربية (أهي العروبة أم السيادة؟). وعلى النحو الذي يوجزه في مقالته، "تنبع التهديدات، نتيجةً لذلك، من محاولة الخصم الظهور بمظهر من يتصرف على نحو ينتهك معايير المجموعة، ويظهر الآخرون على أنهم يتصرفون بما يتفق مع تلك المعايير، وهذا ما يمثل تهديدًا محتملاً يشمل المجموعة"⁽³⁹⁾. ويحاجّ بأنّ المعيار السائد في فترة زمنية معينة يصوغ سلوك الدولة وخيارات التحالف التي تتخذها. فخلال حقبة حلف بغداد، كانت القومية العربية هي المعيار السائد في المنطقة، فصاغت من ثمّ سلوك التحالفات بين الدول، قبل أن يشهد بناء التهديدات في الشرق الأوسط منعرجًا مع تراجع القومية العربية. ويرى بارنيت أن حرب الخليج عام 1991 وتشكيلات التحالفات، خلال هذه الفترة، كشفت عن تراجع القومية العربية وظهور الهويات المرتكزة على نزعة دولتية. وحالما كُفّت الدول العربية عن تشارك تعريف التهديد، تباعدت في سياساتها الأمنية.

بيد أنّ دارسي الشرق الأوسط خلصوا إلى أن ديناميات الهويات الجماعية كشفت عن ديناميات مختلفة عن تلك المرسومة في البنائية القائمة على الخبرة الغربية؛ إذ إن البنائية التقليدية في حقل العلاقات الدولية تفترض أنّ الدول تتماهى، على نحو إيجابي، مع من يملكون هوية مماثلة لهويتها. ويحاجّ مارك هاس بأنّ "أوجه التشابه الأيديولوجية كلما زادت بين قادة الدول، زادت احتمالية نظر بعضهم إلى مصالح بعضهم الآخر على أنها متكاملة، ما يعزز الحوافز التي تدفع هؤلاء إلى تشكيل تحالف"⁽⁴⁰⁾. لكنّ الأدلة الإمبريقية القادمة من الشرق الأوسط كانت قد تحدّت هذه الفرضية قبل فترة طويلة؛ فقد لحظ والت في دراسته عن التحالفات في المنطقة أن "بعض الأيديولوجيات تمثل مصدر انقسام أكثر من كونها مصدرًا للوحدة، على الرغم من أن الأيديولوجيا توصي صراحة بالتعاون الوثيق بين أتباعها"⁽⁴¹⁾. وقد توصّل الباحثون الذين طوّروا نظريات مستمدة من البنائية لتفسير السياسة في الشرق الأوسط إلى استنتاج مهمّ، مفاده أن الهويات المتشاركة يمكنها أن تكون وشائج قد تفضي إلى الصراع أو التعاون⁽⁴²⁾. وههنا، توفر الخصومة بين النظامين البعثيين، السوري والعراقي، مثالًا كاشفًا آخر⁽⁴³⁾. وكانت نزعة الوحدة الإسلامية، التي

39 Michael Barnett, "Identity and Alliances in the Middle East," in: *The Culture of National Security: Norms and Identity in World Politics*, p. 409.

40 Haas, p. 36.

41 Walt, p. 170.

42 Barnett, *Dialogues in Arab Politics*; Dalia Dassa Kaye, *Beyond the Handshake: Multilateral Cooperation in the Arab-Israeli Peace Process, 1991-1996* (New York: Columbia University Press, 2001).

43 Eberhard Kienle, *Ba'th versus Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968-1989* (London: I.B. Tauris, 1990).

44 Rubin.

45 Ibid., pp. 37-39.

46 Gause, "Balancing What?"

المصري الأسبق، حسني مبارك، الفكرة نفسها بقوله: "لقد حذرناكم مرارًا من أن رفض تمديد التهدة سيدفع إسرائيل إلى العدوان على غزة، وأكدنا لكم أن إعاقة الجهد المصري لتمديد التهدة هي دعوة مفتوحة لإسرائيل لهذا العدوان"⁽⁴⁹⁾.

وماثلت جريدة الشرق الأوسط السعودية بين ما أقدمت عليه حماس والخطوة التي اتخذها حزب الله وأفضت إلى حرب لبنان عام 2006. وعلى نحو مماثل، ألفت مصر باللائمة صراحة على الحركة لتخليها عن التهدة مع إسرائيل. وصرّح وزير خارجية مصر، حينئذ، أحمد أبو الغيط قائلاً إن "حماس منحت تل أبيب فرصة على طبق من ذهب لضرب غزة"⁽⁵⁰⁾. ورأت مصر والسعودية أن حماس صارت مجرد بيدق في يد إيران، وهي بلد غير عربي، واتهمتها بخدمة المصالح الإيرانية لا العربية. وحيال ذلك، اتهم منتقدو السياسات الخارجية السعودية والمصرية النظم المنضوية تحت "محور الاعتدال" المزعوم، بالتواطؤ مع إسرائيل، وهي العدو اللدود للعالمين العربي والإسلامي.

وعلى الرغم من أن ردادات الفعل العربية على الحرب في غزة، عام 2009، أبرزت الانقسامات بين الدول العربية، فإن هذه الأحداث تطرح أسئلة أخرى بشأن ديناميات الهوية الجماعية لبعض دول المنطقة، لا سيما ما تعلق منها بنزعة الوحدة الإسلامية. فحركة حماس حركة سنيّة معترف بأنها تمثل رافداً ينتمي إلى أيديولوجيا تنظيم الإخوان المسلمين، وبأنها تمزج بين الأيديولوجيا التقليدية التي تقوم على نزعة الوحدة الإسلامية وبين القومية الفلسطينية. وبالنظر إلى موقعها في قلب الصراع العربي الإسرائيلي ومرجعيتها السنيّة، كان ينبغي لحماس أن تجتذب دعم السعودية، وهي ملكية ذات أيديولوجيا سنيّة تتبنّى مبادئ الوحدة الإسلامية. فكان من لافت المفارقات أن آل سعود، النخبة الحاكمة التي تقول بزعامة العالم الإسلامي ودعم القضية الفلسطينية، دانوا المقاومة.

1. المملكة العربية السعودية وحركة حماس: ثقافة فوضى كانطية

كانت القضية الفلسطينية، تقليدياً، موضوعاً يثير حساسيات فكرية ودينية في السياسة الخارجية السعودية؛ إذ ترى المملكة، بوصفها القائم على مكة المكرمة والمدينة المنورة بما تمثلانه من مقدسات عند المسلمين، نفسها كأنها تحمل مهمة إلهية تقضي بحماية الأماكن المقدسة في الإسلام. ومن خلال هذا المنظور، تحظى فلسطين، لا سيما

يتناول الجزء المتبقّي من هذه الدراسة، على نحو نقدي، إمكانية تطبيق ثقافات الفوضى التي سكّها ونت، واقتفاء أثر التغيّر في العلاقة بين السعودية وحركة حماس. ويحتاج بأن المملكة وحماس، وبسبب التفاعلات البنيوية، قد انتقلتا من ثقافة الفوضى الكانطية، القائمة على التعاون، إلى ثقافة الفوضى الهوبزية التي تتسم بالعداء. وقد بلغ هذا التغيّر ذروته خلال الحرب في غزة عام 2009. وإذا كانت دراسة الحالة هذه تبين أن ثقافات الفوضى عند ونت تلقي الكثير من الضوء على سيرورات التفاعل في الشرق الأوسط وتأثيرها في معايير التعاون والصراع، فإنها تكشف أيضاً عن العديد من التحديات النظرية ومكامن الضعف التي تعانيها هذه المقاربة حال تطبيقها على الجنوب الكبير. ولتوضيح هذه الديناميات، يدرس المحور التالي السياسة الخارجية السعودية تجاه حركة حماس خلال الحرب في غزة عام 2009؛ إذ انتقلت المملكة بمرور الوقت من دعم الحركة إلى معارضتها، على الرغم من أنها تشارك معها المبادئ الداعية إلى الوحدة الإسلامية.

ثانياً: دراسة الحالة: الحرب في غزة عام 2009

بدأت إسرائيل سلسلة من الهجمات الجوية على قطاع غزة، في 27 كانون الأول/ ديسمبر 2008، توسّعت لاحقاً إلى هجوم برّي. وقد دفعت هذه الحرب إلى الواجهة، أكثر فأكثر، الانقسامات الإقليمية التي كانت قد تبلورت خلال حرب لبنان عام 2006، بين معسكري ما يسمى "محور الاعتدال"، في إحالة على مصر والسعودية والأردن، و"محور المقاومة" الذي يحيل على إيران وسورية وحزب الله وحركة حماس. وقد تكررت المدركات السعودية في شأن حزب الله عام 2006⁽⁴⁷⁾ في نسخة أخرى تجاه حركة حماس عام 2009.

خلال القمة العربية الاستثنائية، التي عُقدت في الدوحة في 16 كانون الثاني/ يناير 2009، انتقدت السعودية حماس لتخليها عن وقف إطلاق النار مع إسرائيل، وألقت باللائمة عليها من جرّاء خسائر الحرب التي تكبدتها غزة. وقد صرّح وزير الخارجية السعودي في ذلك الوقت، سعود الفيصل، قائلاً إن "هذه المجزرة الرهيبة ما كانت لتقع لو كان الشعب الفلسطيني يقف موحدًا خلف قيادة واحدة ينطلق من منطلق واحد وينطق بصوت واحد"⁽⁴⁸⁾. وكرّر الرئيس

49 "Egypt's Mubarak: Hamas Invited Israeli Offensive," *Reuters*, 19/1/2009, accessed on 18/1/2024, at: <https://acr.ps/1L9zRE2>

50 Steven Erlanger, "Divisions Deep at Arab League Meeting," *The New York Times*, 1/1/2009, accessed on 18/1/2024, at: <https://acr.ps/1L9zRGF>

47 Morten Valbjørn & André Bank, "The New Arab Cold War: Rediscovering the Arab Dimension of Middle East Regional Politics," *Review of International Studies*, vol. 38, no. 1 (2012), pp. 3-24.

48 Ian Black, "Saudis Blame Hamas amid Calls for Talks with Fatah," *The Guardian*, 1/1/2009, accessed on 18/1/2024, at: <https://acr.ps/1L9zRA3>

في الثمانينيات⁽⁵⁵⁾. ومع الانسحاب المصري من الصراع (1979) وتوقيع معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية (1994)، اتخذت المملكة لنفسها دوراً إقليمياً، عبر قيادة الوساطة في لبنان وعمليات السلام الفلسطينية - الإسرائيلية وتيسير بلوغها. وبدءاً من أوائل التسعينيات، دعمت المملكة الفلسطينيين مالياً لحضور محادثات السلام وشاركت بنشاط في بعض المحادثات الإقليمية التي أفضت إلى جولات مدريد وأوسلو من المفاوضات⁽⁵⁶⁾. لقد دأبت السعودية، طوال الوقت، على رسم صورة تؤكد تأييد المقاومة، وهي الصورة التي عززتها عبر الدعم المالي.

يجمع المملكة وحركة حماس تاريخٌ طويل من التفاعل. فمنذ الانتفاضة الأولى عام 1987، كانت السعودية أحد أبرز الداعمين الماليين للحركة. وتقول بعض التقديرات إنها قدّمت 50 في المئة من ميزانية حماس⁽⁵⁷⁾. وقدّمت السعودية للحركة الدعم المالي رسمياً مرتين، الأولى عام 1988، والثانية عام 1998. وقد تكثّف هذا الدعم على نحو خاص، بعد أن دعمت منظمة التحرير الفلسطينية صدام حسين أثناء الغزو العراقي للكويت في عام 1991، وسمحت المملكة لحماس حينها بأن تفتح مكتباً لها في جدة، وقد أتاحت لها، إضافة إلى ذلك، جمع أموال التبرعات من المنطقة من دون قيود⁽⁵⁸⁾. وعام 2007، كان للرياض دورٌ في التفاوض على التهدئة وتشكيل حكومة ائتلافية بين حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" وحركة المقاومة الإسلامية "حماس". وحتى ذلك الحين، أبقى المملكة على دعمها المالي للحركة.

وفي غضون ذلك، مكّنت السردية الإسلامية المملكة من أداء دور حاسم في الوساطة بين حركتي فتح وحماس. وكانت حماس، عقب انتخابات عام 2006، قد فازت بأغلبية المقاعد في المجلس الوطني الفلسطيني، وصار زعيمها، إسماعيل هنية، رئيساً للوزراء الفلسطيني. وانتهى تنامي قوة حركة حماس في علاقتها بحركة فتح، جنباً إلى جنب مع الصراع على الحكومة الجديدة، إلى توترات حادة. وفي شباط/فبراير 2007، دعا الملك عبد الله كلا الفصيلين إلى مكة للتفاوض على شروط "حكومة الوحدة"، ووعد بدعم قدره 750 مليون دولار أميركي لهذه الحكومة المنتظرة⁽⁵⁹⁾. ثم أخفقت جهود الوساطة بعد أن اشتدت

القدس، بأهمية خاصة في التصور الذي تحمله المملكة عن ذاتها، بحيث تعهدت تاريخياً بالدفاع عن القضية الفلسطينية ودعمها⁽⁵¹⁾.

وعلى وجه الخصوص، تشكل القضية الفلسطينية والقدس جزءاً من البعد الإسلامي في سردية الهوية السعودية. ويقول جون إسبوزيتو "إن تحرير القدس ونشوء دولة فلسطينية باتا مكوّنًا رئيساً في السياسة الخارجية السعودية، وقضية إسلامية حشد لها الملك فيصل الدعم الإسلامي في أرجاء العالم"⁽⁵²⁾. وبعبارة أخرى، مثلت القضية الفلسطينية عنصراً أساسياً في تصوّر السعودية لذاتها على المستويين الإقليمي والداخلي⁽⁵³⁾.

وقد قال الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده الأمير عبد الله بن عبد العزيز، في خطاب إلى حجاج مكة المكرمة خلال عام 1997:

لقد استمرت المملكة العربية السعودية في التمسك بموقفها المتمثل في دعم السلام العادل والشامل الذي سيضع نهاية للقمع، ويبيد الأراضي العربية المحتلة إلى شعوبها في فلسطين وسورية ولبنان. أما فيما يتعلق بالقدس وبناء المستوطنات الإسرائيلية هناك، فإن موقف المملكة واضح تماماً وقد عبّرت عنه مرات عدة. إن السعودية تستنكر وتدين كل ما يحدث في القدس من أفعال تتعارض مع طبيعة المدينة والحقوق المشروعة لسكانها العرب⁽⁵⁴⁾.

وعلى الرغم من أن المملكة لم تكن يوماً في خط المواجهة في الصراع العربي - الإسرائيلي، ولم تشارك قواتها قط في عمليات عسكرية ضد إسرائيل، فإنّ القضية الفلسطينية كانت في صميم الدبلوماسية السعودية الدولية والإقليمية، تحركها هويتها القائمة على مبادئ الوحدة الإسلامية.

وبعد هزيمة القوات العربية في حرب الأيام الستة عام 1967، انخرط آل سعود بفاعلية في مواصلة الصراع ضد إسرائيل، وعملوا حينها على تقديم الدعم المالي لدول خط المواجهة. وعندئذ، دعم السعوديون الفلسطينيين مالياً ودبلوماسياً، لا سيما منظمة التحرير الفلسطينية، ثم حركة حماس في تسعينيات القرن العشرين. وخلال السبعينيات، قدّمت المملكة للمنظمة مئات الملايين من الدولارات، وزهاء مليار دولار أميركي

55 Wayne H. Bowen, *The History of Saudi Arabia* (Santa Barbara, CA: Greenwood Publishing Group, 2008), pp. 124-125.

56 Peter Wilson & Douglas Graham, *Saudi Arabia: The Coming Storm* (New York: M.E. Sharpe, 1994), p. 125.

57 Stratfor.

58 حمزة إسماعيل أبو شنب، "حماس والسعودية.. آفاق العلاقة المستقبلية"، الجزيرة نت، 2015/7/22، شوهد في 2024/12/1، في: <https://tinyurl.com/mbuft5c7>

59 Joseph Kostiner, "Saudi Arabia and the Arab-Israeli Peace Process: The Fluctuation of Regional Coordination," *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 36, no. 3 (2009), pp. 417-429.

51 James Piscatori, "Ideological Politics in Saudi Arabia," in: James Piscatori (ed.), *Islam in the Political Process* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), pp. 56-70.

52 John L. Esposito, *Islam and Politics* (Syracuse: Syracuse University Press, 1998), p. 114.

53 Muqtadar M. A. Khan, *Jihad for Jerusalem: Identity and Strategy in International Relations* (Santa Barbara, CA: Greenwood Publishing Group, 2004), pp. 175-178.

54 Ibid., p. 176.

وكانت التشكيلة الإقليمية التي نشأت في أعقاب التدخل الأمريكي في العراق منعرجاً حاسماً صاغ البنية الإقليمية، وغير سيرورات التفاعل بين الفاعلين الإقليميين، وأحدث تبدلاً في ثقافة الفوضى السائدة بين المملكة وحماس. وكان سقوط نظام صدام حسين وتدمير القدرات العسكرية العراقية سبباً في تغير توزيع القوة الإقليمية؛ إذ صار التفوق العسكري الإسرائيلي واضحاً في الفضاء بين العرب وإسرائيل، لا سيما مع الإصرار على التمسك بمعاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية لعام 1979 وإبرام معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية في عام 1994. ثم إن الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال "كسر" الدولة العراقية، قضت على قوة العراق وعلى ما كانت تمثله من عازل إقليمي في مواجهة إيران، التي حاولت ملء الفراغ الناتج وتوسيع نفوذها⁽⁶⁰⁾. ما يعني أن المثلث المستقر التقليدي، المؤلف من إيران والعراق والسعودية، حيث كانت القوى الثلاث تحقق توازناً فيما بينها، قد انهار ليفسح الطريق أمام مواجهة سعودية - إيرانية. وأدى هذا التغير البنيوي في توازن القوى الإقليمي إلى تكوين تشكيلات مختلفة. فقد تشظت الدول العربية من حول معسكرين؛ إذ دعم التحالف المدعوم من الولايات المتحدة، والمؤلف من السعودية ومصر والأردن، التسوية السلمية للصراع العربي - الإسرائيلي. أضف إلى ذلك أن هذا المعسكر عرّف إيران بوصفها التهديد الأهم لاستقرار المنطقة. أما التحالف الثاني فقد ضمّ إيران وسورية وحزب الله وحركة حماس. وعُدّ هذا المعسكر، الذي يطلق عليه عادة "محور المقاومة"، الولايات المتحدة وإسرائيل المصدرين النهائيين للتهديد في المنطقة. وكثيراً ما أطلق على تشظي المنطقة من حول هذين المعسكرين وصف "الحرب الباردة العربية الجديدة".

عند توقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية عام 1979، برزت السعودية بوصفها الدولة العربية الرئيسة التي تحاول رعاية السلام في الصراع العربي - الإسرائيلي، وربطت تطبيع علاقاتها الاقتصادية مع إسرائيل بتحقيق تقدّم نحو إقامة دولة فلسطينية. وبدءاً من ثمانينيات القرن العشرين، أصبحت لدى المملكة رؤية للصراع تقوم على السلام الشامل، بعد أن أطلق خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز، أول مبادرة سلام عربية، عام 1982، حين كان لا يزال ولياً للعهد. وفي شباط/ فبراير 2002، في أعقاب الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة عام 2000، قدّم وليّ العهد الأمير عبد الله مبادرة سلام ثانية، أقرتها لاحقاً جامعة الدول العربية وصارت تُعرف باسم "مبادرة السلام العربية". كان الاقتراح تعبيراً صريحاً عن الموقف السعودي من الصراع وعرض على إسرائيل التطبيع الكامل

التوترات بين الفصيلين في أعقاب اتفاق مكة، وانتهت إلى انقسام في الحكومة: فحكمت فتح الضفة الغربية وحكمت حماس قطاع غزة.

ثم تدهورت العلاقة بين المملكة وحماس بعد انهيار المفاوضات وسيطرة الحركة على قطاع غزة في حزيران/ يونيو 2007، وشرعت في خفض دعمها المالي. وفي غضون ذلك، زادت إيران دعمها لحماس عبر المساعدات العسكرية، وأعانت على تلبية متطلبات ميزانيتها الشهرية. وعام 2009، عدّت السعودية حركة حماس تهديداً خطيراً، فيما يمكن عدّه تحولاً في علاقتهما من ثقافة فوضى كانطية إلى ثقافة هوبزية، إذا ما استخدمنا مصطلحات ونت. وتعكس هذه المدركات مفارقة بالنظر إلى علاقات التعاون السابقة بين المملكة والحركة، والتقارب بينهما بفضل الهويات الجماعية القائمة على الإسلام ونزعة الوحدة الإسلامية.

لقد حدث التبدّل في العلاقة بينهما؛ بسبب التفاعلات على المستوى البنيوي في الشرق الأوسط، الأمر الذي يكشف عن تحوّل واضح في ثقافة الفوضى من كانطية إلى هوبزية، بمصطلحات ونت، بعد أن انتقل الطرفان من الدعم والتعاون المتبادل إلى العداء. وعلى الرغم من أن هوية حماس الإسلامية تتوافق مع هوية المملكة وتمسكهما بديناميات الوحدة الإسلامية هويةً جماعيةً لهما، فإن الديناميات البنيوية أدت إلى حدوث تغبّر في تأويلات هذه الهويات لدى الفاعلين الذين صاغوا مصالحهم بناءً على ذلك. وقد تمثلت التغيرات البنيوية في الشرق الأوسط في النظام الإقليمي المستجدّ بعد غزو العراق عام 2003، الذي ولّد ظروفًا مختلفة للتفاعلات، على نحو دفع حماس والمملكة في اتجاه تأويل مختلف للهويات القائمة على مبادئ الوحدة الإسلامية، نتجت منها آثار معيارية متنوعة انتهت إلى حدوث تغبّر في السلوك.

2. تصنيف السعودية حركة حماس على أنها الآخر

غالباً ما تُقرأ مدركات السعودية تجاه حركة حماس عام 2009، وإنزالها إليها منزلة العدو، على أنها استراتيجية واقعية، وذلك بالقول إن المملكة كانت بصدد موازنة نفوذ إيران وتمدها في المنطقة. وإذا ما نظرنا إلى الدعم الإيراني للحركة ولغيرها من الجماعات الفلسطينية، فإنّ هذا المنطق الواقعي يبدو دقيقاً في الوهلة الأولى. ولكن بعد مزيد من التمعّن، يبدو أن الأمر أشدّ تعقيداً من ذلك. فقد جاء تحالف حماس مع إيران نتيجة للتغير في العلاقة مع المملكة في أعقاب عزلة الحركة الدولية والإقليمية بعد عام 2006.

60 Olivier Roy, *The Politics of Chaos in the Middle East* (London: Hurst & Company, 2007).

وعلى الرغم من اعتماد حركة حماس سردية الهوية الإسلامية السنية، المماثلة للهوية التي تتبناها السعودية، فإنها قدّمت رؤية بديلة من الصراع تستند إلى مفهوم "المقاومة". لذلك، ليس مفاجئاً أن تتحدى رؤية الحركة ادعاء المملكة دعم القضية الفلسطينية؛ وهكذا، نشأ صدع في علاقتهما واتسع نطاقه. وكان على حماس أن تختار بين دعم السعودية ودول عربية أخرى، والموافقة على استراتيجية السلام مع إسرائيل والتخلي عن المقاومة المسلحة، أو الاعتماد على دعم إيران مع الحفاظ على هويتها بوصفها حركة مقاومة. وقال أحمد يوسف، مستشار زعيم الحركة الراحل، إسماعيل هنية: "أغضبت علاقاتنا مع إيران المملكة العربية السعودية، لكن في بعض الأحيان لا يكون أمامنا خيار. ونحن نفضل إقامة علاقات أوثق مع المملكة وربما سيأتي ذلك اليوم"⁽⁶⁴⁾. لقد واجه قادة حماس أحد خيارين: إما تعديل مبادئهم الأساسية لضمان دعم الدول العربية، أو قبول الدعم الإيراني مع الحفاظ على موقف عدواني ضد إسرائيل. وبما أن مصر والسعودية سارتا على درب المقاطعة الأميركية لحماس، فقد مضى قادة الحركة في الخيار الثاني: إذ لجؤوا إلى جمهورية إيران الإسلامية للحصول على الدعم المالي، آخذين في الحسبان الموقف الإيراني المتشدد تجاه إسرائيل. خلاصة القول إن الحركة استفادت من الخصومات المستشرية في المنطقة لتعزيز موقفها⁽⁶⁵⁾، أي إن العلاقة بين حماس وإيران استراتيجية محضة، ولن تتصرف الأولى نيابة عن الثانية؛ فقد ألح صلاح البردويل، عضو المكتب السياسي لحماس في غزة، على أن الحركة، في حال نشبت حرب بين إسرائيل وإيران، "لن تكون جزءاً من هذه الحرب"⁽⁶⁶⁾. وأيد إسماعيل هنية هذا الموقف بقوله: "حماس حركة فلسطينية تتصرف داخل الساحة الفلسطينية وتنفذ أعمالها السياسية والميدانية على نحو يلائم مصالح الشعب الفلسطيني"⁽⁶⁷⁾.

وهكذا يمكن أن يكون التفاعل بين الفاعلين والبنى، من منظور بنائي، عدسة جيدة لاستكشاف هذه العلاقة المتغيرة بين المملكة وحماس، التي انتقلت من التعاون إلى العداء. كانت سياسات الحركة الإقليمية

للعلاقات مع جيرانها مقابل الانسحاب الكامل إلى حدود عام 1967؛ لكنه لم يؤدّ إلى مفاوضات حقيقية. بيد أن التأثيرات التي تزامن فيها الصعود السريع لليمين الإسرائيلي المناهض للسلام بقيادة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، وبناء المستوطنات اليهودية غير القانونية، ونموّ التسليطة داخل السلطة الفلسطينية بقيادة الراحل ياسر عرفات، والعمليات الاستشهادية التي نفّذتها حركة حماس وغيرها من المنظمات الفلسطينية، وتراجع التزام الحكومات الأميركية، قوّضت كلها اتفاقيات أوسلو، ليتوجّ الأمر باشتعال الانتفاضة الثانية عام 2000. وبسبب تلك الحلقات العنيفة وأحداث 11 سبتمبر 2001، دعمت السعودية مبادرة السلام العربية لعام 2002، التي دعت النظم العربية إلى تطبيع علاقاتها مع إسرائيل في مقابل إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة⁽⁶¹⁾. وفي عام 2007، حاول الملك عبد الله إحياء "مبادرة السلام العربية" خلال قمة الرياض لتعزيز جولة جديدة من المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل⁽⁶²⁾.

كانت الرؤية السعودية المؤيدة للمفاوضات استراتيجية أنشئت للجمع بين شراكة المملكة مع الولايات المتحدة، وسردية هويتها المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدعم القضية الفلسطينية. ومن خلال الوساطة بين الفلسطينيين وإسرائيل، كانت المملكة ستظهر بمظهر الوصي على هذه القضية. لكنها تعرّضت، بعد أحداث 11 سبتمبر، لضغوط هائلة من الولايات المتحدة لتتأى بنفسها عن أيديولوجيات الإسلاميين، التي تُنظر إليها على أنها المصدر الرئيس لما يسمّى الإرهاب. وهكذا، امتثلت المملكة للسردية الأميركية واتخذت دور قائد التحالف العربي "المعتدل" الهادف إلى موازنة "الراдикаلية" في المنطقة. ولأن القضية الفلسطينية تمثل جوهر الهوية السعودية، فقد كان على آل سعود أن يربطوا استراتيجيتهم بسردية هويتهم. فأصدر الشيخ عبد العزيز بن باز، المفتي السعودي الراحل، فتوى يقول منطوقها إن السلام بين اليهود والمسلمين متوافق مع الشريعة، مستشهداً بمثال النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بل أصدر فتوى أخرى تبيح للمسلمين زيارة المسجد الأقصى بوصف ذلك وسيلة لتيسير السلام مع إسرائيل⁽⁶³⁾.

64 Conal Urquhart, "Iran Replaces EU as Top Palestinian Donor," *The Guardian*, 15/1/2007, accessed on 18/1/2024, at: <https://acr.ps/1L9zRZJ>

65 Joseph Kostiner & Chelsi Mueller, "Egyptian and Saudi Intervention in the Israeli-Palestinian Conflict (206-09): Local Powers' Mediation Compared," in: Uzi Rabi (ed.), *International Intervention in Local Conflicts: Crisis Management and Conflict Resolution since the Cold War* (London: I.B. Tauris, 2010), pp. 202-221.

66 Harriet Sherwood, "Hamis Rules out Military Support for Iran in Any War with Israel," *The Guardian*, 6/3/2012, accessed on 18/1/2024, at: <https://acr.ps/1L9zSmy>

67 Samia Nakhoul & Michael Stott, "Hamis Says It Will Not Go to War for Iran," *Reuters*, 10/5/2012, accessed on 18/5/2024, at: <https://acr.ps/1L9zS83>

61 Aziz Alghasian, "A Revived Arab Peace Initiative from Saudi Arabia Could Save the Middle East," *The Cairo Review of Global Affairs* (2024), accessed on 18/1/2024, at: <https://acr.ps/1L9zRyO>

62 Joseph Kostiner, "Coping with Regional Challenges: A Case of Prince Abdullah's Peace Initiative," in: Paul Aarts & Gerd Nonneman (eds.), *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs* (London: Hurst & Company, 2005), pp. 352-371.

63 Shahram Chubin & Charles Tripp, "Iran-Saudi Arabia Relations and Regional Order," *Adelphi Papers*, vol. 36, no. 304 (1996), pp. 1-120.

الإيراني. وفي رأيه، "تريد إيران السيطرة على المنطقة، ليس من خلال نشر أيديولوجيتها [...] بل من خلال الحفاظ على المنظمات المسلحة [في الدول العربية]، فهي تنتهك ولاءها لأوطانها، وتستبدله بالولاء لإيران"⁽⁷²⁾. وفي يومية الوطن، قال الكاتب السعودي علي سعد الموسى إن الدول العربية باتت تخضع لـ "الاستعمار الفارسي". وأضاف أن:

إيران اليوم باتت لاعباً أساسياً جوهرياً في السياسة العربية [...] إننا اليوم نعيش بشائر الاستعمار الفارسي في نسخة مطورة من مفهوم الاستعمار، ذاك الذي لم يعد جيوشاً تدك مناطق [معينة] أو أعلاماً ترتفع على المباني العامة. ينبع الاستعمار والوصاية في العصر الحديث من تبعية [قوى إقليمية مختلفة لإيران] [...] اختارت إيران [مناطق] في جسد الخريطة العربية من دون أن تضغط على زناد، فكل ما تفعله لمشروعها إنما تفعله عبر الأيدي العربية⁽⁷³⁾.

بناءً على ذلك، ليس مستغرباً أن تقدّم الجرائد السعودية الخاضعة لتأثير الدولة الهجوم الإسرائيلي على غزة بوصفه هجوماً على النفوذ الإيراني في المنطقة. واتهم الكاتب السعودي، خلف الحربي، الدعاية السعودية التي تقودها الدولة، بتسويق فكرة مفادها أن "أي تأييد للمقاومة [حركة حماس] هو تحريض على الإرهاب"⁽⁷⁴⁾.

ومع نشوب الحرب، انخرطت المملكة في عملية خطابية لتصنيف حركة حماس على أنها تمثل الآخر، الأمر الذي كشف عن تبدل في ثقافة الفوضى إلى ثقافة هوبزية، نُظر فيها إلى حماس بوصفها عدواً. أولاً، ألقت السعودية باللائمة على الحركة واعتبرت أنها حملت نفسها مسؤولية حرب عام 2009 برفضها المفاوضات مع إسرائيل. والواقع أن حرب غزة اشتعلت في نهاية فترة التهدة التي دامت ستة أشهر بين حركة حماس وإسرائيل، بعد أن فشلت المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين⁽⁷⁵⁾، أو، بعبارة أخرى، ألقت السعودية باللائمة على حماس لأنها عدّتها السبب في معاناة الفلسطينيين في غزة، تلك التي كان يمكن اجتنابها لو أن الحركة امتثلت للرؤية السعودية لحل الصراع. وقد انجلت هذه السردية السعودية أكثر فأكثر خلال حربي غزة الثانية والثالثة (عامي 2012 و2014)؛ إذ ألقى الملك السعودي باللائمة صراحةً على حماس. ففي عام 2014، وصف الملك عبد الله

وسرديتها تقف على تناقض صارخ مع الدعوة السعودية إلى تسوية سلمية في وقت تعرضت فيه المملكة لضغوط غير مسبقة من الولايات المتحدة والغرب لدعمها الإسلام السياسي في المنطقة. لقد تبنت الحركة الفلسطينية مبدأً أساسياً مفاده أن الاستقلال والحرية لن يتحققا إلا من خلال الكفاح المسلح، وفي رأيهما أن هذا هو المنطق الوحيد الذي تفهمه إسرائيل. ومن وجهة النظر هذه، ليس السلام مع إسرائيل خياراً لدى حماس بأي حال. وفي هذا الصدد يقول خالد مشعل: "إن عدونا لا يتعرض للضغط إلا عندما يكون تحت نيراننا، وعندما تصيبه صواريخنا تجبره على إجراء محادثات معنا"⁽⁶⁸⁾. وعلى الرغم من معارضة حركة حماس باستمرار مفاوضات السلام مع إسرائيل، فإنها عدّت الهدنة خياراً استراتيجياً. وقد أطلق الشيخ أحمد ياسين هذه الفكرة في أوائل تسعينيات القرن العشرين؛ إذ إنه رأى أن "الإسلام يبيع هدنة مؤقتة خلال فترة محدودة مع العدو اليهودي إذا اقتضى الأمر"⁽⁶⁹⁾. وعلى الرغم من اعتدال حركة حماس طوال التسعينيات وعقب فوزها في الانتخابات، فإن الكفاح المسلح ضد إسرائيل كان ولا يزال في قلب أيديولوجيتها وعلة وجودها.

انطلاقاً من هذا المنظور، تغيّرت حماس في مدركات السعوديين فصارت عدواً، ولا بد من أن الأمر قد تفاقم بسبب دعم إيران للحركة؛ فقد اتهمت حماس بخدمة المصالح الإيرانية لا المصالح العربية أو الفلسطينية، وكذلك جرى تصويرها بوصفها تهديداً لأنها سمحت لإيران بتوسيع نفوذها على القضية الفلسطينية، فتصرفت ضد مقتضى ما يسمى "المصلحة العربية". واستشرى تصوير الحركة على أنها بيدق إيراني في التغطية الإعلامية العربية، لا سيما في وسائل الإعلام السعودية، التي اتهمت حماس بمساعدة إيران في الاستيلاء على الشرق الأوسط⁽⁷⁰⁾. وعلى سبيل المثال، تساءل طارق الحميد، الصحفي في جريدة الشرق الأوسط السعودية، عما إذا كان دعم إيران حركة حماس وحزب الله وتصنيف عناصرهما على أنهم "مقاتلون في سبيل الحرية" أو "حركات تحرر"، يرقى إلى "اختطافٍ [للقضايا العربية]، خدمةً لمصالح إيران"⁽⁷¹⁾. وفي جريدة الرياض السعودية اليومية، حذّر الكاتب السعودي، علي المحمود، من "التوسع الأخطبوطي"

68 Amena Bakr, "Hamas Leader Says Gaza Only a Milestone to Reaching Our Objective," *Reuters*, 28/8/2014, accessed on 18/1/2024, at: <http://goo.gl/r61JDF>

69 Irving Michael Jensen, *The Political Ideology of Hamas: A Grassroots Perspective* (London: I.B. Tauris, 2008), p. 34.

70 Yigal Carmon, "An Escalating Regional Cold War-Part 1: The 2009 Gaza War," *Gatestone Institute*, 2/6/2009, accessed on 18/1/2024, at: <https://acr.ps/1L9zRjp>

71 Shahram Chubin, "Iran's Power in Context," *Survival*, vol. 51, no. 1 (2009), pp. 165-190.

72 الرياض، العدد 2008/5/29.

73 الوطن، العدد 2008/5/29.

74 خلف الحربي، "قصص العقل العربي"، عكاظ، 2009/1/4، شوه في 2024/1/18، <https://acr.ps/1L9zS3P> في:

75 امتدت التهدة من حزيران/ يونيو إلى كانون الأول/ ديسمبر 2008.

تأملات ختامية

عام 2009، دانت السعودية، التي تصوّر نفسها تقليديًا على أنها الداعم للقضية الفلسطينية، حركة حماس. ومن الصعب أن نتخيل أن فاعلاً غير دولتي، محشوراً في قطاع غزة، يمكنه أن يكون مصدر تهديد مادي للمملكة، حتى مع تلقّيه الدعم المالي من إيران. لقد وصلت حماس إلى السلطة في غزة، وهي التي تتقاسم مع المملكة هوية جماعية، لكنها اختلفت عنها بسبب التغيرات في الظروف الداخلية، لتمثّل بذلك رهاناً يتحدى تمايز هوية المملكة.

بناءً على ذلك، انتقدت السعودية حركة حماس؛ لا بسبب حربها ضد إسرائيل فحسب، بل أيضاً بسبب هويتها الإسلامية التي تشبه إلى حد بعيد هوية المملكة. وبعبارة أخرى، أعادت السعودية تعريف هويتها وصنّفت حماس بوصفها "الآخر". وفي هذا السياق، تغيّر منطق الفوضى من الكانطية القائمة على التعاون إلى الهوبزية القائمة على العداء. ويكشف هذا المنطق وذاك عن مستويات محدودة جداً من التذويت. ففي البداية، كان تعاون المملكة مع الحركة ملتزماً معايير الوحدة الإسلامية؛ لأن ذلك كان يتوافق مع مصالحها الخاصة. وحين تعرّضت المملكة لضغوط بنيوية عقب تغيّر التشكيلة الإقليمية بعد عام 2003، تحوّل التعاون إلى عداء. ولم تخضع ثقافة الفوضى الهوبزية كذلك للتذويت لأن السعودية تبنت موقفاً معيارياً معادياً لحركة حماس، لكنّ هذا الموقف لا يزال مقيداً بالرأي العام العربي، الذي يظل داعماً للمقاومة. وهذا المستوى المنخفض من التذويت يلقي الضوء على الديناميات الموضحة في إطار ونت النظري، ويكشف أن التغيّر من ثقافة فوضى إلى أخرى يحدث بسبب التفاعل بين الفاعلين. أعني بذلك أن منطقتي الفوضى هذين انهارا لأنهما لم يذوّتا على نحو كافٍ. ويفضي مثل هذا التحليل إلى تفسير آخر مختلف عن التفسير الحالي للسياسة الإقليمية، الذي يتسم غالباً بتحيز حتمي يطابق بين الهوية الجماعية والتعاون. وهكذا، فإن لنزعة الوحدة الإسلامية تأويلات ونتائج مختلفة بالنسبة إلى المملكة وحركة حماس معاً.

بيد أن تطبيق مقارنة ثقافات الفوضى هذه في الشرق الأوسط يُظهر حدود السياق التاريخي الذي تطورت فيه نظرية ونت. ويكشف تطبيق منطق الفوضى في المنطقة عن دور الفاعلين المحليين، لا سيما الفاعلين المسلحين من غير الدول، مثل حركة حماس، في تشكيل السياسة الإقليمية، ومن ثم فاعليتهم. ما يعني أن تطبيق منطق الفوضى، الذي يتطابق مع الخبرة الغربية، لا يتواءم مع تعقّد التفاعلات بين الفاعلين، داخل الثقافة والمعايير التاريخية في المنطقة. فالفاعلون المسلحون من غير الدول، على نحو حركة حماس، هم

الحرب بين الحركة وإسرائيل، في تصريح لافت للانتباه، بأنها "مجزرة جماعية" تسببت فيها حماس⁽⁷⁶⁾.

ومثلما فشلت الوساطة السعودية على المستوى الفلسطيني - الإسرائيلي في تهدئة موقف حماس تجاه إسرائيل، فإن تدخل المملكة في الانقسام الفلسطيني الداخلي فشل أيضاً. فبعد بضعة أشهر من اتفاق مكة، تطور الوضع إلى صراع على السلطة انتهى بسيطرة حركة حماس على قطاع غزة مع بقاء حركة فتح مسيطرة على الضفة الغربية. بناءً عليه، عدّت المملكة الحرب الإسرائيلية على غزة، عام 2009، نتيجة مباشرة لفشل حماس في الوحدة مع فتح.

ولدرء السخط الداخلي، حاولت المملكة تصوير حماس على أنها "الآخر" من خلال التشكيك أيضاً في الصداقة الدينية للحركة. فعلى سبيل المثال، لم تعترف السعودية بالضحايا الفلسطينيين على أنهم شهداء، وهو موقف انعكس بوضوح في وسائل الإعلام السعودية، مثل قناة العربية التلفزيونية⁽⁷⁷⁾. وصوّرت حماس على أنها وكيل إيراني يقوّض ما يسمى "المصلحة العربية"، وهي في عُرْف السعودية عملية السلام مع إسرائيل. أخيراً، اعتمدت السعودية على خطاب العلماء الديني لنزع الشرعية عن الاحتجاجات المؤيدة لحركة حماس. فقد أصدر عبد العزيز آل الشيخ، مفتي المملكة، فتوى تحرّم الاحتجاجات لدعم غزة ووصف هذه الأعمال بأنها غوغائية⁽⁷⁸⁾. وبدلاً من ذلك، ذكر المفتي أن أفضل طريقة لمساعدة الفلسطينيين هي إرسال المساعدات والتبرع بالمال⁽⁷⁹⁾. أضف إلى ذلك أن المملكة ابتغت من وراء ذلك الرفع من صديقتها الإقليمية من خلال تقديم الدعم المالي للفلسطينيين. ففي نهاية الحرب، عرض آل سعود تقديم دعم بقيمة مليار دولار لإعادة إعمار غزة⁽⁸⁰⁾. باختصار، شيطنت المملكة حماس وصوّرتها على أنها تمثل الآخر، وذلك على الرغم من التشابه في أيديولوجيتهما السنية المشتركة. وهو التشابه الذي كشف تناقضات الهوية السعودية وفقدانها الاتساق، مهدّداً استقرار السردية التي تستند إليها هذه الهوية. بل إن الخطاب الطائفي (السنّي - الشيعي)، الذي تستخدمه المملكة لتمييز ذاتها والنأي بها عن "محور المقاومة"، قد بدا فاقداً لصديقه.

76 Aya Batrawy & Abdullah Al-Shihr, "Saudi King Condemns Gaza War - But Not Israel," *The Times of Israel*, 8/1/2014, accessed on 18/1/2024, at: <http://goo.gl/L8uGSh>

77 Rubin, p. 110.

78 المفتي العام للمملكة ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

79 عبد الله العريفيج، "مفتي المملكة لـ 'عكاظ': أنصح حماس بالتجاوب مع الأصوات الداعية لها بالخير"، عكاظ، 2009/1/9، شوهدي في 2024/1/18، في: <https://acr.ps/1L9zS8M>

80 Turki Al-Faisal, "Saudi Patience Is Running Out," *Financial Times*, 22/1/2009, accessed on 18/1/2024, at: <http://goo.gl/6vpA7Q>

المراجع

- Aarts, Paul & Gerd Nonneman (eds.). *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs*. London: Hurst & Company, 2005.
- Acharya, Amitav & Barry Buzan. "Why Is There No Non-Western International Relations Theory? An Introduction." *International Relations of the Asia-Pacific*. vol. 7, no. 3 (2007).
- Acharya, Amitav. "How Ideas Spread: Whose Norms Matter? Norm Localization and Institutional Change in Asian Regionalism." *International Organization*. vol. 58, no. 2 (2004).
- _____. "Global International Relations (IR) and Regional Worlds: A New Agenda for International Studies." *International Studies Quarterly*. vol. 58, no. 4 (2014).
- Adler, Emmanuel. "Seizing the Middle Ground: Constructivism in World Politics." *European Journal of International Relations*. vol. 3, no. 3 (1997).
- Ajami, Fouad. *The Dream Palace of the Arabs: A Generation's Odyssey*. New York: Knopf Doubleday Publishing Group, 2009.
- Alghasian, Aziz. "A Revived Arab Peace Initiative from Saudi Arabia Could Save the Middle East." *The Cairo Review of Global Affairs* (2024). at: <https://acr.ps/1L9zRyO>
- Barnett, Michael. *Dialogues in Arab Politics: Negotiations in Regional Order*. New York: Columbia University Press, 1998.
- Bilgin, Pinar. "Thinking Past 'Western' IR." *Third World Quarterly*. vol. 29, no. 1 (2008).
- Bowen, Wayne H. *The History of Saudi Arabia*. Santa Barbara, CA: Greenwood Publishing Group, 2008.
- فاعلون يملكون نفوذًا ويؤثرون في علاقات الشرق الأوسط الدولية⁽⁸¹⁾، الأمر الذي يمثل رهانًا يتحدّى رؤية ونت للنظام الدولي، المتمحورة حول الدول القومية وحدها.
- تنوع مقاربات العلاقات الدولية التي تتعامل مع مناطق محددة، لكنها تهمل، غالبًا، السياقين التاريخي والثقافي. ومن جهة أخرى، يمكن أن توفر دراسات المناطق هذا السياق وتكون الموقع المناسب للتظير في الأنساق الفرعية وذات السمة الاستثنائية، بيد أنها تظل "خاضعة في عمومها لتخصصات لا تولي التظير كثيرًا من الاهتمام، بل تتشدد بعذر الاستثنائية لاجتناب التظير"⁽⁸²⁾. ولرأب الفجوة بين هذين المجالين البحثيين، ناقشت هذه الدراسة قابلية بنائية ونت للتطبيق، وهي مقارنة يمكن تكييفها لتحليل المناطق ذات المرجعية الثقافية والفكرية التي تتباين عن التجربة الغربية؛ إذ يمكن الهوية الجماعية بين الدول في منطقة ما أن تتجلى في أشكال من منطق الفوضى أو ثقافات فوضى خاصة ومتميزة. وهذه الأشكال من المنطق تتباين، في أغلب الأحيان، عن الأشكال التي سكّنها ونت. فديناميات الهويات الجماعية في مناطق كثيرة قد تستند إلى معايير إما أنها ترسّخت بسبب التفاعلات، وإما أنها تأثرت بالتغيرات المحلية. وفي بعض الحالات، قد تكون الهويات الجماعية محلّ نزاع وتحدّد أيضًا، من جانب الفاعلين الإقليميين، مثلما تبينه الحالة السعودية حين أدت التغيرات البنوية وسيرورات التفاعل إلى إعادة تعريف الهوية والمصالح. وفي الشرق الأوسط، حيث لا تزال الدول في المراحل الأولى من التشكّل، لم يذوّت الفاعلون بعد أيّ ثقافة محددة للفوضى؛ ومن ثمّ فهم يكشفون عن ديناميات مختلفة للهويات الجماعية في المنطقة. فعلى الرغم من البروز العضوي للهويات الجماعية في الشرق الأوسط بسبب الدين والتاريخ والثقافة، على نحو نزعة الوحدة الإسلامية والقومية العربية، فإنّ الفاعلين لم يذوّتوا بعد المعايير المرتبطة بهذه الهويات، ما يكشف عن منطق مختلف يتباين عن التصور المفهومي الذي صاغه ونت انطلاقًا من التجربة الغربية. والأبحاث المستقبلية يمكنها دراسة هذه الديناميات في الشرق الأوسط، لتستنبط منها أشكال منطق الفوضى التي تطورت في المنطقة وصاغت علاقات التعاون والصراع فيها.

81 May Darwich, "Foreign Policy Analysis and Armed Non-State Actors in World Politics: Lessons from the Middle East," *Foreign Policy Analysis*, vol. 17, no. 4 (2021).

82 Amitav Acharya & Barry Buzan, "Why Is There no Non-Western International Relations Theory? An Introduction," *International Relations of the Asia-Pacific*, vol. 7, no. 3 (2007), pp. 287-312.

- Hinnebusch, Raymond, and Jasmine K. Gani, eds. *The Routledge Handbook to the Middle East and North African State and States System*. Abingdon, Oxon: Routledge, 2019.
- Haas, Mark L. "Ideology and Alliances: British and French External Balancing Decisions in the 1930s." *Security Studies*. vol. 12, no. 4 (2003).
- Halliday, Fred. *The Middle East in International Relations: Power, Politics and Ideology*. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.
- Hinnebusch, Raymond. "Identity in International Relations: Constructivism versus Materialism, and the Case of the Middle East." *The Review of International Affairs*. vol. 3, no. 2 (2003).
- _____. *The International Politics of the Middle East*. 2nd ed. Manchester: Manchester University Press, 2015.
- Hoffmann, Stanley. "An American Social Science: International Relations." *Daedalus*. vol. 106, no. 3 (1977).
- Hopf, Ted. "The Promise of Constructivism in International Relations Theory." *International Security*. vol. 23, no. 1 (1998).
- Jensen, Irving Michael. *The Political Ideology of Hamas: A Grassroots Perspective*. London: I.B. Tauris, 2008.
- Kaye, Dalia Dassa. *Beyond the Handshake: Multilateral Cooperation in the Arab-Israeli Peace Process, 1991–1996*. New York: Columbia University Press, 2001.
- Katzenstein, Peter J. (ed.) *The Culture of National Security: Norms and Identity in World Politics*. New York: Columbia University Press, 1996.
- Khan, Muqtadar M. A. *Jihad for Jerusalem: Identity and Strategy in International Relations*. Santa Barbara, CA: Greenwood Publishing Group, 2004.
- Cammett, Melani & Isabel Kendall. "Political Science Scholarship on the Middle East: A View from the Journals." *PS: Political Science & Politics*. vol. 54, no. 3 (2021).
- Cavatorta, Francesco, Gervasio Gennaro & Frost Lillian. "The Middle East and North Africa in Political Science Scholarship: Analyzing Publication Patterns in Leading Journals, 1990–2019." *International Studies Review*. vol. 24, no. 3 (2022).
- Cox, Robert W., with Timothy J. Sinclair. *Approaches to World Order*. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.
- Chubin, Shahram & Charles Tripp. "Iran-Saudi Arabia Relations and Regional Order." *Adelphi Papers*. vol. 36, no. 304 (1996).
- Chubin, Shahram. "Iran's Power in Context." *Survival*. vol. 51, no. 1 (2009).
- Darwich, May. "Foreign Policy Analysis and Armed Non-State Actors in World Politics: Lessons from the Middle East." *Foreign Policy Analysis*. vol. 17, no. 4 (2021).
- _____. *Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region*. Cambridge: Cambridge University Press, 2019.
- Esposito, John L. *Islam and Politics*. Syracuse: Syracuse University Press, 1998.
- Gause, Gregory F. "Balancing What? Threat Perception and Alliance Choice in the Gulf." *Security Studies*. vol. 13, no. 2 (2003).
- _____. "Ideologies, Alignments, and Underbalancing in the New Middle East Cold War." *PS: Political Science & Politics*. vol. 50, no. 3 (2017).
- Guzzini, Stefano & Anna Leander (eds.). *Constructivism and International Relations*. London: Routledge, 2006.

- Shahi, Deepshikha & Gennaro Ascione. "Rethinking the Absence of Post-Western International Relations Theory in India: 'Advaitic Monism' as an Alternative Epistemological Resource." *European Journal of International Relations*. vol. 22, no. 2 (2016).
- Stein, Ewan. "Beyond Arabism vs. Sovereignty: Relocating Ideas of International Relations of the Middle East." *Review of International Studies*. vol. 38, no. 4 (2012).
- Suh, J. J., Peter J. Katzenstein & Allen Carlson (eds.). *Rethinking Security in East Asia: Identity, Power, and Efficiency*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2004.
- Telhami, Shibley & Michael Barnett (eds.). *Identity and Foreign Policy in the Middle East*. Ithaca: Cornell University Press, 2002.
- Tessler, Mark, Jodi Nachtwey & Anna Banda. *Area Studies and Social Science: Strategies for Understanding Middle East Politics*. Bloomington: Indiana University Press, 1999.
- Teti, Andrea & Pamela Abbott. "Scholarship on the Middle East in Political Science and International Relations: A Reassessment." *PS: Political Science & Politics*. vol. 56, no. 2 (2023).
- Teti, Andrea. "Bridging the Gap: IR, Middle East Studies and the Disciplinary Politics of the Area Studies Controversy." *European Journal of International Relations*. vol. 13, no. 1 (2007).
- Tickner, Ann J. "Knowledge Is Power: Challenging IR's Eurocentric Narrative." *International Studies Review*. vol. 18, no. 1 (2016).
- Valbjørn, Morten & André Bank. "The New Arab Cold War: Rediscovering the Arab Dimension of Middle East Regional Politics." *Review of International Studies*. vol. 38, no. 1 (2012).
- Kienle, Eberhard. *Ba'th versus Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968-1989*. London: I.B. Tauris, 1990.
- Kostiner, Joseph. "Saudi Arabia and the Arab-Israeli Peace Process: The Fluctuation of Regional Coordination." *British Journal of Middle Eastern Studies*. vol. 36, no. 3 (2009).
- Lynch, Marc. *State Interests and Public Spheres: The International Politics of Jordan Identities*. New York: Columbia University Press, 1999.
- Onuf, Nicholas. *World of Our Own Making: Rules and Rule in Social Theory and International Relations*. Columbia: University of South Carolina Press, 1989.
- Piscatori, James (ed.). *Islam in the Political Process*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- Rabi, Uzi (ed.). *International Intervention in Local Conflicts: Crisis Management and Conflict Resolution since the Cold War*. London: I.B. Tauris, 2010.
- Robertson, Wilm. "In the Thick and The Thin of Social Constructivism." *Canadian Review of Comparative Literature/ Revue Canadienne de Littérature Comparée*. vol. 26, no. 2 (June 1999).
- Rother, Stefan. "Wendt Meets East: ASEAN Cultures of Conflict and Cooperation." *Cooperation and Conflict*. vol. 47, no. 1 (2012).
- Roy, Olivier. *The Politics of Chaos in the Middle East*. London: Hurst & Company, 2007.
- Rubin, Lawrence. *Islam in the Balance: Ideational Threats in Arab Politics*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2014.
- Salem, Paul. *Bitter Legacy: Ideology and Politics in the Arab World*. Syracuse: Syracuse University Press, 1994.

- Valbjørn, Morten. "Still Dripping with Identity Politics? Beyond Classic Identity Politics: Three Ways of Discussing Identity Politics in the Study of the International Relations of the New Middle East." *APSA MENA Politics Newsletter*. vol. 2, no. 1 (2019).
- _____. "Toward a 'Mesopotamian Turn': Disciplinarity and the Study of the International Relations of the Middle East." *Journal of Mediterranean Studies*. vol. 1, no. 2 (2004).
- Walt, Stephen. *The Origins of Alliances*. Ithaca: Cornell University Press, 1987.
- Wendt, Alexander. "Anarchy is What States Make of it: The Social Construction of Power Politics." *International Organization*. vol. 46, no. 2 (1992).
- _____. "Collective Identity Formation and the International State." *American Political Science Review*. vol. 88, no. 2 (1994).
- _____. "Why a World State Is Inevitable." *European Journal of International Relations*. vol. 9, no. 4 (2003).
- _____. *Social Theory of International Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.
- Wilson, Peter & Douglas Graham. *Saudi Arabia: The Coming Storm*. New York: M.E. Sharpe, 1994.



صدر حديثاً

تأليف: جوني منصور وإيلان بابيه

التضامن في أوقات الأزمات: دروس معاصرة من النكبة

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **التضامن في أوقات الأزمات: دروس معاصرة من النكبة**، وهو من تأليف المؤرخين جوني منصور وإيلان بابيه.



دراسة مترجمة

Translation

ألكسندر ونت | Alexander Wendt *

ترجمة سارة إسماعيل | **Translated by Sarah Ismael

الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: سياسة القوة بوصفها بناءً اجتماعيًا ***

Anarchy is what States Make of it: The Social Construction of Power Politics

تبنى هذه المقالة على السوسيولوجيا البنائية والتفاعلية الرمزية، وتسعى إلى بناء جسر بين طرفي النقاشين الواقعي – الليبرالي والعقلاني – والتأملي في حقل العلاقات الدولية. وتقوم استراتيجية بناء هذا الجسر على نقد الفرضية الواقعية الجديدة القائلة إن اعتماد الدول على نفسها هو نتاج بنية فوضوية خارجية المنشأ ومستقلة عنها. وبدلاً من ذلك، تحتاج المقالة بأن سياسة الاعتماد على النفس وسياسة القوة لا تتبعان من بنية النظام الدولي الفوضوية، لا منطقياً ولا سببياً، وأنهما تنتجان من الممارسات والعمليات لا من البنية؛ فليس ثمة منطق للفوضى بمعزل عن الممارسات التي تنشئ بنية معينة للمصالح والهويات وتجسدها دون غيرها. وتخلص المقالة إلى أن اعتماد الدول على نفسها وجنوحها نحو سياسة القوة ليست سمات متأصلة في فوضوية النظام الدولي؛ فالفوضى هي ما تصنعه الدول منها. وتبين ثلاث طرائق يجري من خلالها تحويل الهويات والمصالح في ظل الفوضى: من خلال مؤسسة السيادة، ونشأة التعاون، وتطوره، والجهود القصدية التي تستهدف تحويل الهويات الأنانية إلى هويات جماعية.

كلمات مفتاحية: البنائية، الواقعية الجديدة، الليبرالية، البنائية، الفوضى، البناء الاجتماعي، الهويات والمصالح، ألكسندر ونت.

This article draws from structurationist and symbolic interactionist sociology, seeking to build a bridge between the realist-liberal and rationalist-reflectivist debates in the field of international relations. In doing so, it argues against the neorealist claim that self-help is given by anarchic structure exogenously to process. It further argues that self-help and power politics do not follow either logically or causally from the anarchic structure of the international system, but are generated by process rather than by structure. There is no logic of anarchy apart from the practices that create and instantiate one particular structure of identities and interests rather than another. Self-help and power politics are institutions, not essential features of anarchy – *anarchy is what states make of it*. The article explores three ways in which identities and interests are transformed under anarchy: by the institution of sovereignty, by an evolution of cooperation, and by intentional efforts to transform egoistic identities into collective identities.

Keywords: Constructivism, Neorealism, Liberalism, Structurationism, Anarchy, Social Construction, Identities and Interests, Alexander Wendt.

* أستاذ الأمن الدولي، جامعة ولاية أوهايو، الولايات المتحدة.

Professor of International Security, Ohio State University, USA.

** مترجمة أردنية.

Translator. Email: sarahismael092@gmail.com

*** هذا النص ترجمة لـ:

Alexander Wendt, "Anarchy is what States Make of it: The Social Construction of Power Politics," *International Organization*, vol. 46, no. 2 (1992), pp. 391-425.

أقدم الشكر خاصة إلى جون ألدرش ومايك بارنيت وليا برلير وديفيد كامبل وجيم كابوراسو وسيمون دالبي وديفيد ديسلر وبود دوفال وجان إلشتين وكارين إرتيل ولويد إثيرج وإرنست هاس ومارتن هوليس ونعيم غناية الله وستيوارت جونسون وفرانك كلينك وستيف كراسر وفريدريك كراتوتشويل وديفيد لومسداين وإم جي بيترسون وسبايك بيترسون وتوماس ريسي كابين وجون روجي وبروس روسيت وجيم سكوت وروجر سميت وديفيد سيلفان وجان طومسون ومارك وارن وجوتا ويلدز. وقد استفادت الدراسة أيضاً من عرضها في ندوات وحلقات نقاشية في الجامعة الأميركية وجامعة شيكاغو وجامعة ماساتشوستس في أمبرست وجامعة سيراكيوز وجامعة واشنطن في سياتل وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس وجامعة ييل.

مقدمة

تعرف الأمن من ناحية "مصلحتها الذاتية". وقد يختلف الواقعيون الجدد والليبراليون الجدد في الإجابة عن سؤال: إلى أي حد تكون الدول مدفوعة بالمكاسب النسبية أو المطلقة؟ إلا أن كلا الجانبين يتخذان الدولة المهتمة بمصلحتها الذاتية نقطة انطلاق لبناء النظرية.

تبدو نقطة البداية هذه منطقية بالنسبة إلى الواقعيين الجدد؛ لأنهم يعتقدون أن الأنظمة الفوضوية هي بالضرورة أنظمة قائمة على "الاعتماد على النفس"، وهي أنظمة تغيب فيها السلطة المركزية والأمن الجماعي على حد سواء. يضطلع الاعتماد على النفس المرتب على الفوضى والملازم لها بوظيفة أساسية في الواقعية الجديدة؛ إذ يؤدي إلى توليد ديناميات تنافسية متأصلة في معضلة الأمن ومشكلة الفعل الجماعي. ولا يُنظر إلى الاعتماد على النفس بوصفه "مؤسسة"، وهو، على هذا النحو، يتولى دوراً تفسيرياً متميزاً مقارنة بالعمليات؛ إذ إنه يحدد شروط التفاعل، لكنه لا يتأثر به. ونظراً إلى أن الدول التي لا تتمكن من التوافق مع منطق الاعتماد على النفس يجري استبعادها من النظام، فإن التعلم البسيط أو التكيف السلوكي يظل الخيار الوحيد الممكن؛ أما التعلم المركب الذي تنطوي عليه إعادة تعريف الهويات والمصالح، فهو غير ممكن على الإطلاق⁽⁴⁾. ومن ثم، فإن الأسئلة المتعلقة بتشكيل الهوية والمصالح تُعدّ غير مهمة لطلاب العلاقات الدولية. والإشكالية العقلانية، التي تختزل العمليات في ديناميات التفاعل السلوكي بين فاعلين يتشكلون من الخارج، تحدد نطاق النظرية النظامية.

ومن خلال تبني مثل هذا المنطق في التفكير، يتنازل الليبراليون للواقعيين الجدد عن القوة السببية التي تنطوي عليها البنية الفوضوية، لكنهم يكتسبون حجة خطابية قوية ترى إمكانية أن تولّد العمليات سلوكاً تعاونياً، حتى في نظام معطى قائم على الاعتماد على النفس. قد يعتقد بعض الليبراليين أنّ الفوضى تشكّل، في الواقع، دولاً بهويات ذاتية المصالح ومستقلة عن الممارسة؛ وبهذا الاعتقاد يتنازل أنصار تلك الليبرالية "الضعيفة" عن قوة الفوضى السببية، سواء على مستوى الخطاب، أو على مستوى الموضوع، ويسلمون بمفهوم العقلانية السلوكي المحدود للقوة السببية الكامنة في المؤسسات. إنهم واقعيون قبل أن يكونوا ليبراليين (ويمكننا تسمية مقاربتهم واقعية

عاد النقاش بين الواقعيين والليبراليين إلى البروز مرة أخرى محوراً للتنافس في نظرية العلاقات الدولية⁽¹⁾. وبينما دار النقاش في الماضي حول نظريات متنافسة عن الطبيعة البشرية، ينشغل النقاش اليوم أكثر بمدى تأثير أفعال الدولة بـ "البنية" (الفوضى وتوزيع القوة) في مقابل "العمليات" (التفاعل والتعلم) والمؤسسات. هل يجبر غياب سلطة سياسية مركزية الدول على ممارسة سياسة القوة التنافسية؟ وهل تستطيع المنظومات الدولية Regimes تجاوز هذا المنطق، وبأي شروط؟ وما المعطى وغير القابل للتغيير في الفوضى؟ وما الذي يمكن أن يخضع للتغيير فيها؟

يستند النقاش بين "الواقعيين الجدد" و"الليبراليين الجدد" إلى التزام مشترك بـ "العقلانية"⁽²⁾. وعلى غرار جميع النظريات الاجتماعية، توجّهنا نظرية الاختيار العقلاني نحو طرح بعض الأسئلة دون غيرها، فنتعامل مع هويات الفاعلين ومصلحتهم بوصفها معطاة شكّلها عوامل خارجية، ونركز على الكيفية التي تتولد بها النتائج عن سلوك الفاعلين. وهكذا، تقدم العقلانية مفهوماً سلوكياً في الأساس للضرورة والمؤسسات على حد سواء؛ فهي تغيّر السلوك لا الهويات والمصالح⁽³⁾. وإضافة إلى هذه الطريقة في تأطير مشكلات البحث، يتشارك الواقعيون الجدد والليبراليون الجدد افتراضات متشابهة بشأن الفاعلين؛ فالدول هي الفاعلون المسيطرون في النظام، وهي

1 ينظر على سبيل المثال:

Joseph Grieco, "Anarchy and the Limits of Cooperation: A Realist Critique of the Newest Liberal Institutionalism," *International Organization*, vol. 42 (Summer 1988), pp. 485-507; Joseph Nye, "Neorealism and Neoliberalism," *World Politics*, vol. 40 (January 1988), pp. 235-251; Robert Keohane, "Neoliberal Institutionalism: A Perspective on World Politics," in: *International Institutions and State Power* (Boulder, CO: Westview Press, 1989), pp. 1-20; John Mearsheimer, "Back to the Future: Instability in Europe After the Cold War," *International Security*, vol. 13 (Summer 1990), pp. 5-56; إضافة إلى أعمال أخرى لاحقة بخصوص مقال جون ميرشامير، وينظر أيضاً: Emerson Niou & Peter Ordeshook, "Realism Versus Neoliberalism: A Formulation," *American Journal of Political Science*, vol. 35 (May 1991), pp. 481-511.

2 ينظر:

Robert Keohane, "International Institutions: Two Approaches," *International Studies Quarterly*, vol. 32 (December 1988), pp. 379-396.

3 يتشارك نموذجاً الإنسان والمؤسسات، السلوكي والعقلاني، تراثاً فكرياً مشتركاً في الفردانية المادية التي تعود إلى توماس هوبز وجون لوك وجيرمي بنتام. للاطلاع على العلاقة بين النموذجين، ينظر:

Jonathan Turner, *A Theory of Social Interaction* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1988), pp. 24-31; George Homans, "Rational Choice Theory and Behavioral Psychology," in: Craig Calhoun et al. (eds.), *Structures of Power and Constraint* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991), pp. 77-89.

4 عن مفاهيم التعلم لدى الواقعيين الجدد، ينظر:

Philip Tetlock, "Learning in U.S. and Soviet Foreign Policy," in: George Breslauer & Philip Tetlock (eds.), *Learning in U.S. and Soviet Foreign Policy* (Boulder, CO: Westview Press, 1991), pp. 24-27;

وعن الفرق بين التعلم السلوكي والإدراكي، ينظر:

Ibid., pp. 20-61; Joseph Nye, "Nuclear Learning and U.S.-Soviet Security Regimes," *International Organization*, vol. 41 (Summer 1987), pp. 371-402; Ernst Haas, *When Knowledge Is Power* (Berkeley: University of California Press, 1990), pp. 17-49.

وتكمن المفارقة في أن النظريات الاجتماعية التي تسعى لتفسير الهويات والمصالح موجودة بالفعل، وقد أطلق كيوهان عليها اسم النظريات "التأملية" Reflectivist⁽⁹⁾؛ وبما أنني أريد أن أؤكد على تركيزها على البناء الاجتماعي للذاتية وأقلل من الاهتمام بمشكلة الصورة التي نُسجت حولها، أقنفي أثر نيكولاس أونوف وأطلق عليها اسم النظريات "البنائية" Constructivist⁽¹⁰⁾. وعلى الرغم من وجود اختلافات مهمة، يتقاسم الإدراكيون Cognitivists، وما بعد البنيويين Poststructuralists، ونسويو وجهة النظر Standpoint Feminists، والنسويون ما بعد الحداثيين Postmodernist Feminists، ومنظرو القواعد Rule Theorists، والبنيانيون Structurationists، اهتمامًا مشتركًا بالمسألة "السوسيولوجية" الأساسية التي صرف العقلانيون عنها النظر - وأقصد بها على وجه التحديد مسألة تشكّل الهوية والمصالح. ومع ذلك، غطّت على مساهمة البنائية المحتملة في بناء نظرية ليبرالية قوية النقاشاتُ الإستمبولوجية الأخيرة بين الحداثيين وما بعد الحداثيين، التي يدين فيها معيارُ العلم المنشقّين بعدم تحديد برنامج بحثي سائد Conventional خاص بهم، في الوقت الذي يحتفي فيه المنشقون بتحرّركم من ضوابط معيار العلم⁽¹¹⁾. تغذي مجموعة من القضايا الحقيقية هذا النقاش، ما يؤدي إلى انقسام داخل التيار البنائي ذاته. أما بالنسبة إلى موضوع العلاقات الدولية، فيهتم البنانيون الحداثيون وما بعد الحداثيين بكيفية تشكّل ممارسات الفاعلين؛ وهو غير بعيد عن اهتمام الليبرالية القوية بالكيفية التي تحوّل بها المؤسسات المصالح. إنهم يتقاسمون مفهومًا إدراكيًا بيندائيًا للسيروية، تكون فيه الهويات والمصالح متضمنة في التفاعلات ووليدّة لها [أي داخلية المنشأ Endogenous]، بدلًا من

"ضعيفة"؛ نظرًا إلى أنهم لا يتجاوزون "حدود" الواقعية، إلا إذا كان في إمكان المؤسسات الدولية تغيير القوى والمصالح⁽⁵⁾.

ولكن بعض الليبراليين يطمحون إلى المزيد. فحين يتحدث جوزيف ناي عن "التعلّم المركّب"، أو يناقش روبرت جيرفيس "المفاهيم المتغيرة للذات والمصلحة"، أو يتناول روبرت كيوهان المفاهيم "السوسيولوجية" للمصلحة، فإن كلا منهم يشدّد على دور مهمّ تؤديه تحولات الهوية والمصلحة في برنامج البحث الليبرالي؛ ما يؤدي، بالنتيجة، إلى إرساء مفهوم، أقوى ومقنع أكثر، للعمليات والمؤسسات في السياسة العالمية⁽⁶⁾. وفي الواقع، ينبغي أن يقصّ مضاجع أنصار الليبرالية "القوية" التمييز القائم على ثنائية البنية والسيروية، والمتضمن تفضيلًا للبنية على السيروية، ما دامت تحولات الهوية والمصالح من خلال السيروية هي أساسًا تحولات في البنية. ولا تقدّم العقلانية ما يكفي لدعم مثل هذه الحجة⁽⁷⁾؛ وهو ما دفع، جزئيًا، فريدريك كراتوتشفيل وجون راغي إلى الحاجة، في مقال مهمّ، بأن الأنطولوجيا الفردانية، التي تقوم عليها هذه الحجة، تتعارض مع الإستيمبولوجيا البيندائية Intersubjectivist الضرورية لكي تفي نظرية المنظومات Regime Theory بوعودها كاملة⁽⁸⁾. فلا يمكن المنظومات أن تغيّر الهويات والمصالح لو تعاملنا مع هذه الأخيرة بوصفها معطاة. وبسبب هذا الإرث العقلاني، وعلى الرغم من الدراسات العديدة والثرية المتنامية عن التعلّم المركّب في السياسة الخارجية، يفتقر الليبراليون الجدد إلى نظرية نسقية عن الكيفية التي تحدث بها هذه التغيّرات؛ ومن ثمّ، عليهم أن يمنحوا الرؤى الواقعية بشأن البنية امتيازًا خاصًا، ريثما يتمكنون من تطوير رؤى خاصة بهم بشأن العمليات.

5 ينظر:

Stephen Krasner, "Regimes and the Limits of Realism: Regimes as Autonomous Variables," in: Stephen Krasner (ed.), *International Regimes* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1983), pp. 355-368.

6 Nye, "Nuclear Learning and U.S.-Soviet Security Regimes," Robert Jervis, "Realism, Game Theory, and Cooperation," *World Politics*, vol. 40 (April 1988), pp. 340-344; Robert Keohane, "International Liberalism Reconsidered," in: John Dunn (ed.), *The Economic Limits to Modern Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990), p. 183.

7 أولى العقلانيون مشكلة تشكيل التفضيلات بعض الاهتمام، على الرغم من أنهم بذلك تجاوزوا ما أفهمه معايير مميّزة للعقلانية. ينظر على سبيل المثال: Jon Elster, "Sour Grapes: Utilitarianism and the Genesis of Wants," in: Amartya Sen & Bernard Williams (eds.), *Utilitarianism and Beyond* (Cambridge: Cambridge University Press, 1982), pp. 219-238; Michael Cohen & Robert Axelrod, "Coping with Complexity: The Adaptive Value of Changing Utility," *American Economic Review*, vol. 74 (March 1984), pp. 30-42.

8 Friedrich Kratochwil & John Ruggie, "International Organization: A State of the Art on an Art of the State," *International Organization*, vol. 40 (Autumn 1986), pp. 753-775.

9 Keohane, "International Institutions."

10 ينظر:

Nicholas Onuf, *World of Our Making* (Columbia: University of South Carolina Press, 1989).

11 عن العلم، ينظر:

Keohane, "International Institutions," Robert Keohane, "International Relations Theory: Contributions of a Feminist Standpoint," *Millennium*, vol. 18 (Summer 1989), pp. 245-253;

وعن الانشقاق، ينظر:

R. B. J. Walker, "History and Structure in the Theory of International Relations," *Millennium*, vol. 18 (Summer 1989), pp. 163-183; Richard Ashley & R. B. J. Walker, "Reading Dissidence/ Writing the Discipline: Crisis and the Question of Sovereignty in International Studies," *International Studies Quarterly*, vol. 34 (September 1990), pp. 367-416;

لاطلاع على تقييم نقدي ممتاز لهذه المناقشات، ينظر:

Yosef Lapid, "The Third Debate: On the Prospects of International Theory in a Post-Positivist Era," *International Studies Quarterly*, vol. 33 (September 1989), pp. 235-254.

يرجع إلى العمليات لا إلى البنية. لا يوجد "منطق" للفوضى معزلة عن الممارسات التي تُنشئ وتجسد بنية معينة للمصالح والهويات دون غيرها. إن الاعتماد على النفس وسياسة القوة مؤسستان، وليساً سمتين أساسيتين للفوضى. إنَّ الفوضى هي ما تصنعه الدول منها.

أفحص، في الأقسام التالية من الدراسة، وبعبارة ناقدة، الادعاءات والافتراضات الواقعية الجديدة، وأطور حجتي بشأن كيفية بناء سياستي الاعتماد على النفس والقوة بناءً اجتماعياً في أثناء الفوضى. ثم أستكشف ثلاث طرائق يجري من خلالها تحويل الهويات والمصالح في أثناء الفوضى: من خلال مؤسسة السيادة، وعبر نشأة التعاون وتطوره، ومن خلال الجهود القصديّة التي تستهدف تحويل الهويات الأنانية إلى هويات جماعية.

أولاً: الفوضى وسياسة القوة

عزّ الواقعيون الكلاسيكيون، من أمثال توماس هوبز ورينهولد نيبور وهانز مورغنتا، الأنانية وسياسة القوة إلى الطبيعة البشرية في المقام الأول، في حين يركّز الواقعيون البنيويون أو الواقعيون الجدد على الفوضى. ويرجع هذا الاختلاف جزئياً إلى التفسيرات المتباينة للقوى السببية الكامنة في الفوضى. ويُعدّ عمل كينيث والتز التحليلي مهماً لكلا التفسيرين، ففي كتابه *الإنسان والدولة والحرب*، يعرف الفوضى بأنها شرط إمكانية لنشوب الحرب أو سبب "ميسر" لنشوبها، مجادلاً بأن "الحروب تنشب لأنه ما من شيء يمنع نشوبها"⁽¹⁴⁾. ومع ذلك، فإن الطبيعة البشرية أو السياسة الداخلية للدول المعتدية هي التي توفر الدافع الأولي أو السبب "الفعال" للصراع الذي يجبر الدول الأخرى على الردّ بالمثل⁽¹⁵⁾. إلا أن موقف والتز هذا لا يبدو متسقاً تماماً بشأن ذلك؛ إذ إنه يتخلص، من دون تبرير، من الادعاء السببي الميسر القائل إن ثمة إمكانية دائمة لنشوب الحروب في ظل الفوضى، ويشير إلى الادعاء السببي النشط القائل إن "الحرب قد تحدث في أي لحظة"⁽¹⁶⁾. وعلى الرغم من دعوة والتز الختامية إلى نظرية قائمة على الصورة الثالثة، فإن الأسباب الفعالة التي تمهد للأنظمة الفوضوية تقع ضمن الصورتين الأولى والثانية. ويقلب ذلك رأساً على عقب في كتابه *نظرية السياسة الدولية*؛ إذ إنه يرفض نظريات الصورتين الأولى والثانية بوصفها "اختزالية"،

المفهوم السلوكي - العقلاني الذي يقدم الهويات والمصالح بوصفها خارجية تتشكل بعيداً عن التفاعل [أي خارجية المنشأ Exogenous].

أهدف من خلال هذه الدراسة إلى بناء جسر بين هذين الاتجاهين المختلفين (وامتداداً لذلك، بين النقاشين الواقعي - الليبرالي والعقلاني - التأملي)، وذلك من خلال تطوير حجة بنائية مستمدة من السوسيولوجيا البنائية Structurationist والتفاعلية الرمزية، نيابة عن الادعاء الليبرالي القائل إن المؤسسات الدولية يمكنها تحويل هويات الدول ومصالحها⁽¹²⁾. ويتضمن ذلك، خلافاً للتفسير "الاقتصادي" الذي يهيمن على أبحاث العلاقات الدولية النظامية السائدة، شكلاً "سوسيولوجياً ونفسياً اجتماعياً" من النظرية النظامية التي تكون فيها الهويات والمصالح متغيراً تابعاً⁽¹³⁾. ولا يعني، في هذا السياق، إن كانت "الليبرالية الجماعية" لا تزال محسوبة على الليبرالية؛ فما يعني هو أن البنائية يمكن أن تساهم على نحو بارز في انشغال الليبرالية العميق بمسألة تشكّل الهوية والمصالح، وقد يفضي هذا الإسهام إلى إثراء البنائية باستبصارات ليبرالية حول التعلّم والإدراك، اللذين طالما أغفلتهما.

تتمثل استراتيجيتي الرامية إلى بناء هذا الجسر في الحجاج ضد ادعاء الواقعيين الجدد القائل إن الاعتماد على النفس هو نتاج بنية فوضوية خارجية المنشأ بالنسبة إلى العمليات ومستقلة عنها. لم يبذل البنائيون جهداً يُعتدّ به لأخذ القوى السببية للفوضى على محمل الجد. وهذا أمر مؤسف، ما دام المنظور الواقعي للفوضى يبرر إغفال التحويل المؤسسي للهويات والمصالح، ما يفضي إلى بناء نظريات نظامية من ناحية عقلانية بحتة. بناء عليه، يجب تحدي قواها السببية المزعومة إذا كانت العمليات والمؤسسات غير خاضعة للبنية. وأحاجّ بأن الاعتماد على النفس وسياسة القوة لا ينبعان من الفوضى، لا من ناحية منطقية ولا من ناحية سببية، كما أحاجّ بأننا إذا وجدنا أنفسنا اليوم في عالم يسوده الاعتماد على النفس، فإن ذلك

12 إن اعتمادي على هذه المقاربات يجعلني أُنقّف مع البنائيين الحدائين، على الرغم من أنني أتمتد أيضاً على أعمال ما بعد الحدائين، ولا سيما ريتشارد أشلي وروب ووكر. وعن الدفاع عن هذه الممارسة ومناقشة أسسها الإستيمولوجية، ينظر دراستي السابقة:

Alexander Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory," *International Organization*, vol. 41 (Summer 1987), pp. 335-370; Ian Shapiro & Alexander Wendt, "The Difference That Realism Makes: Social Science and the Politics of Consent," *Politics & Society*, vol. 20, no. 2 (1992), pp. 197-223; ومن بين البنائيين الحدائين، حجّتي مدينة على نحو خاص لما نشره إيمانويل أدلر وفريدريك كراتوشفيل وجون راغي، إضافة إلى ورقة غير منشورة كتبها نعيم عناية الله وديفيد ليفين: Naeem Nayatullah & David Levine, "Politics and Economics in Contemporary International Relations Theory," Syracuse University, Syracuse, NY (1990).

13 ينظر:

Viktor Gecas, "Rekindling the Sociological Imagination in Social Psychology," *Journal for the Theory of Social Behavior*, vol. 19 (March 1989), pp. 97-115.

14 Kenneth Waltz, *Man, the State, and War* (New York: Columbia University Press, 1959), p. 232.

15 Ibid., pp. 169-170.

16 Ibid., p. 223;

وقد أشار إلى هذه المسألة هيديمي سوغانامي في:

Hidemi Suganami, "Bringing Order to the Causes of War Debates," *Millennium*, vol. 19 (Spring 1990), p. 34, fn. 11.

القدرات⁽¹⁹⁾. ولا يتنبأ هذا التعريف في حد ذاته سوى بالقليل عن سلوك الدول؛ فلا يتنبأ بإمكانية أن تكون الدولتان صديقتين أو عدوتين، أو ستعترف إحدهما بسيادة الأخرى، أو سترتبطان بروابط حكم سلالية، أو ستكونان قوتين مراجعتين أو قوتَي وضع قائم، وما إلى ذلك.

تؤثر هذه العوامل - وهي في جوهرها عوامل بينداتية - في مصالح الدول الأمنية، ومن ثم في طبيعة تفاعلها في حالة الفوضى. وفي مراجعة مهمة لنظرية والتز، يشير ستيفن والت ضمناً إلى ذلك، حين يدفع بأن "توازن التهديدات"، لا توازن القوى، هو ما يحدد تصرفات الدول، كما يحدد التهديدات التي تُبنى اجتماعياً⁽²⁰⁾. بعبارة أعم، ودوناً أي افتراضات بشأن بنية الهويات والمصالح في النظام، لا يستطيع تعريف والتز للبنية التنبؤ بمحتوى الفوضى أو دينامياتها. إن الاعتماد على النفس يُعدّ إحدى هذه البنى البينداتية؛ وهي، بصفتها كذلك، تؤدي مهمة التفسير الحاسمة في النظرية. والسؤال: أكان الاعتماد على النفس سمةً منطقية أم عرضية للفوضى؟ وسأطوّر في هذا الجزء من الدراسة مفهوم "بنية الهويات والمصالح"، وأبين أن أيّاً منهما ينشأ منطقياً من الفوضى.

يتمثل أحد المبادئ الأساسية للنظرية البنائية الاجتماعية في أن البشر يتصرفون تجاه الأشياء، بما في ذلك الفاعلون الآخرون، بناءً على المعاني التي تحملها تلك الأشياء لهم⁽²¹⁾. وتختلف تصرفات الدول تجاه أعدائها عن تصرفاتها تجاه أصدقائها؛ لأنّ الأعداء يشكلون تهديداً لها، على عكس الأصدقاء. ومع ذلك فالفوضى وتوزيع القوة لا يكفیان لتمييز الصديق من العدو. تختلف دلالة القوة العسكرية الأميركية لدى كندا عن دلالتها لدى كوبا، على الرغم من تشابه موقعيهما "البنوي"، تماماً مثلما تختلف دلالة الصواريخ البريطانية عن دلالة الصواريخ السوفياتية بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأميركية. وقد يؤثر توزيع القوة دائماً في حسابات الدول، أما كيفية التأثير تلك فتعتمد

وحيث يبدو منطق الفوضى في حد ذاته مشكلاً لسياسة الاعتماد على النفس وسياسة القوة بوصفها سماتٍ ضرورية للسياسة العالمية⁽¹⁷⁾.

إن هذا لأمر مؤسف، فمهما كان رأي المرء في نظريات الصورتين الأولى والثانية، فإنها تنطوي على فضيلة الإشارة إلى أن الممارسات تحدد طبيعة الفوضى. فوجهة النظر التي تركز على السببية الميسرة للحرب ترى أن الطرف (ب) لن يضطر إلى الدفاع عن نفسه، إلا في حال تسببت عوامل بشرية أو محلية في هجوم الطرف (أ) عليه. وعلى الرغم من أن أنظمة الفوضى قد تتضمن ديناميات تؤدي إلى سياسة قوة تنافسية، فإنها قد لا تتضمنها بالضرورة. ومن ثم، يمكننا مناقشة الشروط التي تظهر في ظلها بنى معينة للهويات والمصالح. أما في الواقعية الجديدة، فيجري إلى حد بعيد تقليص دور الممارسات في تشكيل طبيعة الفوضى؛ وهكذا، ثمة مسائل أقل يمكن الجدل بشأنها: فسياسات الاعتماد على النفس والقوة، ببساطة، يجري التعامل معها، بوصفهما معطائين يُفترض أن منشأهما خارجي بالنسبة إلى بنية نظام الدول.

لن أجادل، في هذا السياق، في وصف الواقعيين الجدد لنظام الدول المعاصر بأنه عالم تنافسي قائم على الاعتماد على النفس⁽¹⁸⁾، بل سأكتفي بمناقشة جانبه التفسيري. وسأطوّر حجتي عبر ثلاث مراحل: سأفكك، أولاً، مفهومَي الاعتماد على النفس والفوضى، مبيناً أن مفاهيم مصلحة الأمن الذاتية ليست سمات مكونة للفوضى. وأبين، ثانياً، كيفية إنتاج الاعتماد على النفس وسياسة القوة التنافسية سبباً من عمليات التفاعل بين الدول، والتي لا تؤدي فيها الفوضى سوى دور ميسر. وفي كلتا هاتين المرحلتين من تطوير حجتي، سأضع، عن وعي ذاتي، محددات الصورتين الأولى والثانية لهويات الدول بين قوسين وأصرف عنها النظر، لا لأنها غير مهمة (لأنها بالطبع مهمة)، بل لأن هدفي، على غرار والتز، يكمن في إزالة الغموض الذي يلف "منطق" الفوضى. ثم، ثالثاً، أعيد طرح محددات الصورتين الأولى والثانية لتقييم أثرها في تشكيل الهوية في سياق أنواع مختلفة من الفوضى.

1. الفوضى والاعتماد على النفس والمعرفة البينداتية

يعرّف والتز البنية السياسية ضمن ثلاثة أبعاد: المبادئ المنظمة (وهي الفوضى في هذه الحالة)، ومبادئ التمايز (التي تغيب هنا)، وتوزيع

19 Waltz, *Theory of International Politics*, pp. 791-801.

20 Stephen Walt, *The Origins of Alliances* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1987).

21 ينظر على سبيل المثال:

Herbert Blumer, "The Methodological Position of Symbolic Interactionism," in: *Symbolic Interactionism: Perspective and Method* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1969), p. 2.

أفترض في هذه الدراسة إمكانية إجراء قياس نظري مثمر بين الأفراد والدول، وثمة مبرران على الأقل لذلك. من الناحية البلاغية، يُعدّ هذا القياس ممارسة مقبولة في خطاب العلاقات الدولية السائد، وما أن هذه الدراسة نقد داخلي وليس خارجياً، فيجب أن تتبع هذه الممارسة. ومن الناحية الجوهرية، الدول هي مجموعات من الأفراد يشكلون بعضهم بعضاً من خلال ممارساتهم بوصفهم "أشخاصاً" لديهم مصالح ومخاوف وغير ذلك. ومع ذلك، فإن أي نظرية مكتملة لتشكيل هوية الدولة وتشكيل مصالحها تحتاج إلى استخلاص رؤى من علم النفس الاجتماعي للمجموعات ومن النظرية التنظيمية، ولهذا السبب، فإن قياسي هو مجرد أسلوب دلالي.

17 Kenneth Waltz, *Theory of International Politics* (Boston: Addison-Wesley, 1979).

18 لا يخلو وصف الواقعية الجديدة من إشكاليات. للاطلاع على نقد رصين في هذا الشأن، ينظر:

David Lumsdaine, *Ideals and Interests: The Foreign Aid Regime, 1949-1989* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1993).

إمبريالية"، وما إلى ذلك⁽²⁵⁾. في حين تتباين درجة الالتزام بهويات معينة وتختلف أهمية كل منها، فإن كل هوية تمثل بطبيعتها تعريفاً اجتماعياً للفاعل، يركز على النظريات التي يعتنقها الفاعلون جمعياً بشأن أنفسهم، وبشأن الآخرين، والتي تشكل بنية العالم الاجتماعي. إن الهويات هي أساس المصالح. ولا يمتلك الفاعلون "محفظة" من المصالح يحملونها معهم بمعزلٍ عن السياق الاجتماعي؛ بل إنهم يحددون مصالحهم في أثناء سيرورة تحديد المواقف⁽²⁶⁾. وكما يقول نيلسون فوت: "إن الدافع [...] يشير إلى الدرجة التي يُعرف بها الإنسان، بوصفه مشاركاً في السيرورة الاجتماعية المستمرة التي يجد نفسه فيها بالضرورة، موقفاً إشكالياً يستدعي تصرفاً محدداً، وتكون عواقبه متوقعة إلى حد ما، وبناء على ذلك، يكتسب الطاقة المناسبة لأدائه"⁽²⁷⁾. وقد عُرف في بعض الأحيان بمواقف غير مسبوقة في تجاربنا، وعلينا في مثل هذه الحالات بناء معناها، ومن ثم بناء مصالحنا، وتعريفها إما عن طريق القياس أو اختراعها من جديد. ولهذه المواقف غالباً سمات روتينية ومعتمدة، فنضفي عليها حينها معاني بناءً على أدوار محدّدة مؤسسياً. وحين نقول إن لدى الأستاذة "مصلحة" في التدريس أو البحث أو الخروج في إجازة، فإننا نفترض أن على من يؤدي الوظيفة المترتبة على هوية دور "الأستاذ" تحديد مواقف معينة بوصفها تتطلب أفعالاً معينة. ولا يعني هذا أنهم بالضرورة سيفعلون

على الفهم والتوقعات البينذاتية، وعلى "توزيع المعرفة" التي تشكل تصوراتها عن نفسها وعن الآخر⁽²²⁾. فإذا ما "نسي" المجتمع ما هي الجامعة، فإن سلطات الأساتذة والطلاب وممارساتهم ستختفي من الوجود؛ وإذا قرر الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أنهما لن يعودا عدوين، فإن "الحرب الباردة تكون قد انتهت". وهكذا، فإن المعاني الجماعية هي التي تشكل البنى التي تنظم تصرفاتنا.

يكتسب الفاعلون هويات - وهي فهم وتوقعات بشأن الذات، مستقرة نسبياً ومحدّدة للأدوار - من خلال المشاركة في مثل هذه المعاني الجماعية⁽²³⁾. والهويات بطبيعتها علائقية؛ أي إن "الهوية، بما تحمله من ارتباطات مناسبة بالواقع النفسي، تكون دائماً هوية ضمن عالم محدّد مبني اجتماعياً"، بحسب ما يذهب إليه بيتر بيرغر⁽²⁴⁾. إن لكل شخص عدة هويات مرتبطة بأدوار مؤسسية، فقد يكون فرداً ما أختاً وابناً ومعلماً ومواطناً. وبالمثل، قد تكون لدولة ما هويات متعددة، من قبيل أن تكون "ذات سيادة" و"قائدة للعالم الحر" و"قوة

22 يرجع تعبير "توزيع المعرفة" إلى عالم الاجتماع البريطاني باري بارنز، في: Barry Barnes, *The Nature of Power* (Cambridge: Polity Press, 1988); ينظر أيضاً:

Peter L. Berger & Thomas Luckmann, *The Social Construction of Reality* (New York: Anchor Books, 1966);

إن اهتمام دراسات العلاقات الدولية الحديثة، التي تتناول "الجماعات الإبتيمية"، بفهم العالم القائمة على العلاقة بين السبب والنتيجة، التي يحوزها العلماء والخبراء وصناع السياسات، يُعدّ جانباً مهماً من دور المعرفة في السياسة العالمية. ينظر:

Peter Haas, "Do Regimes Matter? Epistemic Communities and Mediterranean Pollution Control," *International Organization*, vol. 43 (Summer 1989), pp. 377-404; Ernst Haas;

وليس من شأن مقاربتنا البنيائية سوى أن تضيف القدر نفسه من التركيز على الكيفية التي تشكل بها معرفة كهذه بنى حياة المجتمع وفاعليها.

23 للحصول على نظرة مقتضبة وشاملة عن المعاني الجماعية وتشكيلها للهويات، ينظر: Peter Berger, "Identity as a Problem in the Sociology of Knowledge," *European Journal of Sociology*, vol. 7, no. 1 (1966), pp. 32-40; David Morgan & Michael Schwalbe, "Mind and Self in Society: Linking Social Structure and Social Cognition," *Social Psychology Quarterly*, vol. 53 (June 1990), pp. 148-164;

وأعتمد في مناقشتي على النصوص التالية التي تستند إلى مقارنة تفاعلية:

George Herbert Mead, *Mind, Self and Society* (Chicago: University of Chicago Press, 1934); Berger & Luckmann, *The Social Construction of Reality*; Sheldon Stryker, *Symbolic Interactionism: A Social Structural Version* (Menlo Park, CA: Benjamin/ Cummings, 1980); R. S. Perinbanayagam, *Signifying Acts: Structure and Meaning in Everyday Life* (Carbondale: Southern Illinois University Press, 1985); John Hewitt, *Self and Society: A Symbolic Interactionist Social Psychology* (Boston: Allyn & Bacon, 1988); Turner; وعلى الرغم من بعض الاختلافات، يطرح البنانيون، أمثال باشكار وغيدنز، النقاط نفسها تقريباً. ينظر:

Roy Bhaskar, *The Possibility of Naturalism* (Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1979); Anthony Giddens, *Central Problems in Social Theory* (Berkeley: University of California Press, 1979).

24 Berger, "Identity as a Problem in the Sociology of Knowledge," p. 111.

25 مع أن دراسات السياسات الخارجية، التي تتناول مفاهيم الدور الوطني، لا تصاغ عادة بمثل هذه المصطلحات، فيمكن تكييفها مع لغة الهوية هذه. ينظر: Kal Holsti, "National Role Conceptions in the Study of Foreign Policy," *International Studies Quarterly*, vol. 14 (September 1970), pp. 233-309; Stephen Walker (ed.), *Role Theory and Foreign Policy Analysis* (Durham, NC: Duke University Press, 1987);

وللاطلاع على جهود مهمة في هذا الصدد، ينظر:

Stephen Walker, "Symbolic Interactionism and International Politics: Role Theory's Contribution to International Organization," in: C. Shih & Martha Cottam (eds.), *Contending Dramas: A Cognitive Approach to Post-War International Organizational Processes* (New York: Praeger, 1996).

26 عن مفهوم "محفظة" المصالح، ينظر:

Barry Hindess, *Political Choice and Social Structure* (Aldershot, UK: Edward Elgar, 1989), pp. 2-3;

ويُعدّ "تعريف الموقف" مفهوماً مركزياً في النظريات التفاعلية.

27 Nelson Foote, "Identification as the Basis for a Theory of Motivation," *American Sociological Review*, vol. 16 (February 1951), p. 15;

وقد تعرضت هذه المفاهيم السوسولوجية للمصلحة لانتقادات شديدة، وطلباً لبعض الإنصاف، بسبب كونها مفاهيم ناتجة من "تنشئة اجتماعية مفرطة" *Oversocialized*. ينظر: Dennis Wrong, "The Oversocialized Conception of Man in Modern Sociology," *American Sociological Review*, vol. 26 (April 1961), pp. 183-193; وللإطلاع على مراجعات تصحيحية مفيدة، تركز على تفعيل احتياجات الإنسان ما قبل الاجتماعية، ولكن غير المحددة، ضمن السياقات الاجتماعية، ينظر:

Turner, pp. 23-69; Viktor Gecas, "The Self-Concept as a Basis for a Theory of Motivation," in: Judith Howard & Peter Callero (eds.), *The Self-Society Dynamic* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991), pp. 171-187.

شك في أن ثمة اختلافات مهمة بين المؤسسات الصراعية والتعاونية، ولكن جميع العلاقات المستقرة نسبياً بين الذات والآخر - حتى تلك المتعلقة بـ "الأعداء" - يجري تعريفها على نحو بيندائي.

إنّ الاعتماد على النفس مؤسسة في حد ذاتها، وهي واحدة من بنى الهويات والمصالح المتنوعة، التي قد توجد في أثناء الفوضى. تُعنى عمليات تشكيل الهويات في أثناء الفوضى، أولاً، بالحفاظ على الذات أو "أمنها". لذلك، تختلف مفاهيم الأمن من ناحية كيفية ربط تماهي الذات مع الآخر معرفياً وحدوده⁽³¹⁾، وأود الإشارة إلى أنّ معنى الفوضى وتوزيع القوة يعتمد على هذا التباين المعرفي. ودعوني أوضح ذلك بمُتصل قياسي Standard Continuum من الأنظمة الأمنية⁽³²⁾.

في أحد طريقي المتصل، يقع النظام الأمني "التنافسي"، وفيه تعرّف الدول أمنها، على نحو سلمي، بربطه بأمن بعضها بعضاً، بحيث تُعدّ المكاسب التي تحققها الذات Ego خسارةً للآخر Alter. وتشكّل هذه الطريقة السلبية في التعريف المتبادل بين الذات والآخر، في أثناء الفوضى، أنظمةً تقوم على سياسة القوة "الواقعية": إذ إن الفاعلين الذين يتجنبون المجازفة يستشقون نيات الفاعلين الآخرين من خلال القدرات، وينشغلون بالمكاسب والخسائر النسبية. وفي أقصى الحالات، كما في حرب الكل ضد الكل في رأي هوبز، يصبح التصرف الجماعي في مثل هذا النظام شبه مستحيل؛ إذ إن كل فاعل يجب أن يعيش في خوف مستمر من أن يُغدر به ويُطعن في الظهر.

أما في الوسط فيقع النظام الأمني "الفرداني"، الذي لا تهتم فيه الدول بالعلاقة بين أمنها وأمن الدول الأخرى؛ ويشكّل هذا النظام أنظمة "نيوليبرالية"، حيث تظل الدول في هذا الإطار تولي أمنها اهتماماً

ذلك (فالتوقعات والكفاءة لا تساوي الأداء)، إلا أنهم لن يحصلوا على منصب "الأستاذ" الدائم إذا لم يفعلوا ذلك. يؤدي غياب الأدوار أو فشلها إلى زيادة صعوبة تحديد المواقف والمصالح وتعريفها؛ ما قد يفضي إلى ارتباك في تعريف الهوية. وهذا ما نشهده اليوم في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي سابقاً: إذ إن غياب تعريف هويتهما عبر تبادل نسب التهديد والعداء في سياق الحرب الباردة يجعلهما تبدوان غير متأكدتين ممّا ينبغي أن تكون عليه "مصالحهما".

إن المؤسسة مجموعة أو "بنية" مستقرة نسبياً من الهويات والمصالح. وتتجسد، غالباً، هذه البنى في قواعد ومعايير رسمية، ولا تكتسب قوة تحفيزية إلا بفضل تنشئة الفاعلين اجتماعياً على المعرفة الجماعية ومشاركتهم الفعلية فيها. فالمؤسسات في جوهرها كيانات معرفية؛ إذ إنها لا توجد بمعزل عن الأفكار التي يتبناها الفاعلون حول كيفية عمل العالم⁽²⁸⁾. ولا يعني هذا أن المؤسسات ليست حقيقية أو موضوعية، أو أنها "ليست سوى" معتقدات. وبوصفها معرفة جماعية، فإن خبرتنا بالمؤسسات تجعلنا نرى في وجودها حالةً تتجاوز الأفراد الذين يجسدونها في اللحظة⁽²⁹⁾ التي نختبرها فيها. وهكذا، تواجه المؤسسات الأفراد بوصفها حقائق اجتماعية قسرية إلى حد ما، لكنها تظل من الناحية الوظيفية نتاجاً لما "يعرفه" الفاعلون على نحو جماعي. لا توجد الهويات وهذه المدركات الجماعية بعضها بمعزل عن بعض؛ إذ "يشكّل بعضها بعضاً"⁽³⁰⁾. من هذا المنظور، تُعدّ المؤسسة سريرة استيعاب لهويات ومصالح جديدة، وليست مجرد شيء يحدث خارجها ويؤثر في السلوك فحسب، وتُعدّ التنشئة الاجتماعية سريرة معرفية لا مجرد سريرة سلوكية. على هذا النحو، قد تكون المؤسسات تعاونية أو صراعية، وهي مسألة تغيب أحياناً عن الدراسات المتعلقة بالأنظمة الدولية التي تميل إلى المساواة بين المؤسسات والتعاون. ولا

28 في لغة دوركايم الجديدة، المؤسسات هي "تمثيلات اجتماعية". ينظر:

Serge Moscovici, "The Phenomenon of Social Representations," in: Rob Farr & Serge Moscovici (eds.), *Social Representations* (Cambridge: Cambridge University Press, 1984), pp. 3-69; Barnes;

ويلاحظ أن هذه نزعة إدراكية، خاضعة للتنشئة الاجتماعية أكثر مما هو موجود في الأدبيات الحديثة التي تتناول دور "الأفكار" في السياسة العالمية، والتي تميل إلى اعتبار الأفكار بوصفها سلعاً يمتلكها الأفراد وتتدخل بين توزيع القوة والنواتج. للاطلاع على أحد أشكال النزعة الإدراكية القريبة من الشكل الذي أتبناه، ينظر:

Emanuel Adler, "Cognitive Evolution: A Dynamic Approach for the Study of International Relations and Their Progress," in: Emanuel Adler & Beverly Crawford (eds.), *Progress in Postwar International Relations* (New York: Columbia University Press, 1991), pp. 43-88.

29 Berger & Luckmann, *The Social Construction of Reality*, p. 58.

30 Giddens; Alexander Wendt & Raymond Duvall, "Institutions and International Order," in: Ernst-Otto Czempiel & James Rosenau (eds.), *Global Changes and Theoretical Challenges* (Lexington, MA: Lexington Books, 1989), pp. 51-74.

31 قد يفسر أنصار نظرية الاختيار ذلك من منظور "المنفعة المتبادلة". للاطلاع على لمحة عامة مفيدة عن الخطاب المتعلق بنظرية الاختيار، الذي ركز معظمه على مسألة الإثارة تحديداً، ينظر:

Harold Hochman & Shmuel Nitzan, "Concepts of Extended Preference," *Journal of Economic Behavior and Organization*, vol. 6 (June 1985), pp. 161-176;

وفي العادة، لا تربط الأدبيات المتعلقة بنظرية الاختيار السلوك بقضايا الهوية. للاطلاع على استثناء من تلك الأدبيات، ينظر:

Amartya Sen, "Goals, Commitment, and Identity," *Journal of Law, Economics, and Organization*, vol. 1 (Fall 1985), pp. 341-355; Robert Higgs, "Identity and Cooperation: A Comment on Sen's Alternative Program," *Journal of Law, Economics, and Organization*, vol. 3 (Spring 1987), pp. 140-142.

32 قد تختلف الأنظمة الأمنية أيضاً في مدى وجود تمايز وظيفي أو علاقة هرمية بين الراعي والزبون؛ إذ يؤدي الراعي دوراً مهيماً، ضمن نطاق نفوذه، في تحديد مصالح زبائنه الأمنية. لا أتناول هنا هذا البعد، وللإطلاع على مناقشة أولية بشأن ذلك، ينظر:

Alexander Wendt, "The States System and Global Militarization," PhD. Dissertation, University of Minnesota, Minneapolis, 1989; Alexander Wendt & Michael Barnett, "The International System and Third World Militarization," (1991). (Unpublished Manuscript).

فإنها تعيد هيكلة الجهود الزامية إلى تحقيق أهداف الفرد، أو "سياسة القوة"، من ناحية المعايير المشتركة بدلاً من القوة النسبية⁽³⁶⁾.

تفيد وجهة النظر هذه بأنَّ مَيَل دراسات العلاقات الدولية إلى النظر إلى القوة والمؤسسات بوصفهما تفسيرين متعارضين للسياسة الخارجية يُعَدُّ مَضَلَّلاً، بما أنَّ الفوضى وتوزيع القوة لا يكتسبان أيَّ معنى لتصرفات الدولة إلا من خلال الفهم والتوقعات التي تشكّل الهويات والمصالح المؤسسية. والاعتماد على النفس هو إحدى هذه المؤسسات؛ إذ إنه يشكّل نوعاً واحداً من الفوضى، لكنه ليس النوع الوحيد. لذلك، يبدو أنَّ تعريف والتز للبنية ذات الأجزاء الثلاثة غير دقيق. ولانتقال من البنية إلى الفعل، من الضروري إضافة جزء رابع، وهو بنية الهويات والمصالح في النظام، التي تتشكل بين ذاتياً.

إنَّ لهذا تأثيراً مهماً في الطريقة التي تصور بها الدول وهي في حالة الطبيعة، قبل لقاءها الأول بعضها مع بعض. ونظراً إلى أنَّ الدول لا تملك مفاهيم عن الذات والآخر، ومن ثم، عن المصالح الأمنية، بمعزل عن التفاعل فيما بينها أو قبله، فإننا نفترض أكثر مما ينبغي بشأن حالة الطبيعة إذا ما اتفقنا مع والتز، الذي يرى أنَّ الفوضى تجعل "الأنظمة السياسية الدولية، مثلها مثل الأسواق الاقتصادية، تتشكل من خلال التفاعل بين وحدات تهتم بنفسها"⁽³⁷⁾. إننا نبالح في افتراضاتنا إذا جادلنا بأنَّ الفوضى تجعل الدول وهي في حالة الطبيعة تواجه حتماً حالة "معضلة أمنية" أو حالة "مطاردة الأيل"⁽³⁸⁾. نفترض هذه الادعاءات وجود تاريخ من التفاعل اكتسب من خلاله الفاعلون هويات ومصالح "أناية"؛ بينما لم تكن لديهم، قبل التفاعل (الذي لا يزال مجرداً من عوامل الصورتين الأولى والثانية)، أيَّ خبرة تمكّنهم من بناء مثل هذه التعريفات للذات والآخر. ويعني افتراض خلاف ذلك أن ننسب إلى الدول، وهي في حالة الطبيعة، صفاتٍ لا يمكن أن

خاصاً، لكنها تركز تحديداً على المكاسب المطلقة بدلاً من المكاسب النسبية. ثمَّ إن موقع الدولة في بنية توزيع القوى يكون أقل أهمية، ويكون التصرف الجماعي ممكناً أكثر (إلا أنه يظلّ خاضعاً للانتفاع بالمجان، لأن الدول تظل "أناية").

يُعدُّ النظامان الفردي والتنافسي شكلين من أشكال الفوضى القائمة على "الاعتماد على النفس"، بمعنى أنَّ الدول لا تربط أمنها الذاتي بأمن الآخرين، بل تتعامل مع الأمن بوصفه مسؤولية فردية تقع على عاتق كل دولة. وبالنظر إلى غياب تعريف معرفي إيجابي للهوية تُبنى على أساسه الأنظمة الأمنية، فإن سياسة القوة داخل هذه الأنظمة ستضمن بالضرورة جهوداً للتلاعب بالآخرين لتحقيق المصالح الذاتية.

يتناقض ذلك مع النظام الأمني "التعاوني"، حيث تعرف الدول بعضها بعضاً على نحو إيجابي، ويُنظر إلى أمن كلٍّ منها بوصفه مسؤولية الجميع. وليس هذا اعتماداً على النفس بأي معنى قد يثير اهتمامنا، لأن "الذات" التي تُعرّف المصالح من خلالها هي المجتمع؛ ولأن مصالح الدول الوطنية هي مصالح دولية⁽³³⁾. من الناحية العملية، بطبيعة الحال، يتفاوت مدى تماهي الدول مع المجتمع، بدءاً بالشكل المحدود الذي تجسّده "التوافقات" الدولية وصولاً إلى الشكل الكامل المتمثل في ترتيبات الأمن الجماعي⁽³⁴⁾. واعتماداً على تطور الذات الجماعية، فإنها ستنتج ممارسات أمنية متفاوتة من ناحية الإيثار والإيجابية تجاه المجتمع؛ وهذا ما يجعل التصرف الجماعي أقل اعتماداً على وجود تهديدات نشطة وأقل عرضة للانتفاع بالمجان⁽³⁵⁾. فضلاً عن ذلك،

33 يُعدُّ هذا بمنزلة "تدويل للدولة". للاطلاع على مناقشة بشأن هذا الموضوع، ينظر: Raymond Duvall & Alexander Wendt, "The International Capital Regime and the Internationalization of the State," 1987. (Unpublished manuscript); ينظر أيضاً:

R. B. J. Walker, "Sovereignty, Identity, Community: Reflections on the Horizons of Contemporary Political Practice," in: R. B. J. Walker & Saul Mendlovitz (eds.), *Contending Sovereignties* (Boulder, CO: Lynne Rienner, 1990), pp. 159-185.

34 للاطلاع على المزيد عن طيف الترتيبات الأمنية التعاونية، ينظر:

Charles Kupchan & Clifford Kupchan, "Concerts, Collective Security, and the Future of Europe," *International Security*, vol. 16 (Summer 1991), pp. 114-161; Richard Smoke, "A Theory of Mutual Security," in: Richard Smoke & Andrei Kortunov (eds.), *Mutual Security* (New York: St. Martin's Press, 1991), pp. 59-111; Christopher Jencks, "Varieties of Altruism," in: Jane Mansbridge (ed.), *Beyond Self-Interest* (Chicago: University of Chicago Press, 1990), pp. 53-67.

35 للاطلاع على دور الهوية الجماعية في الحد من مشكلات العمل الجماعي، ينظر: Bruce Fireman & William Gamson, "Utilitarian Logic in the Resource Mobilization Perspective," in: Mayer Zald & John McCarthy (eds.), *The Dynamics of Social Movements* (Cambridge, MA: Winthrop, 1979), pp. 8-44; Robyn Dawes et al., "Cooperation for the Benefit of Us-Not Me, or My Conscience," in: Mansbridge (ed.), pp. 97-110; Craig Calhoun, "The Problem of Identity in Collective Action," in: Joan Huber (ed.), *Macro-Micro Linkages in Sociology* (Beverly Hills, CA: Sage, 1991), pp. 51-75.

36 ينظر:

Thomas Risse-Kappen, "Are Democratic Alliances Special?" Yale University, New Haven, CO, 1991. (unpublished manuscript);

ويمكن توسيع هذا الخط من الحجاج على نحو مثير من خلال المنظور النسوي. وللحصول على رؤية عامة مفيدة عن الطبيعة العلانية للمفاهيم النسوية للذات، ينظر:

Paula England & Barbara Stanek Kilbourne, "Feminist Critiques of the Separative Model of Self: Implications for Rational Choice Theory," *Rationality and Society*, vol. 2 (April 1990), pp. 156-171;

وللاطلاع على المفاهيم النسوية للسلطة، ينظر:

Ann Tickner, "Hans Morgenthau's Principles of Political Realism: A Feminist Reformulation," *Millennium*, vol. 17 (Winter 1988), pp. 429-440; Thomas Wartenberg, "The Concept of Power in Feminist Theory," *Praxis International*, vol. 8 (October 1988), pp. 301-316.

37 Waltz, *Theory of International Politics*, p. 91.

38 Waltz, *Man, the State, and War*; Robert Jervis, "Cooperation Under the Security Dilemma," *World Politics*, vol. 30 (January 1978), pp. 167-214.

آليتين - هما المنافسة والتنشئة الاجتماعية - تحدد البنية بموجبهما أفعال الدولة⁽⁴¹⁾. ومع ذلك، فإن محتوى حجته بشأن هذا الدور الذي تؤديه البنية يفترض وجود نظام قائم على الاعتماد على النفس، وهو نظام لا يُعدُّ في حد ذاته سمة مكونة للفوضى. ويشير جيمس مورو إلى أن آليتين والتز تحديدان السلوك فحسب، ولا تحددان الهوية والمصلحة⁽⁴²⁾. وهذا ما يفسر كيف يمكن اتهام والتز بـ "الفردانية" و"البنوية" في الآن نفسه⁽⁴³⁾؛ فهو فردي في ما يتعلق بالتكوين النظمي للهويات والمصالح، في حين أنه بنوي فيما يتعلق بالمحددات النظمية للسلوك.

2. الفوضى والبناء الاجتماعي لسياسة القوة

إذا لم يكن الاعتماد على النفس سمة مكونة للفوضى، فلا بد من أن ينبثق سبباً من العمليات التي تؤدي فيها الفوضى دوراً ميسراً فحسب⁽⁴⁴⁾. ويعكس ذلك المبدأ الثاني من مبادئ البنائية: تنشأ المعاني

تملكها إلا في حالة المجتمع⁽³⁹⁾. إن الاعتماد على النفس هو مؤسسة، وليس سمة مكونة للفوضى.

فما هي، إذًا، السمة المكونة لحالة الطبيعة التي تسبق أي تفاعل؟ إذا ما جرّدنا الذات من خصائصها التي نفترض أنها تسبق تفاعل الذات مع الآخرين، فلن يتبقى أمامنا سوى شيئين: الأول هو الركيزة المادية للفاعلية، بما في ذلك قدراتها الكامنة في جوهرها. بالنسبة إلى البشر، ذلك هو الجسد؛ أما بالنسبة إلى الدول، فهي أجهزة الحكم التنظيمية. ولأغراض بلاغية، أفترض أن المادة الخام التي يتكون منها أعضاء نظام الدول يُنتجها المجتمع الداخلي، وذلك قبل ولوج الدول سيرورة تشكيل المجتمع الدولي⁽⁴⁰⁾، مع أن هذه السيرورة لا تعني استقراراً في حدود الأقاليم الترابية ولا في السيادة، وهي شروطاً للسمة الفردانية يجري التفاوض عليها دولياً (كما سأناقش). أما الثاني، فهو الرغبة في الحفاظ على هذه الركيزة المادية، أي البقاء. لكن ذلك لا يستلزم "الاهتمام بالذات"، بما أن الفاعلين لا يمتلكون "ذاتاً" قبل التفاعل مع آخر؛ ومن ثم، فإن الكيفية التي ينظرون بها إلى معنى هذا البقاء ومتطلباته تعتمد على العمليات التي تنشأ وتتطور من خلالها مفاهيم الذات.

ربما يحيط كل ذلك قدرٌ كبير من الغموض، لكن قضية مهمة تُطرح على المحك، وهي: أمنشأ هويات سياسة الدول الخارجية ومصالحها داخلي أم خارجي بالنسبة إلى نظام الدول؟ يمثل القول إنها داخلية المنشأ الإجابة من وجهة نظر تتبنى نظرية النظم الفردانية أو على الأقل اهتماماً بعامل التنشئة الاجتماعية؛ وهي وجهة نظر تتناسب مع العقلانية. أما القول إن الهويات والمصالح الخارجية المنشأ، فيمثل الإجابة من وجهة نظر نظرية النظم التي تتبنى كلياً عامل التنشئة الاجتماعية. ويبدو أن والتز يتبنى الإجابة الثانية ويقترح

41 Waltz, *Theory of International Politics*, pp. 74-77.

42 ينظر:

James Morrow, "Social Choice and System Structure in World Politics," *World Politics*, vol. 41 (October 1988), p. 89;

قد يكون من المفيد مقارنة معالجة والتز السلوكية للتنشئة الاجتماعية بالمقاربة الإدراكية التي تبناها جون إيكينري وتشارلز كوبشان في الدراسات التالية:

John Ikenberry & Charles Kupchan, "Socialization and Hegemonic Power," *International Organization*, vol. 44 (Summer 1989), pp. 283-316; Kupchan & Kupchan, "Concerts, Collective Security, and the Future of Europe";

ومقارنتهما قريبة من مقارنتي، لكنهما يعرّفان التنشئة الاجتماعية بأنها استراتيجية نخوية لتحفيز تغير في القيم لدى الآخرين، لا بوصفها سمة غالبية على التفاعل يجري بمقتضاها إنتاج جميع الهويات والمصالح وإعادة إنتاجها.

43 للمزيد عن الفردانية، ينظر:

Richard Ashley, "The Poverty of Neorealism," *International Organization*, vol. 38 (Spring 1984), pp. 225-286; Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory"; David Dessler, "What's at Stake in the Agent-Structure Debate?" *International Organization*, vol. 43 (Summer 1989), pp. 441-474;

وعن البنوية، ينظر:

R. B. J. Walker, "Realism, Change, and International Political Theory," *International Studies Quarterly*, vol. 31 (March 1987), pp. 65-86; Martin Hollis & Steven Smith, *Explaining and Understanding International Relations* (Oxford: Clarendon Press, 1989);

وتفسر السلوكية التي تظهر بوضوح في نظرية الواقعية الجديدة كيف يتمكن الواقعيون الجدد من التوفيق بين بنويّتهم وفردانية نظرية الاختيار العقلاني. للاطلاع على الطابع السلوكي البنوي لهذه الأخيرة، ينظر:

Spiro Latsis, "Situational Determinism in Economics," *British Journal for the Philosophy of Science*, vol. 23 (August 1972), pp. 207-245.

44 ليس ثمة تقدير كافٍ لأهمية التمييز بين التفسيرات التأسيسية والسببية في خطاب البنائية. ينظر:

Wendt, "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory," pp. 362-65; Wendt, "The States System and Global Militarization," pp. 110-113; Alexander Wendt, "Bridging the Theory/Meta-Theory Gap in International Relations," *Review of International Studies*, vol. 17 (October 1991), p. 3

39 تتطابق حجتي مع نقد جان جاك روسو لهوبز. للاطلاع على نقد عميق للأدبيات الواقعية التي تستحضر روسو، ينظر:

Michael Williams, "Rousseau, Realism, and Realpolitik," *Millennium*, vol. 18 (Summer 1989), pp. 188-204;

يحتاج ويليامز بأن حالة مطاردة الأيل، بعيداً عن كونها نقطة انطلاق أساسية في حالة الطبيعة، مثلت بالنسبة إلى روسو مرحلة من مراحل سقوط الإنسان. في الصفحة 190، يستشهد ويليامز بوصف روسو للإنسان قبل مغادرته حالة الطبيعة قائلاً: "لا يعرف الإنسان إلا نفسه؛ ولا يرى رفايته الشخصية تتطابق أو تتعارض مع رفايته أي شخص آخر؛ ولا يكره شيئاً أو يحب شيئاً؛ ولكنه محدود بغريزته الجسدية فحسب، إنه لا أحد، إنه حيوان". وللإطلاع على نقد آخر لهوبز بشأن حالة الطبيعة مماثل لقراءتي البنائية للفوضى، ينظر:

Charles Landesman, "Reflections on Hobbes: Anarchy and Human Nature," in: Peter Caws (ed.), *The Causes of Quarrel* (Boston: Beacon, 1989), pp. 139-148.

40 يُعدُّ هذا الاقتراح إشكالياً من الناحية الإمبريقية، لأن سيرورة تصفية الاستعمار ودعم المجتمع الدولي اللاحق للعديد من دول العالم الثالث تشير إلى أن مجتمع الدول يشكّل حتى الطرائق التي يجري من خلالها تشكيل المادة الخام لـ "حالة الدولة الإمبريقية". ينظر: Robert Jackson & Carl Rosberg, "Why Africa's Weak States Persist: The Empirical and the Juridical in Statehood," *World Politics*, vol. 35 (October 1982), pp. 1-24.

هذا السلوك بوصفه سلوكاً حصيفاً بالنظر إلى احتمال الهلاك الناجم عن ارتكاب أحدهما أي خطأ. يظل هذا الاحتمال قائماً حتى في حالة المجتمع المدني؛ ومع ذلك، ستكون حالة المجتمع مستحيلة إذا اتخذ الأفراد قراراتهم بناءً على افتراض الاحتمالات الأسوأ. وبدلاً من ذلك، تتخذ معظم القرارات - وينبغي أن تتخذ - على أساس الاحتمالات التي تنتج من التفاعل، ومما يفعله الفاعلون.

في البداية، تأتي إيماءة من إيغو [أو الذات]، قد تتمثل، على سبيل المثال، في تقديم أو تراجع أو تلويح بسلاح أو إلقاء سلاح أو هجوم أو غيره⁽⁴⁸⁾. بالنسبة إلى إيغو، تمثل هذه الإيماءة الأساس الذي يهيئته للرد على آثر [أو الآخر] بناءً على تلك الإيماءة. ولأن هذا الأساس مجهول تماماً بالنسبة إلى إيغو، فليس أمامه إلا الاستدلال أو "إسناد معانٍ معينة" بشأن نيات إيغو وإن كانت تشكل تهديداً، خصوصاً بالنظر إلى أن الفوضى هي ما يسود ههنا⁽⁴⁹⁾. يتوقّف مضمون هذا الاستدلال إلى حد بعيد على اعتبارين: الأول هو الصفات الجسدية التي يتسم بها إيغو، والتي تنطوي على إيماءته الأولى؛ وهي صفات يفتعلها إيغو جزئياً، وتشمل اتجاه الحركة، وضجة الإيماءة، وتكرارها، وتبعاتها المباشرة⁽⁵⁰⁾. أما الاعتبار الثاني، فيتعلّق بما يقصده آثر بهذه الصفات إذا ما بدرت منه هذه الإيماءة بنفسه. وقد يرتكب آثر "خطأً" في إسناد معانٍ معينة إلى نيات إيغو عند استدلاله بشأن تلك النيات؛ لا يوجد مسوّغ يجعله يفترض مسبقاً، قبل الإيماءة، أن إيغو يشكل تهديداً؛ وذلك نظراً إلى أنه لا يمكن تحديد تكاليف الخطأ واحتمالاته، إلا من خلال المرور بسيرورة من إرسال الإشارات وتأويلها⁽⁵¹⁾. إن التهديدات الاجتماعية ليست طبيعية، بل يجري بناؤها.

48 يظل تحليل ميد للإيماءات مهماً. ينظر: Mead؛ ينظر أيضاً المناقشة بشأن دور الإيماءات في "ميكانيكا التفاعل"، في: Turner, pp. 74-79, 92-115.

49 للاطلاع على دور عمليات الإحالة في التفسيرات التفاعلية لتشكل الهوية، ينظر: Heldon Stryker & Avi Gottlieb, "Attribution Theory and Symbolic Interactionism," in: John Harvey et al. (eds.), *New Directions in Attribution Research*, vol. 3 (Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum, 1981), pp. 425-458; Kathleen Crittenden, "Sociological Aspects of Attribution," *Annual Review of Sociology*, vol. 9 (1983), pp. 425-446;

للاطلاع على عمليات الإحالة في العلاقات الدولية، ينظر: Shawn Rosenberg & Gary Wolfsfeld, "International Conflict and the Problem of Attribution," *Journal of Conflict Resolution*, vol. 21 (March 1977), pp. 75-103.

50 للاطلاع على مفهوم "الأداء المسرحي" في "تمثيلات الذات"، ينظر: Erving Goffman, *The Presentation of Self in Everyday Life* (New York: Doubleday, 1959);

وعن دور المظاهر في تعريف الموقف، ينظر: Gregory Stone, "Appearance and the Self," in: Arnold Rose (ed.), *Human Behavior and Social Processes* (Boston: Houghton Mifflin, 1962), pp. 86-118.

51 يعود الفضل في هذه المناقشة، بشأن دور الإمكانات والاحتمالات في إدراك التهديدات، إلى ملاحظات ستوارت جونسون على مسودة سابقة من هذه الدراسة.

التي يجري من خلالها تنظيم الأفعال من التفاعل نفسه⁽⁴⁵⁾. ومع ذلك، فإن الوضع الذي تجد الدول نفسها فيه، حين يواجه بعضها بعضاً أول مرة، قد لا تصمد فيه إلا مفاهيم الهوية المتمركزة على الذات؛ وإذا كان الأمر كذلك، وحتى لو كانت هذه المفاهيم مبنية اجتماعياً، فقد يكون الواقعيون الجدد محقّين حين يتعاملون مع الهويات والمصالح بوصفها ثابتة، ومن ثمّ فهم محقّون في منح الأولوية معنىً معيناً للبنية الفوضوية مقارنةً بالعمليات. وفي هذه الحالة، يصيب العقلانيون في المحاكمة من أجل مفهوم سلوكي ضعيف للفرق الذي تحدّته المؤسسات، وسيكون الواقعيون على حقّ حين يقولون إن أي مؤسسات دولية يجري إنشاؤها ستكون بطبيعتها غير مستقرة؛ لأنها، من دون القدرة على تحويل الهويات والمصالح، ستكون "موضوعات مستمرة للاختيار" بالنسبة إلى فاعلين خارجيين المنشأ، لا يقيدهم سوى تكاليف المعاملات المتعلقة بتغيير السلوك⁽⁴⁶⁾. بعبارة أخرى، قد تحدّد الفوضى من التفاعل على نحو حاسم، حتى في وجود دور سببي ميسّر؛ ومن ثمّ فإنها تحدّد من أشكال النظرية النظامية القابلة للتطبيق. سأتناول هذه القضايا السببية: أولاً، من خلال بيان كيفية تطور الأفكار الأمنية المتمركزة حول الذات؛ ثمّ، ثانياً، من خلال فحص الظروف التي قد يدفع فيها سبب فعّال رئيس، مثل الافتراس Predation، دولاً في هذا الاتجاه دون غيره.

تميل مفاهيم الذات والمصلحة إلى أن "تعكس" مع مرور الوقت ممارسات الآخرين. ويتجسد مبدأ تشكّل الهوية هذا في مفهوم "الذات المرأة" Looking-Glass Self، المستقى من التفاعلية الرمزية، الذي يؤكد أن الذات هي انعكاس لثنائية الفاعل الاجتماعية.

لنتأمّل مثلاً فاعليْن - إيغو [الذات Ego] وآثر [الآخر Alter] - يتقابلان أول مرة⁽⁴⁷⁾، وكلاهما يبتغيان البقاء ولديهما قدرات مادية معينة؛ ولا أحد منهما يحوز دوافع بيولوجية أو داخلية للسلطة أو النفوذ أو المجد أو الغزو؛ ولا يجمعهما أي تاريخ من الأمن أو انعدامه. فماذا ينبغي أن يفعلوا؟ قد يرجّح الواقعيون أن على كلّ منهما أن يتصرف بناءً على افتراض الأسوأ بشأن نيات الآخر، ويبررون

45 ينظر:

Blumer, "The Methodological Position of Symbolic Interactionism," pp. 2-4

46 ينظر:

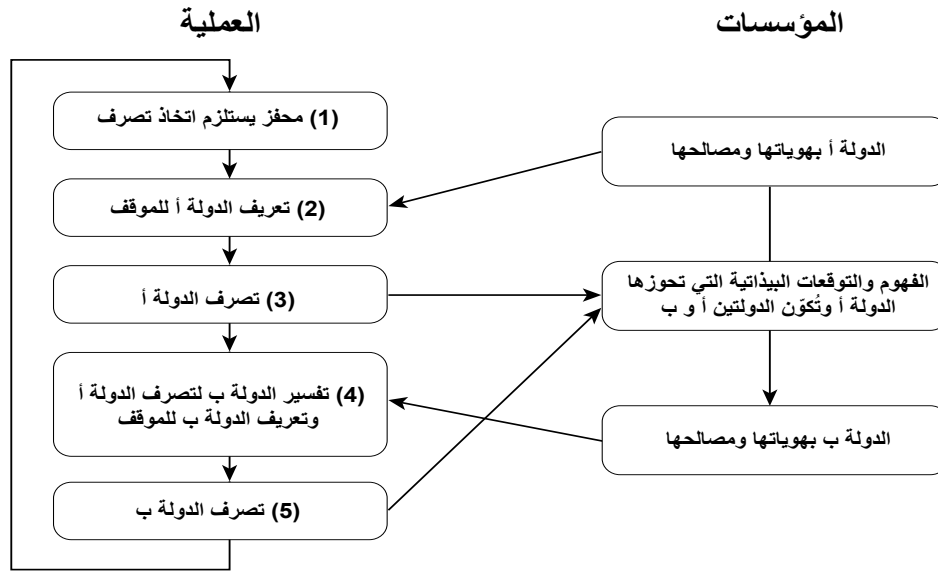
Robert Grafstein, "Rational Choice: Theory and Institutions," in: Kristen Monroe (ed.), *The Economic Approach to Politics* (New York: Harper Collins, 1991), pp. 263-264;

يقدم روبرت كيوهن مثالاً جيّداً لوعود مقاربات تكاليف المعاملات وقيودها في التحليل المؤسسي، ينظر:

Robert Keohane, *After Hegemony* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984).

47 هذا الموقف ليس مجازياً تماماً في السياسة العالمية؛ إذ لطالما "اكتشفت" الدول بعضها بعضاً عبر التاريخ؛ ما ولّد فوضى عارمة. وسيكون من المفيد إجراء دراسة إمبريقية ممنهجة عن الاتصالات الأولى.

شكل يوضح التحديد المشترك للمؤسسات والعمليات



تستكمل هذه السيرة، التي تنطوي على إرسال الإشارات أو الإيماءات وتأويلها والاستجابة لها، "فعلاً اجتماعياً" ما وتبدأ سيرة خلق معان بيندائية؛ وهي سيرة تتقدم مراحلها بالطريقة نفسها. تنشأ عن الفعل الاجتماعي الأول توقعات لدى كلا الطرفين بشأن سلوك في المستقبل، بيد أن هذه التوقعات من المحتمل أن تكون خاطئة، ومن المؤكد أنها مؤقتة، إلا أنها تظل توقعات. ويرسل إيغو [أو الذات]، بناءً على هذه المعرفة المؤقتة، إيماءة جديدة تشير، مرة أخرى، إلى الأساس الذي سيرد بناءً عليه على الآخر، وسيستجيب آتراً [أو الآخر] لها مرة أخرى؛ ما يضيف إلى رصيد المعرفة التي يحوزها كل منهما عن الآخر، وهكذا دواليك مع مرور الوقت. وتتمثل الآلية هنا في التعزيز؛ إذ يكافئ فيها التفاعل الفاعلين على تبني أفكار معينة بعضهم عن بعض، ويشيهم عن تبني أفكار أخرى. وإذا تكررت هذه "التصنيفات المتبادلة" خلال فترة كافية، فإنها ستنشئ مفاهيم مستقرة نسبياً لدى الذات والآخر فيما يتعلق بالقضية التي تشكل موضوع التفاعل⁽⁵³⁾.

إننا، بعبارة أخرى، ومن خلال التفاعل المتبادل، ننشئ ونجسد البنى الاجتماعية الراسخة نسبياً، والتي على أساسها نعرّف هوياتنا ومصالحنا. يلخص جيف كولتر اعتماد البنية على السيرة من

دعونا نتأمل مثلاً على ذلك. هل نفترض، مسبقاً، أننا على وشك التعرض للهجوم، إذا ما تواصلت معنا كائنات من حضارة فضائية؟ لا أعتقد ذلك. سنكون طبعاً في حالة تأهب شديد، ولكن خيار وضع قواتنا العسكرية في حالة تأهب، أو دفعها لشنّ هجوم، سيعتمد على كيفية تأويلنا للإيماء الأولى الواردة من تلك الكائنات، وإن كانت تمثل تهديداً لأمننا - ولو لمجرد تجنب تحويل ما قد يكون خصماً خطيراً إلى عدو مباشر. بعبارة أخرى، لا يجبرنا احتمال الخطأ على التصرف بناءً على افتراض أن الكائنات الفضائية تشكل تهديداً؛ فالتصرف يعتمد على الاحتمالات التي نحددها، والتي تعتمد في جزء كبير منها على ما تفعله الكائنات الفضائية؛ إذ إننا، قبل إيماءتها الأولى، لا نحوز أي أساس منهجي نحدد على أساسه الاحتمالات. فإذا كانت إيماءتهم الأولى تكمن في القدوم بألف مركبة فضائية وتدمير مدينة نيويورك، فسنعرّف الموقف على أنه تهديد وسنرد بناءً على ذلك. أما إذا قدموا بمركبة فضائية واحدة وهم يرددون ما فحواه أنهم "قدموا في سلام"، فسنشعر "بالطمأنينة"، وقد نردّ عليهم بإيماءة تهدف إلى طمأننتهم، حتى إن لم يفسروها بالضرورة على هذا النحو⁽⁵²⁾.

52 عن دور "الطمأنينة" في مواقف التهديد، ينظر:

Richard Ned Lebow & Janice Gross Stein, "Beyond Deterrence," *Journal of Social Issues*, vol. 43, no. 4 (1987), pp. 5-72.

53 عن "التصنيفات القائمة على المعاملة بالمثل"، ينظر:

Berger & Luckmann, *The Social Construction of Reality*, pp. 54-58.

لا نبدأ علاقتنا مع الغرباء في ظلّ معضلة أمنية؛ فمعضلات الأمن لا تنتج من الفوضى أو الطبيعة. بطبيعة الحال، قد يصعب تغيير مثل هذه المعضلة بمجرد مأسستها (وسأعود إلى هذه المسألة لاحقاً)، ولكن المسألة الأساسية تظل قائمة: فالهويات والمصالح تتشكل على نحو تشاركي من خلال معانٍ جماعية تظل دوماً في طور التشكل وإعادة التشكل. وكما أكد شيلدون سترايكر، "السيرورة الاجتماعية هي سيرورة بناء وإعادة بناء للذات والعلاقات الاجتماعية"⁽⁵⁸⁾. وإذا ما وجدت الدول نفسها في نظام قائم على الاعتماد على النفس، فذلك لأن ممارساتها هي التي جعلتها كذلك. أما تغيير الممارسات فمن شأنه أن يؤدي، من ثم، إلى تغيير المعرفة البينذاتية التي تشكل النظام.

3. الدول المفترسة والفوضى بوصفها سبباً ميسراً

تقدم نظرية المرأة، التي تتناول تشكّل الهوية، تفسيراً أولياً للكيفية التي تتطور من خلالها سيرورة إنشاء الهويات والمصالح، لكنها لا توضح السبب الذي قد يدفع نظاماً دولياً، مثل النظام القائم إن صح هذا الجدل، إلى تكوين هويّات أنانية بدلاً من هويات جماعية. سأفحص في هذا القسم الافتراض بوصفه سبباً فحلاً قد يولد، إذا ما اقترن مع الفوضى بوصفها سبباً ميسراً، نظاماً قائماً على الاعتماد على النفس. ومع ذلك، سأبيّن، من خلال ذلك، الدور الرئيس الذي تؤديه بنية الهويات والمصالح بوصفها وسيطاً لدور الفوضى التفسيري.

إن حجة الافتراض واضحة ومقنعة؛ إذ يمكن أن تغدو بعض الدول ميالةً بطبعها إلى العدوان بغض النظر عن أسباب ذلك، سواء أكانت بيولوجية أم ناجمة عن سياسة داخلية أم ناجمة عن مظلومية ممنهجة. إن السلوك العدواني الذي تنتهجه الدول المفترسة Predator، أو ما يطلق عليها أحياناً "التفاحات الفاسدة"، قد يجبر الدول الأخرى على تبني سياسة قوة تنافسية والردّ بالمثل، إذ إن امتناعها عن ذلك قد يؤدي إلى إضعافها أو حتى تدميرها بالكامل. وقد تتفوق دولة مفترسة واحدة على مئة دولة مسالمة، فلا وجود لأي ضمانات في ظل الفوضى. وتُعزى قوة هذه الحجة جزئياً إلى أنها ضعيفة للغاية؛ فبدلاً من تبني الافتراض القويّ القائل إن جميع الدول تسعى بطبيعتها للقوة (وهي نظرية اختزالية بحثة لسياسة القوة)، فإنها تفترض سعي دولة واحدة فقط للقوة وأنّ على الدول الأخرى أن تحذو حذوها؛ لأنّ الفوضى تسمح للدولة المفترسة باستغلال الدول الأخرى.

الناحية الأنطولوجية على النحو التالي: "لا تجري إعادة إنتاج معايير التنظيم الاجتماعي نفسها إلا من خلال توجهات وممارسات الأعضاء المنخرطين في التفاعلات الاجتماعية بمرور الزمن [...] فالتشكيلات الاجتماعية ليست 'موضوعية' مثل الجبال أو الغابات، ولكنها ليست 'ذاتية' مثل الأحلام أو التخييلات. إنها، مثلما يقرّ معظم دارسي العلوم الاجتماعية على المستوى النظري، أبنية بينذاتية"⁽⁵⁴⁾.

ينطبق النموذج الإجمالي المبسط لتشكّل الهويات والمصالح، المقترح في الشكل، على المؤسسات التنافسية تماماً، كما ينطبق على المؤسسات التعاونية. تتطور الأنظمة الأمنية القائمة على الاعتماد على النفس، من خلال دورات تفاعل يتصرف فيها كل طرف بطرائق تُشعر الآخر بأنها تهدّد ذاته؛ ما يفضي إلى توقعات مفادها أن الآخر غير جدير بالثقة. وتنشأ الهويات التنافسية أو الأنانية عن انعدام الأمن هذا؛ إذ تضطر الذات، إذا كان الآخر يشكل تهديداً لها، إلى "محاكاة" مثل هذا السلوك في تصوّرها لعلاقة الذات بالآخر⁽⁵⁵⁾. إن التعامل مع الذات، بوصفها مجرد هدف لإرضاء الآخرين، من شأنه أن يحوّل دون تعريف الآخرين على نحو إيجابي، وهو أمر ضروري للأمن الجماعي؛ وخلاف ذلك، إن التعامل معها بطرائق تنطوي على تعاطف مع أمن الذات من شأنه أن يسمح بمثل هذه الطريقة الإيجابية في تعريف الآخر⁽⁵⁶⁾.

تُعَدُّ أنظمة التفاعل التنافسية عرضةً لـ "المعضلات" الأمنية؛ إذ تشكل مساعي الفاعلين لتعزيز أمنها من جانب واحد تهديداً لأمن الآخرين؛ ما يفضي إلى استمرار انعدام الثقة والاعتراّب. ومع ذلك، فإن أشكال الهويات والمصالح التي تشكل مثل هذه المعضلات لَهي في حد ذاتها آثار مستمرة للتفاعل، وليست خارجية المنشأ أو مستقلة عنه؛ إذ يجري إنشاء الهويات أثناء "نشاط محدد بعينه" ومن خلاله⁽⁵⁷⁾. إننا

54 Jeff Coulter, "Remarks on the Conceptualization of Social Structure," *Philosophy of the Social Sciences*, vol. 12 (March 1982), pp. 42-43.

55 قدمت مقالات نوبل كوبلوفيتز التالية إسهاماً كبيراً في غمط التفكير هذا عن العلاقات الدولية:

Noel Kaplowitz, "Psychopolitical Dimensions of International Relations: The Reciprocal Effects of Conflict Strategies," *International Studies Quarterly*, vol. 28 (December 1984), pp. 373-406; Noel Kaplowitz, "National Self-Images, Perception of Enemies, and Conflict Strategies: Psychopolitical Dimensions of International Relations," *Political Psychology*, vol. 11 (March 1990), pp. 39-82.

56 هذه الحجج شائعة في نظريات الترجسية والإيثار. ينظر: Heinz Kohut, *Self-Psychology and the Humanities* (New York: Norton, 1985); Martin Hoffmann, "Empathy, Its Limitations, and Its Role in a Comprehensive Moral Theory," in: William Kurtines & Jacob Gewirtz (eds.), *Morality, Moral Behavior, and Moral Development* (New York: Wiley, 1984), pp. 283-302.

57 C. Norman Alexander & Mary Glenn Wiley, "Situating Activity and Identity Formation," in: Morris Rosenberg & Ralph Turner (eds.), *Social Psychology: Sociological Perspectives* (New York: Basic Books, 1981), pp. 269-289.

58 Sheldon Stryker, "The Vitalization of Symbolic Interactionism," *Social Psychology Quarterly*, vol. 50 (March 1987), p. 93.

أمن كلٍّ منهم بأمن الآخرين. ترتبط الهويات والمصالح بالعلاقات وتحدّد بها، ولكنها ليست سمات جوهرية لـ "محفظة" تعريفية ما Portfolio؛ فقد تكون الدول متنافسة في بعض العلاقات ومتضامنة في أخرى. وتُعدّ حالات الفوضى "الناضجة" أقلّ قابلية للتراجع إلى حالة هوبزية مقارنةً بحالات الفوضى "غير الناضجة"؛ والنضج الذي يتمثّل في تطور بنى الهويات والمصالح ليس سوى نتاج السيورة⁽⁵⁹⁾.

ويُعدّ مصدر الافتراض مهمًّا أيضًا؛ فإذا كان نابعًا من أسباب كامنة في مستوى الوحدة، التي تكون في مأمن من التأثيرات النظامية (أسباب مثل الطبيعة البشرية أو السياسة الداخلية إذا أخذت بمعزل عن الأسباب الأخرى)، فإنه يعمل بطريقة تشبه "السمة الجينية" المتأصلة في عالم نظام الدول المبني بناءً اجتماعيًا. وحتى في حالة نجاحها، فإن هذه السمة لا تنتقي دولًا مفترسة أخرى بالمعنى التطوري، بقدر ما تعلّمها الاستجابة والردّ بالمثل. وبما أن هذه السمات المتعلّمة لا يمكن تجاهلها، فإن الدول الأخرى ستستمر في سلوكها التنافسي إلى أن يتم تدمير الدولة المفترسة، أو إلى أن تتغير من الداخل. مع ذلك، وفي الحالة الأكثر ترجيحًا، ينبع الافتراض جزئيًا على الأقل من تفاعل نظميّ سابق، ربما نتيجةً لمظلومية من الماضي (لا يسعنا هنا إلا أن نستحضر ألمانيا النازية أو الاتحاد السوفياتي). في هذه الحالة تكون الاستجابة لهويّة مكتسبة بالتعلّم؛ إذ يمكن أن تتحوّل من خلال التفاعل الاجتماعي مستقبلًا إلى استرضاء وطمأنينة بأن الاحتياجات الأمنية سُلّبي، وإلى تأثيرات نظامية في السياسة الداخلية، وما إلى ذلك. بعبارة أخرى، ثمة أمل أكبر، في هذه الحالة، في أن تتمكن السيورة من تحويل التفاحة الفاسدة إلى تفاحة جيدة.

يتّسق دور الافتراض في توليد نظام قائم على الاعتماد على النفس، إذًا، مع التركيز النظامي على السيورة، فحتى لو كان مصدر الافتراض خارجيًا تمامًا عن النظام من ناحية المنشأ، فإن ما تفعله الدول هو ما يحدد نوعية تفاعلاتها في ظل الفوضى. وفي هذا الصدد، من غير المستغرب أن يكون الواقعيون الكلاسيكيون، لا الواقعيون البنيويون، هم من يركّزون على هذا النوع من الحجج. إنّ تركيز الواقعيين الكلاسيكيين على أسباب سياسة القوة الكامنة في مستوى الوحدة والعناصر الداخلية يفضي بسهولة أكبر إلى وجهة نظر ميسرة لدور الفوضى التفسيري (ومن ثم إلى نظرة إلى العلاقات الدولية تركّز على السيورة) مقارنةً بتركيز الواقعيين البنيويين على الفوضى بوصفها

من المهم، عند طرح هذه الحجة، إعادة تأكيد أن احتمال التعرض للافتراض في حد ذاته لا يجبر الدول على توقعه مسبقًا بانتهاج سياسة قوة تنافسية خاصة بها. ولا يعني احتمال التعرض للافتراض "أنّ الحرب قد تنشب في أي لحظة"، بل إن نشوبها في الواقع قد يكون مستبعدًا للغاية. ومع ذلك، فقد يهيئ مجرد ظهور دولة مفترسة تكوين الهويات والمصالح على النحو التالي.

إذا كانت حالة الفوضى مكوّنة من طرفين، وكانت الذات هي الطرف المفترس، فإنه يتعيّن على الطرف الآخر حينها إما أن يعرف أمنه بمقتضى مبدأ الاعتماد على النفس وإما أن يدفع الثمن. وينبثق هذا مباشرةً من الحجة المطروحة، القائلة إن مفاهيم الذات تعكس معاملة الآخر لها. أما في حالة الفوضى المكوّنة من أطراف عديدة، فيعتمد تأثير الافتراض أيضًا على مستوى الهوية الجماعية المكتسبة سلفًا في النظام. وإذا حدث الافتراض مباشرة بعد أول لقاء في حالة الطبيعة، فسيجبر الآخرين عند تعاملهم معه على الدفاع عن أنفسهم فرادى أولاً، ثم على نحو جماعي عندما يدركون وجود تهديد مشترك. أما ظهور مثل هذا التحالف الدفاعي، فسوف يجري لجمه بشدّة إذا كانت بنية الهويات والمصالح قد تطوّرت سلفًا إلى عالم هوبزي يتسم بانعدام الأمن المطلق؛ لأن الحلفاء المحتملين سيفتقرون إلى الثقة المتبادلة، وسيواجهون صعوبات جمّة في تنسيق الإجراءات الجماعية؛ بل قد تنشأ الخلافات بينهم، بوصفهم أطرافًا غير آمنين، ما إن يتمّ القضاء على الدولة المفترسة. أما إذا كانت هوية الأمن الجماعي قوية متماسكة، فإن أضرار ظهور دولة مفترسة قد تكون أقلّ كثيرًا؛ فإذا هاجمت هذه الدولة أحد أعضاء مجموع الدول، فسيهتّب المجموع للدفاع عن الضحية وفقًا لمبدأ "الكلّ من أجل الواحد والواحد من أجل الكل"، حتى إن لم تكن الدولة المعتدية تمثّل تهديدًا فعليًا لبقية الأعضاء. وإذا لم تكن الدولة المفترسة قوية بما يكفي للصوص في وجه مجموع الدول، فسوف تتعرض للهزيمة ويتحقق الأمن الجماعي. أما إذا كانت قوية بما فيه الكفاية، فسيفعّل منطق حالة الفاعلين (الدولة المفترسة ومجموع الدول)، كما ستعيد سياسة توازن القوى ترسيخ نفسها بنفسها.

لذلك، يُعدّ توقّيت ظهور الافتراض، نسبة إلى تاريخ تشكّل الهوية في المجتمع، مسألة مهمة في فهم دور الفوضى التفسيري بوصفه سببًا ميسرًا. يقود الافتراض دائمًا الضحايا إلى الدفاع عن أنفسهم، ولكن نوع الدفاع، إن كان جماعيًا أم منفردًا، يتوقف على تاريخ التفاعل داخل مجموع الدول المحتمل بقدر ما يتوقّف على طموحات الدولة المفترسة. هل سيجدد زوال التهديد السوفياتي مخاوف انعدام الأمن القديمة بين أعضاء حلف شمال الأطلسي؟ ربما، ولكن ذلك لن يحدث إذا كانت لديهم أسباب مستقلة عن هذا التهديد تدفعهم إلى ربط

59 للمزيد عن "نضج" حالات الفوضى، ينظر:

Barry Buzan, *People, States, and Fear* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1983).

وتعني التشيئة أن الإنسان قادر على نسيان أنه هو من يُولف العالم البشري Authorship، وأن جدلية الإنسان، أي المنتج، ومنتجاته قد غيَّبت عن الوعي. إن العالم المقيَّد [...] يختبره الإنسان بوصفه حقيقة غريبة، فيجعله نتاجاً غريباً عنه ولا يحوز أي سيطرة عليه، لإنتاج نشاطه الخاص به⁽⁶²⁾. بعبارة أخرى، يتجاهل التحالف الواقعي - العقلاني، بإنكاره فكرة أن الدول تشكل هوياتها ومصالحها على نحو جماعي، حقيقة أن سياسة القوة التنافسية تساهم في خلق "مشكلة النظام" Order نفسها التي من المفترض أنها تحلها؛ ويعني ذلك أن الواقعية نبوءة تتحقق من تلقاء نفسها. وبعيداً عن كونها معطى خارجي المنشأ، تُبنى المعرفة البينذاتية التي تشكل الهويات والمصالح التنافسية، وتُبنى يوماً بعد يوم من خلال سيرورات "تكوين الإرادة الاجتماعية"⁽⁶³⁾. إنها ما صنعتها الدول من نفسها.

ثانياً: التحولات المؤسسية لسياسة القوة

نفترض أن عمليات تشكيل الهويات والمصالح أنشأت عالمًا لا تعترف فيه الدول بالحق في إقليم ترابي أو الحق في الوجود، عندئذٍ، ستتشب حرب الجميع ضد الجميع. وفي هذا العالم، تحمل الفوضى معنى "واقعيًا" لسلوك الدولة: انعدام الأمن والانشغال بالقوة النسبية. ولا تحمل الفوضى هذا المعنى، إلا في أثناء ممارسات جماعية تنتج انعدام الأمن؛ وإذا كانت هذه الممارسات مستقرة نسبياً، فإنها ستشكل نظاماً من شأنه مقاومة التغير. بعبارة أخرى، لا توفر الحقيقة القائلة إن عوالم سياسة القوة مبنية اجتماعياً أي ضمانات لأن تكون قابلة للتغيير، وذلك لمُسوّغين على الأقل.

يكمن المسوّغ الأول في أن أي نظام اجتماعي ما إن يتشكل، فإنه يواجه كل عضو من أعضائه بوصفه - أي النظام الاجتماعي - حقيقة اجتماعية موضوعية تعزز أنماطاً معينة من السلوك وتقوّض أخرى. فمثلاً، تميل أنظمة الاعتماد على النفس إلى مكافأة سلوك التنافس ومعاينة سلوك الإيثار. وتتوقف إمكانية التغير على سماح شروط هذا التنافس بظهور أفعال لا تتسق مع النمط السلوكي الذي يمليه النظام،

"سبباً بنيوياً"⁽⁶⁰⁾؛ ولا يحتاج الواقعيون الجدد إلى فكرة الافتراض، لأنهم يتعاملون مع طبيعة النظام القائمة على الاعتماد على النفس بوصفها معطى.

يثير ذلك من جديد مسألة الدور الذي تؤديه الطبيعة البشرية والسياسة الداخلية في تشكيل السياسة العالمية من حيث مدى هذا الدور ونوعه؛ إذ إنه كلما كان هذا الدور أكبر وأشدّ تدميراً، كان الافتراض أشدّ وطأة، وكانت الفوضى أقل قابلية لتشكيل هويات جماعية. لقد افترض الواقعيون الكلاسيكيون، بطبيعة الحال، أن التعطش الفطري للسلطة أو المجد يستبد بالطبيعة البشرية. ولكني أحاج بأن مثل هذه الافتراضات وُضعت لسبب وجيه؛ فالإنسان الهوبزي، الذي لا تتغير طبيعته الهوبزية، يوفر السبب القويّ الفعّال واللازم لتشاؤم لا هوادة فيه بشأن السياسة العالمية، وهو تشاؤم لا يمكن أن توفره البنية الفوضوية وحدها، بل لا يمكن أن توفره البنية الفوضوية حتى إن صاحبها سلوك الاعتداء بين الفينة والأخرى. يمكن المرء، مثلي تماماً، أن يشكك في مثل هذا الافتراض الجوهراني، لكن ذلك لا يؤدي إلى نتائج حاسمة على حساب النظرية النظامية. فالتركيز على السيرة النظامية بدلاً من البنية النظامية يشير إلى أن الوقت قد حان لإعادة النظر في النقاش بشأن الأهمية النسبية لنظريات الصورة الأولى والثانية والثالثة لتشكّل هوية الدولة⁽⁶¹⁾.

إذا افترضنا مؤقتاً أن النظريات النظامية الخاصة بتشكّل الهوية في السياسة العالمية تستحق مساعي بنائها، فدعوني أختتم باقتراح القول إن التحالف الواقعي - العقلاني "يشيئ" الاعتماد على النفس، بمعنى أنه يعامله بوصفه ممارسةً مستقلةً ومنفصلةً عن الممارسات التي يجري من خلالها إنتاجها والمحافظة عليه. يعرف بيتر بيرغر وتوماس لوكمان التشيئة على النحو التالي: "[إنها] إدراك منتجات نشاط الإنسان كما لو أنها ليست من صنعه - مثل حقائق الطبيعة المسلم بها أو نتائج القوانين الكونية أو تجليات الإرادة الإلهية.

60 قد تكون غمة فكرة مشابهة وراء جهود أشلي لإعادة استحضار الخطاب الواقعي الكلاسيكي في نظرية العلاقات الدولية النقدية. ينظر: Richard Ashley, "Political Realism and Human Interests," *International Studies Quarterly*, vol. 38 (June 1981), pp. 204-236.

61 ساهم والتز نفسه في إطلاق مثل هذا النقاش من خلال إقراره بأن العوامل النظامية تضع شروطاً على تصرفات الدولة، لكنها لا تحددها. ينظر: Kenneth Waltz, "Reflections on Theory of International Politics: A Response to My Critics," in: Robert Keohane (ed.), *Neorealism and Its Critics* (New York: Columbia University Press, 1986), pp. 322-345;

إن الأدبيات المتنامية عن الملاحظة القائلة إن "الديمقراطيات لا يحارب بعضها بعضاً" وثيقة الصلة بهذه المسألة، كما هو حال دراستين أخريين تفتتحان آفاقاً مهمة نحو نظرية "اختزالية" عن هوية الدولة:

William Bloom, *Personal Identity, National Identity and International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990); Lumsdaine.

62 ينظر:

Berger & Luckmann, *The Social Construction of Reality*, p. 89; Douglas Maynard & Thomas Wilson, "On the Reification of Social Structure," in: Scott McNall & Gary Howe (eds.), *Current Perspectives in Social Theory*, vol. 1 (Greenwich, CT: JAI Press, 1980), pp. 287-322.

63 ينظر:

Richard Ashley, "Social Will and International Anarchy," in: Hayward Alker & Richard Ashley (eds.), *After Realism*, work in progress, Massachusetts Institute of Technology, Cambridge, and Arizona State University, Tempe, 1992.

الآن التفضيلات التي سيختارونها لاحقاً⁽⁶⁷⁾. وهذا يعني أن تلك الخيارات قد لا تمارس بدرجات معقولة من الحرية. قد يكون هذا تبريراً بنائياً للموقف الواقعي القائل إن التعلّم البسيط وحده الممكن في ظل أنظمة الاعتماد على النفس. وقد يقرّ الواقعيون أن مثل هذه الأنظمة مبنية اجتماعياً، إلا أنهم سيحاولون بأن الهويات، وما يقابلها من مصالح بعد أن تصبح ممأسسة، حينئذ، سيكون تحويلها أو تغييرها شبه مستحيل.

سأفحص فيما تبقي من هذه الدراسة ثلاثة تحولات مؤسسية للهوية والمصالح الأمنية، تمكّن الدول من الفكك من عالم هوبزي من صنعها الذاتي. وبذلك، أسعى لتوضيح ما يعنيه قولنا إن "المؤسسات تحوّل الهويات والمصالح"، مؤكّداً أن مفتاح مثل هذه التحولات يكمن في ممارسة مستقرة نسبياً.

1. السيادة والاعتراف والأمن

في حالة الطبيعة الهوبزية، تكتسب الدول طبيعتها الفردانية من خلال السيرورات الداخلية التي تشكلها بوصفها دولاً، ومن خلال قدرتها المادية على ردع تهديدات الدول الأخرى. أما في هذا العالم، فحتى لو كانت الدول في مأمن مؤقت من اعتداءات الآخرين، فإن أمنها لا يستند إلى أي أساس في الاعتراف الاجتماعي، وفي الفهم أو المعايير البيّناتية التي تقرّ بحق الدولة في الوجود، وفي إقليمها وسيادتها على رعاياها. فالأمن، في هذا السياق، يُختزل في معادلة القوة الوطنية وحدها.

يغيّر مبدأ السيادة هذا الوضع، من خلال توفيره أساساً اجتماعياً لسمة الدول الفردية وأمنها. وبما أن السيادة مؤسسة، فإنه لا وجود لها إلا بفضل فهم وتوقعات بينذاتية محددة؛ فلا سيادة من دون سيادة أخرى. لا تشكل هذه الفهم والتوقعات نوعاً معيّناً من الدولة - الدولة "ذات السيادة" - فحسب، بل إنها تمثّل أيضاً شكلاً معيّناً من المجتمعات؛ لأنّ الهويات ذات طبيعة علائقية. وجوهر هذا المجتمع يكمن في الاعتراف المتبادل بحق كل طرف في ممارسة سلطة سياسية حصرية ضمن حدود إقليمه الترابي. وتشكّل هذه "الأذن" Permissions المتبادلة⁽⁶⁸⁾ عالماً متميّزاً من الناحية المكانية لا من الناحية الوظيفية؛ إنه عالمٌ تتشكل فيه مجالات الممارسة وتنظم حول مجالات "محلية" و"دولية"، بدلاً من أن تنظم حول أداء أنشطة

ففي حال غياب هذا الهامش يعاد إنتاج النظام نفسه من دون إعادة إنتاج الفاعلين الذين لا يمثلون لذلك النمط⁽⁶⁴⁾.

أما المسوّغ الثاني فيكمن في أن مصالح الفاعلين، المتمثلة في الحفاظ على الاستقرار النسبي للأدوار التي تؤديها الهويات، قد تكبح التغيير النظامي وتعوّقه. ولا تتجذّر هذه المصالح فحسب في الرغبة في تقليل القلق وانعدام اليقين، التي تتجلى في جهود تأكيد المعتقدات القائمة بشأن العالم الاجتماعي، بل تتجذّر أيضاً في الرغبة في تجنب التكاليف المتوقعة عند الإخلال بالالتزامات التي يتعهد بها الفاعل للآخرين، لا سيما تلك التي يتعهد بها الفاعل لقواعده الانتخابية ولحلفائه الخارجيين في حالة الدول، بوصفها جزءاً من ممارسات سابقة. وأما مستوى المقاومة التي تثيرها هذه الالتزامات فيعتمد على "بروز" هويات الأدوار المحددة للفاعل⁽⁶⁵⁾. فمثلاً، من المرجح أن تقاوم الولايات المتحدة التهديدات التي تشكّل خطراً على هويتها بوصفها "قائدةً للحملات المناهضة للشيوعية" أكثر من دفاعها عن هويتها بوصفها "مدافعاً عن حقوق الإنسان". ومن المرجح أن تؤدي الممارسات والمعلومات التي تتحدّى تقريباً أي دور للهويات إلى خلق تنافر إدراكي وحتى تصوراتٍ بشأن التهديدات، وقد يفضي ذلك إلى مقاومة تحولات الذات وتغيّرها، ومن ثمّ مقاومة التغيير الاجتماعي⁽⁶⁶⁾.

وبفعل مسوّغات نظامية و"سيكولوجية"، قد تتسمّ الفهم والتوقعات البيّناتية بخاصية تديم نفسها بنفسها، مشكّلة حالات من التبعية للمسار تعوّق تقبّل الأفكار الجديدة عن الذات والآخر أو تجاوزها. ولا يغيّر هذا من حقيقة أن الفاعلين ينتجون، من خلال الممارسة، الهويات والمصالح ويعيدون إنتاجها باستمرار؛ إذ إنهم "يختارون

64 ينظر:

Ralph Turner, "Role-Taking: Process Versus Conformity," in: Rose (ed.), pp. 20-40; Judith Howard, "From Changing Selves Toward Changing Society," in: Howard & Callero, pp. 209-237.

65 عن العلاقة بين الالتزام والهوية، ينظر:

Foot; Howard Becker, "Notes on the Concept of Commitment," *American Journal of Sociology*, vol. 66 (July 1960), pp. 32-40; Stryker, *Symbolic Interactionism*;

حول أهمية الدور، ينظر: Stryker, *Symbolic Interactionism*.

66 عن التهديدات التي تشمل الهويات وأنواع المقاومة التي قد تنتج منها، ينظر:

Glynis Breakwell, *Coping with Threatened Identities* (London: Methuen, 1986); Terrell Northrup, "The Dynamic of Identity in Personal and Social Conflict," in: Louis Kreisberg et al. (eds.), *Intractable Conflicts and Their Transformation* (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1989), pp. 55-82;

وللحصول على لمحة واسعة عن مقاومة التغيّر، ينظر:

Timur Kuran, "The Tenacious Past: Theories of Personal and Collective Conservatism," *Journal of Economic Behavior and Organization*, vol. 10 (September 1988), pp. 143-171.

67 James March, "Bounded Rationality, Ambiguity, and the Engineering of Choice," *The Bell Journal of Economics*, vol. 9 (Autumn 1978), p. 600.

68 Haskell Fain, *Normative Politics and the Community of Nations* (Philadelphia: Temple University Press, 1987).

مُعزّل عن الممارسة⁽⁷²⁾. وهكذا، فالقول إن "مؤسسة السيادة تحول الهويات وتغيرها" إنما هو اختصار للقول إن "الممارسات المنتظمة تنتج هويات ذات سيادة (فاعلين) ومعاييرها المؤسسية (بنى) تشكل إحداها الأخرى". إن الممارسة هي جوهر الحلول البنائية لمشكلة الفاعل - البنية. وقد لا تمثل هذه السيرة المستمرة أي مشكلة من الناحية السياسية في سياقات تاريخية محددة؛ بل مجرد تشكّل مجتمع قائم على الاعتراف المتبادل، قد يكون لأعضائه، حتى المحرومون من مزاياه⁽⁷³⁾، مصلحة راسخة في إعادة إنتاجه. وفي الواقع، هذا جزء من معنى الهوية. لكن هذه الهوية والمؤسسة تظلّان رهناً بما يفعله الفاعلون: فزوال تلك الممارسات سيؤدي زوال الشروط البينداتية لوجودها.

لعلّ ذلك يعلمنا شيئاً عن كيفية إعادة إنتاج مؤسسات الدول ذات السيادة من خلال التفاعل الاجتماعي، لكنه لا يخبرنا أي شيء عن سبب نشوء بنى الهويات والمصالح هذه في المقام الأول. قد يبدو ثمة شرطان ضروريان لحدوث ذلك: 1. يجب أن تكون كثافة التفاعلات وانتظامها عاليين بما فيه الكفاية؛ 2. يجب أن يكون الفاعلون غير راضين عن أشكال الهويات والتفاعلات القائمة مسبقاً. وتوافر هذين الشرطين، يكون معيار الاعتراف المتبادل نسبياً غير متطلب من ناحية الثقة الاجتماعية؛ إذ يتخذ شكل لعبة ضمان Assurance Game يعترف فيها لاعب بسيادة اللاعبين الآخرين، ما داموا يعترفون بسيادته. وقد يساعد أيضاً صوغ مبادئ قانونية دولية، مثل تلك المتضمنة في صلح أوغسبورغ (1555) و صلح وستفاليا (1648)، من خلال وضع معايير صريحة لتحديد انتهاكات التوافق الاجتماعي الناشئ⁽⁷⁴⁾. ويعتمد صمود مثل هذا التوافق على ما تفعله الدول، فإذا عاملت بعضها بعضاً على أنها ذات سيادة، فإنها بمرور الوقت

72 ينظر:

Richard Ashley, "Untying the Sovereign State: A Double Reading of the Anarchy Problematique," *Millennium*, vol. 17 (Summer 1988), pp. 227-262; سيجد أولئك الذين لديهم حساسيات ذات نزعة حدائية رؤية مماثلة للمؤسسات، تركز على الممارسة، في ملاحظات بلومر الواردة في كتابه *الموقف المنهجي من التفاعلية الرمزية* (ص 19): "إن القبول غير المبرر لمفاهيم المعايير والقيم والقواعد الاجتماعية وما شابهها لا ينبغي أن يعمي عالم الاجتماع عن حقيقة أن أيّاً منها خاضع لسيرة تفاعل اجتماعي، وهي عملية ضرورية لا لتغييرها فحسب، بل أيضاً للاحتفاظ بها في شكل ثابت. إن السيرة الاجتماعية في الحياة الجماعية هي ما ينشئ القواعد، وليست القواعد هي ما ينشئ الحياة الجماعية".

73 ينظر على سبيل المثال:

Mohammed Ayoob, "The Third World in the System of States: Acute Schizophrenia or Growing Pains?" *International Studies Quarterly*, vol. 33 (March 1989), pp. 67-80.

74 ينظر:

William Coplin, "International Law and Assumptions about the State System," *World Politics*, vol. 17 (July 1965), pp. 615-634.

معينة⁽⁶⁹⁾. وبالطبع، قد يكون تحديد موقع الحدود الفاصلة بين هذه المجالات موضع نزاع في بعض الأحيان؛ إذ تكون الحرب إحدى الممارسات التي تتفاوض الدول من خلالها على شروط تفردّها. وذلك لا يغير حقيقة أن الدول لا تتمتع "بحقوق ملكية الإقليم الترابي" إلا بموجب الاعتراف المتبادل⁽⁷⁰⁾. ويعمل هذا الاعتراف بوصفه شكلاً من "الانغلاق الاجتماعي" الذي يسلب الفاعلين غير الدول قدرتهم على الفعل، بينما يعزز التفاعل بين الدول ويساعد على استقراره⁽⁷¹⁾.

لقد أصبحت معايير السيادة الآن أمراً مفروغاً منه، وطبيعية، حتى إنه بات من السهل التغاضي عن المدى الذي غدت معه هذه المعايير افتراضاً مسبقاً، ونتائجاً مستمرة للممارسة. فعندما تفرض الدول ضريبة على "مواطنيها" دون غيرهم، وعندما "تحمي" أسواقها من "الواردات" الأجنبية، وعندما تقتل آلاف العراقيين في نوع معين من الحروب بينما ترفض "التدخل" لقتل شخص واحد في نوع آخر، كما في حالات الحروب "الأهلية"، وعندما تخوض حرباً عالمية ضد نظام سعى لتقويض مؤسسة السيادة، ثم تعيد ألمانيا مرة أخرى إلى الألمان، فإنها بذلك تتصرف على أساس معايير مشتركة تتعلق بمعنى أن تكون الدولة ذات سيادة، ومن خلال هذه الأفعال، تعيد إنتاج تلك المعايير.

أما إذا ما توقفت الدول عن التصرف وفقاً لتلك المعايير، فإن هويتها بوصفها "ذات سيادة" ستختفي (هذا إن لم تختف بالضرورة هويتها بوصفها "دولاً"). إن الدولة ذات السيادة هي إنجاز مستمر للممارسة، وليست إنشاءً نهائياً (يجري مرة واحدة) لمعايير قائمة بطريقة ما

69 هذا هو الأساس البينداتي لمبدأ عدم التمايز الوظيفي بين الدول، والذي "يسقط" من تعريف والتز للبيئة؛ لأن البنية ليس لها أساس بينداتي صريح. وفي دراسات العلاقات الدولية، أكد ما بعد البنيويين، بصفة رئيسة، الإنتاج الاجتماعي للحيز الترابي. ينظر على سبيل المثال: Richard Ashley, "The Geopolitics of Geopolitical Space: Toward a Critical Social Theory of International Politics," *Alternatives*, vol. 12 (October 1987), pp. 403-434; Simon Dalby, *Creating the Second Cold War* (London: Pinter, 1990); لكن فكرة الحيز، بوصفه منتجاً ومكوّناً للممارسة، تُعدّ بارزة أيضاً في الخطاب البنيائي. ينظر: Giddens; Derek Gregory & John Urry (eds.), *Social Relations and Spatial Structures* (London: Macmillan, 1985).

70 ينظر:

John Ruggie, "Continuity and Transformation in the World Polity: Toward a Neorealist Synthesis," *World Politics*, vol. 35, no. 2 (January 1983), pp. 261-285; Mead, p. 161;

ويطرح ميد الحجة التالية: "إذا قلنا هذه ملكيتي، وسأتحكم فيها"، فإن هذا الإقرار يستدعي مجموعة معينة من الاستجابات التي لا بد من أن تكون هي نفسها موجودة في أي مجتمع توجد فيه الملكية. وهو ينطوي على موقف منظم فيما يتعلق بالملكية، وهو موقف مشترك بين جميع أفراد المجتمع. يجب أن يكون لدى المرء موقف محدد إزاء التحكم في ممتلكاته واحترام ممتلكات الآخرين في آن واحد. يجب أن تكون هذه المواقف (بوصفها مجموعات منظمة من الاستجابات) موجودة لدى الجميع، فحين يقول المرء ذلك، فإنه يستدعي في نفسه ما ستكون عليه استجابة الآخرين. إن ما يجعل المجتمع ممكناً هو وجود مثل هذه المواقف المشتركة".

71 للاطلاع على تعريف مفهوم "الانغلاق الاجتماعي" ومناقشته، ينظر:

Raymond Murphy, *Social Closure* (Oxford: Clarendon Press, 1988).

الضعيفة داخل مجتمعات الاعتراف المتبادل وخارجها⁽⁷⁷⁾. ما الذي يمنع الولايات المتحدة من غزو جزر الباهاماس، أو يمنع نيجيريا من الاستيلاء على توغو، أو يُثني أستراليا عن احتلال فانواتو؟ من الواضح ههنا أن القوة ليست هي القضية، وفي هذه الحالات، حتى تكاليف العقوبات ستكون على الأرجح ضئيلة. وقد يدفع البعض بالقول إن القوى العظمى ببساطة لا "مصلحة" لها في هذه الغزوات، وقد يكون الأمر كذلك فعلاً، ولكن قلة الاهتمام هذه لا يمكن فهمها إلا من خلال اعتراف تلك القوى بسيادة الدول الضعيفة. فلا مصلحة لدي في استغلال أصدقائي، لا بسبب التكاليف والمكاسب النسبية المترتبة على ذلك، بل لأنهم أصدقائي. وفي المقابل، إن غياب الاعتراف يساعدنا في تفسير ممارسات الدول الغربية المتمثلة في احتلال الأراضي والاستعباد والإبادة الجماعية ضد الشعوب الأميركية الأصلية والأفريقية. في ذلك العالم، لا شيء يهم سوى القوة، لكن هذا لا ينطبق على العالم اليوم.

أخيراً، بقدر ما تتعلم الدول، من خلال التنشئة الاجتماعية المستمرة، أن سيادتها تعتمد على اعتراف الدول الأخرى بها، يمكنها الاعتماد في حماية أمنها على البنية المؤسسية للمجتمع الدولي على نحو أكبر، وعلى نحو أقل على الوسائل الوطنية الفردية، وخاصة القوة العسكرية. بعبارة أخرى، يمكن أن تعيد الفهم البيندائية، المتجسدة في مؤسسة السيادة، تعريف معنى قوة الآخرين من أجل أمن الذات. ويعني هذا من الناحية السياسية أن الدول تستطيع أن تكون أقل قلقاً بشأن البقاء والقوة النسبية على المدى القصير، ومن ثمّ يمكنها تحويل مواردها وفقاً لذلك. ومن المفارقات أن القوى العظمى، أي الدول ذات الوسائل الوطنية الأكبر، قد تواجه صعوبة أكبر في تعلّم هذا الدرس؛ فالقوى الصغيرة لا تملك ترف الاعتماد على وسائل وطنية، ومن ثمّ فإنها قد تتعلم على نحو أسرع أن الاعتراف الجماعي هو حجر زاوية الأمن.

لا يعني أيّ مما سبق أنّ القوة تفقد قيمتها في مجتمع الدول ذات السيادة. ففي بعض الأحيان، تتعرض الدول فعلاً للتهديد من أولئك الذين لا يعترفون بوجودها أو بمطالبها الترابية الخاصة، أو الذين يستأثرون من الآثار الخارجية الناجمة عن سياساتها الاقتصادية، وما إلى ذلك. ولكن رحي هذه التهديدات غالباً ما تدور ضمن شروط لعبة السيادة، ويبين لنا مصير نابليون وهتلر ما يحدث حين لا تكون كذلك.

ستعمل على مأسسة ذلك النمط من الذاتية؛ وإذا لم تفعل ذلك، فلن يصبح هذا النمط هو المعيار.

سُحِّث ممارسات السيادة تحولاً في الفهم المتعلقة بالأمن وسياسة القوة بثلاث طرائق على الأقل. أولاً، ستعرّف الدول أمنها (وأمننا) على أساس الحفاظ على "حقوقها في ملكية" أقاليم ترابية محددة. وبينما نرى في ذلك الآن أمراً طبيعياً، فإن المحافظة على الحدود الترابية لا تعادل في الواقع بقاء الدولة أو شعبها، بل من المرجح أن يزداد أمن بعض الدول، إذا تخلّت عن بعض أراضيها، مثل تنازل "الاتحاد السوفياتي" عن بعض جمهوريات الأقليات، وتخلي يوغوسلافيا عن كرواتيا وسلوفينيا، وغير ذلك. بعبارة أخرى، تؤثر حقيقة أن ممارسات السيادة كانت موجهة على مرّ التاريخ نحو إنتاج فضاءات ترابية متميزة في الكيفية التي تتصور بها الدول ما يجب عليها "تأمينه"، كي تتمكن من أداء وظائفها ضمن هويتها تلك؛ وهي سيرة قد تساعد في تفسير "ترسيخ" الحدود الترابية على مرّ القرون⁽⁷⁵⁾.

ثانياً، بقدر ما تنجح الدول في تذويت معايير السيادة، فإنها ستكون أشد احتراماً للحقوق الترابية للآخرين⁽⁷⁶⁾. ولا يُعزى ضبط النفس هذا في المقام الأول إلى تكاليف انتهاك معايير السيادة، على الرغم من أن في معاقبة المنتهكين (كما في حرب الخليج) عِظَةٌ تذكّر الجميع بحجم التكاليف المحتملة لمثل هذه الانتهاكات؛ بل إنه يُعزى إلى أن عدم انتهاك حقوق الآخرين الترابية من دون "قضية عادلة" يُعدّ جزءاً مما يعنيه أن تكون الدولة "ذات سيادة". ومن الأمثلة الجلية على مثل هذا التأثير المؤسسي، كما طرحه ديفيد سترانج على نحو مقنع، الاختلاف الملاحظ في المعاملة التي تعامل بها الدول

75 ينظر:

Anthony Smith, "States and Homelands: The Social and Geopolitical Implications of National Territory," *Millennium*, vol. 10 (Autumn 1981), pp. 187-202.

76 يفترض هذا غياب مبادئ منافسة أخرى تنظم الفضاء السياسي والهويات في النظام الدولي وتعايش مع المفاهيم التقليدية للسيادة؛ ولكنها موجودة في الواقع. عن "مجالات النفوذ" و"الإمبراطوريات غير الرسمية"، ينظر:

Jan Triska (ed.), *Dominant Powers and Subordinate States* (Durham, NC: Duke University Press, 1986); Ronald Robinson, "The Excentric Idea of Imperialism, with or without Empire," in: Wolfgang Mommsen & Jürgen Osterhammel (eds.), *Imperialism and After: Continuities and Discontinuities* (London: Allen & Unwin, 1986), pp. 267-289;

وعن المفاهيم العربية للسيادة، ينظر:

Michael Barnett, "Sovereignty, Institutions, and Identity: From Pan-Arabism to the Arab State System," University of Wisconsin, Madison, 1991. (Unpublished manuscript)

77 David Strang, "Anomaly and Commonplace in European Expansion: Realist and Institutional Accounts," *International Organization*, vol. 45 (Spring 1991), pp. 143-162.

2. التعاون بين أنانيين وتحولات الهوية

بدأنا هذا القسم بحالة طبيعة هوبزية. يُعدّ التعاون لتحقيق مكاسب مشتركة أمراً بالغ الصعوبة في هذا السياق نظراً إلى انعدام الثقة، وقصر الآفاق الزمنية، والانشغال بالقوة النسبية؛ فالحياة في حالة الطبيعة، بحسب هوبز، "قاسية ووحشية وقصيرة". وتحوّل السيادة هذا النظام إلى عالم لوكي (غالباً ما) تكون فيه حقوق الملكية معترفاً بها على نحو متبادل، و(غالباً ما) تكون فيه مفاهيم الأمن أنانية بدلاً من أن تكون تنافسية، ما يقلل من مخاوف أن يستولي، في أي لحظة، متعاونون محتملون على ما تملكه الدولة، على نحو يمكنهم من التفكير في أشكال تعاون مباشرة أكثر. ثمة شرط ضروري لمثل هذا التعاون، يتمثل في أن تكون النتائج مترابطة ترابطاً إيجابياً؛ بمعنى وجود مكاسب محتملة لا يمكن تحقيقها من خلال عملٍ أحادي. قد تعترف دولتان، مثل البرازيل وبوتسوانا، إحداها بسيادة الأخرى، ولكنهما في حاجة إلى المزيد من الحوافز لدفعهما نحو الانخراط في عمل مشترك. وأحد أهم مصادر الحوافز هو "الكثافة الدينامية" المتنامية في التفاعل بين الدول، في عالم يعجّ بتكنولوجيات اتصالات جديدة وأسلحة نووية وآثار خارجية ناجمة عن التنمية الصناعية، وغير ذلك⁽⁷⁸⁾. لكن هذه الكثافة الدينامية المتنامية، مع الأسف، لا تضمن أن تحقّق الدول في الواقع مكاسب مشتركة؛ إذ ينطوي الاعتماد المتبادل أيضاً على الانكشاف Vulnerability ومخاطر أن تكون الدولة الطرف "المغفل". وإذا ما استغلّ الاعتماد المتبادل على هذا النحو، فإنه سيتحول إلى مصدر للصراع بدلاً من أن يكون أساساً للتعاون.

هذا هو الأساس المنطقي الكامن، الذي يقوم عليه الافتراض القائل إن الدول الأنانية غالباً ما تجد نفسها في مواجهة معضلة السجينين؛ وهي لعبة تكون فيها الاستراتيجية المهيمنة، إذا لعبت مرة واحدة فحسب، هي الانشقاق عن الطرف الآخر والهروب منه. وكما بيّن مايكل تايلور وروبرت أكسلرود، يمكن الأنانيين الذين يستخدمون استراتيجية العين بالعين، مع تكرار اللعب والخوف من المستقبل، أن

يتجنبوا هذه النتيجة ويُنشئوا مؤسسات تعاونية⁽⁷⁹⁾. تبدو القصة التي يرويها تايلور وأكسلرود عن هذه السيورة في ظاهرها مشابهة تماماً لتحليل جورج هربرت النائي بشأن التفاعل الذي يستند جزء منه أيضاً إلى منظور "الألعاب"⁽⁸⁰⁾. يُعدّ التعاون إمارة تشير إلى استعداد الذات للتعاون؛ فإذا خالفها الآخر، قامت الذات بالشيء نفسه؛ ما يشير إلى عدم استعدادها للتعرض إلى أي استغلال. ومن خلال تبادل أدوار اللعبة مرور الوقت، يتعلم كلا الطرفين كيفية بناء توقعات مستقرة نسبياً بشأن سلوك الآخر؛ ومن خلال ذلك، تتشكل عادات التعاون (أو غيره). وعلى الرغم من المخاوف المتشابهة بشأن التواصل والتعلم وتشكيل العادات، فإن ثمة فرقاً مهماً بين التحليل القائم على نظرية الألعاب والتحليل البنائي الذي يتناول التفاعل، والذي يؤثر في كيفية تصورنا للقوى السببية التي تحظى بها المؤسسات.

في التحليل التقليدي للتعاون، القائم على نظرية الألعاب، حتى لو كانت ألعاباً تكرارية، تكون بنية اللعبة - لعبة الهويات والمصالح - مستقلة عن التفاعل وخارجية المنشأ بالنسبة إليه، ومن ثم فهي لا تتغير⁽⁸¹⁾. ويضع هذا التحليل سيورة تشكّل الهويات والمصالح في "صندوق أسود"، ويركز بدلاً من ذلك على العلاقة بين التوقعات والسلوك، كما يتناول المعايير التي تنشأ وتتطور من التفاعل بوصفها قواعد وانتظامات سلوكية خارجية بالنسبة إلى الفاعلين، ومقاومة للتغير بسبب تكاليف المعاملات المترتبة على إنشاء معايير جديدة. إن تحليل التعاون بين الأنانيين، القائم على نظرية الألعاب، هو تحليل سلوكي.

في المقابل، يركز التحليل البنائي للتعاون على كيفية تأثير التوقعات الناتجة من السلوك في الهويات والمصالح. إن سيورة إنشاء المؤسسات هي سيورة لتذويت مفاهيم جديدة عن الذات والآخر، واكتساب هويات أدوار جديدة، وليست مجرد وضع قيود خارجية على سلوك الفاعلين خارجي المنشأ⁽⁸²⁾. بعبارة أخرى، حتى إن لم يكن ذلك مقصوداً، فإن السيورة التي يتعلم الأنانيون من خلالها التعاون هي في الوقت نفسه سيورة إعادة بناء مصالحهم

79 ينظر:

Michael Taylor, *Anarchy and Cooperation* (New York: Wiley, 1976); Robert Axelrod, *The Evolution of Cooperation* (New York: Basic Books, 1984).

80 Mead.

81 ليس هذا صحيحاً بالمعنى الدقيق للكلمة؛ إذ تؤدي إضافة الفوائد المستقبلية إلى المزايا الحالية في الألعاب التكرارية إلى تحويل بني المكافآت في اللعبة عند تي 1 (T1)، في هذه الحالة، من معضلة السجينين إلى لعبة الضمان. إلا أن هذا التحول في المصالح يحدث كاملاً ضمن الفاعل، ومن ثم فهو ليس نتيجة للتفاعل مع طرف آخر.

82 من باب الإنصاف، يشير أكسلرود إلى أن تذويت المعايير يُعدّ احتمالاً واقعياً، وقد يزيد من مرونة المؤسسات. وأرى أن هذه الفكرة المهمة لا يمكن استخلاصها من مقارنة للنظرية تعتبر الهويات والمصالح خارجية المنشأ.

78 عن "الكثافة الدينامية"، ينظر:

Ruggie, "Continuity and Transformation in the World Polity," Waltz, "Reflections on Theory of International Politics."

إن دور الاعتماد المتبادل في تحديد سرعة التعلم الاجتماعي وعمقه أكبر كثيراً من الاهتمام الذي أوليته له. عن عواقب الاعتماد المتبادل في ظل الفوضى، ينظر:

Helen Milner, "The Assumption of Anarchy in International Relations Theory: A Critique," *Review of International Studies*, vol. 17 (January 1991), pp. 67-85.

3. النظرية الاستراتيجية النقدية والأمن الجماعي

يواجه تحوّل الهويات والمصالح، من خلال "نشوء وتطور التعاون" قيدين مهمين: أولهما أن سيرورة ذلك تدريبية وبطيئة. عادةً ما تتمثل أهداف الفاعلين، في سيرورة مثل هذه العملية، في تحقيق مكاسب مشتركة ضمن ما يعدّونه سياقاً مستقرّاً نسبياً؛ وبالنتيجة، من غير المرجّح أن ينخرطوا في تفكير معمّق حول كيفية تغيير معايير ذلك السياق (هما في ذلك بنية الهويات والمصالح)، ومن غير المرجّح كذلك أن يتبعوا سياسات مصممة خصيصاً لإحداث مثل هذه التغييرات. قد يؤدي تعلّم التعاون إلى تغيير تلك المعايير، إلا أن ذلك يحدث نتيجةً غير مقصودة لسياسات متّبعة لأسباب أخرى، وليس نتيجة لجهود مقصودة هدفها تجاوز المؤسسات القائمة.

أما القيد الثاني، وهو الأشدّ جوهرية، فيتمثل في أن قصة تطور التعاون تفترض مسبقاً أنّ الفاعلين لا يعرفون بعضهم بعضاً على نحو سلبي. يجب أن ينصبّ انشغال الفاعلين على المكاسب المطلقة؛ وبقدر ما يدفعهم العداء وانعدام الثقة إلى تعريف أنفسهم على نحو نسبي، سيكون من الصعب تقبّل الانكشافات التي تصاحب التعاون⁽⁸⁵⁾. ويعدّ ذلك أمراً مهماً، لأن هذا "التوازن المركزي" في نظام الدولة هو، على وجه التحديد، ما يخضع لمثل هذا التفكير التنافسي في الغالب؛ ولذلك، يمكن أن يجادل الواقعيون بأن إمكانية التعاون داخل "قطب" واحد (الغرب مثلاً) تتداخل مع هيمنة التنافس بين قطبين (الصراع بين الشرق والغرب). قد تكون العلاقات بين القطبين قابلة لتطبيق بعض المعاملة بالمثل الإيجابية في مجالات مثل الحد من التسليح، ولكنّ مناخ انعدام الثقة لا يترك متسعاً يذكر أمام هذا التعاون وعواقبه المفضية إلى التحوّل⁽⁸⁶⁾. إنّ الشروط التي يعرف من خلالها الفاعلون بعضهم بعضاً على نحو سلبي، التي تجعل الحاجة إلى "نشأة التعاون وتطوره" أشدّ إلحاحاً، تتعارض جوهرياً مع هذا المنطق.

مع ذلك، قد يخضع هذا الموقف، الذي يبدو مستعصياً على الحل، لمنطق تحوّل مختلف تماماً، منطلق تحركه جهود واعية لتغيير بنى الهويات والمصالح أكثر مما تحركه عواقب غير مقصودة. قد تبدو هذه الطوعية Voluntarism متناقضة مع روح البنائية؛ إذ يفترض أن الفاعلين الثوريين المحتملين في حد ذاتهم يُعدّون نتائج التنشئة الاجتماعية لبنى الهويات والمصالح. فكيف لهم أن يفكروا في تغيير

وتشكيلها من ناحية الالتزامات المشتركة بالمعايير الاجتماعية. وبمرور الوقت، سيميل هذا إلى تحويل ترابط النتائج الإيجابي إلى ترابط إيجابي بين المنافع أو المصالح الجماعية التي تنتظم حول المعايير ذات الصلة. وستقاوم هذه المعايير التغيير؛ بسبب ارتباطها بالالتزامات الفاعلين حيال هوياتهم ومصالحهم، وليس فقط بسبب تكاليف المعاملات. بعبارة أخرى، التحليل البنائي لـ "مشكلة التعاون" هو في الأساس تحليل إدراكي لا سلوكي؛ لأنه يتعامل مع المعرفة البيزنطية التي تحدّد بنية الهويات والمصالح، أي بنية "اللعبة"، بوصفها داخلية المنشأ تنجم عن التفاعل في حد ذاته.

يمكن أن يوضح النقاش بشأن مستقبل الأمن الجماعي في أوروبا الغربية أهمية هذا الاختلاف. يفترض أيّ تحليل ليبرالي أو عقلاني مخفف أن "محفظة" مصالح الدول الأوروبية لم تتغير جذرياً، وأن ظهور عوامل جديدة، مثل انهيار التهديد السوفييتي وصعود ألمانيا، سوف يغير معدلات التكاليف بالنسبة إلى المكاسب المترتبة أثناء سعيها للمحافظة على الترتيبات القائمة؛ ما يؤدي إلى انهيار المؤسسات القائمة. لقد شكّلت الدول الأوروبية مؤسسات تعاونية لأسباب أنانية وجيهة، وقد تدفعها هذه الأسباب نفسها إلى رفض تلك المؤسسات؛ لكن لعبة سياسة القوة الأوروبية لم تتغير. في مقابل ذلك، يقترح أيّ تحليل ليبرالي أو بنائي قوي لهذه المشكلة أنّ أربعة عقود من التعاون قد تكون كافية لتحويل الاعتماد المتبادل الإيجابي بين النتائج إلى "هوية أوروبية" جماعية تعرّف الدول من خلالها "مصالحها الذاتية" على نحو متزايد⁽⁸³⁾. وحتى لو كانت الأسباب الأنانية نقطة بدايتها، فإن سيرورة التعاون تميل إلى إعادة تعريف تلك الأسباب عبر إعادة تشكيل الهويات والمصالح من منظور فهم والتزامات بيندائية جديدة. وممّا لا شك فيه أن التغييرات في توزيع القوة، خلال أواخر القرن العشرين، تشكّل تحدياً لهذه الفهم الجديدة. غير أن ذلك لا يعني أن لدى دول أوروبا الغربية مصلحة متأصلة، خارجية المنشأ، في التخلي عن الأمن الجماعي، إذا كان الثمن مناسباً. إن هوياتها ومصالحها الأمنية في سيرورة مستمرة؛ وإذا ما أصبحت الهويات الجماعية "متجذرة"، فإنها ستقاوم التغيير تماماً شأنها شأن الهويات الأنانية⁽⁸⁴⁾. وبعبارة أخرى، قد لا تكون الدول الأوروبية عام 1990 كما كانت عليه عام 1950؛ إذ إنها شهدت تحوّلًا من خلال المشاركة في أشكال جديدة من المعرفة الاجتماعية.

83 عن "الهوية الأوروبية"، ينظر:

Barry Buzan et al. (eds.), *The European Security Order Recast* (London: Pinter, 1990), pp. 45-63.

84 عن مفهوم "التجذر"، ينظر:

John Ruggie, "International Regimes, Transactions, and Change: Embedded Liberalism in a Postwar Economic Order," in: Krasner (ed.) pp. 195-232.

85 ينظر: Grieco.

86 عن صعوبات إنشاء أنظمة أمنية تعاونية مع وجود مصالح تنافسية، ينظر:

Robert Jervis, "Security Regimes," in: Krasner (ed.), pp. 94-173; Charles Lipson, "International Cooperation in Economic and Security Affairs," *World Politics*, vol. 37 (October 1984), pp. 1-23.

للدور على نحوٍ مقصود وواع - أي العقوبات التي يفرضها الآخرون ممن جرى التفاعل معهم في أدوار سابقة - أكبر من فوائده.

يصبح في وسع الفاعلين، عند توافر هذين الشرطين، الانخراط في تأمل ذاتي وممارسات مصممة خصيصاً لتحويل هوياتهم ومصالحهم، ومن ثم "تغيير الألعاب" التي ينخراطون فيها. لم تحظ هذه النظرية والممارسة الاستراتيجية "النقدية" بما تستحقّاه من اهتمام دارسي السياسة العالمية (وربما يكون ذلك إرثاً آخر من المصالح الخارجية المنشأ)، لا سيما أن إحدى أهم ظواهر السياسة العالمية المعاصرة هي سياسة "التفكير الجديد" المرتبطة باسم ميخائيل غورباتشوف؛ وهي في الواقع كذلك⁽⁹⁰⁾. بناء عليه، دعوني أستخدِم هذه السياسة مثلاً على الكيفية التي يمكن أن تحوّل بها الدول نظاماً أمنياً تنافسياً إلى نظام تعاوني؛ ما يقسّم سيرورة عملية التحوّل إلى أربع مراحل.

المرحلة الأولى في التحوّل القصدي، هي انهيار الإجماع بشأن التزامات الهوية. ففي الحالة السوفياتية، تركزت التزامات الهوية على النظرية اللينينية للإمبريالية، التي تؤمن بأن العلاقات بين الدول الرأسمالية والاشتراكية صراعية بطبيعتها، كما تركزت على أمطال التحالف الناجمة التي ولّدها هذا الاعتقاد. وفي ثمانينيات القرن العشرين، انهار الإجماع داخل الاتحاد السوفياتي بشأن النظرية اللينينية، وذلك لعدة مسوّغات، يبدو أن من بين أهمها عجز الدولة عن مواجهة التحدي الاقتصادي والتكنولوجي والعسكري القادم من الغرب، وتراجع شرعية الحكومة السياسية في الداخل، ورسائلطمأننة القادمة من الغرب بأنه لا ينوي غزو الاتحاد السوفياتي؛ وهي طمأننة ساهمت في تقليل التكاليف الخارجية لتغيير الأدوار⁽⁹¹⁾. وقد مهّدت هذه

ما يدينون به لهويتهم؟ تكمن إمكانية ذلك في التمييز بين التعريف الاجتماعي للذات ولقرار الاختيار الشخصي، أو بين ما أطلق عليه ميد [في اللغة الإنكليزية] Me and I⁽⁸⁷⁾. أما الأولى، فهي ذلك الجزء من الذاتية الذي يُعرّف من منظور الآخرين؛ فالتوقعات الشخصية والسلوكية لهوية دور الشخص بوصفه "أستاذًا"، أو هوية دور الولايات المتحدة بوصفها "قائدًا لتحالف"، على سبيل المثال، تكون مبنية اجتماعياً. ومع ذلك، لا تؤدّي الأدوار بطريقة آلية وفقاً لوصفات دقيقة، بل إن كل فاعل "يأخذها" ويكيّفها بطرائق خاصة ومتفردة⁽⁸⁸⁾. وحتى في أكثر المواقف عرضة للتقييد، ينطوي أداء الدور على خيار يتخذه الفاعل. وأمّا الثانية، فهي ذلك الجزء من الذاتية الذي فيه تكمن حيازة الأدوار والتفاعل على أساسها، وما يقابلها من حرية وجودية.

إن كون الأدوار "يتخذها" الفاعلون يعني، من الناحية المبدئية، أن لديهم دائماً القدرة على "تخطيط الشخصية"؛ أي الانخراط في تأمل ذاتي نقدي، واتخاذ خيارات هادفة لإحداث تغييرات في حياتهم⁽⁸⁹⁾. ولكن، متى أو في أي ظروف يمكن ممارسة هذه القدرة الإبداعية؟ من الواضح أنه لا يمكن ممارستها في أغلب الأحيان: فلو كان الفاعلون يعيدون ابتكار هوياتهم باستمرار، لكان النظام الاجتماعي مستحيلًا، كما أن الاستقرار النسبي للهويات والمصالح في عالمنا الواقعي يشير إلى ميلنا إلى العمل الاعتيادي بدلاً من العمل الإبداعي. ويتطلب الاختيار الاستثنائي والواعي الهادف إلى تغيير الأدوار أو تجاوزها شرطين أساسيين على الأقل: أولاً، لا بد من وجود سبب للتفكير في الذات من منظور جديد، غالباً ما ينبع على الأرجح من وجود مواقف اجتماعية جديدة لا يمكن إدارتها من خلال فهم ذاتية موجودة مسبقاً؛ ثانياً، لا يمكن أن تكون التكاليف المتوقعة من تغيير الدول

90 للاطلاع على نظرة عامة مفيدة عن مفهوم التفكير الجديد، ينظر:

Mikhail Gorbachev, *Perestroika: New Thinking for Our Country and the World* (New York: Harper & Row, 1987); Vendulka Kubalkova & Albert Cruickshank, *Thinking New About Soviet "New Thinking"* (Berkeley: Institute of International Studies, 1989); Allen Lynch, *Gorbachev's International Outlook: Intellectual Origins and Political Consequences* (New York: Institute for East-West Security Studies, 1989);

ليس من الواضح إلى أي حد يُعدّ التفكير الجديد سياسة واعية مقارنة بالسياسة الارتجالية، ولكن النقاش النظري والسياسي المكثف في الاتحاد السوفياتي فيما يتعلق "بالتفكير الجديد"، وتردّد صدى فكرة تبديد "حجة" الغرب المتمثلة في الخوف من الاتحاد السوفياتي، يشيران إلى الخيار الأول. لكنني سأظل متشككاً ههنا، وسأفترض ببساطة أنه يمكن تفسيره تفسيراً مثيراً "كما لو كان له الشكل الذي أصفه".

91 للاطلاع على لمحة عامة مفيدة عن هذه العوامل، ينظر:

Jack Snyder, "The Gorbachev Revolution: A Waning of Soviet Expansionism?" *World Politics*, vol. 12 (Winter 1987-1988), pp. 93-121; Stephen Meyer, "The Sources and Prospects of Gorbachev's New Political Thinking on Security," *International Security*, vol. 13 (Fall 1988), pp. 63-124.

87 ينظر: Mead؛ للاطلاع على مناقشات مهمة فيما يتعلق بهذا التمييز وآثاره في مفاهيم الإبداع في النظم الاجتماعية، ينظر:

George Cronk, *The Philosophical Anthropology of George Herbert Mead* (New York: Peter Lang, 1987), pp. 36-40; Howard.

88 Turner, "Role-Taking."

89 عن "تخطيط الشخصية"، ينظر:

Jon Elster, *Sour Grapes: Studies in the Subversion of Rationality* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), p. 117;

وللاطلاع على مقاربات أخرى لمشكلة التغيير النابع من الذات، ينظر:

Harry Frankfurt, "Freedom of the Will and the Concept of a Person," *Journal of Philosophy*, vol. 68 (January 1971), pp. 5-20; Amartya Sen, "Rational Fools: A Critique of the Behavioral Foundations of Economic Theory," *Philosophy and Public Affairs*, vol. 6 (Summer 1977), pp. 317-344; Thomas Schelling, "The Intimate Contest for Self-Command," *The Public Interest*, vol. 60 (Summer 1980), pp. 94-118.

ممارسات الفرد نفسه، وتحديدًا ممارسة "التحويل المتبادل"؛ وهي تقنية للتحكم في المتفاعل تستخدم فيها الذات تكتيكات تمثّل ذاتي إلى جانب إدارة الوضع القائم، في محاولة لتأطير مفاهيم الآخر للمواقف الاجتماعية بطريقة تولّد الدور الذي ترغب الذات في أن يؤدّيه الآخر⁽⁹⁵⁾. في الواقع، تحاول الذات، عبر "التحويل المتبادل"، حتّى الآخر على اتخاذ هوية جديدة (وهكذا يتم إشراك الآخر في مساعي الذات لتغيير نفسها) من خلال التعامل معه كما لو كان أصلًا يمتلك تلك الهوية. وينبع هذا المنطق مباشرة من نظرية المرأة المتعلقة بتشكيل الهويات؛ إذ تكون هوية الآخر انعكاسًا لممارسات الذات؛ وبتغيير تلك الممارسات، تبدأ الذات في تغيير فهم الآخر لنفسه.

يعتمد فحوى هذه الممارسات على المنطق الذي من خلاله تعززت الهويات القائمة مسبقًا. تتعزز أنظمة الأمن التنافسية، من خلال ممارسات تزعم الثقة، وتولّد انعدام الأمن. وفي هذه الحالة، ينبغي أن تسعى الممارسات التحويلية لتعليم الدول الأخرى أن دولة معيّنة جديرة بالثقة، ولا ينبغي النظر إليها بوصفها تهديدًا لأمن الدول الأخرى؛ والطريقة الأسرع نحو ذلك تتمثل في اتخاذ مبادرات أحادية الجانب، وتعهّدات مُلزمة ذاتيًا تحظى بما يكفي من الأهمية، لتجعل دولة أخرى تواجه "عرضًا لا يمكنها رفضه"⁽⁹⁶⁾. وقد حاول غورباتشوف القيام بذلك عبر الانسحاب من أفغانستان وأوروبا الشرقية، والتخفيض غير المتكافئ في القوى النووية والتقليدية، والدعوة إلى "دفاع دفاعي" Defensive Defense، وغيره. وعلاوة على ذلك، استطاع بكل مهارة أن يصور الغرب في دور المُلزم أخلاقيًا مدّد يد العون للاتحاد السوفياتي، مشددًا على روابط المصير المشترك بين الاتحاد والغرب، ومشيرًا إلى أن إحراز المزيد من التقدم في العلاقات بين الشرق والغرب مرهون بتبني الأخير الهوية المنسوبة إليه. وتمثّل كل هذه الأفعال أبعادًا للتحويل المتبادل، الغرض منها هو التخلص من "الذريعة" الغربية القائمة على انعدام الثقة بالاتحاد السوفياتي، والتي سبق أن ساعدت، في نظر غورباتشوف، على تعزيز الهويات التنافسية في الماضي.

العوامل الطريق أمام انتقال جذري في القيادة، وما تلاه من "كسر الجليد عن المشكلات الصراعية" المتعلقة بالعلاقات مع الغرب⁽⁹²⁾.

يتيح انهيار الإجماع مرحلة من الفحص النقدي الذي يستهدف الأفكار القديمة عن الذات والآخر، ومن ثمّ، بنى التفاعل التي من خلالها تعززت تلك الأفكار. وفي فترات الاستقرار النسبي التي تميز أدوار الهويات، قد تتجسد الأفكار والبنى، وبالنتيجة يجري التعامل معها بوصفها موجودة وقائمة على نحو مستقل عن الفعل الاجتماعي. وإذا كان الأمر كذلك، فإن المرحلة الثانية هي مرحلة نزع السمة الطبيعية، وتحديد الممارسات التي تعيد إنتاج أفكار تبدو حتمية بشأن الذات والآخر؛ وهي، بهذا المعنى، تُعدّ شكلاً من أشكال النظرية "النقدية" أكثر من كونها نظرية من نظريات "حلّ المشكلات"⁽⁹³⁾. وينبغي أن تُفصّل نتيجة هذا النقد إلى تحديد "ذواتٍ محتملة" وتطلعات جديدة⁽⁹⁴⁾. ويجسّد التفكير الجديد هذا التنظير النقدي. يرغب غورباتشوف في تحرير الاتحاد السوفياتي من المنطق الاجتماعي القسري للحرب الباردة، وفي إشراك الغرب في تعاون واسع النطاق. ولتحقيق هذه الغاية، رفض غورباتشوف الاعتقاد الليبرالي بوجود صراع مصالح متأصل بين الدول الاشتراكية والرأسمالية، والأهم من ذلك أنه أقرّ بالدور الحاسم الذي أدّته الممارسات العدوانية السوفياتية في إدانة هذا الصراع.

تمهّد إعادة التفكير هذه الطريق أمام مرحلة ثالثة من الممارسة الجديدة. غالبًا ما تكون إعادة التفكير في أفكار المرء عن الذات والآخر غير كافية، فالهويات القديمة تعززت عبر أنظمة تفاعل مع فاعلين آخرين تظل ممارساتهم حقيقة اجتماعية بالنسبة إلى العامل التحويلي. لذلك، فإن تغيير الذات غالبًا ما يقتضي بالضرورة تغيير هويات الآخرين ومصلحتهم، الذين يساهمون في تعزيز أنظمة التفاعل تلك وإدامتها. ووسيلة إحداث مثل هذا التغيير هي

92 ينظر:

Daniel Bar-Tal et al., "Conflict Termination: An Epistemological Analysis of International Cases," *Political Psychology*, vol. 10 (June 1989), pp. 233-255; وللإطلاع على شرح، غير ذي صلة وجدير بالاهتمام، للكيفية التي تجعل بها المدركات المتغيرة إعادة الهيكلة التنظيمية ممكنة، ينظر:

Jean Bartunek, "Changing Interpretive Schemes and Organizational Restructuring: The Example of a Religious Order," *Administrative Science Quarterly*, vol. 29 (September 1984), pp. 355-372.

93 ينظر:

Robert Cox, "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory," in: Keohane (ed.) *Neorealism and Its Critics*, pp. 204-255; ينظر أيضًا:

Brian Fay, *Critical Social Science* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1987).

94 Hazel Markus & Paula Nurius, "Possible Selves," *American Psychologist*, vol. 41 (September 1986), pp. 954-969.

95 ينظر:

Goffman; Eugene Weinstein & Paul Deutschberger, "Some Dimensions of Altercating," *Sociometry*, vol. 26 (December 1963), pp. 454-466; Walter Earle, "International Relations and the Psychology of Control: Alternative Control Strategies and Their Consequences," *Political Psychology*, vol. 7 (June 1986), pp. 369-375.

96 Volker Boge & Peter Wilke, "Peace Movements and Unilateral Disarmament: Old Concepts in a New Light," *Arms Control*, vol. 7 (September 1986), pp. 156-170; Zeev Maoz & Daniel Felsenthal, "Self-Binding Commitments, the Inducement of Trust, Social Choice, and the Theory of International Cooperation," *International Studies Quarterly*, vol. 31 (June 1987), pp. 177-200; V. Sakamoto, "Unilateral Initiative as an Alternative Strategy," *World Futures*, vol. 24, no. 1-4 (1987), pp. 107-134.

لها مَفْهَمَة العلاقة بين البنية والسيروية؟ أينبغي أن تستند حصراً إلى مقاييسات "اقتصادية - جزئية" يجري عبرها التعامل مع الهويات والمصالح بوصفها معطاة وخارجية المنشأ من خلال البنية، ويجري عبرها اختزال السيروية في تفاعلات ضمن تلك المعايير، أم ينبغي أن تستند أيضاً إلى مقاييسات "سوسولوجية" و"نفسية - اجتماعية" تكون فيها الهويات والمصالح، ومن ثم معنى البنية، داخلية المنشأ وناتجة من السيروية نفسها؟ ما الذي يجب أن يشكل أساساً للنظريات النسقية في السياسة العالمية: الفردانية - السلوكية، أم البنائية - الإدراكية؟

على الرغم مما جاء في هذه الدراسة، فإن هذا السؤال يظل في نهاية المطاف سؤالاً إمبريقياً من ناحيتين: أولاً، تعتمد إجابته جزئياً على مدى أهمية التفاعل بين الدول في تشكيل هوياتها ومصالحها. فمن ناحية، قد تكون العوامل الداخلية أو الجينية، التي صرفت النظر عنها على نحو منهجي، هي في الواقع محددات لهويات الدول ومصالحها أهم مقارنة بالعوامل النظامية. وبقدر ما يُعد ذلك صحيحاً، فإن فردانية المقاربة العقلانية والامتياز الذي تحظى به البنية مقارنة بالسيروية في هذه المقارنة يصبحان أساساً أشد ملاءمة للنظرية النظامية (إن لم يكونا كذلك لنظرية الصورتين الأولى والثانية)؛ لأن الهويات والمصالح هي في الواقع، وإلى حد بعيد، خارجية المنشأ بالنسبة إلى التفاعل بين الدول. ومن ناحية أخرى، إذا كانت العوامل التي صرفت النظر عنها غير مهمة نسبياً أو إذا كانت أهمية النظام الدولي تتفاوت تاريخياً (ربما بتفاوت مستوى الكثافة الدينامية والاعتماد المتبادل في النظام)، فإن مثل هذا الإطار لن يكون مناسباً ليمثل أساساً حصرياً لنظرية نظامية عامة.

ثانياً، تعتمد الإجابة عن سؤال الشكل الذي ينبغي أن تبدو عليه النظريات النظامية، أيضاً، على مدى سهولة تغير هويات الدولة ومصالحها نتيجةً للتفاعل النظامي؛ فحتى لو كان التفاعل مهماً في البداية في بناء الهويات والمصالح، فإن منطق، ما إن تتم تأسيسه، قد يجعل التحول صعباً للغاية. فإذا تغير معنى البنية بالنسبة إلى أفعال الدولة ببطء شديد فيصبح معياراً، بحكم الواقع، تجري ضمنه السيروية؛ فقد يكون من المناسب، من الناحية الجوهرية، تبني الافتراض العقلاني القائل إن الهويات والمصالح مُعطاة (مع أن هذا قد يختلف تاريخياً).

ومع ذلك، لا يمكننا معالجة هذه القضايا الإمبريقية، إلا إذا كان لدينا إطار لإجراء بحث منهجي، يجعل من هويات الدولة ومصالحها قضية للبحث النظري والإمبريقي على حد سواء. ودعوني أشدد ههنا على أن ذلك لا يعني أننا لا ينبغي لنا أبداً التعامل مع الهويات

ومع ذلك، لا تستطيع هذه الممارسات، في حد ذاتها، تحويل نظام أمني تنافسي؛ لأنها إذا لم تتلقَ معاملة بالمثل من الآخر، فإنها ستعرض الذات للخسارة وسرعان ما تذوي. ولكي تتمكّن الممارسة الاستراتيجية النقدية من تحويل الهويات التنافسية، لا بد من أن "يكافئها" الآخر؛ ما سيُشجع الذات على المزيد من هذه الممارسات⁽⁹⁷⁾. وسيؤدي ذلك، بمرور الوقت، إلى مأسسة التعريف الإيجابي المتبادل بين أمن الذات وأمن الآخر، بدلاً من تعريفهما على نحو سلبي؛ وهكذا، سيوفر ذلك أساساً بينذاتياً متيناً لما كان في البداية مجرد التزامات مبدئية بهويات ومصالح جديدة⁽⁹⁸⁾.

وعلى الرغم من الخطاب السائد اليوم حول نهاية الحرب الباردة، تبقى شكوك المشككين قائمة حيال قدرة غورباتشوف (أو أي قائد مستقبلي) على تأسيس بنية بينذاتية لهوية سوفياتية (أو روسية) جديدة. وثمة مصادر، داخلية وبيروقراطية وإدراكية - أيديولوجية، للمقاومة في الشرق والغرب على حد سواء، لا سيما في ظل اهتزاز الدعم الداخلي للقوى الديمقراطية. ولكن، إذا صحت حجتي بخصوص دور المعرفة البينذاتية في إنشاء بنى تنافسية للهويات والمصالح، فإن التفكير الجديد يُظهر على الأقل تقديراً أكبر، سواء أكان واعياً أم لا، لبنية سياسة القوة الأعمق، مقارنة بما اعتدناه في ممارسة العلاقات الدولية.

خاتمة

تستند جميع نظريات العلاقات الدولية إلى نظريات اجتماعية، تُعنى بالعلاقة بين الفاعلية والسيروية والبنية الاجتماعية. لا تحدد النظريات الاجتماعية محتوى نظريتنا الدولية، ولكنها تهيكّل الأسئلة التي نطرحها بشأن السياسة العالمية ومقارباتنا للإجابة عنها. تتمثل القضية الجوهرية المطروحة في نقاشات النظرية الاجتماعية في: ما نوع الأسس التي تقدم مجموعة الأسئلة والاستراتيجيات البحثية الأكثر إفادة في تفسير التغيرات الجذرية التي يبدو أنها تأخذ مجراها في النظام الدولي في أواخر القرن العشرين؟ وبعبارة أبسط، كيف ينبغي أن تبدو النظريات النظامية للعلاقات الدولية؟ وكيف ينبغي

97 عن مفهوم المكافأة، ينظر:

Thomas Milburn & Daniel Christie, "Rewarding in International Politics," *Political Psychology*, vol. 10 (December 1989), pp. 625-645.

98 إن أهمية المعاملة بالمثل في استكمال عملية التحول البنوي تجعل منطق هذه المرحلة مشابهاً لمنطق مرحلة "نشأة التعاون وتطوره"، ولكن الفرق بينهما يكمن في الشروط المسبقة والهدف: ففي الحالة الأولى، تؤدي إعادة الذات تعريف نفسها مبدئياً إلى تمكينها من تغيير الآخر، "كما لو كان كلاهما أصلاً يلعبان لعبة جديدة"؛ أما في الحالة الثانية، فلا تتصرف الذات وفق مصالح معطاة وخبرة سابقة فحسب، ولا ينشأ التحول إلا بوصفه نتيجة غير مقصودة.

الاجتماعية الجديدة والشركات عبر الوطنية والمنظمات الدولية ما بين الحكومية، أخذاً في التراجع؛ وتستحق أشكال السياسة العالمية "ما بعد الحداثيّة" اهتماماً بحثياً أكثر مما حظيت به. ولكنني أعتقد، مع الواقعيين، أن الدول ذات السيادة ستظل على المدى المتوسط الفاعل المهيمن في النظام الدولي. إن أيّ انتقال إلى بنى جديدة للهوية والسلطة السياسية العالمية - أي إلى سياسة "ما بعد دولية" - سيجري بوساطة الحل المؤسسي الخاص الذي يستهدف حلّ التوتر بين الوحدة والتنوع، أو بين الخصوصية والعالمية، أي الدولة ذات السيادة؛ سيجري هذا الانتقال بوساطة الدولة ذات السيادة وسيعتمد في الوقت نفسه على سيورتها⁽¹⁰⁰⁾. وفي عالم كهذا، ينبغي أن يظل هناك مجال كافٍ لنظريات عن السياسة الفوضوية ما بين الدول، إلى جانب أشكال أخرى من النظرية الدولية؛ ولذلك، فأنا واقعي ودولتي Statist. ومع ذلك، حاجبت في هذه الدراسة بأن النزعة الدولتية ليست في حاجة إلى التقيد بالأفكار الواقعية بشأن ما يجب أن تعنيه "الدولة". يمكن أن تتحول هويات الدولة ومصالحها جماعياً في سياق فوضوي بفعل عوامل عديدة - فردية أو داخلية أو نظامية أو عبر وطنية - ومن ثم، فهي تُعدّ متغيرات تابعة مهمة. إنّ إعادة بناء هذه النظرية الدولية المتمركزة على الدولة ضرورية، إذا أردنا التنظير على نحو كافٍ بشأن الأشكال الناشئة للهوية السياسية عبر الوطنية، التي ستساعد الدول ذات السيادة في تشكيلها. ولذلك، أمل أن تكون الدولتية، شأنها شأن الدولة، تقديمية من الناحية التاريخية.

لقد حاجبت بأن البنائين ومؤيدي الليبرالية القوية يمكنهم، بل ينبغي لهم، العمل جنباً إلى جنب وتوحيد جهودهم من أجل المساهمة في نظرية دولية تركز على السيرة. ولكل فريق أوجه قصور تكملها أوجه قوة الفريق الآخر. لم يتمكن الليبراليون الجدد من ترجمة أبحاثهم عن بناء المؤسسات والتعلّم المركّب إلى نظرية نظامية تتجنب ما توليه الواقعية من أولوية تفسيرية للبنية، ويعزى ذلك جزئياً إلى تبنيهم مقارنة نظرية الاختيار العقلاني في بناء النظرية. بعبارة أخرى، يكمن قصور هؤلاء في عزوفهم المستمر، على مستوى النظرية النظامية، عن تجاوز الافتراض الفردي القائل إن الهويات والمصالح معطاة وخارجية المنشأ. يعوّض البنائيون هذا القصور بأنطولوجيا جماعية ممنهجة، تشكّل فيها المعرفة البنائية

والمصالح على أنها معطاة؛ إذ ينبغي أن يكون تأطير مشكلات البحث واستراتيجياته مدفوعاً بالأسئلة لا بالمنهج. وإذا لم نُعرّ مسألة تشكل الهويات والمصالح اهتماماً، فقد نجد افتراضات الخطاب العقلاني معقولة تماماً. بعبارة أخرى، لا ينبغي اعتبار أيّ مما ورد في هذه الدراسة هجومًا على العقلانية في حد ذاتها. ومع ذلك، لا ينبغي أن نسمح لهذا الموقف التحليلي المشروع بأن يصبح موقفاً أنطولوجياً بحكم الواقع فيما يتعلق بمحتوى نظرية الصورة الثالثة، على الأقل ليس قبل أن نتأكد من أن التفاعل النظامي لا يؤدي دوراً مهماً في سيرورات تشكّل هويات الدول ومصالحها. لا ينبغي لنا التسرع في اختيار أنثروبولوجياتنا الفلسفية ونظرياتنا الاجتماعية. ومن خلال الحاجة بأننا لا نستطيع استنباط بنية هويات ومصالح، قائمة على الاعتماد على النفس، من مبدأ الفوضى وحده - ومن خلال الحاجة بأن الفوضى هي ما تصنعه الدول منها - قدّمت هذه الدراسة تحدياً لأحد المبررات المهمة التي تسوّغ تجاهل سيرورات تشكّل الهويات والمصالح في السياسة العالمية؛ وهي بذلك تمهد الطريق للبحث في القضايا الإمبريقية التي أثارها الدراسة آنفاً، ومن ثم، فهي تمهد الطريق لنقاش بشأن ما إذا كانت الافتراضات الجماعية أو الفردانية تحديداً تشكّل أساساً أفضل للنظرية النظامية.

لقد حاولتُ، من خلال مثال أولي، أن أشير إلى ما قد تبدو عليه أجندة بحثية كهذه. ينبغي أن يكون الهدف منها هو تقييم العلاقة السببية بين الممارسات والتفاعلات (بوصفها متغيراً مستقلاً) والبنى الإدراكية على مستوى الدول فرادى وعلى مستوى نظم الدول التي تشكّل الهويات والمصالح (بوصفها متغيراً تابعاً)؛ وأعني بذلك العلاقة السببية بين ماهية الفاعلين وما يفعلونه. قد تكون لدينا فكرة مسبقة، مفادها أن الفاعلين من الدول والبنى النظامية "يشكّل بعضهم بعضاً"، لكن هذا لا يفيدنا كثيراً في غياب فهم الكيفية التي يشكّل بها التفاعل الثنائي والثلاثي والمتعدد الأطراف، أيًا كان عدد الأطراف، "المخزون المعرفي" الذي يكوّن الهويات والمصالح وبنى الحياة الدولية، وفي الوقت نفسه بتشكّل من خلاله. وفي هذا الصدد، يكتسي دور الممارسة أهمية خاصة في تشكيل المواقف من كون هذه البنى معطاة. فكيف؟ ولماذا يقوم الفاعلون بتشيئة البنى الاجتماعية؟ وفي أي ظروف ينزعون عنها هذه التشيئة؟

قد يثير تمرکز هذه الأجندة على الدولة دهشة البعض، لا سيما ما بعد الحداثيين، وعلى "نحو يبعث على إحباط مألوف"⁽⁹⁹⁾. ومن الواضح أن أهمية الدول، مقارنةً بالشركات المتعددة الجنسيات والحركات

100 للاطلاع على مناقشات ممتازة بشأن هذا التوتر، ينظر:

Walker, "Sovereignty, Identity, Community;" R. B. J. Walker, "Security, Sovereignty, and the Challenge of World Politics," *Alternatives*, vol. 15 (Winter 1990), pp. 3-27;

وعن حالات التبعية للمسار، ينظر:

Stephen Krasner, "Sovereignty: An Institutional Perspective," *Comparative Political Studies*, vol. 21 (April 1988), pp. 66-94.

99 Yale Ferguson & Richard Mansbach, "Between Celebration and Despair: Constructive Suggestions for Future International Theory," *International Studies Quarterly*, vol. 35 (December 1991), p. 375.

المراجع

- Adler, Emanuel & Beverly Crawford (eds.). *Progress in Postwar International Relations*. New York: Columbia University Press, 1991.
- Alker, Hayward & Richard Ashley (eds.). *After Realism, Work in Progress*. Massachusetts Institute of Technology, Cambridge, and Arizona State University, Tempe, 1992.
- Ashley, Richard. "Political Realism and Human Interests." *International Studies Quarterly*. vol. 38 (June 1981).
- _____. "The Geopolitics of Geopolitical Space: Toward a Critical Social Theory of International Politics." *Alternatives*. vol. 12 (October 1987).
- _____. "The Poverty of Neorealism." *International Organization*. vol. 38 (Spring 1984).
- _____. "Untying the Sovereign State: A Double Reading of the Anarchy Problematique." *Millennium*. vol. 17 (Summer 1988).
- Ashley, Richard & R. B. J. Walker. "Reading Dissidence/ Writing the Discipline: Crisis and the Question of Sovereignty in International Studies." *International Studies Quarterly*. vol. 34 (September 1990).
- Axelrod, Robert. *The Evolution of Cooperation*. New York: Basic Books, 1984.
- Ayoob, Mohammed. "The Third World in the System of States: Acute Schizophrenia or Growing Pains?" *International Studies Quarterly*. vol. 33 (March 1989).
- Barnett, Michael. "Sovereignty, Institutions, and Identity: From Pan-Arabism to the Arab State System." University of Wisconsin, Madison, 1991. (Unpublished manuscript)
- Barnes, Barry. *The Nature of Power*. Cambridge: Polity Press, 1988.
- الهويات والمصالح. إلا أن البنائين، من جانبهم، غالبًا ما ركّزوا جهودًا هائلة على الأسئلة المتعلقة بالأنطولوجيا والتكوين، في حين أنهم لا يركّزون ما يكفي من جهد لسبر أغوار الأسئلة السببية والإمبريقية المتعلقة بكيفية إنتاج الهويات والمصالح من خلال الممارسة في ظروف فوضوية. ونتيجةً لذلك، لم يأخذ البنائيون في الحسبان الرؤى الليبرالية الجديدة بشأن التعلّم والإدراك الاجتماعي.
- إن أيّ محاولة لاستخدام خطاب تفاعلي بنياني - رمزي لتجسير الهوية بين تقليديّين بحثيّين، لا يتبنى أيّ منهما خطابًا كهذا، لن ترضي أحدًا على الأرجح. ولكنّ ذلك يرجع جزئيًا إلى انهماك "الطرفين" في الخلافات القائمة حول الحالة الإستيمولوجية التي تشهدها العلوم الاجتماعية. إن وضع العلوم الاجتماعية، وخاصة العلاقات الدولية، يجعل الوصفات والاستنتاجات الإستيمولوجية سابقة لأوانها في أحسن الأحوال. تتطلّب الأسئلة المختلفة معايير استدلال متباعدة؛ فرفض أسئلة معيّنة، لأن إجاباتها لا تتوافق مع معايير الفيزياء الكلاسيكية، يعني الوقوع في فخ علوم اجتماعية يحركها منهج البحث لا أسئلته. وعلى المنوال نفسه، لا يجبرنا التخلي عن القيود المصطنعة، التي تفرضها مفاهيم البحث الوضعية المنطقية، على التخلي عن "العلم". وبعيدًا عن ذلك، ليس ثمة سبب وجيه لإيلاء الإستيمولوجيا هذه الأهمية الهائلة؛ فلا الوضعية ولا الواقعية العلمية ولا ما بعد البنيوية تفيدنا في فهم بنية الحياة الدولية ودينامياتها. إن فلسفات العلوم ليست نظريات في العلاقات الدولية. ومما يدعو إلى التفاؤل ههنا أن أنصار الليبرالية القوية والبنائين الحداثيين وما بعد الحداثيين يطرحون أسئلة متشابهة إلى حد بعيد بشأن جوهر العلاقات الدولية؛ وهذا ما يميز كلا الفريقين عن تحالف الواقعيين الجدد والعقلانيين. لا يزال أمام البنائين وأنصار الليبرالية القوية الكثير ليتعلموه بعضهم من بعض، إذا ما تمكّنوا من رؤية ما يجمعهم على الرغم مما تثيره الإستيمولوجيا من سجل.

- Caws, Peter (ed.). *The Causes of Quarrel*. Boston: Beacon, 1989.
- Cohen, Michael & Robert Axelrod. "Coping with Complexity: The Adaptive Value of Changing Utility." *American Economic Review*. vol. 74 (March 1984).
- Coplin, William. "International Law and Assumptions About the State System." *World Politics*. vol. 17 (July 1965).
- Coulter, Jeff. "Remarks on the Conceptualization of Social Structure." *Philosophy of the Social Sciences*. vol. 12 (March 1982).
- Crittenden, Kathleen. "Sociological Aspects of Attribution." *Annual Review of Sociology*. vol. 9 (1983).
- Cronk, George. *The Philosophical Anthropology of George Herbert Mead*. New York: Peter Lang, 1987.
- Czempiel, Ernst-Otto & James Rosenau (eds.). *Global Changes and Theoretical Challenges*. Lexington, MA: Lexington Books, 1989.
- Dalby, Simon. *Creating the Second Cold War*. London: Pinter, 1990.
- Dessler, David. "What's at Stake in the Agent-Structure Debate?" *International Organization*. vol. 43 (Summer 1989).
- Dunn, John (ed.). *The Economic Limits to Modern Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1990.
- Duvall, Raymond & Alexander Wendt. "The International Capital Regime and the Internationalization of the State." 1987. (Unpublished Manuscript)
- Earle, Walter. "International Relations and the Psychology of Control: Alternative Control Strategies and Their Consequences." *Political Psychology*. vol. 7 (June 1986).
- Bar-Tal, Daniel et al. "Conflict Termination: An Epistemological Analysis of International Cases." *Political Psychology*. vol. 10 (June 1989).
- Bartunek, Jean. "Changing Interpretive Schemes and Organizational Restructuring: The Example of a Religious Order." *Administrative Science Quarterly*. vol. 29 (September 1984).
- Becker, Howard. "Notes on the Concept of Commitment." *American Journal of Sociology*. vol. 66 (July 1960).
- Berger, Peter & Thomas Luckmann. *The Social Construction of Reality*. New York: Anchor Books, 1966.
- Berger, Peter. "Identity as a Problem in the Sociology of Knowledge." *European Journal of Sociology*. vol. 7, no. 1 (1966).
- Bhaskar, Roy. *The Possibility of Naturalism*. Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1979.
- Bloom, William. *Personal Identity, National Identity and International Relations*. Cambridge: Cambridge University Press, 1990.
- Boge, Volker & Peter Wilke. "Peace Movements and Unilateral Disarmament: Old Concepts in a New Light." *Arms Control*. vol. 7 (September 1986).
- Breakwell, Glynis. *Coping with Threatened Identities*. London: Methuen, 1986.
- Breslauer, George & Philip Tetlock (eds.). *Learning in U.S. and Soviet Foreign Policy*. Boulder, CO: Westview Press, 1991.
- Buzan, Barry. *People, States, and Fear*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1983.
- Buzan, Barry et al. (eds.). *The European Security Order Recast*. London: Pinter, 1990.
- Calhoun, Craig et al. (eds.). *Structures of Power and Constraint*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

- Gregory, Derek & John Urry (eds.). *Social Relations and Spatial Structures*. London: Macmillan, 1985.
- Grieco, Joseph. "Anarchy and the Limits of Cooperation: A Realist Critique of the Newest Liberal Institutionalism." *International Organization*. vol. 42 (Summer 1988).
- Haas, Ernst. *When Knowledge Is Power*. Berkeley: University of California Press, 1990.
- Haas, Peter. "Do Regimes Matter? Epistemic Communities and Mediterranean Pollution Control." *International Organization*. vol. 43 (Summer 1989).
- Harvey, John et al. (eds.). *New Directions in Attribution Research*. vol. 3. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum, 1981.
- Hewitt, John. *Self and Society: A Symbolic Interactionist Social Psychology*. Boston: Allyn & Bacon, 1988.
- Higgs, Robert. "Identity and Cooperation: A Comment on Sen's Alternative Program." *Journal of Law, Economics, and Organization*. vol. 3 (Spring 1987).
- Hindess, Barry. *Political Choice and Social Structure*. Aldershot, UK: Edward Elgar, 1989.
- Hochman, Harold & Shmuel Nitzan. "Concepts of Extended Preference." *Journal of Economic Behavior and Organization*. vol. 6 (June 1985).
- Hollis, Martin & Steven Smith. *Explaining and Understanding International Relations*. Oxford: Clarendon Press, 1989.
- Holsti, Kal. "National Role Conceptions in the Study of Foreign Policy." *International Studies Quarterly*. vol. 14 (September 1970).
- Howard, Judith & Peter Callero (eds.). *The Self-Society Dynamic*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.
- Elster, Jon. *Sour Grapes: Studies in the Subversion of Rationality*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- England, Paula & Barbara Stanek Kilbourne. "Feminist Critiques of the Separative Model of Self: Implications for Rational Choice Theory." *Rationality and Society*. vol. 2 (April 1990).
- Fain, Haskell. *Normative Politics and the Community of Nations*. Philadelphia: Temple University Press, 1987.
- Farr, Rob & Serge Moscovici (eds.). *Social Representations*. Cambridge: Cambridge University Press, 1984.
- Fay, Brian. *Critical Social Science*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1987.
- Ferguson, Yale & Richard Mansbach. "Between Celebration and Despair: Constructive Suggestions for Future International Theory." *International Studies Quarterly*. vol. 35 (December 1991).
- Foote, Nelson. "Identification as the Basis for a Theory of Motivation." *American Sociological Review*. vol. 16 (February 1951).
- Frankfurt, Harry. "Freedom of the Will and the Concept of a Person." *Journal of Philosophy*. vol. 68 (January 1971).
- Gecas, Viktor. "Rekindling the Sociological Imagination in Social Psychology." *Journal for the Theory of Social Behavior*. vol. 19 (March 1989).
- Giddens, Anthony. *Central Problems in Social Theory*. Berkeley: University of California Press, 1979.
- Goffman, Erving. *The Presentation of Self in Everyday Life*. New York: Doubleday, 1959.
- Gorbachev, Mikhail. *Perestroika: New Thinking for Our Country and the World*. New York: Harper & Row, 1987.

- Krasner, Stephen (ed.). *International Regimes*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1983.
- Krasner, Stephen. "Sovereignty: An Institutional Perspective." *Comparative Political Studies*. vol. 21 (April 1988).
- Kratochwil, Friedrich & John Ruggie. "International Organization: A State of the Art on an Art of the State." *International Organization*. vol. 40 (Autumn 1986).
- Kreisberg, Louis et al. (eds.). *Intractable Conflicts and Their Transformation*. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1989.
- Kubalkova, Vendulka & Albert Cruickshank. *Thinking New About Soviet "New Thinking"*. Berkeley: Institute of International Studies, 1989.
- Kupchan, Charles & Clifford Kupchan. "Concerts, Collective Security, and the Future of Europe." *International Security*. vol. 16 (Summer 1991).
- Kuran, Timur. "The Tenacious Past: Theories of Personal and Collective Conservatism." *Journal of Economic Behavior and Organization*. vol. 10 (September 1988).
- Kurtines, William & Jacob Gewirtz (eds.). *Morality, Moral Behavior, and Moral Development*. New York: Wiley, 1984.
- Lapid, Yosef. "The Third Debate: On the Prospects of International Theory in a Post-Positivist Era." *International Studies Quarterly*. vol. 33 (September 1989).
- Latsis, Spiro. "Situational Determinism in Economics." *British Journal for the Philosophy of Science*. vol. 23 (August 1972).
- Lebow, Richard Ned & Janice Gross Stein. "Beyond Deterrence." *Journal of Social Issues*. vol. 43, no. 4 (1987).
- Huber, Joan (ed.). *Macro-Micro Linkages in Sociology*. Beverly Hills, CA: Sage, 1991.
- Ikenberry, John & Charles Kupchan. "Socialization and Hegemonic Power." *International Organization*. vol. 44 (Summer 1989).
- Jackson, Robert & Carl Rosberg. "Why Africa's Weak States Persist: The Empirical and the Juridical in Statehood." *World Politics*. vol. 35 (October 1982).
- Jervis, Robert. "Cooperation Under the Security Dilemma." *World Politics*. vol. 30 (January 1978).
- _____. "Realism, Game Theory, and Cooperation." *World Politics*. vol. 40 (April 1988).
- Kaplowitz, Noel. "Psychopolitical Dimensions of International Relations: The Reciprocal Effects of Conflict Strategies." *International Studies Quarterly*. vol. 28 (December 1984).
- _____. "National Self-Images, Perception of Enemies, and Conflict Strategies: Psychopolitical Dimensions of International Relations." *Political Psychology*. vol. 11 (March 1990).
- Keohane, Robert (ed.). *Neorealism and Its Critics*. New York: Columbia University Press, 1986.
- Keohane, Robert. "International Institutions: Two Approaches." *International Studies Quarterly*. vol. 32 (December 1988).
- _____. "International Relations Theory: Contributions of a Feminist Standpoint." *Millennium*. vol. 18 (Summer 1989).
- _____. *After Hegemony*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984.
- _____. *International Institutions and State Power*. Boulder, CO: Westview Press, 1989.
- Kohut, Heinz. *Self-Psychology and the Humanities*. New York: Norton, 1985.

- Milner, Helen. "The Assumption of Anarchy in International Relations Theory: A Critique." *Review of International Studies*. vol. 17 (January 1991).
- Mommsen, Wolfgang & Jurgen Osterhammel (eds.). *Imperialism and After: Continuities and Discontinuities*. London: Allen & Unwin, 1986.
- Monroe, Kristen (ed.). *The Economic Approach to Politics*. New York: Harper Collins, 1991.
- Morgan, David & Michael Schwalbe. "Mind and Self in Society: Linking Social Structure and Social Cognition." *Social Psychology Quarterly*. vol. 53 (June 1990).
- Morrow, James. "Social Choice and System Structure in World Politics." *World Politics*. vol. 41 (October 1988).
- Murphy, Raymond. *Social Closure*. Oxford: Clarendon Press, 1988.
- Nayatullah, Naeem & David Levine. "Politics and Economics in Contemporary International Relations Theory." Syracuse University, Syracuse, NY (1990).
- Niou, Emerson & Peter Ordeshook. "Realism Versus Neoliberalism: A Formulation." *American Journal of Political Science*. vol. 35 (May 1991).
- Nye, Joseph. "Neorealism and Neoliberalism." *World Politics*. vol. 40 (January 1988).
- _____. "Nuclear Learning and U.S.-Soviet Security Regimes." *International Organization*. vol. 41 (Summer 1987).
- Onuf, Nicholas. *World of Our Making*. Columbia: University of South Carolina Press, 1989.
- Perinbanayagam, R. S. *Signifying Acts: Structure and Meaning in Everyday Life*. Carbondale: Southern Illinois University Press, 1985.
- Lipson, Charles. "International Cooperation in Economic and Security Affairs." *World Politics*. vol. 37 (October 1984).
- Lumsdaine, David. *Ideals and Interests: The Foreign Aid Regime, 1949-1989*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1993.
- Lynch, Allen. *Gorbachev's International Outlook: Intellectual Origins and Political Consequences*. New York: Institute for East-West Security Studies, 1989.
- Mansbridge, Jane (ed.). *Beyond Self-Interest*. Chicago: University of Chicago Press, 1990.
- Maoz, Zeev & Daniel Felsenthal. "Self-Binding Commitments, the Inducement of Trust, Social Choice, and the Theory of International Cooperation." *International Studies Quarterly*. vol. 31 (June 1987).
- March, James. "Bounded Rationality, Ambiguity, and the Engineering of Choice." *The Bell Journal of Economics*. vol. 9 (Autumn 1978).
- Markus, Hazel & Paula Nurius. "Possible Selves." *American Psychologist*. vol. 41 (September 1986).
- McNall, Scott & Gary Howe (eds.). *Current Perspectives in Social Theory*, vol. 1. Greenwich, CO: JAI Press, 1980.
- Mead, George Herbert. *Mind, Self and Society*. Chicago: University of Chicago Press, 1934.
- Mearsheimer, John. "Back to the Future: Instability in Europe After the Cold War." *International Security*. vol. 13 (Summer 1990).
- Meyer, Stephen. "The Sources and Prospects of Gorbachev's New Political Thinking on Security." *International Security*. vol. 13 (Fall 1988).
- Milburn, Thomas & Daniel Christie. "Rewarding in International Politics." *Political Psychology*. vol. 10 (December 1989).

- Smith, Anthony. "States and Homelands: The Social and Geopolitical Implications of National Territory." *Millennium*. vol. 10 (Autumn 1981).
- Smoke, Richard & Andrei Kortunov (eds.). *Mutual Security*. New York: St. Martin's Press, 1991.
- Snyder, Jack. "The Gorbachev Revolution: A Waning of Soviet Expansionism?" *World Politics*. vol. 12 (Winter 1987-1988).
- Strang, David. "Anomaly and Commonplace in European Expansion: Realist and Institutional Accounts." *International Organization*. vol. 45 (Spring 1991).
- Stryker, Sheldon. "The Vitalization of Symbolic Interactionism." *Social Psychology Quarterly*. vol. 50 (March 1987).
- Suganami, Hidemi. "Bringing Order to the Causes of War Debates." *Millennium*. vol. 19 (Spring 1990).
- Taylor, Michael. *Anarchy and Cooperation*. New York: Wiley, 1976.
- Tickner, Ann. "Hans Morgenthau's Principles of Political Realism: A Feminist Reformulation." *Millennium*. vol. 17 (Winter 1988).
- Triska, Jan (ed.). *Dominant Powers and Subordinate States*. Durham, NC: Duke University Press, 1986.
- Turner, Jonathan. *A Theory of Social Interaction*. Stanford, CA: Stanford University Press, 1988.
- Walker, R. B. J. "History and Structure in the Theory of International Relations." *Millennium*. vol. 18 (Summer 1989).
- _____. "Realism, Change, and International Political Theory." *International Studies Quarterly*. vol. 31 (March 1987).
- _____. "Security, Sovereignty, and the Challenge of World Politics." *Alternatives*. vol. 15 (Winter 1990).
- Risse-Kappen, Thomas. "Are Democratic Alliances Special?" Yale University, New Haven, CO, 1991. (Unpublished manuscript).
- Rose, Arnold (ed.). *Human Behavior and Social Processes*. Boston: Houghton Mifflin, 1962.
- Rosenberg, Morris & Ralph Turner (eds.). *Social Psychology: Sociological Perspectives*. New York: Basic Books, 1981.
- Rosenberg, Shawn & Gary Wolfsfeld. "International Conflict and the Problem of Attribution." *Journal of Conflict Resolution*. vol. 21 (March 1977).
- Ruggie, John. "Continuity and Transformation in the World Polity: Toward a Neorealist Synthesis." *World Politics*. vol. 35, no. 2 (January 1983).
- Sakamoto, V. "Unilateral Initiative as an Alternative Strategy." *World Futures*. vol. 24, no. 1-4 (1987).
- Schelling, Thomas. "The Intimate Contest for Self-Command." *The Public Interest*. vol. 60 (Summer 1980).
- Sen, Amartya & Bernard Williams (eds.). *Utilitarianism and beyond*. Cambridge: Cambridge University Press, 1982.
- Sen, Amartya. "Goals, Commitment, and Identity." *Journal of Law, Economics, and Organization*. vol. 1 (Fall 1985).
- _____. "Rational Fools: A Critique of the Behavioral Foundations of Economic Theory." *Philosophy and Public Affairs*. vol. 6 (Summer 1977).
- Shapiro, Ian & Alexander Wendt. "The Difference That Realism Makes: Social Science and the Politics of Consent." *Politics & Society*. vol. 20, no. 2 (1992).
- Shih, C. & Martha Cottam (eds.). *Contending Dramas: A Cognitive Approach to Post-War International Organizational Processes*. New York: Praeger, 1996.

- _____. "The States System and Global Militarization." PhD. Dissertation, University of Minnesota. Minneapolis, 1989.
- _____. "Bridging the Theory/ Meta-Theory Gap in International Relations." *Review of International Studies*. vol. 17 (October 1991).
- Wendt, Alexander & Michael Barnett. "The International System and Third World Militarization." (1991). (Unpublished Manuscript)
- Williams, Michael. "Rousseau, Realism, and Realpolitik." *Millennium*. vol. 18 (Summer 1989).
- Wrong, Dennis. "The Oversocialized Conception of Man in Modern Sociology." *American Sociological Review*. vol. 26 (April 1961).
- Zald, Mayer & John McCarthy (eds.). *The Dynamics of Social Movements*. Cambridge, MA: Winthrop, 1979.
- Walker, R. B. J. & Saul Mendlovitz (eds.). *Contending Sovereignties*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 1990.
- Walker, Stephen (ed.). *Role Theory and Foreign Policy Analysis*. Durham, NC: Duke University Press, 1987.
- Walt, Stephen. *The Origins of Alliances*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1987.
- Waltz, Kenneth. *Man, the State, and War*. New York: Columbia University Press, 1959.
- _____. *Theory of International Politics*. Boston: Addison-Wesley, 1979.
- Wartenberg, Thomas. "The Concept of Power in Feminist Theory." *Praxis International*. vol. 8 (October 1988).
- Weinstein, Eugene & Paul Deutschberger. "Some Dimensions of Altercasting." *Sociometry*. vol. 26 (December 1963).
- Wendt, Alexander. "The Agent-Structure Problem in International Relations Theory." *International Organization*. vol. 41 (Summer 1987).



التوثيق

Documentation

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Milestones in Democratic Transition in the Arab World

يتضمن هذا التقرير توثيقاً لأبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي، في المدة 1 كانون الثاني/يناير – 28 شباط/فبراير 2025.

كلمات مفتاحية: مصر، سورية، تونس، السودان.

Keywords: Egypt, Syria, Tunisia, Sudan.

بن سدرين، التي تواصل إضراباً عن الطعام منذ نحو أسبوع، بعد أن قضت 165 يوماً في السجن على خلفية قضية تقول إنها كيدية.

(الجزيرة نت، 2025/1/22)

2025/1/22 وقّع الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون مرسوماً رئاسياً يقضي باستدعاء الهيئة الناخبة استعداداً لانتخابات تجديد نصف أعضاء مجلس الأمة (الغرفة الأولى للبرلمان)، المقررة في 9 آذار/ مارس 2025.

(العربي الجديد، 2025/1/22)

2025/1/25 دعت إدارة العمليات العسكرية جميع عناصر نظام الرئيس السوري السابق، بقيادة بشار الأسد، في محافظة اللاذقية، إلى تسوية أوضاعهم.

(العربي الجديد، 2025/1/25)

2025/1/31 ألقى الأمن العام التابع للحكومة السورية في اللاذقية القبض على العميد عاطف نجيب، أحد أهم رموز النظام السوري السابق.

(العربي الجديد، 2025/1/31)

2025/1/31 دعا الرئيس السوري في المرحلة الانتقالية، أحمد الشرع، في أول خطاب له بصفته رئيساً، جميع السوريين إلى "المشاركة في بناء الوطن الجديد"، مؤكداً عزمه على تشكيل حكومة انتقالية شاملة تعكس تنوع البلاد وتضع أسس مؤسسات جديدة.

(الشرق الأوسط، 2025/1/31)

2025/1/31 أعلنت تنسيقية القوى الديمقراطية المدنية "تقدم" عن قرارها الرسمي المتعلق بفصل الأفراد الذين يسعون لتشكيل حكومة جديدة، والكيانات أيضاً، عن تلك التي ترفض تشكيلها، سواء على نحو منفرد أو بالتعاون مع أيٍّ من الأطراف المتنازعة.

(أخبار السودان، 2025/1/31)

2025/2/1 شهدت ساحة الأمويين في العاصمة السورية دمشق اعتصاماً طالبت فيه الحشود بطرد قوات سوريا الديمقراطية "قسد"، وحزب العمال الكردستاني، ووحدات حماية الشعب، وحزب الاتحاد الديمقراطي من الجزيرة السورية. ورفع المعتصمون شعارات تؤكد وحدة الأراضي السورية، ورفض جميع المشاريع الانفصالية، مؤكداً أن "سلاح قسد والأحزاب الانفصالية موجه ضد السوريين وليس لحمايتهم".

(عربي 21، 2025/2/1)

2025/2/3 طرحت حركة "حق" مبادئ مبادرة وطنية شاملة لإنقاذ تونس، في ظل تعمق الأزمة الداخلية على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إضافةً إلى "المخاطر الخارجية التي تهدد أمن الأمة التونسية واستقرارها".

(ألتر تونس، 2025/2/3)

2025/1/7 دعت الشبكة التونسية للحقوق والحريات إلى التظاهر بشارع الحبيب بورقيبة في تونس العاصمة، بمناسبة الذكرى الـ 14 للثورة التونسية.

(ألتر تونس، 2025/1/7)

2025/1/8 أعلن وزير خارجية الإدارة السورية الجديدة أسعد الشيباني أن الإدارة برئاسة أحمد الشرع ستأني في تنظيم المؤتمر الوطني المرتقب، والذي يهدف إلى جمع السوريين على اختلاف أطرافهم من أجل "بلورة هوية سياسية" جديدة للبلاد بعد سقوط نظام الرئيس السابق بشار الأسد.

(الشرق بلومبيرغ، 2025/1/8)

2025/1/12 وجه السياسي المصري حمدين صباحي نداءً إلى الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، جدد فيه مطالبة القوى الوطنية بالإفراج عن جميع سجناء الرأي الذين لم يرتكبوا أعمال عنف ولم يحرّضوا عليها.

(العربي الجديد، 2025/1/12)

2025/1/13 صرّحت الممثلة العليا للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية، كايا كالاس، أن وزراء خارجية الاتحاد سيجتمعون في أواخر كانون الثاني/ يناير 2025 لبحث إمكانية تخفيف العقوبات المفروضة على سورية. وأضافت أن هذه الخطوة ستظل مشروطة بتنفيذ الحكام الجدد في البلاد عملية انتقال سياسي شاملة، بعد إطاحة الرئيس المخلوع بشار الأسد.

(العربي الجديد، 2025/1/13)

2025/1/15 دعا مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان إلى تحقيق عدالة انتقالية في سورية، معتبراً ذلك خطوة بالغة الأهمية بعد أن تسلمت إدارة جديدة السلطة في البلاد. كما حثّ على الإسراع في إعادة النظر في العقوبات المفروضة عليها.

(دويتشه فيله، 2025/1/15)

2025/1/21 أقرّ البرلمان العراقي ثلاثة قوانين في جلسة واحدة، هي قانون الأحوال الشخصية، وقانون العفو العام، وقانون إعادة العقارات إلى أصحابها المشمولين بقرارات مجلس قيادة الثورة المنحل، على الرغم من اعتراض بعض النواب الذين أكدوا أن الجلسة لم تشهد نصاً كافياً للتصويت.

(الشرق الأوسط، 2025/1/21)

2025/1/22 نفذ ناشطون من المجتمع المدني وقفة احتجاجية أمام مقرّ وزارة العدل في العاصمة تونس، احتجاجاً على ما يعتبرونه مظلمة سياسية مسلطة على رئاسة هيئة الحقيقة والكرامة سهام

2025/2/12 أصدر الرئيس السوري أحمد الشرع قرارًا بتشكيل لجنة تحضيرية لمؤتمر الحوار الوطني، وتكلف سبعة أشخاص بعضوية اللجنة.

(في آر تي غلوبال، 2025/2/12)

2025/2/12 أعلن وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني أن حكومة جديدة في البلاد ستشكل مطلع الشهر المقبل، على أن تجسد تمثيلًا واسعًا للشعب السوري مع مراعاة تنوعه.

(العربية نت، 2025/2/12)

2025/2/13 طالب المجلس الوطني الكردي في سورية بإعادة النظر في تشكيل اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار الوطني، معتبرًا أنها لا تمثل جميع المكونات الوطنية. وفي المقابل، أعلنت اللجنة أن الجماعات التي لم تسلّم أسلحتها للدولة السورية، من في ذلك قوات سوريا الديمقراطية "قسد"، لن توجه لها دعوة للمشاركة في المؤتمر.

(العربي الجديد، 2025/2/13)

2025/2/13 اعتبرت جبهة الخلاص، في بيان لها، أن "الاعتقالات والمحاكمات الجائرة لا تؤسس للاستقرار في البلاد"، بل أحدثت فراغًا سياسيًا أثر في جوهر الدولة واستقرارها، مصحوبًا "بتصاعد مظاهر الاحتقان الاجتماعي".

(ألترا تونس، 2025/2/13)

2025/2/14 استبعدت السلطة العليا للانتخابات في الجزائر عددًا من المرشحين لانتخابات تجديد نصف مقاعد الغرفة الأولى للبرلمان (مجلس الأمة)، المقررة في 9 آذار/ مارس المقبل، بسبب شبهات فساد وارتباطهم بأوساط المال الفاسد.

(العربي الجديد، 2025/2/14)

2025/2/17 أصدر المكتب التنفيذي لجمعية القضاة التونسيين بيانًا، وقعّه رئيس الجمعية أنس الحمادي، أكد فيه أن "القضاء التونسي يعيش وضعًا كارثيًا، في ظلّ الوضع القضائي العام الحالي"، الذي يتسم بتوسع نفوذ وزارة العدل داخل القضاء وبسط سيطرتها الكاملة عليه، مستغلة حالة الفراغ المؤسسي والشلل في المجلس المؤقت للقضاء العدلي؛ نتيجة أحداث شغورات عمدية في تركيبته "وعدم سدها منذ عامين".

(ألترا تونس، 2025/2/17)

2025/2/18 أعلنت إدارة الأمن العام في سورية عن القبض على أشخاص متورطين في مجزرة حي التضامن، التي نفذها عناصر من قوات نظام الرئيس السابق بشار الأسد عام 2013 في جنوب العاصمة دمشق. وأسفرت المجزرة عن سقوط عدد كبير من الضحايا المدنيين، وقد جرى تداول مقطع فيديو يوثقها عام 2022.

(سكاي نيوز عربية، 2025/2/18)

2025/2/3 أوضح الرئيس السوري أحمد الشرع أن تنظيم انتخابات رئاسية في سورية من المحتمل أن يستغرق فترة تراوح بين أربع وخمس سنوات.

(سي إن إن بالعربية، 2025/2/3)

2025/2/5 أصدرت محكمة تونسية أحكامًا قضائية في حق شخصيات سياسية تونسية وصحافيين، بينهم رئيس حركة النهضة راشد الغنوشي ورئيس وزراء سابق، بتهمة "المساس بأمن الدولة". وحُكم على الغنوشي، الموقوف في قضايا أخرى، بالسجن مدة 22 عامًا، بينما حُكم على رئيس الوزراء السابق هشام المشيشي بالسجن 35 عامًا، وعلى الصحافية شذى الحاج مبارك بالسجن 5 سنوات، بحسب المحامين. كما صدرت أحكام بالسجن مدة 27 عامًا في حق الصحافية شهرزاد عكاشة.

(الجزيرة نت، 2025/2/5)

2025/2/7 أعلن "المجلس الوطني الكردي" في سورية انسحابه من الائتلاف السوري المعارض، ضمن جهود توحيد القوى السياسية الكردية، تمهيدًا للدخول في مفاوضات مباشرة مع السلطة الانتقالية في دمشق.

(الشرق الأوسط، 2025/2/7)

2025/2/9 احتشد عشرات المتظاهرين أمام مديرية التربية في مدينة السويداء السورية، احتجاجًا على إعادة تعيين بعض الشخصيات المرتبطة بالنظام السابق في مناصب حساسة داخل دوائر الدولة.

(العربي الجديد، 2025/2/9)

2025/2/10 أصدرت "الإدارة الذاتية"، المظلة المدنية لقوات سوريا الديمقراطية "قسد"، بيانًا هاجمت فيه الإعلان عن اللجنة التحضيرية للحوار الوطني في سورية، معتبرة أنه "يعكس قصورًا واضحًا في عملية التحول الديمقراطي لسورية الجديدة". وأشار البيان إلى أن الإعلان يعكس معايير "الحصر" و"سوء التقدير" للواقع السوري، واتهم اللجنة بـ "التهميش والانغلاق"، داعيًا إلى عدم إقصاء إرادة حوالى خمسة ملايين سوري وحققهم في تقرير مصيرهم في مناطق سيطرة قسد.

(شبكة شام، 2025/2/10)

2025/2/11 أعلنت أحزاب سياسية ومنظمات مجتمع مدني ونقابات وشخصيات مستقلة في السودان عن تأسيس تحالف سياسي جديد يهدف إلى مناهضة الحرب ودعم التحول الديمقراطي في البلاد.

(العربي الجديد، 2025/2/11)

2025/2/12 نشرت الجريدة الرسمية قرار لجنة الأحزاب السياسية المتعلق بقبول الإخطار المقدم من الدكتور عاصم عبد الحميد حافظ الجزار، وكيل مؤسسي حزب الجبهة الوطنية، بتأسيس الحزب، ومنحه الشخصية الاعتبارية وحق ممارسة نشاطه السياسي.

(المصري اليوم، 2025/2/12)

2025/2/20 انتقد "المجلس الوطني الكردي"، في بيان له، الجلسات التحضيرية لمؤتمر الحوار الوطني السوري، خاصة الجلسة التي عُقدت يوم 20 شباط/ فبراير 2025 لأبناء محافظة الحسكة شمال شرقي سورية. وأكد المجلس دعمه للحوار الوطني واعتباره مدخلاً لصياغة مستقبل البلاد، لكنه شدد على أن تغييب الحركة السياسية الكردية عن هذه الجلسات يمثل إخلالاً بمبدأ الشراكة الوطنية وتجاهلاً لدور مكُون رئيس من مكونات الشعب السوري، الذي عانى سياسات التمييز والإقصاء طيلة عقود، وحُرم من حقوقه المشروعة تحت الأنظمة المتعاقبة.

(شبكة شام، 2025/2/20)

2025/2/21 رفضت السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات في الجزائر نحو 143 طلب ترشح لانتخابات التجديد النصفي لمجلس الأمة؛ مبررةً ذلك بارتباط بعض المرشحين بأوساط المال الفاسد أو بممارسات مشبوهة.

(النهار، 2025/2/21)

2025/2/23 وقّعت قوات الدعم السريع السودانية ميثاقاً مع جماعات سياسية ومسلّحة متحالفة معها لتشكيل "حكومة سلام ووحدة" في المناطق الخاضعة لسيطرتها، وفق ما صرّح به السياسانيون السودانيان الهادي إدريس وإبراهيم الميرغني لوكالة رويترز.

(التلفزيون العربي، 2025/2/23)

2025/2/24 أعلنت نحو خمسين منظمة دولية إطلاق حملة للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين في تونس، تزامناً مع انعقاد الدورة 58 لمجلس حقوق الإنسان في جنيف.

(العربي الجديد، 2025/2/24)

2025/2/24 ألقت السلطات السورية القبض على العقيد عبد الله ناظم كرف، أحد المسؤولين في قسم التحقيق بفرع فلسطين، المعروف بأنه أحد مراكز التعذيب والاستجواب التابعة لنظام الرئيس السوري السابق بشار الأسد.

(القدس العربي، 2025/2/24)

2025/2/24 طالبت النيابة العامة الموريتانية بتوقيع عقوبة السجن مدة عشرين عاماً على الرئيس الأسبق محمد ولد عبد العزيز، الذي يحاكم منذ تشرين الثاني/ نوفمبر 2024 أمام محكمة الاستئناف في نواكشوط بتهمة استغلال السلطة لجمع ثروة هائلة.

(الشرق الأوسط، 2025/2/24)

2025/2/25 أعلن الرئيس السوري في المرحلة الانتقالية، أحمد الشرع، خلال افتتاح مؤتمر الحوار الوطني في دمشق أن السلطات الجديدة تعمل على تشكيل هيئة للعدالة الانتقالية، مؤكداً في الوقت ذاته على وحدة سورية.

(فرانس 24، 2025/2/25)

2025/2/18 هنأ قائد قوات سوريا الديمقراطية "قسد"، مظلوم عبيد، الرئيس السوري أحمد الشرع، بتوليّه منصب رئاسة البلاد خلال المرحلة الانتقالية، داعياً إياه إلى زيارة مناطق شمال شرق سورية الخاضعة لسيطرة التنظيم.

(عربي 21، 2025/2/18)

2025/2/18 عُقد اجتماع ثلاثي، بين قوات سوريا الديمقراطية "قسد" ومجلس سوريا الديمقراطية (مسد) والإدارة الذاتية لشمال وشرق سورية، التي تسيطر على مناطق واسعة في شمال البلاد وشرقيها، وأسفر عن سلسلة اتفاقات لتنسيق التعاون مع الحكومة السورية في دمشق. وأكد قيادي في قسد أن الاجتماع أسفر عن دمج قسد والمؤسسات الأمنية التابعة للإدارة الذاتية ضمن هيكلية الجيش السوري، في خطوة لتعزيز التعاون العسكري بين الطرفين. كما جرى الاتفاق على إعادة تفعيل المؤسسات المدنية والخدمية التابعة للدولة في المناطق الشمالية والشرقية، بما يُسهم في تحسين الواقع المعيشي والخدمي للسكان.

(العربي الجديد، 2025/2/18)

2025/2/18 أعلنت هيئة حقوقية سودانية مقتل أكثر من 200 شخص نتيجة هجوم شنته قوات الدعم السريع على قرى بولاية النيل الأبيض جنوبي السودان.

(وكالة الأناضول، 2025/2/18)

2025/2/18 نُظمت وقفة تضامنية في ساحة مسجد خالد بن الوليد في حمص وسط سورية دعماً لحقوق المعتقلين السوريين في سجن رومية اللبناني، والمطالبة بالإفراج عنهم بعد سنوات من الاحتجاز من دون ما وصفه المشاركون بمحاكمات عادلة. وشارك في الوقفة عدد كبير من الأهالي وذوي المعتقلين، إضافةً إلى ناشطين حقوقيين، الذين أكدوا على ضرورة التحرك العاجل لإنهاء معاناة المحتجزين.

(العربي الجديد، 2025/2/18)

2025/2/19 أعلن القضاء التونسي أن دائرة الاتهام في محكمة الاستئناف بتونس قررت الإفراج عن رئيسة الهيئة الحكومية السابقة "الحقيقة والكرامة"، سهام بن سدرين، مع استمرار منعها من مغادرة البلاد.

(التلفزيون العربي، 2025/2/19)

2025/2/20 قال مصدران في الحكومة السودانية إن الحكومة أجرت تعديلات على الدستور الانتقالي لتعزيز سيطرة الجيش، وحذفت الإشارات إلى المدنيين وقوات الدعم السريع التي يشنّ الجيش السوداني حرباً عليها.

(الشرق الأوسط، 2025/2/20)

"ومن قبلها صدور أحكام الإدانة في حق من تعلقت بهم تهم اغتيال شكري بلعيد"، معتبرة أن صدور هذه الأحكام "أسقط نهائيًا محاولات بعض الأطراف الزجّ بقيادات من الحركة في هذه القضايا".

(العربي الجديد، 2025/2/27)

2025/2/27 أعلنت وزارة الداخلية السورية القبض على عدد من عناصر فلول نظام بشار الأسد ومصادرة أسلحة وذخائر كانت بحوزتهم، في قرية عين شمس بمنطقة مصيف في ريف محافظة حماة وسط سورية.

(العربي الجديد، 2025/2/27)

2025/2/28 حثّ رئيس الوزراء البريطاني كير ستارمر الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، خلال اتصال هاتفي، على الإفراج عن الناشط المصري البريطاني علاء عبد الفتاح.

(الجزيرة، 2025/2/28)

2025/2/25 اختتم مؤتمر الحوار الوطني السوري أعماله، في العاصمة دمشق، حيث أصدر المشاركون بيانًا ختاميًا أكد وحدة سورية وسيادتها، ورفض أي محاولات للتقسيم، إلى جانب إدانة "التوغل الإسرائيلي" في الأراضي السورية، وحصر السلاح بيد الدولة. وأوضحت هدى الأناشي، عضو اللجنة التحضيرية، أن المجتمعين دعوا إلى بناء جيش وطني احترافي، واعتبار أي تشكيلات مسلحة خارج المؤسسات الرسمية جماعات غير قانونية. وشدد البيان الختامي على ضرورة الإسراع بتشكيل المجلس التشريعي المؤقت، للاضطلاع بمهام السلطة التشريعية، وفق "معايير الكفاءة والتمثيل العادل".

(بي بي سي عربي، 2025/2/25)

2025/2/25 أعربت وزارة الخارجية التونسية عن استغرابها لما ورد في البيان الصادر عن المفوض السامي لحقوق الإنسان حول "المساجين السياسيين" في تونس، معتبرة أن ما جاء فيه يتضمن "مغالطات". وأضافت الوزارة أن تونس ليست في حاجة إلى تأكيد حرصها على حماية حقوق الإنسان، فذلك ينبع من إيمانها بهذه الحقوق، فضلًا عن التزامها بما نص عليه دستورها وقوانينها الوطنية، وما التزمت به على المستويين الإقليمي والدولي.

(أنتر تونس، 2025/2/25)

2025/2/25 رأت الإدارة الذاتية، التي تسيطر على شمال شرق سورية، أن مؤتمر الحوار الوطني، الذي نظّمته السلطات الانتقالية الجديدة في البلاد، كان مخيبًا للآمال ولا يعكس تمثيلًا حقيقيًا للشعب السوري.

(سكاي نيوز عربية، 2025/2/25)

2025/2/25 أصدرت محكمة تونسية حكم الإعدام في حق ثمانية متهمين في قضية اغتيال المعارض والنائب الأسبق محمد البراهمي عام 2013.

(القدس العربي، 2025/2/25)

2025/2/26 أعلن رئيس مجلس النواب اللبناني، نبيه بري، أن حكومة الإنقاذ والإصلاح برئاسة نواف سلام نالت ثقة المجلس.

(العربية نت، 2025/2/26)

2025/2/27 أفاد تقرير صادر عن المركز السوري للعدالة والمساءلة بأن أكثر من ألف سوري لقوا حتفهم أثناء احتجاجهم في مطار عسكري قرب دمشق، أو جرى إعدامهم، أو ماتوا نتيجة التعذيب أو سوء معاملة، خلال فترة حكم الرئيس السوري السابق بشار الأسد.

(سويس إنفو، 2025/2/27)

2025/2/27 أصدرت حركة النهضة التونسية بيانًا، عقب صدور الأحكام القضائية في قضية اغتيال النائب الأسبق محمد البراهمي، شددت فيه على أنها كانت أكبر المتضررين من الاغتيالات السياسية،

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي Documents of Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا الباب أبرز الوثائق السياسية ذات الصلة بالتحول الديمقراطي في الوطن العربي. وننشر، في هذا العدد، وثائق من تونس وسورية، في المدة 1 كانون الثاني/يناير – 28 شباط/فبراير 2025.

كلمات مفتاحية: تونس، سورية.



Keywords: Tunisia, Syria.

الوثيقة (1)

خطاب الرئيس السوري أحمد الشرع في أول كلمة للشعب بعد توليه الرئاسة

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد. إلى أبناء الشعب السوري الأبي. أقف أمامكم اليوم بقلب ملؤه الأمل والعزيمة، موجهاً كلمتي إلى كل السوريين والسوريات، إلى من يعيشون في مخيمات التهجير، إلى النازحين واللاجئين، إلى الجرحى والمصابين، إلى عائلات الشهداء والمفقودين، إلى الناشطين الثوار الذين كرسوا حياتهم للنضال من أجل سورية الحرة. أقف أمامكم اليوم بعد أربعة وخمسين يوماً من تحررنا جميعاً، تحرر سورية من قيود نظام مجرم جثم على صدورنا لعقود. أربعة وخمسون يوماً مرت على زوال أربعة وخمسين عاماً من أحلك أشكال الحكم الاستبدادي في العالم أجمع. تحررت سورية بفضل الله أولاً، ثم بفضل كل إنسان ناضل في الداخل والخارج؛ كل إنسان ضحى بروحه ودمه ومنزله وماله وأمنه وأمانه. تحررت سورية بالشهداء والمعتقلين والمعتقلات، والمعتدين والمعتذبات، والمفقودين والمفقودات، وجميع أمهاتهم الثكالي وأهلهم المكلمين. بسبب تضحياتهم وتضحياتكم جميعاً، أقف هنا اليوم، لنفتح معاً فصلاً جديداً في تاريخ بلدنا الحبيب. انطلق هذا النصر من حناجر المتظاهرين وهتافات المحتجين في الساحات والميادين، انطلق من أنامل حمزة الخطيب، وأهازيج المظاهرات، وآهات المعتقلين والمعتذرين في أقبية تدمر وصيدنايا ورفر فلسطين، واستمر بتضحيات الثوار الذين حرروا أرض سورية رغم سنوات من عذابات الصواريخ والبراميل والكيماوي، فلم ينثن، ولم ينكسروا.

أيها الإخوة والأخوات. تسلمت بالأمس مسؤولية البلاد، وذلك بعد مشاورات مكثفة مع الخبراء القانونيين لضمان سير العملية السياسية ضمن الأعراف القانونية، وبما يمنحها الشرعية اللازمة. ومن هنا أخطبكم اليوم بصفتي رئيساً لسورية في هذه الفترة المصرية سائلاً الله أن يوفقنا جميعاً للنهوض بوطننا وتجاوز التحديات التي نواجهها، ولن يكون ذلك إلا بتكاتف الجميع شعباً وقيادة. أحدثكم اليوم، لا كحاكم بل كخادم لوطننا الجريح، ساعياً بكل ما أوتيت من قوة وإرادة لتحقيق وحدة سورية ونهضتها، مستصحبين جميعاً أن هذه مرحلة انتقالية، وهي جزء من عملية سياسية تتطلب مشاركة حقيقية لكل السوريين والسوريات في الداخل والخارج لبناء مستقبلهم بحرية وكرامة دون إقصاء أو تهميش، وسنعمل على تشكيل حكومة انتقالية شاملة تعبر عن تنوع سورية برجالها ونسائها وشبابها، وتتولى العمل على بناء مؤسسات سورية الجديدة، حتى نصل إلى مرحلة انتخابات حرة نزيهة. واستناداً لتفويض بمهامي الحالية، وقرار حل مجلس الشعب، فإنني سأعلن عن لجنة تحضيرية لاختيار مجلس تشريعي مصغر يملأ هذا الفراغ في المرحلة الانتقالية، وسنعلن في الأيام القادمة عن اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار الوطني، والذي سيكون منصة مباشرة للمداورات واستماع مختلف وجهات النظر حول برنامجنا السياسي القادم. وبعد إتمام هذه الخطوات، سنعلن عن الإعلان الدستوري ليكون المرجع القانوني للمرحلة الانتقالية. سنركز في الفترة القادمة على رسم أولوياتنا ضمن الآتي، تحقيق السلم الأهلي، وملاحقة المجرمين الذين ولغوا في الدم السوري وارتكبوا بحقنا المجازر والجرائم سواء ممن اختبؤوا داخل البلاد أو فروا خارجها عبر عدالة انتقالية حقيقية، وإتمام وحدة الأراضي السورية؛ كل سوريا، وفرض سيادتها تحت سلطه واحدة وعلى أرض واحدة، وبناء مؤسسات قوية للدولة تقوم على الكفاءة والعدل، لا فساد فيها ولا محسوبية ولا رشواي، وإرساء دعائم اقتصاد قوي يعيد لسورية مكانتها الإقليمية والدولية، ويوفر فرص عمل حقيقية كريمة لتحسين الظروف المعيشية واستعادة الخدمات الأساسية المفقودة.

يا أبناء سورية الحرة، إن بناء الوطن مسؤوليتنا جميعاً، وهذه دعوه لجميع السوريين للمشاركة في بناء وطن جديد يحكم فيه بالعدل والشورى. معاً سنصنع سورية المستقبل، سورية منارة العلم والتقدم وملاذ الأمن والاستقرار، سورية الرخاء والتقدم والازدهار، سورية التي تمدها بالسلام والاحترام ليعود أهلها إلى وطن عزيز كريم مزدهر آمن مطمئن بإذن الله، والحمد لله رب العالمين.

جهة الإصدار: الرئيس السوري، أحمد الشرع.

المصدر: التلفزيون العربي، يوتيوب، 2025/1/30، شوهدي في 2025/2/2، في: <https://tinyurl.com/4rh67jxh>

الوثيقة (2)

"حركة حق" تطرح مبادرة لإجراء حوار وطني يحقق انفراجًا حقيقيًا



مبادئ مبادرة وطنية شاملة لإنقاذ تونس

تونس في 03 فيفري 2025

في ظل تعمق الأزمة الداخلية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية علاوة على المخاطر الخارجية التي تهدد أمن واستقرار الأمة التونسية، أصبح من الضروري تبني مبادرة وطنية جامعة تعيد بناء الثقة بين مختلف الأطراف وتفتح مسارا جديدا نحو الاستقرار والتنمية.

وفي هذا السياق، فإن حركة حق تطرح هذه المبادرة بهدف تحقيق انفراج سياسي حقيقي من خلال حوار يُتَوَجَّع بتوافقات وطنية مسؤولة تقوم على أسس المصالحة والعدالة الانتقالية وإعادة التوازن بين الاستحقاقات السياسية والاقتصادية خاصة وإنها تتقاطع مع المبادرة التي قدمها مجموعة من أعضاء مجلس نواب الشعب.

وتتأسس المبادرة لإجراء حوار وطني على المحاور التالية:

1- تكريس دولة القانون من خلال الإفراج الفوري عن جميع المعتقلين بسبب مواقفهم السياسية أو أنشطتهم الإعلامية والنقابية بشرط عدم تورطهم في الدعوة أو تبرير أو ممارسة العنف وتعليق الملاحقات القضائية ذات الطابع السياسي وإعادة النظر في التشريعات التي تقيد الحريات العامة بما يضمن التأسيس لدولة القانون تُفَعَّل فيها المؤسسات والهيئات الدستورية لتضطلع بدورها بكل حيادية.

2- إعلان حالة استنفار وطني لمواجهة التحديات عبر الاعتراف رسميًا بخطورة الوضع الراهن واعتبار الأزمة الاقتصادية والاجتماعية أولوية وطنية تتطلب تعبئة شاملة مما يستوجب إطلاق حوار وطني مفتوح يشمل كافة القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون إقصاء لوضع خارطة طريق للإصلاحات العاجلة في المجالين السياسي والاقتصادي وتشريك الفاعلين الاقتصاديين في الحلول مع وقف أي مسارات تستهدفهم لأغراض سياسية لضمان إعادة الثقة في مناخ الاستثمار.

3- مصالحة وطنية والاعتراف بالأخطاء من خلال التزام جميع الأطراف السياسية سلطة ومعارضة بإجراء مراجعات عميقة لأدائها خلال السنوات الماضية والاعتراف بالأخطاء كخطوة ضرورية لإعادة بناء الثقة وضمان عدم تكرار الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان واعتماد نهج يقوم على المسؤولية والمساءلة في إطار العدالة الانتقالية.



4- وقف دوامة الانتقام واعتماد العدالة الانتقالية وإعلان هدنة سياسية تقوم على تعليق كل الدعوات للانتقام والتصعيد مقابل ضمان مناخ سياسي يسمح بتفعيل مسار العدالة الانتقالية لمعالجة الملفات العالقة وفق مبادئ الإنصاف والمصالحة بما يضمن إغلاق صفحة الماضي دون الإخلال بمبدأ المحاسبة العادلة وبعيدا عن عقلية التعويضات التي شوهت مسار العدالة الانتقالية في السابق.

5- التوازن بين الاستقرار السياسي والإنقاذ الاقتصادي وذلك عبر إقرار خطة إنقاذ اقتصادي متكاملة تُوازن بين الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية وتضع الإصلاحات العاجلة في المجالين السياسي والاقتصادي كأولوية قصوى مع التركيز على تحسين الأوضاع المعيشية للتونسيات والتونسيين وتجنب تحويل الأزمة السياسية إلى عائق أمام النمو الاقتصادي والاستثمار وتعزيز الحريات الاقتصادية وإعادة الثقة لمناخ الأعمال مع تحييد الاقتصاد عن التجاذبات السياسية.

إن حركة حق، تؤكد أن هذه المبادرة تمثل فرصة لإعادة بناء المشهد الوطني على أسس جديدة تقوم على الحوار والمصالحة والتنمية. وإن إنجاحها يتطلب إرادة سياسية حقيقية وانخراطا جادا من جميع الفاعلين لضمان خروج تونس من أزمتها الراهنة نحو مستقبل أكثر استقرارا وازدهارا عبر خلق الثروة الكفيل وحده بتحقيق الرقي.

**عاشت الأمة التونسية عزيزة كريمة.
والمجد لمن يعمل من أجل رقيها ومناعتها.**

الناطق الرسمي باسم حركة حق
شكري عنان



 www.rightsmovement.net
 Bureau numéro C409, centre commercial et administratif, Ariana centre

جهة الإصدار: حركة حق، تونس.

المصدر: ألترا تونس، 2025/2/3، شوهده في 2025/2/22، في: <https://tinyurl.com/45pmu297>

الوثيقة (3)

بيان صادر عن المجلس الوطني الكوردي بشأن اللجنة التحضيرية للحوار الوطني

يرى المجلس الوطني الكوردي في سوريا أنَّ تشكيلَ اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار الوطني، التي أُعلن عنها في 11 شباط/ فبراير الجاري، كان ينبغي أن يعكس واقع التعددية السياسية والقومية في البلاد، وتضمن تمثيلاً حقيقياً لجميع المكونات الوطنية، نظراً إلى أهمية ذلك في إنجاح أيّ عملية حوارية تسعى إلى إيجاد حلول جادة للقضايا السورية.

إنَّ استبعاد التمثيل الكوردي من هذه اللجنة يشكّل إخلالاً بهذا المبدأ، ويثير مخاوف مشروعة بشأن نهج التعامل مع المكونات السورية كشركاء حقيقيين في رسم مستقبل البلاد.

وعليه، يدعو المجلس إلى تصحيح هذا الخلل من خلال إعادة النظر في تركيبة اللجنة، وضمان مشاركة عادلة وفاعلة للشعب الكوردي ولسائر الأطراف، وكافة اللجان الأخرى التي أُعلن عنها، بما يسهم في بناء حوار وطني شامل يستند إلى التمثيل المتوازن والالتزام بالشراكة الوطنية.

الأمانة العامة للمجلس الوطني الكوردي في سوريا

قامشلو 13 شباط/ فبراير 2025

الوثيقة (4)

بيان لجبهة الخلاص الوطني بشأن الاعتقالات والمحاكمات الجائرة في تونس

على إثر تدهور الحالة الصحية للأستاذ نور الدين البحيري ونقله على وجه الاستعجال إلى قسم العناية المركزة بمستشفى الرابطة، تلفت جبهة الخلاص الوطني انتباه الرأي العام إلى أنَّ الوضع الصحي للعديد من المساجين السياسيين يشهد تدهوراً مطرداً، من ذلك أنَّ الأستاذ الدكتور منذر الونيسي يرقد منذ ثلاثة أسابيع بقسم الكلى بأحد مستشفيات العاصمة، وهو مهدد بالفشل الكلوي حسبما أفادت بعض الأوساط من عائلته ومن المنظمات الحقوقية.

وتذكر الجبهة أنَّ العشرات من القيادات السياسية من مختلف الأطياف تقبع في السجن منذ ما يزيد على العامين في انتظار محاكمتهم، فيما قضي البعض الآخر بأحكام ثقيلة بالسجن لأسباب واهية تتعلق أكثرها إما بأنشطة سياسية سلمية وشرعية أو بتهم مأخوذة من تدوينات على شبكة الإنترنت، هذا فضلاً عن العديد من الوجوه الإعلامية ومن نشطاء وناشطات المجتمع المدني الذين زج بهم في السجن إما لجرائم رأي أو لأنشطة مدنية سلمية من صلب اختصاص منظماتهم الحقوقية.

كما تذكر جبهة الخلاص أنَّ يوم 4 آذار/ مارس القادم - مطلع شهر رمضان - سيمثل أكثر من أربعين شخصية سياسية أمام الدائرة الجنائية بتونس العاصمة بتهم واهية لا تمتُّ للواقع أو القانون بصلة من قبيل "الانضمام إلى وفاق إرهابي" والتآمر "للاعتداء على أمن الدولة"، وهي تهمة قد تؤدي بأصحابها إلى أحكام ثقيلة ومشطّة من مثل تلك التي صدرت الأسبوع المنقضي في قضية إنستالينغو.

إن جبهة الخلاص الوطني إذ تنبه إلى أنَّ هذه الاعتقالات والمحاكمات الجائرة لا يمكن أن تؤسّس للاستقرار في البلاد بل إنها أحدثت فراغاً سياسياً حول الدولة وصلبها اقترن بتصاعد مظاهر الاحتقان الاجتماعي، لعلَّ آخرها مظاهرات العاطلين عن العمل أمام قصر الحكومة بساحة القصبه وتعدد حالات الانتحار حرقاً في أكثر من مدينة وفي بحر أيام قليلة من الزمن، وتطالب جبهة الخلاص الوطني:

بالإفراج الفوري عن الأستاذين نور الدين البحيري ومنذر الونيسي وعن كافة المعتقلين السياسيين وسجناء الرأي وإيقاف محاكمتهم ورفع القيود المرسلة على أنشطة الأحزاب والجمعيات ومقارّهم، تمهيداً لعودة حياة سياسية عادية وعودة المؤسسات الدستورية للاشتغال على أساس الاستقلال والفصل بين السلط، وهي شروط متأكدة لتجنيب تونس أخطار الهزات والاضطرابات.

تونس في 12 فيفري [شباط / فبراير] 2025

عن جبهة الخلاص الوطني

الأستاذ أحمد نجيب الشابي

الوثيقة (5)

بيان صادر عن الإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا بشأن الإعداد لمؤتمر الحوار الوطني

"مع سقوط نظام البعث والاستبداد، تجددت الآمال نحو تغيير فعلي في نهج وسلوك دمشق، لتحقيق تطلعات الشعب السوري على أسس ومعايير حقيقية تمثل حالة الواقع السوري وتعبر عن طموحاته في بناء مستقبله الديمقراطي، حيث كان هذا هو الهدف العام لأبناء سوريا منذ بداية الحراك الثوري، وقبل أن تدخل الحسابات السياسية في الميدان.

إن الإعلان عن اللجنة التحضيرية للحوار الوطني في سوريا يدل على معايير 'الحرص' وإن هذا التوجه الخاطئ ينم عن 'سوء التقدير' للواقع والمشهد السوري الحقيقي برمته، كما أنه يعكس قصورًا واضحًا في عملية التحول الديمقراطي لسوريا الجديدة.

إن هذا التهميش، واتخاذ حالة 'الانغلاق' دون مرونة من قبل هذه اللجنة، يهدد بإعادة الأمور نحو النظام المركزي القديم، وهذا ما لا نأمله ولا نفضله في شمال وشرق سوريا.

إن حاجتنا اليوم تقتضي تمثيلًا حقيقيًا لكل السوريين 'دون إقصاء'، وكذلك تطويرًا واضحًا لمعايير الوحدة والشراسة الوطنية السورية، مع الأخذ بضرورات المرحلة الانتقالية من خلال مشاركة فعلية وديمقراطية لكل التيارات السياسية والمدنية، والمرأة، بما يعكس الحالة التشاركية في سوريا، دون تجاهل أو إقصاء إرادة وقرار نحو خمسة ملايين سوري في مناطقنا.

نحن في الإدارة الذاتية الديمقراطية لإقليم شمال وشرق سوريا، نؤكد أن اللجنة المشكّلة من أجل الإعداد للحوار الوطني هي لجنة لا تمثل جميع أطراف الشعب السوري، ولا تلبي تطلعاته بمكوناته المتنوعة ولا يمكن إجراء أي حوار في ظل الإقصاء والتهميش المتبع من قبلها بهذا الشكل، إذ إن ذلك يمثل بداية لسياسة التهميش التي لن يقبلها السوريون على الإطلاق.

كما نؤكد أننا ننادي كل من يريدون أن تكون سوريا واحدة موحدة وقوية، بقراءة المشهد والواقع السوري كما هو، دون أي إنكار أو تهميش.

إن قوة وطننا السوري تكمن في وحدة شعبه وتكاتفه ومصيره المشترك، فهي الضمانة الحقيقية لمستقبل ديمقراطي واعد، يليق بعراقه الشعب السوري وتضحيات أبنائه".

الوثيقة (6)

بيان صادر عن جمعية القضاة بشأن وضع القضاء التونسي

تونس في: 17 فيفري [شباط/ فبراير] 2025

بيان

القضاء التونسي يعيش وضعًا كارثيًا

إن المكتب التنفيذي لجمعية القضاة التونسيين، وفي خضمّ الوضع القضائي العام الحالي والذي يتسم بمزيد توسع نفوذ وزارة العدل داخل القضاء وبسط سيطرتها الكاملة عليه باستغلال وضعية الفراغ المؤسسي وحالة الشلل للمجلس المؤقت للقضاء العدلي بعد إحداث شغورات قضدية في تركيبته وعدم سدّها منذ عامين،

ومع الأوضاع المتفاقمة والحرجة والمثيرة للانفعال الشديد التي تحولت شيئًا فشيئًا إلى وضعية كارثية تتعمق يوميًا بعد يوم وسنة بعد أخرى وصل إليها القضاء بعد نزع كل ضمانات الاستقلالية عليه في غياب مجلس أعلى للقضاء مستقل وفاعل ومن خلال الإدارة المباشرة التي يخضع لها من السلطة التنفيذية وفي ظل التدخل التشريعي للحد من اختصاصاته على غرار ما حصل في تنقيح القانون الانتخابي وهو ما أدى إلى تقهقر دوره في حماية الحقوق والحريات وتلاشي موقعه في صنع أيّ توازن بين السلطات.

وأمام التعسف المتواصل في استعمال آلية مذكرات العمل بصفة تكاد تكون يومية في القضاء العدلي بقصد إحداث تغييرات جوهرية ومستمرة في تركيبة المحاكم ومسؤوليها وقضاة النيابة العمومية وقضاة التحقيق والدوائر القضائية الحكيمة خلال السنة القضائية في عدد كبير من محاكم الجمهورية دون مراعاة لأدنى الضوابط القانونية في ذلك أو المعايير الموضوعية أو لمقتضيات حسن سير القضاء ومرفق العدالة،

وبالنظر إلى التوسع غير المسبوق في تاريخ القضاء على مدى كل الأحقاب في استعمال تلك المذكرات لترقية القضاة من رتبة إلى أخرى إضافة إلى عدم وضع حدٍّ للإيقافات عن العمل التي أقدمت عليها وزيرة العدل خارج أي مسار تأديبي كاشف للأسباب والمبررات، وبالنظر إلى ما نتج من ذلك في كثير من الحالات من إفراغ للمحاكم من العدد المعقول من القضاة حفاظًا على حسن سير العمل وما أدى إليه من ضرورة دمج الدوائر بعضها في بعض وأفضى إلى حصول ارتفاع بين في حجم العمل في عديد المحاكم يفوق طاقة الاحتمال البشرية نتيجة كثرة الملفات مع طول الجلسات التي تمتد إلى ساعات متأخرة من الليل دون إيلاء أي اعتبار إنساني لإرهاق القضاة والكتبة والمحامين وعدم قدرة المتقاضين على متابعة قضاياهم نتيجة الاضطراب والفوضى في توزيع الملفات بحكم حذف دوائر ودمجها في دوائر أخرى نتيجة النقل الاعباطية للقضاة بشكل شبه يومي، من ذلك ما حصل في المحاكم الابتدائية بالمنستير وقفصة وسيدي بوزيد وغيرها، فضلًا عما تسببت فيه تلك النقل من إغراق لمكاتب التحقيق ومكاتب النيابة العمومية وانتظار المتهمين الموقوفين دون النظر في قضاياهم والبتّ فيها.

وبعد التنبيه المتكرر وبشكل خاص إلى بقاء محكمة التعقيب بلا رئيس أول ومن دون وكيل للدولة منذ أكثر من سنتين، وهو وضع شاذ وغير مسبق، وإلى إسناد إدارة هذه المحكمة العليا إلى قضاة بتكليف يسهل توجيههم من وزارة العدل في تشكيل الدوائر وتوزيع الملفات وتنطبق هذه الوضعية للشغور المتواصل أيضًا على المحكمة العقارية التي خلت هي أيضًا من رئيس لها. إضافة إلى ما تمّت ملاحظته من أنّ تعيين رؤساء الدوائر بمحكمة التعقيب عن طريق مذكرات العمل من جملة القضاة الأقل أقدمية وحتى الأقل كفاءة يتم في نطاق التعيين التام وفي جو تسوده المحاباة وتستخدم فيه الصلات الشخصية بوزارة العدل والقائمين عليها، حيث تغيب مقاييس الكفاءة والاستقلالية والنزاهة والتناظر الشفاف.

كما يتأكد التنبيه إلى توقف انعقاد هيكل الدوائر المجتمعة بمحكمة التعقيب منذ أكثر من سنتين في ظل شغور خطة الرئيس الأول للمحكمة الذي يدعو لانعقادها وما ترتب على ذلك من تعطّل حقوق المتقاضين في البتّ في قضاياهم المعروضة على تلك الدوائر المجتمعة، ونخص بذكر منها القضايا الجزائية المتعلقة بالموقوقين في السجون ممّن ينتظرون قرارات الدوائر المجتمعة منذ سنين، فإن المكتب التنفيذي: أولاً: يستنكر بشدة تواصل النهج التسلطي الذي تسلكه وزارة العدل واستئثارها بتسيير القضاء العدلي والتحكم في المسارات المهنية للقضاة وإدارتها بشكل تعسفي وانتقاصي خارج كل ضمانات التقييم الموضوعي والمستقل للأداء القضائي والتنافس على المسؤوليات القضائية بعد تعمّد تغييب المجلس المؤقت للقضاء العدلي وتجميد نشاطه واستدامة تلك الوضعية وانعدام كلّ بوادر لوضع حدّ لها.

ثانياً: يشدد على أنّ إطلاق يد السلطة التنفيذية في إدارة المسارات المهنية للقضاة بمذكرات العمل قد ألغى آلية الحركة القضائية السنوية كضمانة من ضمانات استقرار عمل القضاة والعمل داخل المحاكم بما أصبح له وخيم العواقب إذ أفصى إلى وضعية أضحى فيها القضاة غير قادرين على حماية حقوق وحرّيات المتقاضين لما يتهدهم بشكل اعتباطي وفوري من نقل وتجريد من المسؤوليات وحرط من الرتبة.

ثالثاً: يذكر، وبعد المعاينة السابقة، عموم القضاة والرأي العام بأسره أن جميع النقل السابقة بمذكرات العمل أو التجريد من المناصب تأسست كلها على قاعدة الجزاء والعقاب واقتربت بنقلة المسؤولين السابقين إلى دوائر قضائية بعيدة عن مقار سكنهم وبالخط من رتبة العديد منهم في خرق واضح لمبدأ الأمان القانوني ولمبدأ عدم نقلة القاضي إلّا برضاه المنصوص عليه بالدستور.

رابعاً: يجدد طلبه بفتح تحقيقات حول ظروف وملابسات قرارات التجريد من الخطط القضائية والإيقافات عن العمل، والتي أثارت عديد التساؤلات في الوسط القضائي، منها إيقاف القاضي المستشار بديوان وزيرة العدل واستقالته وإحالة على القضاء، وإعفاء المتفقد العامة بوزارة العدل من خطتها وتعيينها وكيلًا للرئيس الأول لمحكمة التعقيب في تغييب كامل لضمانات المساءلة القانونية ودون بيان ما تسبب فيه القاضي المذكوران من أضرار جسيمة بالمحاكم من خلال تدخلهما في إدارتها وتعيين القضاة وإعفائهم ويطالبون وزيرة العدل بتقديم الإيضاحات اللازمة حول كل ذلك.

خامساً: يسجل أن غياب الضوابط القانونية والمؤسسية في ترقية القضاة بمذكرات العمل أدى إلى عدم ترتيب الآثار المادية على ذلك مما ينال من مبدأ الأمان المالي للقضاة ويحرمهم من مستحقات مادية وامتيازات عينية كأثر مباشر للارتقاء من رتبة إلى أخرى.

سادساً: يشير إلى التداعيات الخطيرة لتسمية القضاة والقاضيات بالمؤسسات القضائية الأخرى كالمعهد الأعلى للقضاء وضمن إطار التدريس من بين المحللين وأصدقاء وصديقات وزيرة العدل خارج كل معايير الشفافية والتناظر على الكفاءة العلمية والاستقلالية، وأن ذلك يحصل في مؤسسة من المفروض أن تكون وتنشئ القضاة على قيم الاستقلالية والحياد على السلطة التنفيذية وعلى كل السلط ومراكز الضغط والنفوذ.

سابعاً: يسجلون بعميق الخشية والانشغال غياب أي رؤية لبرنامج إصلاحي للقضاء من خلال سياسات عمومية مكتوبة ومدروسة طبق المعايير الدولية المعلومة تُعرض للنقاش العمومي واندثار آليات الإصلاح القضائي وانقطاع إشاعة ثقافة استقلال القضاء في غياب المؤسسات المستقلة للقضاء وأهمها مجلس أعلى للقضاء منتخب ومستقل.

ثامناً: يستخلص المكتب من كل ما سبق أن استفحال هذه الوضعية الكارثية للقضاء أدى إلى:

- حالة من الفوضى ومن اختلال التوازن في توزيع القضاة بين المحاكم بما أثر بوضوح على سير العمل وعلى حقوق المتعاملين مع المرفق القضائي من متقاضين ومحامين.
- مزيد إحكام قبضة وزارة العدل على المسؤوليات القضائية بإدخال التغييرات المتتالية عليها دون مراعاة للأقدمية والكفاءة المستوجبتين، وحتى في المراكز الأكثر حساسية من ذلك خطة وكيل الجمهورية بالمحكمة الابتدائية بتونس التي عيّ فيها 3 قضاة

في ظرف وجيز دون أن تبين الوزارة أسباب التعيين وأسباب الإقالة، ودون الإبلاغ عن نتائج التحقيقات التي يعلن عن مباشرتها من حين إلى آخر بمناسبة الإقالات، كإقالة وكيل الجمهورية الأسبق بالمحكمة الابتدائية بتونس، والتي أثارت عديد التساؤلات لدى الرأي العام.

- فقدان الثقة بالقضاء وبعدالة المحاكمات خاصة ذات الخلفية السياسية وذات العلاقة بحرية الرأي والتعبير والإعلام، أو التي تكون في طليعة اهتمام الرأي العام، وهكذا صار المشهد القضائي، وبالنظر إلى غياب مبدأ الشفافية، محكوماً بالكلية في عملية إعادة تشكيل واضحة مهدى فاعلية الشبكات الخفية من الصلات الشخصية بوزارة العدل والقائمين عليها والانتفاع منها ووفقاً لرغبة السلطة السياسية في تقريب الموالين واستبعاد غيرهم، وذلك بدءاً بمحكمة التعقيب ووصولاً إلى كل محاكم الجمهورية بلا استثناء. تاسعاً: يتوجه المكتب التنفيذي في الأخير بالتهنئة مجدداً إلى قضاة الفوج 32 المتخرجين حديثاً من المعهد الأعلى للقضاء بعد تعيينهم في مختلف المحاكم ويدعوهم وعموم القضاة إلى التمسك باستقلالهم وحيادهم في أداء رسالتهم النبيلة ولعب دورهم كاملاً في حماية الحقوق والحريات وتفعيل مبادئ المحاكمة العادلة.

كما يذكر عموم القضاة بأن اعتصامهم بتطبيق القانون وإنصاف الناس في حقوقهم وحرياتهم مهما اشتدت الظروف ودون الخضوع لأي ضغوطات يبقى واجبهم ومسؤوليتهم الأصلية وضمانتهم الوحيدة في حفظ كرامتهم واعتبارهم كقضاة، وفي حفظ موقع القضاء في إقامة العدل وردّ الظلم والحيث على كل طالب للعدالة، وهو ما تستقر به السلم الاجتماعية وتترسخ به مقومات دولة القانون.

عن المكتب التنفيذي

رئيس الجمعية

أنس الحمادي

الوثيقة (7)

بيان صادر عن المجلس الوطني الكردي بشأن انعقاد مؤتمر الحوار الوطني

دعت اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار الوطني السوري إلى جلسة حوارية ضمن "مسار الحوار الوطني" لأبناء محافظة الحسكة في دمشق، وذلك في 20 شباط / فبراير الجاري.

وإذ يجدد المجلس الوطني الكردي تأكيده على أن الحوار الوطني السوري يشكل مدخلاً أساسياً لصياغة مستقبل البلاد، فإنه يرى أن تغييب الحركة السياسية الكردية عن جلسات الحوار الوطني يمثل إخلالاً بمبدأ الشراكة الوطنية، وتجاهلاً لدور مكّون رئيس من الشعب السوري عانى لعقود سياسات التمييز والإقصاء، وحُرم من حقوقه المشروعة في ظل الأنظمة المتعاقبة.

كما أن الحركة السياسية الكردية تمتلك رؤية متكاملة تعكس معاناة الشعب الكردي، وتقدم حلولاً واقعية لمعالجة قضاياها ضمن إطار وطني جامع.

إن أي حوار وطني يُعنى بمستقبل سوريا لا يمكن أن يكون جاداً أو مثمرًا ما لم يضمن مشاركة فعلية لمختلف المكونات، وفي مقدمتها الشعب الكردي ممثلًا بقواه السياسية.

فالحوار الشامل، القائم على مبادئ الشراكة والاعتراف المتبادل، هو السبيل الوحيد لإرساء دعائم سوريا جديدة تُبنى على أسس العدل واحترام التعددية السياسية والمواطنة المتساوية، بعيداً عن أي إقصاء أو تهميش للقوى الوطنية.

الناطق باسم المجلس الوطني الكردي

فيصل يوسف - 20 شباط / فبراير 2025

الوثيقة (8)

بيان صادر عن اللجنة التحضيرية في ختام فعاليات مؤتمر الحوار الوطني السوري

بحضور من سائر الأطياف والشرائح المجتمعية السورية، وفي أجواء يسودها الوفاق والحرص على المصالح الوطنية العليا، انعقد اليوم (الثلاثاء) مؤتمر الحوار الوطني في قصر الشعب في العاصمة السورية دمشق.

وبعد افتتاح المؤتمر من قِبل السيد رئيس الجمهورية، تَوَزَّع المشاركون على قاعات الحوار، وبدؤوا عملية نقاش شفافة وشاملة حول مختلف القضايا المصيرية، وقد خلص المؤتمر إلى اعتماد المخرجات التالية:

1. الحفاظ على وحدة الجمهورية العربية السورية وسيادتها على كامل أراضيها، ورفض أي شكل من أشكال التجزئة والتقسيم أو التنازل عن أي جزء من أرض الوطن.
2. إدانة التوغل الإسرائيلي في الأراضي السورية باعتباره انتهاكاً صارخاً لسيادة الدولة السورية، والمطالبة بانسحابه الفوري وغير المشروط، ورفض التصريحات الاستفزازية من رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو)، ودعوة المجتمع الدولي والمنظمات الإقليمية إلى تحمُّل مسؤولياتها تجاه الشعب السوري، والضغط لوقف العدوان والانتهاكات.
3. حصر السلاح بيد الدولة، وبناء جيش وطني احترافي، واعتبار أي تشكيلات مسلحة خارج المؤسسات الرسمية جماعات خارجة عن القانون.
4. الإسراع بإعلان دستوري مؤقت يتناسب مع متطلبات المرحلة الانتقالية، ويضمن سد الفراغ الدستوري، بما يسرّع عمل أجهزة الدولة السورية.
5. ضرورة الإسراع بتشكيل المجلس التشريعي المؤقت، الذي سيضطلع بمهام السلطة التشريعية، وفق معايير الكفاءة والتمثيل العادل.
6. تشكيل لجنة دستورية لإعداد مسودة دستور دائم للبلاد يحقق التوازن بين السلطات، ويرسخ قيم العدالة والحرية والمساواة، ويؤسس لدولة القانون والمؤسسات.
7. تعزيز الحرية كقيمة عليا في المجتمع باعتبارها مكسباً غالياً دفع الشعب السوري ثمنه من دمائه، وضمان حرية الرأي والتعبير.
8. احترام حقوق الإنسان، ودعم دور المرأة في كافة المجالات، وحماية حقوق الطفل، ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، وتفعيل دور الشباب في الدولة والمجتمع.
9. ترسيخ مبدأ المواطنة، ونبذ كافة أشكال التمييز على أساس العرق أو الدين أو المذهب، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، بعيداً عن المحاصصة العرقية والدينية.
10. تحقيق العدالة الانتقالية من خلال محاسبة المسؤولين عن الجرائم والانتهاكات، وإصلاح المنظومة القضائية، وسنّ التشريعات اللازمة، والآليات المناسبة لضمان تحقيق العدالة، واستعادة الحقوق.
11. ترسيخ مبدأ التعايش السلمي بين جميع مكونات الشعب السوري، ونبذ كافة أشكال العنف والتحريض والانتقام بما يعزز الاستقرار المجتمعي والسلم الأهلي.
12. تحقيق التنمية السياسية وفق أسس تضمن مشاركة كافة فئات المجتمع في الحياة السياسية، واستصدار القوانين المناسبة لذلك، والتأكيد على إجراءات العزل السياسي وفق أسس ومعايير عادلة.

13. إطلاق عجلة التنمية الاقتصادية، وتطوير قطاعات الزراعة والصناعة عبر تبني سياسات اقتصادية تحفيزية تعزز النمو، وتشجع على الاستثمار وحماية المستثمر، وتستجيب لاحتياجات الشعب، وتدعم ازدهار البلاد.
 14. الدعوة إلى رفع العقوبات الدولية المفروضة على سوريا، والتي باتت بعد إسقاط النظام تشكل عبئاً مباشراً على الشعب السوري، مما يزيد من معاناته، ويعيق عملية إعادة الإعمار، وعودة المهجرين واللاجئين.
 15. إصلاح المؤسسات العامة، وإعادة هيكلتها، والبدء بعملية التحول الرقمي بما يعزز كفاءة المؤسسات، ويزيد فاعليتها، ويساعد على مكافحة الفساد، والترهل الإداري، والنظر في معايير التوظيف على أساس الوطنية والنزاهة والكفاءة.
 16. ضرورة مشاركة مؤسسات المجتمع المدني في دعم المجتمع، وتفعيل دور الجمعيات الأهلية لمساندة الجهود الحكومية في إعادة الإعمار، ودعم الدولة لمنظمات المجتمع المدني بما يضمن لها دوراً فاعلاً في تحقيق التنمية والاستقرار.
 17. تطوير النظام التعليمي، وإصلاح المناهج، ووضع خطط تستهدف سدّ الفجوات التعليمية، وضمان التعليم النوعي، والاهتمام بالتعليم المهني، لخلق فرص عمل جديدة، وربط التعليم بالتكنولوجيا لضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة.
 18. تعزيز ثقافة الحوار في المجتمع السوري، والاستمرار في الحوارات على مختلف الأصعدة والمستويات، وإيجاد الآليات المناسبة لذلك. والتزاماً بمبدأ الشفافية سوف يصدر تقرير تفصيلي من اللجنة التحضيرية يعرض مشاركات وآراء الحضور في مؤتمر الحوار الوطني.
- ختاماً، تخليداً لذكرى الشهداء الذين بذلوا أرواحهم حتى نال حريتنا، ولكل الجرحى والمعتقلين والمغيبين والمهجرين وأهليهم وذويهم، ولكل من قدّم التضحيات من الشعب السوري، فإن هذا البيان يمثل عهداً وميثاقاً وطنياً تلتزم به كافة القوى الفاعلة، وهو خطوة أساسية في مسيرة بناء الدولة السورية الجديدة، دولة الحرية والعدل والقانون.

الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقاً لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي - الإسرائيلي، في المدة 1 كانون الثاني/ يناير - 28 شباط/ فبراير 2025.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي - الإسرائيلي.



Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

أطلقت، بتوجيه من الكابينة، عملية عسكرية واسعة في جنين للقضاء على ما وصفه بالإرهاب. وأكد أن هذه العملية تمثل خطوة إضافية نحو تحقيق الهدف المعلَن، وهو تعزيز الأمن في الضفة الغربية.

(عرب 48، 2025/1/21)

2025/1/21 أعلنت قطر بدء العمل على إعداد المرحلة الثانية من اتفاق التبادل ووقف إطلاق النار في قطاع غزة، مؤكدةً على ضرورة أن يضطلع مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بدورٍ فاعل لضمان تنفيذ الاتفاق والتزام إسرائيل ببنوده.

(العربي الجديد، 2025/1/21)

2025/1/21 ألغى الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، العقوبات التي فرضتها إدارة سلفه جو بايدن، على جماعاتٍ وأفراد من المستوطنين الإسرائيليين المنتمين إلى اليمين المتطرف؛ بسبب ارتكابهم أعمال عنف ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية.

(عرب 48، 2025/1/21)

2025/1/24 أقام مستوطنون بؤرة استيطانية رعوية جديدة قرب مستوطنة "شيلو" شمال شرق رام الله، تضمنت حظيرة للأبقار والأغنام، وزراعة أشجار زيتون على مساحة 20 دونماً، إضافةً إلى توفير معدات زراعية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/1/24)

2025/1/24 أعلنت إسرائيل أنها لن تسحب جيشها من جنوب لبنان، إذ أوعزت حكومة بنيامين نتنياهو للجيش بالآلا ينسحب من القطاع الشرقي هناك، على الرغم من أن اتفاق وقف إطلاق النار مع حزب الله ينص على انسحاب إسرائيل كامل خلال 60 يوماً.

(عرب 48، 2025/1/24)

2025/1/26 أطلقت قوات الاحتلال الإسرائيلي النار على آلاف المواطنين الفلسطينيين الذين كانوا مجتمعين في شارعٍ صلاح الدين والرشد، في انتظار العودة إلى مدينة غزة.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2025/1/26)

2025/1/26 صدّقت اللجنة الوزارية الإسرائيلية للتشريع على مشروع قانون يتيح للمستوطنين شراء أراضٍ في الضفة الغربية، في خطوة تتعارض مع القانون الدولي وتهتد لمخطط الضم، إلى جانب عمليات تزوير محتملة لعقود شراء الأراضي.

(عرب 48، 2025/1/26)

2025/1/29 صدّق الكنيست الإسرائيلي بالقراءة التمهيدية على مشروع قانون يسمح للإسرائيليين بتسجيل أنفسهم باعتبارهم مالكيين لأراضٍ فلسطينية في الضفة الغربية المحتلة.

(الجزيرة نت، 2025/1/29)

2025/1/1 يحتجز جيش الاحتلال الإسرائيلي جثامين نحو 200 شهيد فلسطيني قُتلوا العام الماضي، من دون أن تشمل هذه الإحصائية شهداء قطاع غزة. فوفقاً لبيان صادر عن الحملة الوطنية لاسترداد جثامين الشهداء، فإن سلطات الاحتلال تحتجز جثامين 198 شهيداً موثقاً خلال عام 2024 وحده.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2025/1/1)

2025/1/5 أقام مستوطنون بؤرة استيطانية جديدة في قرية قريوت جنوب نابلس، حيث نصبوا خياماً في منطقة "سيلون" تمهيداً لتوسيع البناء لاحقاً.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/1/5)

2025/1/15 أصدرت وزارة الخارجية القطرية بياناً حول إعلان كل من قطر ومصر والولايات المتحدة الأمريكية عن توصّل طرفي النزاع في غزة إلى اتفاق لتبادل الأسرى والمحتجزين، والعودة إلى هدنة مستدامة تُفضي في النهاية إلى وقف دائم لإطلاق النار، متوقعاً أن يبدأ سريان الاتفاق يوم الأحد 19 كانون الثاني/ يناير 2025.

(دولة قطر، وزارة الخارجية، 2025/1/15)

2025/1/17 واصلت قوات الاحتلال الصهيوني عدوانها على قطاع غزة، بشنّ عشرات الغارات الجوية والقصف المدفعي، وارتكاب مجازر في حق المدنيين، متجاهلةً دعوات التهدئة قبيل دخول اتفاق وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2025/1/17)

2025/1/19 دخل وقف إطلاق النار في قطاع غزة حيّز التنفيذ، في الساعة الحادية عشرة والربع، بعد تأخر تجاوز الساعتين ونصف؛ نتيجة إعلان سلطات الاحتلال الإسرائيلي أنها لن تشرع في تنفيذه قبل استلام قائمة الأسيرات المقرر إطلاق سراحهنّ.

(العربي الجديد، 2025/1/19)

2025/1/19 استشهد ما لا يقلّ عن 34 مواطناً وأصيب عشرات آخرون، جراء قصف جويٍّ ومدفعي شنه جيش الاحتلال الإسرائيلي على مناطق متفرقة من قطاع غزة، في انتهاك صارخ لوقف إطلاق النار.

(التلفزيون العربي، 2025/1/19)

2025/1/19 قال وزير المالية الإسرائيلي، بتسلئيل سموتريتش، إنه سيُسقط الحكومة إذا لم يستأنف الجيش القتال في قطاع غزة بطريقة تضمن السيطرة الكاملة عليه وإدارته، وذلك بالتزامن مع دخول وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ وبدء إجراءات تبادل الأسرى.

(ألتر صوت، 2025/1/19)

2025/1/21 قال رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، إن قوات الجيش الإسرائيلي وجهاز الأمن العام (الشاباك) وشرطة إسرائيل

2025/2/10 أعلن المتحدث العسكري باسم "كتائب القسام" الجناح العسكري لحركة "حماس"، أبو عبيدة، تأجيل تسليم أسرى الاحتلال، على خلفية خروقات الجيش الإسرائيلي لاتفاق وقف إطلاق النار في غزة.

(وكالة قدس برس للأخبار، 2025/2/10)

2025/2/10 أصدر الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، قراراً بقانون يقضي بنقل برنامج المساعدات النقدية وقاعدة بياناته من وزارة التنمية الاجتماعية إلى المؤسسة الوطنية الفلسطينية للتمكين الاقتصادي، مع إلغاء المواد الخاصة بصرف المخصصات المالية لعائلات الأسرى والشهداء والجرحى.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/2/10)

2025/2/10 حذرت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا" من أن عملية "السور الحديدي" التي تنفذها القوات الإسرائيلية أدت إلى تفريغ العديد من مخيمات اللاجئين في شمال الضفة الغربية، في ظل تصاعد خطير لوتيرة التهجير القسري.

(وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، 2025/2/10)

2025/2/12 انسحبت قوات الاحتلال الإسرائيلي من مخيم الفارعة جنوب طوباس، عقب عدوان متواصل استمر عشرة أيام، وأدى إلى نزوح عشرات العائلات من مساكنها في اتجاه مدينة طوباس وبلدتي طمون وعقابا.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/2/12)

2025/2/12 طالبت قوات الاحتلال الإسرائيلي سكان مخيم نور شمس بإخلائه فوراً، في ظل تصعيد ميداني متواصل.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/2/12)

2025/2/13 أفاد مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأرض الفلسطينية المحتلة "أوتشا"، أن القوات الإسرائيلية نفذت أطول عملية عسكرية في الضفة الغربية منذ عقدين، أسفرت عن استشهاد 44 فلسطينياً، وإلحاق دمار واسع بالمنازل والبنية التحتية. كما أدت العملية إلى تهجير أكثر من 40 ألف فلسطيني من أربعة مخيمات للاجئين والمناطق المحيطة بها في جنين وطولكرم وطوباس.

(مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأرض الفلسطينية المحتلة، 2025/2/13)

2025/2/17 شرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في إجراءات بناء 974 وحدة استيطانية في مستوطنة "إفرا"، المقامة جنوب مدينة بيت لحم.

(وكالة الأناضول، 2025/2/17)

2025/2/18 حذر رئيس هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، مؤيد شعبان، من مخططات الاحتلال الإسرائيلي الرامية إلى إحكام سيطرته على الضفة الغربية، مشيراً إلى أن حكومة الاحتلال استولت على أكثر من 72 في المئة من الأراضي المصنفة "ج"، التي تشكل وحدها 60 في المئة من مساحة الضفة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/2/18)

2025/1/30 أعلنت محافظة جنين ترحيل معظم سكان مخيم جنين، الذين يقدر عددهم بنحو 20 ألف مواطن، نتيجة العدوان الإسرائيلي المستمر على المحافظة، وما يسببه من تصعيد عسكري ودمار في المخيم. كما تأثر نحو 400 ألف مواطن فلسطيني في المحافظة بسبب الحصار والعدوان المتواصل، ما فاقم الأوضاع الإنسانية والمعيشية على نحوٍ غير مسبوق.

(الجزيرة نت، 2025/1/30)

2025/1/30 نعت حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، في بيان لها، قائد هيئة أركان كتائب الشهيد عز الدين القسام، الشهيد محمد الضيف، وعددًا من القادة الكبار المجاهدين الشهداء، أعضاء المجلس العسكري العام للكتائب.

(العربي الجديد، 2025/1/30)

2025/1/30 وقع الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، أمراً تنفيذياً يتعلق بـ "مكافحة معاداة السامية"، يسمح بترحيل الطلاب الذين يشاركون في مظاهرات داعمة لفلسطين.

(وكالة الأناضول، 2025/1/30)

2025/1/31 توجهت وفود شعبية وسياسية من القاهرة إلى معبر رفح البري للمشاركة في تظاهرات على الحدود مع قطاع غزة، احتجاجاً على دعوات تهجير الفلسطينيين من القطاع.

(قناة القاهرة الإخبارية، 2025/1/31)

2025/2/3 قال مدير شؤون وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا" في الضفة الغربية، رولاند فريديريك، إن مخيم جنين تحول إلى مدينة أشباح نتيجة العمليات التي نفذتها القوات الإسرائيلية وقوات الأمن الفلسطينية، والتي أدت إلى نزوح آلاف السكان قسرياً، وفقدان العديد منهم لأي مكان يعودون إليه.

(وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، 2025/2/3)

2025/2/5 أشار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى أن الولايات المتحدة الأميركية ستتولى السيطرة على قطاع غزة، مؤكداً أن هذه الخطوة قد تسهم في خلق آلاف فرص العمل في المنطقة، حيث ستشرف الإدارة الأميركية على عملية إعادة الإعمار. وأضاف "أرى موقفاً يمكننا من ملكية طويلة الأمد". وتوقع أن يتحول القطاع، الذي يضم أكثر من مليوني فلسطيني، إلى ما وصفه بـ "ريفيرا الشرق الأوسط".

(وكالة الأناضول، 2025/2/5)

2025/2/9 انسحبت قوات الاحتلال الإسرائيلي من محور الشهداء (نتساريم) جنوب مدينة غزة، وفقاً لاتفاق وقف إطلاق النار.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2025/2/9)

2025/2/26 أصدرت قوات الاحتلال الإسرائيلي أمرًا عسكريًا بالاستيلاء على أكثر من ثمانية دونهات من أراضي المواطنين في مسافر يطا جنوب الخليل.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/2/26)

2025/2/27 أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي قرارًا بالاستيلاء على أراضٍ تابعة لبلدة طمون جنوب شرق طوباس.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2025/2/27)

2025/2/18 أعلن رئيس حركة حماس في قطاع غزة ورئيس وفدها المفاوض، خليل الحية، عن جاهزية الحركة والمقاومة للانخراط الفوري في مفاوضات تنفيذ المرحلة الثانية من اتفاق وقف إطلاق النار في القطاع، موضحًا أنَّ المقاومة ستسلم جثامين أربعة من أسرى الاحتلال، تمهيدًا للشروع في هذه المرحلة.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2025/2/18)

2025/2/18 انسحبت قوات الاحتلال الإسرائيلي فجرًا من القرى والبلدات التي كانت تحتلها في الجنوب، وتشمل: يارون، مارون الراس، بليدا، ميس الجبل، حولا، مركبا، العديسة، كفرلا، والوزاني، في حين أبقّت على وجودها في خمس نقاط رئيسة على طول الحدود.

(الوكالة الوطنية للإعلام، 2025/2/18)

2025/2/20 أعلنت رئاسة الحكومة الإسرائيلية أنَّ تل أبيب تسلمت، عبر اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جثامين 4 محتجزين، نُقلت إلى قوة من الجيش الإسرائيلي وجهاز الشاباك داخل قطاع غزة، تمهيدًا لنقلها إلى معهد الطب الشرعي التابع لوزارة الصحة الإسرائيلية. وأوضح البيان أنَّ الجثامين ستخضع لعملية فحص وتحديد هوية، على أن تُبلغ عائلاتهم رسميًا عند انتهاء الإجراءات.

(العربي الجديد، 2025/2/20)

2025/2/21 أعلن مكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية أنَّ بنيامين نتنياهو أصدر توجيهاته بشنّ "عملية شديدة القوة" في الضفة الغربية، وذلك بعد تقييم للوضع بشأن التفجيرات في بات يام.

(عرب 48، 2025/2/21)

2025/2/21 صرّح الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، أنه لن يفرض خطة تهجير الفلسطينيين من غزة بل "يقترحها"، وأعرب عن استغرابه من رفض مصر والأردن لخطته. كما أعرب عن دهشته إزاء ما وصفه بـ "تنازل" إسرائيل عن قطاع غزة في الماضي، ورأى أنه "قرار عقاري سيئ".

(سي أن أن بالعربية، 2025/2/21)

2025/2/23 أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي، إسرائيل كاتس، عن توسيع العمليات العسكرية الإسرائيلية في شمال الضفة الغربية، مؤكدًا أنَّ 40 ألف فلسطيني أُجبروا على مغادرة مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس، التي أصبحت الآن "خالية تمامًا من السكان".

(عرب 48، 2025/2/23)

2025/2/23 أعرب مبعوث الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى الشرق الأوسط، ستيفن ويتكوف، عن تفاؤله بإمكانية انضمام المملكة العربية السعودية إلى الاتفاق الإبراهيمي، وإمكانية انضمام سورية ولبنان أيضًا.

(سكاي نيوز عربية، 2025/2/23)



مراجعات الكتب

Book Reviews

سارة ناصر | Sarah Nasser*

رحلة ألكسندر ونت من "نظرية اجتماعية للسياسة الدولية" إلى "توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية"

Alexander Wendt's Journey from Social Theory of International Relations to Unifying Social and Physical Ontology

عنوان الكتاب الأول في لغته: *Social Theory of International Politics*.

عنوان الكتاب: نظرية اجتماعية للسياسة الدولية.

المؤلف: ألكسندر ونت Alexander Wendt.

سنة النشر: 1999.

الناشر: مطبعة جامعة كامبريدج.

عدد الصفحات: 429 صفحة.

عنوان الكتاب الثاني في لغته: *Quantum Mind and Social Science: Unifying Physical and Social Ontology*.

عنوان الكتاب: العقل الكوانتي والعلوم الاجتماعية: نحو توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية.

المؤلف: ألكسندر ونت Alexander Wendt.

سنة النشر: 2015.

الناشر: مطبعة جامعة كامبريدج.

عدد الصفحات: 354 صفحة.

* باحثة مساعدة، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر.

Research Assistant in International Relations, Ibn Khaldon Centre for Humanities and Social Sciences, Qatar University.

Email: S.nasser@qu.edu.qa

مقدمة

السياسة الدولية وفعاليتها. في حين يهدف الجزء الثاني من كتابه إلى إبراز القيمة المضافة لنسخته من البنائية الاجتماعية، وما تقدّمه من أدوات مفهومية ونظرية تتحدى افتراضات التيار السائد حول طبيعة النظام الدولي وفعاليته، وفي الوقت نفسه لا تتجاوز الأسس الإبيستيمولوجية الوضعية التي يُجمع عليها أنصار ذلك التيار.

ومع وضوح التقارب بين البنائية، خاصة نسخة ونت منها، والتيار السائد على حساب إقصاء التأمليين والنقديين، برزت مراجعات من داخل الحقل وخارجه تدفع نحو نقاشٍ جديدٍ عابرٍ للاختصاصات، وهو نقاش يلاحق حقول العلوم الطبيعية بحقول العلوم الاجتماعية. وبعد مضيّ ما يقارب خمسة عشر عامًا، بدا ونت كأنه قد ركب موجة النقاش الجديد. فمن التراكب والتشابك والنزعة الاحتمالية إلى اللاتيقين الكامن في فلسفة الكوانتوم Quantum، يقدم ونت فيما يقارب ثلاثمئة صفحة محاولة جريئة يعيد من خلالها فهم العلوم الاجتماعية والسلوك الإنساني بعدسة كوانتية. يأتي كتابه الثاني، **العقل الكوانتي والعلوم الاجتماعية: نحو توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية**، في سياق الأدبيات الفلسفية الرامية إلى الاستفادة من مفاهيم فلسفة فيزياء الكوانتوم في طرح مخارج ناجعة من النقاشات الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية؛ إذ إنه يؤكد في مقدمة كتابه أن وصول النقاشات ما وراء النظرية في حقل العلاقات الدولية إلى طريق مسدود رَسَخَ اليقين بأن أطراف النقاشات هذه لا تزال تنبني افتراضات مغلوطة حيال الواقع؛ وهو ما دفعه إلى الارتحال خارج حدود العلوم الاجتماعية تقصيًا لحلول تنقذ الحقل من حالة الجمود التي يعيشها. وهكذا، وعبر بناء ونت على إسهام دانا زوهار وإيان مارشال، **المجتمع الكوانتي The Quantum Society**، الذي جادلا من خلاله بأن العقل والحياة الاجتماعية ظاهرتان كوانتيتان، يقدم في كتابه تحقيقًا أكاديميًا في مدى صحة هذه الحجة. وبخلاف كتابه السابق الذائع الصيت، **نظرية اجتماعية في السياسة الدولية**، الذي ناقش من خلاله أبعادًا فلسفية من دون تجاوز الجوانب ذات الصلة بحقل العلاقات الدولية، سعى كتابه الأخير لتقديم معالجة فلسفية محضة يعدنا في مطلعها بجزء آخر من الكتاب يلامس فيه أبرز مسائل الحقل.

في ضوء كل ذلك، تُعنى هذه المراجعة بعرض كتابي ونت، **نظرية اجتماعية للسياسة الدولية، والعقل الكوانتي والعلوم الاجتماعية نحو توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية**، الصادرين عن مطبعة جامعة كامبريدج Cambridge University Press، في سنتي 1999 و2015 على التوالي. وتتنطوي على استعراضٍ لأبرز الحجج في الكتابين، مع تقديم خلاصات نقدية عنهما، وإلقاء الضوء على مواضع الانقطاع والاستمرارية بينهما.

لا أرى، بصفتي باحثًا خاض نقاشات الحقل نحو خمسة وعشرين عامًا، أيّ تقدّمٍ إزاء إنهاائها. صحيحٌ أنّ باحثي الحقل قد صاروا أكثر دراية بمسائله، إلا أن حال النقاشات لا يزال كما عهدناه. وحين يتعلق الأمر بأسس الحقل الأنطولوجية والإبيستيمولوجية، فإننا نجد أنفسنا في "أرض الارتباك" ولا أمل لنا بالفرار منها⁽¹⁾.

شهد حقل العلاقات الدولية، منذ نشأته بوصفه اختصاصًا علميًا في جامعة آبريستويث ويلز في عام 1919، سلسلة من التحولات البرداجمية التي اتخذت شكل نقاشات كبرى ظلّت تعبر عن تاريخ تطور أفكاره حيال نفسه، وحيال العالم الذي يبتغي فهمه وتفسيره. انطلق النقاش الأول بين المثاليين والواقعيين، وانتهى بهيمنة المنظور الواقعي الرفض لطوباوية المثاليين وتفاؤلهم حيال السلام العالمي. وأعقبه النقاش الثاني بين التقليديين والسلوكيين في ستينيات القرن العشرين حول ضرورة استبدال المناهج التقليدية بأخرى قائمة على الفرضيات السببية القابلة للاختبار الإمبريقي؛ ومع صعود الإسهامات السلوكية في الولايات المتحدة الأميركية، أفل نجم الإسهامات التقليدية وصارت السلوكية برداجمًا راسخًا في الحقل. أما النقاش الثالث فقد برز في ثمانينيات القرن العشرين بين العقلانيين والتأمليين، واحتدم على أسس إبستيمولوجية نافح فيها العقلانيون من جهة عن الإبيستيمولوجيا الوضعية المتأثرة بالسلوكية، في حين دافع التأمليون من جهة أخرى عن الإبيستيمولوجيا ما بعد الوضعية التي تأخذ تعقيدات العالم الاجتماعي في الاعتبار⁽²⁾.

في خضم النقاش الثالث، تنامت الأدبيات البنائية وذاع من بينها صيت إسهام ألكسندر ونت التوفيق، **نظرية اجتماعية للسياسة الدولية**، بوصفه ردًا على افتراضات التيار العقلاني السائد، الواقعية الجديدة والليبرالية المؤسساتية، في حقل العلاقات الدولية. وقد انتظم إسهامه في جزأين أساسيين، يقدّم في أولهما استجابة فلسفية يعيد من خلالها النظر في الأنطولوجيا المادية والفردانية البارزة في أعمال منظّر الواقعية الجديدة، كينيث والتز، ومنظّر الليبرالية المؤسساتية، روبرت كيوهان؛ وذلك عبر إقحام نظرية اجتماعية بديلة في فهم طبيعة

1 Alexander Wendt, *Quantum Mind and Social Science: Unifying Physical and Social Ontology* (Cambridge: Cambridge University Press, 2015), p. 1.

2 للمزيد عن هذه النقاشات، ينظر: ميليا كوري وكولن وايت، "العلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية"، في: **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**، تيم دان وميليا كوري وستيف سميث (محررون)، ترجمة ديماء الخضرا (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016).

Ole Wæver, "The Rise and Fall of the Inter-Paradigm Debate," in: *International Theory: Positivism and Beyond*, Steve Smith, Ken Booth & Marysia Zalewski (eds.) (Cambridge: Cambridge University Press, 2009).

أولاً: نظرية اجتماعية للسياسة الدولية

بعد مرور عشرين عامًا على صدور كتاب منظر الواقعية الجديدة الأبرز، كينيث والتز، **نظرية السياسة الدولية**، ذاع صيت كتاب ونت، **نظرية اجتماعية للسياسة الدولية**. ويميل كثير من الباحثين، ومن بينهم ستيف سميث، إلى القول إن تشابه عنواني الكتابين ليس من قبيل المصادفة؛ ذلك أن ونت سعى في كتابه لتقديم مقاربة بناءية تتقاطع تارة مع بعض الافتراضات الواقعية، وتشتبك معها تارة أخرى⁽³⁾. فقد خطّ حجج هذا الكتاب ببراعة وتعقيد منطقي نظير، كأنه إبان كتابته كان يضع في الحسبان ما قد يطاوله من نقد، وما قد يؤاخذ به من مواقف، حرص كل الحرص على الإفصاح عنها بحذر بالغ. وتتأسس حجة هذا الكتاب على مبدئين أساسيين، أولهما التركيز على الأفكار البنائية بوصفها أساسًا للبنى الإنسانية (أو الاجتماعية). أما ثانيهما فيتجلى في أن مصالح الفاعلين وهوياتهم تُبنى من خلال هذه الأفكار (ص 1)⁽⁴⁾. وينقسم الكتاب إلى جزأين أساسيين يتفرعان إلى سبعة فصول.

واستنادًا إلى النقاشات الدائرة في النظرية الاجتماعية، يرسم ونت في الفصل الأول مصفوفة تضم أربع سوسيولوجيات محتملة لطبيعة البنى الدولية. يتمحور النقاش الأول حول المدى الذي يمكن من خلاله اعتبار البنى مادية أو اجتماعية، في حين يدور النقاش الثاني حول طبيعة العلاقة بين هذه البنى وفعاليتها. ويتضمن هذان النقاشان موقفين رئيسيين يشكلان في نهاية المطاف أربع سوسيولوجيات و"أنطولوجيات" لتفسير طبيعة البنى، وهي: الأنطولوجيا المادية في مقابل الأنطولوجيا المتعلقة بالأفكار، والأنطولوجيا الفردانية في مقابل الأنطولوجيا الكلية. وفي حين تُعلي الرؤى المادية من شأن الموارد الطبيعية والجغرافيا والقدرات العسكرية، يؤكد أنصار الرؤى المتعلقة بالأفكار Ideational، الذين يوضع ونت نفسه بينهم، أهمية المعايير والقواعد والمؤسسات في تفسير البنى الاجتماعية (ص 22-24). ولعل أبرز ما أتى به هذا الفصل يتجلى في سعيه الصريح لبلوغ أرضية نظرية لحجته تتوسط Via media أطراف النقاش الثالث في حقل العلاقات الدولية عبر توفيقها بين منطلقاته الأنطولوجية المتعلقة بالأفكار، ومنطلقاته الإبستمولوجية الوضعية (ص 39).

ينطلق ونت في الفصل الثاني من السؤال الآتي: "كيف يمكنني أن أكون وضعيًا وفي الوقت نفسه بنائيًا؟" (ص 47). وليجيب عن هذا السؤال،

يعكف على تطوير الأساس الإبستمولوجي الملائم لحجته التوفيقية عبر تقديمه الواقعية العلمية Scientific Realism باعتبارها شرط إمكان لها (ص 90). تشير الواقعية العلمية إلى فلسفة للعلم تفترض أن العالم موجود على نحو مستقل عن الإنسان، وأن النظريات العلمية قادرة على تفسير أبعاد العالم؛ حتى تلك الأبعاد التي لا تتم ملاحظتها على نحو مباشر (ص 47-51). يهدف ونت من انتقاء هذه الأرضية إلى مجابهة رفض الإمبريقيين إطلاق افتراضات حيال الأبعاد غير القابلة للملاحظة؛ ما يؤدي دورًا في إعادة فهمنا للكيفية التي نفكر من خلالها في الحقائق الاجتماعية. ويميز بين التأثيرات السببية Causal والتكوينية Constitutive؛ بغية فهم الدور الذي تؤديه الأفكار في السياسة الدولية. فمن ناحية، يؤيد الوضعيون التفسيرات السببية التي تميل إلى طرح سؤال: "لماذا؟ وكيف؟"، في حين يميل ما بعد الوضعيين إلى تأييد التفسيرات التكوينية التي تطرح سؤالين: "كيف أمكن ذلك؟" و"ماذا؟" What؟ (ص 78).

بخلاف نظرية الاختيار العقلاني التي تتجادل بأن الأفكار مجرد وسائل غير سببية تدرك الدول من خلالها مصالحها المعطاة من خارجها (خارجية المنشأ)، يجادل ونت في الفصل الثالث من كتابه بأن توزيع القوة في السياسة الدولية محكوم في نهاية المطاف بالأفكار Ideas، إلا أن هذا لا يعني أن الأفكار أهم من القوة المادية، بقدر ما يعني أن القيمة التفسيرية لنظرية والتز البنوية المرتكزة على مفهوم الفوضى وتوزيع القدرات المادية تكمن في توزيع المصالح Distribution of Interest، وأن هذه المصالح محكومة بالأفكار (ص 96). ولأن نظرة ونت إلى العوامل المادية تختلف في منطلقاتها عن أقرانه البنائيين النقيدين الذين ينفون استقلالية التأثيرات السببية للقوى المادية (ص 110)، فإنه يدافع في نسخته البنائية عن تصور أقل حدة من ناحية نزعتها المادية Rump Materialism. ويحيل هذا التصور إلى ثلاثة أنواع من التأثيرات المستقلة على المجتمع، هي: توزيع القدرات، والمزيج التقني للقدرات المادية، والجغرافيا والموارد الطبيعية.

ومن نقاش الأنطولوجيا المادية في مقابل الأنطولوجيا المتعلقة بالأفكار Materialism vs. Idealism Debate إلى نقاش الفاعل في مقابل البنية Agent vs. Structure Debate، يكشف في الفصل الرابع عن البعد الآخر من بنائيته. ففي حين أوضح الفصل الثالث أن بنائية ونت تستند إلى الأنطولوجيا المتعلقة بالأفكار Idealism من دون نفيه أهمية الأبعاد المادية السالفة الذكر، يستأنف الحديث عن الأبعاد البنوية في بنائيته مستهلًا الفصل بالسؤالين التاليين: ما الذي يعنيه قولنا بوجود بنية من الأفكار في النظام؟ وما طبيعة التأثيرات في هذه البنية؟ فيما يتعلق بالسؤال الأول، يحرص ونت على التثبيت

3 Steve Smith, "Wendt's World," *Review of International Studies*, vol. 26, no. 1 (2000), p. 151.

4 سندرج الإحالات إلى الكتابين في المتن، وما دما سنتناول كل كتاب على حدة (باستثناء القسم الأخير من المراجعة)، فإن القارئ لن يواجه مشكلة في التمييز بينهما.

الوحدات المتفاعلة ووظائفها، والثالث، هو مبدأ توزيع القدرات المادية. بالنسبة إلى المبدأ الأول، يعرّف والتز الفوضى بوصفها مبدأً ثابتاً تنتظم فيه تفاعلات الدول. أما المبدأ الثاني، فيتجاوز على اعتبار أن السياسة الدولية ليست محلاً للتمايزات التي قد تجد لها مكاناً في السياسة الداخلية؛ ذلك أن الدول كيانات موحدة وعقلانية وظيفتها السعي الدائم لتعظيم مصالحها النسبية. وهكذا يبقى المتغير الوحيد في البنية الدولية هو توزيع القدرات المادية للدول (ص 252).

ومن خلال التركيز على المبدأ الأول، أي الفوضى، يفصل ونت في ثقافته الثلاث من ناحية طبيعة الثقافة بوصفها موقفاً تجاه الآخر، ومن ناحية درجة تذويتها من الفاعلين. وتتأسس الثقافة الهوبزية على سيادة منطق العداء بين الفاعلين إثر تبادل التمثيلات السلبية بين الأنا والآخر، ولأنها تقوم على منطق حرب الجميع ضد الجميع، ولا يُعترف بحق الآخر في الوجود بوصفه كياناً مستقلاً، بل تُستباح ممارسة العنف تجاهه (ص 260). وهكذا، نظراً إلى صعوبة التعاون بين الفاعلين، فإن ما يغلب على نظام الفوضى الهوبزية هو مبدأ الاعتماد على النفس، وما يسود في هذا النظام هو أربع نزعات أساسية: الأولى، هي الحرب التي وإن كبحتها الاعتبارات المادية، عرضياً، تظل حقيقة محتملة في أي لحظة. أما الثانية، فهي الميل إلى القضاء على الفاعلين الأضعف عسكرياً. وتتجلى الثالثة في أن الدول القوية ستحاول تجنب الإقصاء عبر موازنة قواها مع الدول الأخرى. والرابعة هي حتمية انخراط جميع الفاعلين في الصراع وصعوبة اتخاذ موقف الحياد (ص 265-266). أما فيما يتعلق بدرجة تذويت الفاعلين هذه الثقافة، فيجادل ونت بأن امتثالهم لمعايير الثقافة الهوبزية وقيمها يرجع إلى ممارسة الإكراه القائمة على التهديد بالعقاب (ص 268)، ومن ثم، فإن درجة استيعاب هذه الثقافة تقتصر على مستوى سلوك الفاعلين، وحالما يتوقف الإكراه تتوقف الدول تبعاً لذلك عن الامتثال.

أما الثقافة اللوكية فتؤدي فيها الدول دور المنافس Rival. ويؤكد ونت أن التمثيلات المتبادلة بين المتنافسين تجعلهم يتصرفون كما لو أنهم يعترفون بسيادة بعضهم بعضاً وبحقهم في الحياة والحرية، الأمر الذي يكبح أي محاولات للسيطرة، مع بقاء فكرة العنف والصراع ملازمة لهم (ص 279). وتولّد الثقافة اللوكية، في نظر ونت، أربعة اتجاهات: أولها، قبول فكرة الحرب المقيدة؛ فمن ناحية، لا تقيد هذه الثقافة قدرة الدول على ممارسة العنف لتحقيق مصالحها الذاتية، بل تعتبر الحرب أمراً شرعياً لكنه أقل شيوعاً وعنفاً من الثقافة الهوبزية. وثانيها وجود عضوية للدول المعترف بسيادتها. وثالثها ميل الدول نحو موازنة القوى نتيجة الاعتراف المتبادل بسيادة بعضها بعضاً. ورابعها الحياد، أو اللامبالاة المتبادلة الناجمة عن استقرار الدول في نظام "عش ودع غيرك يعيش!" Live and Let Live System (ص 285).

المنهجي Methodological Bracketing لبنى المعرفة الخاصة Private Knowledge للفاعلين، تزامناً مع أشكلته البنى المشتركة التي تأخذ شكل توزيع اجتماعي للمعرفة (أي شكل ثقافة معينة) (ص 141). أدت الثقافة دوراً في نقاش الفاعل - البنية بين البنائين والواقعيين في حقل العلاقات الدولية؛ وهو ما تمخّض عنه موقفان: النزعة الكلاسيكية Holism، والنزعة الفردانية Individualism (ص 142). وفي حين يجادل الكلاسيكيون بأن البنى غير قابلة للاختزال في مجرد خصائص الفاعلين الفردانية، ينطلق الفردانيون من موقف يقول باستقلالية الفاعلين بعضهم عن بعض وعدم اعتمادهم على البنى المحيطة بهم (ص 155). ويرتبط هذا النقاش بالسؤال الثاني المتعلق بطبيعة تأثيرات البنية. فمن ناحية يميل أنصار النظرة الفردانية، على غرار منظري الاختيار العقلاني، إلى الحديث عن تأثيرات سببية للبنية تؤثر فقط على مستوى سلوك الفاعل العقلاني المستقل (167-169). ومن ناحية أخرى، ينافح أنصار النظرة الكلاسيكية - وونت من بينهم - عن دور البنى "التكويني" أو المكوّن لهويات الفاعلين ومصلحتهم وسلوكياتهم.

أما الفصل الخامس من الكتاب فيهدف إلى تطبيق نسخة ونت من البنائية الاجتماعية على موضوعات ذات صلة بالسياسة الدولية، ويلقي الضوء، على وجه التحديد، على مسألة الدولة وإمكانية الحديث عن امتلاكها صفات بشرية مثل الاعتقاد والقصد والرغبة. وينتظم الفصل في إطار تحقيق ثلاثة أهداف، هي: تجسيد الدولة عبر المحاجة بأنها فاعل لا يختزل في الأجزاء المجتمعية التي ينشأ عنها، والحديث عن الطبيعة "الحية" للدولة عبر استعراض مصالحها الموضوعية والذاتية وهوياتها الأربع، وإثبات أن الدولة ذات أسبقية وجودية على النظام الدولي (ص 197-198).

ولعل الفصل السادس، "ثلاث ثقافات للفوضى" Three Cultures of Anarchy، يمثل أحد أكثر الفصول تداولاً في أوساط الباحثين، ففيه يلقي ونت الضوء على قصور التصورات الواقعية الجديدة لمفهوم الفوضى؛ ذلك أن الفوضى عند الواقعيين الجدد أنظمة تتأصل فيها ممارسة الاعتماد على النفس وتتمخض عنها تنافسات عسكرية وتوازنات للقوى، بل حروب في بعض الأحيان (ص 247). وتكمن مشكلة هذه التصورات في أن الفوضى ليست وعاءً فارغاً كما يدّعي هؤلاء (ص 249)، بل إنها تحتل، وفقاً لونت، ثلاث ثقافات أو لها ثلاثة أشكال للمنطق؛ هي: المنطق الهوبزي Hobbesian Logic، والمنطق اللوكي Lockean Logic، والمنطق الكانطي Kantian Logic. وفيما يتعلق بتصورات الواقعيين للبنية، كان والتز قد سعى لتعريفها وفق ثلاثة مبادئ: الأول، هو المبدأ الناظم لترتيب الوحدات المتفاعلة، والثاني، هو المبدأ الذي يميّز

وبالنظر في مدى تذويت الدول هذه الثقافة، يجادل ونت بأن الفاعلين المتنافسين يلتزمون معايير الثقافة اللوكية من ناحية أنها تخدم مصالحهم الذاتية، وحينما تتغير حسابات التكاليف والفوائد، سيتوقف الفاعلون عن الامتثال (ص 268).

أما بالنسبة إلى الثقافة الكانطية، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بدت دول حلف شمال الأطلسي كأنها قد تجاوزت منطق التنافس ومضت قدماً نحو منطق الصداقة؛ إذ إنها تمكّنت من حل نزاعاتها بطرائق سلمية، واستبدلت سعيها الفردي بسعي جماعي للأمن. لقد ظلّ الاهتمام بمنطق الصداقة في حقل العلاقات الدولية ضئيلاً مقارنة بمنطق العداء، وتجلّى ذلك في أن معظم الدراسات سعت لمعرفة أسباب الصراع والحرب، ولم تسع لمعرفة أسباب السلام؛ على اعتبار أن الصداقة والسلام حالة طوباوية، بل مؤقتة مصيرها التقهقر إلى العداء والحرب. ومع ذلك، يؤكد ونت أن الثقافة الكانطية منطق ملائم لوصف طبيعة العلاقة بين الديمقراطيات؛ إذ أدت المعرفة المشتركة بين هذه الدول دوراً في تغيير معاني التنافس المرتبطة بالقدرات العسكرية إلى معانٍ تعاونية تعلمت الدول من خلالها أن تعمل معاً للدفاع بعضها عن بعض في مواجهة التهديدات الأمنية (ص 298-300). ولأن الثقافة الكانطية قائمة على التعلم، فإن تذويت الدول لها ناجم عن تذويت معاييرها لتصبح جزءاً لا يتجزأ من هوياتها ومصالحها وسلوكياتها.

وفي الفصل السابع (الأخير)، يقدم ونت محاولة لفهم الكيفية التي تدوم/ تتحول من خلالها ثقافات الفوضى الدولية. وينتظم الفصل في ثلاثة أجزاء أساسية، يستعرض في الجزء الأول نموذجاً تطورياً لتشكّل الهوية؛ ويعالج ونت من خلاله سيورة إنتاج الهويات وإعادة إنتاجها اجتماعياً؛ ويحاجّ في الجزء الثاني بأن التحولات البنوية في السياسة الدولية تتضمن تأسيس هوية جماعية؛ أما في الجزء الثالث، فيعكف على تطوير نظرية سببية تفسّر تأسيس الهوية الجماعية في ظل الفوضى الدولية، وفيه يقترح أربعة متغيرات رئيسة، هي: الاعتماد المتبادل، والمصير المشترك، والتجانس، وضبط النفس (ص 317).

ثانياً: العقل الكوانتي والعلوم الاجتماعية: نحو توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية

تتأسس الحجة الأساسية، في كتاب ونت الثاني، على افتراض أن الوعي وجميع الظواهر البشرية المقصودة Intended خاضعة لميكانيكا الكوانتوم (أو ميكانيكا الكم)، فالبشر هم في نهاية المطاف، حقيقة وليسوا مجازاً، دالات موجية تحافظ على تماسكها الكوانتي

Quantum Coherence حتى على المستوى العياني. وهي حجة اقتضت دحض الرأي السائد القائل إن التطبيق العملي لفيزياء الكوانتوم مقتصر على الجسيمات ما دون الذرية Sub-atomic. وإن تأثيرات الكوانتوم تتلاشى إحصائياً في المستوى العياني. يبحث ونت هذه الحجة عبر إثارته مشكلة العقل - الجسد Mind-body Problem المتمحورة حول صعوبة تفسير الحالات العقلية "الذاتية" عبر الحالات الدماغية "الموضوعية" التي لا تحمل أثراً للعقلية فيها. ارتبطت هذه الصعوبة، في النظرة الكلاسيكية للعالم، بصعوبة نشأة الوعي من عالم مادي؛ إذ لطالما اعتبر أنصار النظرة الكلاسيكية من باحثي العلوم الاجتماعية الوعي مسلّمة قلماً تجري مَشكَلُها، بوصفها نقيضاً للموضوعية والانضباط العلمي. وبناءً على ذلك، يجادل ونت بأن أعمق الخلافات الفلسفية في العلوم الاجتماعية ما هي إلا مظهرات فرعية لمشكلة العقل - الجسد التي طالما تجاهلها الباحثون، وبهذا يكون تحدي الافتراضات الكلاسيكية لهذه الإشكالية أساساً لحلحلة نقاشات الوضعية - ما بعد الوضعية، والمادي - الاجتماعي، والفاعل - البنية، التي طال أمدها في الحقل نحو حلول جديدة تقدمها فلسفة الكوانتوم. وتتكشف أطروحات الكتاب الأساسية في خمسة أجزاء تنبثق من طيات كل جزء منها فصول فرعية تلامس أبعاداً مختلفة من الأطروحات. وعلى اعتبار تكشف معظم حجج الكتاب في أول ثلاثة أجزاء منه، فإن القدر الأكبر من الاستفاضة سيتمحور حولها من دون الانصراف عن رسم الملامح الأساسية لبقية الحجج المهمة.

ينظر الجزء الأول من الكتاب، "نظرية الكوانتوم وتفسيراتها"، في "لغزين" من أعمق ألغاز العلم الحديث؛ هما الكيفية التي نفسر من خلالها الوعي، والكيفية التي نفهم من خلالها ميكانيكا الكوانتوم. ويرتبط هذان اللغزان أولاً بإشكالية التصالح مع النظرة الكلاسيكية للعالم؛ وثانياً بحقيقة أن ميكانيكا الكوانتوم، بخلاف الفيزياء الكلاسيكية، ترتبط بمسألة الوعي وعلاقته بالعالم المادي. ومن هذا الباب، يهدف هذا الجزء إلى منح القارئ في حقول العلوم الاجتماعية فهماً تمهيدياً لنظرية الكوانتوم ومفاهيمها المفصلية وما يدور حولها من نقاشات تعامل معها ونت بأسلوب تجلّت من خلاله مراعاته أن القارئ ليست له معرفة مسبقة بفيزياء الكوانتوم وما قد تثيره من مضامين رياضية مستعصية. ويؤكد في مطلع هذا الجزء أن الحديث عن فيزياء كوانتوم بلا معادلات رياضية قد يبدو ضرباً من الخيال. إلا أن المفاجأة تكمن في أن فهمنا لنظرية الكوانتوم وما قد تثيره من أسئلة ميتافيزيقية ترشد تعاملنا مع الواقع لا يستلزم منا تجويد أدواتها الرياضية؛ ذلك أن كتابات علماء فيزياء الكوانتوم كانت قد تداولت المشكلات الفلسفية وما يتمخض عنها من مفاهيم ونقاشات بلغة تخلو من التعقيدات الرياضية (ص 39).

الفعل المخيف من بعيد Spooky Action at a Distance. وفي مبرهنته هذه، شكك بل في التفسيرات التي قدمتها الواقعية المحلية للعالم، ممهداً بذلك لإمكانية النظر في السببية اللامحلية Non-local Causation التي أكد الكوانتيون صحتها.

وأخيراً، يستعرض ونت تجارب الاختيار المؤجل Delayed-Choice Experiments للفيزيائي جون ويلر، والتي حاول من خلالها معرفة ما إذا كان من الممكن تحديد الزمن الذي يحسم فيه الفوتون قراره بأن يتخذ شكل جسيم أو موجة، وهي التجارب التي وسّعها ويلر لاحقاً، في تسعينيات القرن العشرين، لتشمل النظر في سلوك الفوتونات على نطاق كوني⁽⁶⁾، مؤكداً أن الفوتون في فترة ما قبل القياس يكون في حالة تراكب موجية Superposition، أما في مرحلة ما بعد القياس فإن خصائصه الفعلية لا تتغير، بل ما يتغير هو قدرته على اتخاذ خاصية فعلية واحدة؛ أي إن التاريخ الفعلي للفوتون يتحدد إبان عملية قياسه، في حين يبقى تاريخه "المحتمل"، أو ما يمكن أن يحدث له، أمراً غير بدهي وغير يقيني. وهو ما يترتب عليه تشكيك فيزياء الكوانتوم في التصور الكلاسيكي للزمن المغلق، وفتح المجال أمام إمكانية النظر إلى الماضي والمستقبل بوصفهما ظاهرتين مفتوحتين تتضمنان أحداثاً محتملة قد لا تحدث فعلياً في الواقع (ص 56-57).

ينتقل ونت، بعد ذلك، إلى مناقشة ستة من الافتراضات التي تأسست عليها النظرة الكلاسيكية للفيزياء، مشيراً إلى الكيفية التي تحدثها بها ميكانيكا الكوانتوم. ويتجلى أول هذه الافتراضات في النظرة المادية Materialism التي أكدت أن الواقع يتكون حصراً من المادة غير الحية التي يغيب عنها أي أثر للعقل والوعي. وهي النظرة التي دحضت على أساس أن الجزيئات في المستوى ما دون الذري ليست أشياء بالمعنى المادي للكلمة؛ ذلك أننا لا نمتلك أي دليل يزعم عكس ذلك حتى نخضع هذه الجزيئات للقياس،

6 يشير ونت إلى أن "ويلر ينطلق من اكتشاف آينشتاين بأن الجاذبية انحناء زمني - مكاني يؤدي إلى انحناء الضوء؛ ليجادل بأنه إذا كان الضوء الصادر عن النجم الزائف كويزار Quasar، الذي يعد ظاهرة تبعد مليارات السنين الضوئية عن الأرض، يستغرق وقتاً طويلاً للوصول إلينا، فإنه بالإمكان القول إن ما يصل إلينا يعكس ما كان يحدث في الكويزار ذلك الوقت وليس اليوم، بل من الممكن أن يكون الكويزار قد اختفى منذ فترة طويلة. إذًا، حين ننظر إلى النجوم الزائفة، فإن ما نشاهده حرقاً هو الماضي البعيد جداً. والآن، لو افترضنا أن المجرة تقع في المنتصف بين الكويزار والأرض، وأن لهذه المجرة جاذبية تجعل الضوء القادم من الكويزار ينحني حول المجرة ميمناً ويساراً، لتتقاطع بعد ذلك الأشعة المنحنية وهلة قبل أن تعود إلى اتجاهاتها المختلفة، السؤال هنا، هل سيمر الفوتون إلى اليمين أو اليسار؟ تجيب الفيزياء الكلاسيكية بأن الاختيار يمنع حين يواجه الفوتون المجرة في المنتصف، أما فيزياء الكوانتوم فتجادل بأن اختيارنا إجراء القياس يؤثر في وصف ما حدث بالماضي. ولكن أي ماضٍ؟ هنا، يؤكد ويلر أن الفوتون في مرحلة ما قبل القياس يأخذ شكل موجة تتسم بطبيعة تراكبية. أما في مرحلة ما بعد القياس، فالتغير يحدث لا في خصائصه الفعلية، بل في قدرته على اتخاذ خاصية فعلية واحدة، ومن ثم، فإجراء القياس يحدد تاريخ الفوتون الفعلي لا المحتمل" (ص 56-57).

وعموماً، ينتظم هذا الجزء كما يلي: أولاً، تقديم أسس نظرية الكوانتوم ومفاهيمها الجوهرية عبر استعراض ثلاث من أشهر التجارب التي كشفت نتائجها عن السمات المميزة للمجال الكوانتي؛ ثانياً، مناقشة ستة تحديات واجهت من خلالها النظرة الكوانتية المنظور الكلاسيكي للعالم؛ ثالثاً، استعراض خمسة مواقف أساسية لتفسير شكل العالم.

فيما يتعلق بالتجارب الثلاث، يبدأ ونت في استعراض تجربة الشق المزدوج Two-Slit Experiment، التي تضرب جذورها في أكثر معضلات الفيزياء الكلاسيكية جدلاً، وهي معضلة ما إذا كان الضوء جُسيمًا أم موجةً. أثر إسحاق نيوتن، انطلاقاً من رؤيته الذرية للعالم، أن ينافح عن نظرية الجسيمات التي لاقت رواجاً بين علماء الفيزياء إبان القرن الثامن عشر، وذلك حتى عام 1801، حين أجرى توماس يونغ تجربته التي حسم من خلالها الجدل لفائدة الفكرة القائلة إن الضوء عبارة عن موجة⁽⁵⁾. المثير للاهتمام في تجربته هذه هو أن الضوء وإن كان يخلق نمطاً متداخلاً Interference Pattern في اللحظة التي يعبر من خلالها الشقين مؤكداً بذلك سماته الموجية، فإن هذا النمط يتلاشى عند إضافة الكواشف التي تُجري قياسات على هذين الشقين، ذلك أن إلكترونات الضوء تعود للتصرف كما لو كانت جسيمات. من هنا، كان الاستنتاج أن الإلكترون ما دامت لا تجري ملاحظته / مراقبته "يتصرف" كما لو كان موجة؛ وما إن يخضع للملاحظة يعود للتصرف كما لو كان جُسيمًا. يقود هذا الاستنتاج إلى تأكيد مسألتين أساسيتين في العالم الكوانتي، هما: أولاً، عدم قابلية الانفصال بين المراقب والمراقب وتشكيلهما نظاماً واحداً للكشف. ثانياً، دور القياس في إحداث تحولٍ ما سواء كان ذلك على مستوى المعاني الأنطولوجية أو الإستمولوجية (ص 46). وبعد ذلك، ينتقل ونت إلى مبرهنة الفيزيائي الإيرلندي جون بل، Bell Experiment، التي سعى من خلالها لتجاوز منطق الواقعية المحلية Local Reality القائم على مبدأي الفيزياء الكلاسيكية: مبدأ الواقعية Reality، الذي يؤكد أن العالم موجود على نحو مستقل عن عقل الإنسان، ومبدأ المحلية Locality، الذي يؤكد أنه لا يوجد تأثير سببي قادر على الانتشار أسرع من الضوء، ما يدحض ما أسماه ألبرت آينشتاين

5 في تجربته هذه "يضع يونغ مصدراً للضوء خلف شاشة معتمدة بها شق صغير يمر الضوء من خلاله في شكل حزمة مركزية. تصطدم هذه الحزمة بشاشة أخرى فيها شقان متقاربان يمر الضوء من خلالها إلى الشاشة الثالثة والأخيرة الخالية من الشقوق. ويجادل يونغ، بأنه في حال كان الضوء عبارة عن جسيمات، فإن ما نتوقع رؤيته على الشاشة الثالثة هو مناطق ساطعة ناتجة من عبور الضوء من الشقين، كما نتوقع وجود مناطق معتمدة ناجمة عن اصطدام جسيمات الضوء بالجسيمات المحيطة بالشقين. مع ذلك، فإن ما لاحظته يونغ كان عبارة عن نمط متداخل Interference Pattern من تناوب الحزم المضئية والمظلمة، وهو النمط الذي يمكن توقعه في حال كان الضوء عبارة عن موجة. وتفسير ذلك يعود إلى أن التقاء قمة موجة أولى بقمة ثانية ينجم عنه تضخم هاتين الموجتين، فزى على الشاشة مناطق ساطعة. أما في اللحظات التي تلتقي فيها قمة موجة أولى بقاع موجة ثانية، فتُلغى هاتان الموجتان إحداهما الأخرى ونرى على الشاشة مناطق مظلمة" (ص 43-44).

وثانيها أن يتوسع توصيف مفهوم السببية ليشمل السببية اللاحقية؛ وثالثها إقحام الأبعاد العقلية، غير المادية، عند تفسير انهيار الدالة المَوْجِية والسببية اللاحقية (ص 63-64).

أما خامس تلك الافتراضات، فيتجلى في افتراض الزمان والمكان المطلقين Absolute Space and Time الذي نسلت منه ادعاءات تحاجّ بمحلية المكان وخطية الزمان واستمراريته. وهي الادعاءات التي شملها نقد لاذع من نظرية الكوانتوم في ثلاثة مواضع: أولها أن موقع/ مكان الجزيئات غير قابل للتحديد إلى حين لحظة قياسها؛ وثانيها انتفاء مبدأ المحلية عبر إثباتات تجارب بل؛ وثالثها اعتبار الزمان والمكان ظاهرتين منبثقتين Emerge من العلاقات وليس العكس (ص 65-66). أما آخر تلك الافتراضات، فيتمثل في تمييز الكلاسيكيين بين الذات والموضوع Subject-object Distinction، عبر موضعهم البشر في دور المتفرج على الطبيعة لا المشارك في أفعالها؛ على اعتبارها خطوة علمية ضرورية للحيلولة دون تلوث العلم باختيارات البشر ومعتقداتهم الذاتية. وقد طرح هذا التمييز إشكالية من منظور الكوانتوم ارتبطت بحقيقة أن القياس قادر على إحداث تحولات على مستوى المعاني الأنطولوجية أو الإبيستمولوجية؛ وذلك منذ أن أصبح المراقب متشابكاً Entangled - لا محالة - مع عملية انتقال الدالات المَوْجِية من عالم الكوانتوم الاحتمالي إلى عالم الحقائق الكلاسيكي العياني⁽⁸⁾ (ص 66-67).

بعد أن يستعرض ونت الكيفية التي تتحدى من خلالها نظرية الكوانتوم أعتى افتراضات الفيزياء الكلاسيكية، ينتقل إلى مناقشة الكيفية التي اشتبكت بها خمسة تفسيرات كوانتية مع الإشكالات الثلاثة التالية: (1) كيف يمكن مواءمة المظاهر الكلاسيكية مع الواقع الكوانتي؟ (2) لماذا تنهار الدالة المَوْجِية؟ (3) مكانة العقل في الطبيعة؟ وبالتكرار على السؤال الأخير، ينطلق من مشكلة العقل - الجسد ليُجري تمييزاً بين المنطلقات الواقعية "الأنطولوجية" التي تدرج ضمنها تفسيرات مادية وتفسيرات متعلقة بالأفكار، والمنطلقات الأداتية "الإبيستمولوجية". ففي حين يجادل الواقعيون "الأنطولوجيون"،

أما ما قبل القياس فتظل هذه الجزئيات موجودة في حالة دالات مَوْجِية تفتقر إلى الصلابة أو الكتلة⁽⁷⁾. وأما ثاني هذه الافتراضات، فيتعلق بالأنطولوجيا الذرية Atomism التي تأسست على ثلاثة ادعاءات، هي: (1) قابلية الأجسام الكبيرة للاختزال في خصائص الأجسام الأصغر حجماً وتفاعلاتها؛ (2) امتلاك الأجسام خصائص محددة؛ (3) قابلية الأجسام لفصل بعضها عن بعض على نحو تام، ما يلغي إمكانية تأثرها بعلاقاتها مع الأجسام الأخرى؛ (4) اعتبار هويتها محكومة حصراً بموقعها وزمانها الداخليين. تعرّض الادعاء الأول للتحدي حتى بين أوساط الكلاسيكيين أنفسهم؛ على اعتبار أن الكل Whole في كثير من الأحيان أكثر من مجرد مجموع أجزائه Parts التي يُختزل فيها. في حين شمل النقد الادعاء الثاني وفق مبدأ اللابقيين الذي نفى إمكانية امتلاك الكائنات خصائص محددة؛ على اعتبار أن خصائص الأجسام بمنزلة تراكمات احتمالية تتحدد يقيناً إبان لحظة القياس. أما الادعاء الثالث فقد تصدى له مفهوم التشابك Entanglement الذي يشير إلى الطبيعة العلائقية في الأنظمة الكوانتية وعدم خضوعها لمنطق قابلية الفصل التام، ومفهوم اللامحلية Non-locality الذي يفتح مجالاً لإمكانية التواصل والتأثر بين الأجسام المنفصلة عن بعضها (ص 60-61).

ثم ينتقل ونت ليقدم الإرادة الحرة والخاصية الاحتمالية للأنظمة الكوانتية بوصفهما تحدياً للافتراض الكلاسيكي الثالث المتمثل في الأنطولوجيا الحتمية Determinism. وفي هذا السياق، يشير، سيراً على خطى بروس غيلمور وزملائه، إلى أن التخلي عن النظرة الفيزيائية القائلة بإمكانية تابعة Supervene الحالات الكلية للحالات الجزئية يتيح انتقال الظواهر الاحتمالية الكوانتية تصاعدياً إلى المستويات الكلية؛ ما يفتح مجالاً لتباحث مفاهيم على غرار الإرادة الحرة (ص 62-63). وأما رابع هذه الافتراضات فيرتبط بالنظرة الميكانيكية Mechanism التي تموضع الطبيعة الآلية والمحلية في قلب توصيفها لمبدأ السببية المقتصر، بحسب هذه النظرة، على الظواهر المادية دون العقلية. وقد تحدّت النظرية الكوانتية هذا الافتراض عبر استدلالين؛ يتعلق الأول بغياب الأسباب الكامنة في انهيار الدالة المَوْجِية عند قياسها، في حين يتأسس الثاني على إثباتات مبرهنة بل بوجود ترابطات علائقية للاحقية بين أنظمة الكوانتوم المتشابكة. وهو ما يفسح المجال لثلاثة تصورات بديلة: أولها أن تستبدل السببية الفيزيائية للمستويات الجزئية بإطار تكاملي Complementarity؛

7 يؤكد ونت أن بعض علماء الفيزياء كانوا قد حاولوا توسيع مفهوم المادة لتشمل نتائج فيزياء الكوانتوم، "إلا أن جهودهم هذه ظلت محدودة في ظل الاكتشافات المستمرة في الحقل والتي تجعل من محتوى المادية أكثر قابلية للتبدل، فضلاً عن احتمالية توشل الفيزيائيين إلى حقيقة تموضع العقل باعتباره أساساً للواقع، ما سيعيد تعريف الأنطولوجيا المادية على أنها أنطولوجيا متعلقة بالأفكار وغير قابلة للدحض" (ص 59-60).

8 ابتكر إرفين شرودنغر، في سياق دفاعه عن النظرة الكلاسيكية للعالم، تجربة من أشهر التجارب الذهنية في فيزياء الكوانتوم، وهي تجربة القطعة الحية الميتة. يدور سيناريو هذه التجربة الذهنية حول قطرة توضع داخل صندوق مغلق مع قنينة مليئة بغازات قاتلة يتم إطلاقها ميكانيكياً بطريقة عشوائية. ويتساءل شرودنغر عما يجري داخل الصندوق وعن حال القطعة قبل فتحه، مؤكداً أنه وفقاً للنظرة الكلاسيكية للعالم يجب أن تكون القطعة في حالة واحدة وأن فتح الصندوق ما هو إلا تأكيد لما قد حدث لها بالفعل. أما في النظرة الكوانتية فتكون القطعة في حالة تراكب Superposition حتى لحظة فتح الصندوق وإجراء القياس عبر المراقب (ص 69).

الذي يظل في حالة تراكم احتمالية ولا يتحقق واقعياً إلا بالإدراك وما يعقبه من إرادة تؤدي إلى انهيار دالته المَوْجبة (ص 95). ففي حالة التماسك الكوانتي، يكون الدماغ مجرد دالة مَوْجبة احتمالية، وليس حقيقياً بالمعنى الكلاسيكي للحقيقي، بل يصير كذلك عند انهيار دالته المَوْجبة وفك ترابطه De-coherence. وعلى الرغم من أن نظرية الدماغ الكوانتي تمكنت من دمج عناصر الوعي المتعددة في وعي موحد للدماغ، فإنها عجزت عن تقديم حل واضح لمشكلة العقل - الجسد؛ ذلك أنها لم تستطع تفسير السبب الكامن في وعي الأدمغة. ومع ذلك، فقد فتحت هذه النظرية المجال أمام ونت ليعكس كل الغرابة الكوانتية التي تحدث على المستوى ما دون الذري إلى المستوى الذري؛ ما حفز الجزء الثاني من نظريته، أي النفسانية الشاملة، التي عدّها بديلاً أكثر إقناعاً لمشكلة العقل - الجسد من المادية والثنائية⁽¹⁴⁾. وتقتصر النفسانية الشاملة أن الوعي ليس مجرد خاصية بشرية تتميز بها المواد الشديدة التعقيد، بل تذهب إلى بنية المادة نفسها لتجادل بأن الوعي ممتد من المستوى الذري إلى المستوى ما دون الذري All the Way Down. ويرى ونت أن حجة مثل هذه تعدّ مقبولة؛ ذلك أنه بخلاف الفيزياء الكلاسيكية التي يترادف فيها معنى الفيزيائي Physical مع المادي Material، تنهار في فيزياء الكوانتوم كل المفاهيم الكلاسيكية المألوفة عن مادية المادة؛ ما يفتح مجالاً لتقديم فهم فيزيائي لا يتعارض مع افتراض "وعي المادة" في النفسانية الشاملة. وبتركيزه على جانب النفس Psyche في النفسانية الشاملة، يستعرض الأبعاد الثلاثة للذاتية⁽¹⁵⁾: الإدراك Cognition، والخبرة Experience، والإرادة Will. فإذا كان الإدراك يعادل التفكير، فإن الخبرة، أو الوعي، تعادل الشعور Feeling. ومع الإدراك بوصفه دالة مَوْجبة تنهار في شكل تجربة، تكون الإرادة، إذًا، هي القوة السببية الكامنة في هذا الانهيار (ص 121).

ومن الأدمغة الكوانتية والنفسانية الشاملة التي ساعدته في أشكلة الوعي إلى المستوى ما دون الذري، يعكس ونت مرآته التحليلية عودة إلى المستوى الذري العياني؛ عبر المحاجة بأن الحياة الاجتماعية لا تختلف جوهرياً عن حياة الجسيمات ما دون الذرية (ص 131). وهنا، يقدم ونت الأنطولوجيا الحيوية Vitalism⁽¹⁶⁾ التي يجادل

على غرار تفسير جي آر دبليو GRW⁽⁹⁾، بأن نظرية الكوانتوم قادرة على توصيف الواقع، يميل الأداتيون "الإبستمولوجيون"، على غرار تفسير كوبنهاغن⁽¹⁰⁾، إلى عدّ الكوانتوم مجرد أداة للتنبؤ بنتائج التجارب. وضمن فئة الواقعية الأنطولوجية، تناقض الرؤية المادية عن التفسيرات المتماشية مع النظرة التي تفند إمكانية وجود بعد عقلي أساسي في المادة، في حين تفترض الأنطولوجيا المتعلقة بالأفكار وجود دور أساسي للعقل في الواقع، وهو دور لا يمكن اختزاله في المادة. من هذا الباب، ينتقي ونت النفسانية الشاملة Panpsychism ويجعلها أرضية تجسيرية بين الأنطولوجيا المادية والأنطولوجيا المتعلقة بالأفكار (ص 72، 73، 89).

في الجزء الثاني، "الوعي الكوانتي والحياة"، يمعن ونت النظر في مسألة ترابط الوعي وفيزياء الكوانتوم، متحدّياً بذلك عدداً من الافتراضات والمفاهيم الكلاسيكية التي اقترحها فلاسفة الفيزياء⁽¹¹⁾ وفلاسفة العلوم الاجتماعية⁽¹²⁾ حول الوعي وأدواره في الحياة. وفيه، يقدم نظرية الوعي الكوانتي القادرة على التوفيق بين ثلاثة افتراضات أساسية، هي: (1) الافتراض المادي لنظرية الدماغ الكوانتي، الذي يرى أن الدماغ قادر على الحفاظ على حالات كوانتية متماسكة "فعلية"؛ ما يقدم حلاً لما يُعرف بمشكلة التركيب⁽¹³⁾ Combination Problem التي ظلت فترة طويلة بمنزلة اعتراض على النفسانية الشاملة؛ (2) الافتراض الميتافيزيقي للنفسانية الشاملة القائل إن الوعي كامن في بنية المادة نفسها؛ (3) افتراض أن التماسك الكوانتي جوهر للحياة وقوة دافعة فيها (ص 92).

بدايةً، تفترض نظرية الدماغ الكوانتي أن العمليات الكوانتية في المستوى ما دون الذري يمكن تضخيمها وإبقاؤها في حالة تراكم على المستوى العياني للكائن الحي؛ إذ إن هذه النظرية تعمل على توسيع الخصائص المعروفة لأنظمة الكوانتوم التي تسري على الإلكترونات والفوتونات، لتصف من خلالها الكيانات الأكبر حجماً، مثل الدماغ

9 تتأسس نظرية جي آر دبليو، التي تعود تسميتها إلى الحروف الأولى من كنية منظريها جيانكارلو جيراردي، وألبرتو ريميني، وتوليو وير، على محاولة تجاوز الإشكاليات الأساسية في معادلة شرودنغر التي تسمح بتراكب الحالات العيانية التي لم تجر ملاحظتها في الواقع. يتمثل حلهم في تعديل معادلاته عبر افتراض أن الأنظمة الكوانتية تخضع لمحلية تلقائية، تقتضي احتمالية انهيار النظام عشوائياً من حالة كوانتية إلى حالة كلاسيكية (ص 76).

10 يعمل هذا التفسير على تثبيت السؤال الأنطولوجي المتعلق بشكل العالم الكوانتي لفائدة مشكلة السؤال الإبستمولوجي المتعلق بنوع المعرفة التي يمكن التوصل إليها بشأن العالم الكوانتي (ص 73).

11 كان فلاسفة علم الفيزياء قد تداولوا دور الوعي في عملية القياس معزول عن مشكلة العقل - الجسد.

12 يشكك فلاسفة العلوم الاجتماعية في نجاعة الحلول التي تقدمها نظرية الكوانتوم للتعامل مع إشكالية الوعي.

13 أي كيف يمكن دمج مليارات العناصر الواعية في المادة في الوعي الوحدوي للدماغ؟

14 بالنسبة إلى الماديين، يتمثل التحدي في إبراز الكيفية التي يمكن من خلالها تفسير العقل، سواء أكان ذلك من منطلقات اختزالية، أو اثباتية، تتأسس على مركزية المادة الميتة التي تفتقر إلى أي أثر للعقل بداخلها. أما أنصار الثنائية، وإن كانوا يجادلون بفرادة العقل على المستويات الأنطولوجية، فإنهم يتقاطعون مع الماديين في اعتبار المادة مفتقرة إلى أشكال الحياة أو العقل فيها.

15 مرادف للنفس لدى باحثي العلوم الاجتماعية.

16 باتت هذه الأنطولوجيا مرفوضة عالمياً بسبب تعاملها مع الحياة بوصفها قوة غير مادية وغير قابلة للرصد.

أثبتت أن البشر في الواقع يخالفون الافتراضات العقلانية المتوقعة حيال سلوكياتهم وتشكيل تفضيلاتهم. من هذا المنطلق، يقحم ونت نظرية الاختيار الكوانتي التي طورها منذ عشر سنوات علماء النفس والفيزياء الرياضية، والتي تسمح لصانعي القرار بتشكيل احتمالات وتفضيلات وفق منطق الكوانتوم؛ عبر التشكيك في مسألة تعظيم المنفعة بوصفه خياراً عقلانياً⁽¹⁷⁾، والتشكيك في محلية العلاقات بين الذات، بل التشكيك في عقلانية اتخاذ القرار في معزلٍ عن العاطفة والوعي⁽¹⁸⁾ (ص 166-167).

أما في الجزء الرابع، وعنوانه "اللغة والضوء والعقول الأخرى"، فيحاول ونت ببساطة إنجاز ثلاث مهمات: الأولى هي إجراء مراجعة للأدبيات البارزة في مسألة دلالات الكوانتوم⁽¹⁹⁾ Quantum Semantics، وهي تظهر أن نظرية الكوانتوم تقدم طرقاً مقنعة لنمذجة إنتاج المعنى اللغوي، وأثر هذه الطرق في النقاش بين المناهج التركيبية والسياقية للغة⁽²⁰⁾؛ أما الثانية، فهي تقديم نموذج كوانتي للتفكير في مسألة العقول الأخرى⁽²¹⁾. فبعيداً عن النظرة الكلاسيكية التي تتصور عقولنا كآلات تعالج المعلومات بصورة محلية، محددة وغير مباشرة، يجادل النموذج الكوانتي لمصلحة تشابك عقولنا اللامحلي والمباشر عبر اللغة والسياق؛ والثالثة هي ادعاؤه أن ما يميز الأفراد في حالة التشابك مع البنى الاجتماعية هو أنهم غير قابلين للفصل التام بعضهم عن بعض Not Fully Separable، مقتحماً، من منطلق كوانتي للإدراك، وجود معنى حربي لمقولة دانيال كولاك "أنا أنت" في أفعالنا الداخلية؛ فبحسب ونت "أنا أنت؛ بقدر ما تشابك دوائنا الموجية عبر اللغة؛ وأنا أنت، حين تنهار دوائنا في أفعالنا البيزنائية؛ وأنا أنت، حين نعيش حياتنا الخاصة. قد تكون الحدود بيننا غير واضحة كما هي حدود المحيطات، شمال المحيط الهادئ ليس كجنوب المحيط الأطلسي، إلا أننا على مستوى اللاوعي المشترك كلنا جزء من "المحيط الواحد" (ص 242). يتمثل مقترح ونت، إذًا، في أن التشابك اللغوي يربط

من خلالها بأن التماسك الكوانتي هو الأساس المادي للحياة التي لا يمكن تفسيرها بالرجوع إلى مادة صماء ميتة، بل إلى قوة غير مادية وغير قابلة للرصد. غير أنه لا يحبد إطلاق صفة اللامادية على مفهوم التماسك الكوانتي؛ إذ إنه في نهاية المطاف ظاهرة فيزيائية من المفترض أن تكون بعيدة كل البعد عن تكهنات الميتافيزيقيا والإلهام. وهنا يشير إلى أن عد التماسك الكوانتي ظاهرةً فيزيائيةً لا مادية يعني إعادة النظر في مدى إحكام الإغلاق السببي للفيزياء وفتح المجال لولوج المذاهب غير المادية، على غرار الحيوية والنفسانية الشاملة (ص 144-145، 147).

وفي الجزء الثالث، يعيد النظر في النموذج الكلاسيكي للإنسان مقتحماً استبداله بنموذج كوانتي للإنسان Quantum Model of Man، فينطلق من استعراض للأسس الخمسة التي ينبني عليها النموذج الكلاسيكي، وهي: أولاً، مادية الإنسان الكلاسيكي، بمعنى أن حالاته الأنطولوجية العقلية ليست سوى حالات دماغية، غير أن هذا لا يعني بالضرورة افتقاره إلى الوعي، بل إن حل مشكلة العقل - الجسد، كما يقترح أنصار هذا المنظور، يكمن في التعامل مع العقل بوصفه ظاهرة ثانوية من دون الحاجة إلى إقحام قواه الملتبسة التي لا يمكن تفسيرها كلاسيكياً. ثانياً، قابلية الإنسان الكلاسيكي للانفصال عن الآخرين عقلياً وجسدياً. ثالثاً، اتصاف خصائص الإنسان الكلاسيكي في المستوى الجزئي بالتحديد والواقعية. أما على المستوى الكلي، فغالباً ما يعاني الناس التناقض والشك والحالات الذهنية غير المحددة. رابعاً، اقتصار استجابة الإنسان الكلاسيكي للقوى السببية المحلية Local سواء أكان منبع هذه القوى بيئة خارجية أم إدراكات داخلية متجلية في مستوى السلوك. خامساً، يتحدد سلوك الإنسان الكلاسيكي من خلال اقتران الأسباب الداخلية والخارجية في جسده؛ ما يعني غياب الإرادة الحرة عنه (ص 151-152).

تجاهل هذه النظرة الكلاسيكية الخبرة والمعنى والغاية؛ على اعتبار أن الخبرة ووعي لا ترصده المادية، والمعنى ينتفي بانتفاء الخبرة، والغاية تتناقض مع مادية العالم الآلية، الأمر الذي يجعل تصورات هذه النظرة للإنسان تقدمه بوصفه آلة أو في أحسن أحواله زومبي (ميت حي!)؛ آلة إن نظرنا إلى افتراضات نظرية الاختيار العقلاني، وزومبي إن التفتنا إلى التفسيرات الاجتماعية المهيمنة على تصورات النظرية الاجتماعية؛ والتي من خلالها يقتصر سلوك الإنسان على إعادة إنتاج الأعراف والثقافة من دون أدنى تأمل. بمعنى آخر، ما يقدمه ونت هو اقتراح رؤية لإنسان كوانتي حيٍّ وواعٍ (ص 152-153). ويدعم حجته بنتائج عالمي النفس، دانيال تفرسكي وعاموس كانيمان، التي أكدا من خلالها وجود أنماط سلوكية شاذة تحيد عن تنبؤات نظريتي القرار الكلاسيكية والاختيار العقلاني. وهي الأنماط التي

17 على اعتبار أن العقل البشري في حالة تراكب لا في حالة محددة يمكن تعظيمها.

18 يجري اتخاذ القرار الكوانتي بطريقة تشمل الدماغ وما يكتنفه من عواطف ووعي لا تستشنيها؛ فصحح أن علماء الأعصاب كانوا قد حاجوا من أجل الترابط بين العقل والعاطفة في عملية صنع القرار في ظل اللاحقين، إلا أن الكوانتوم تقدمها بوصفها مصدرًا لصنع القرار.

19 تؤكد دلالات الكوانتوم على أن الحالة الأساسية لمفهوم ما يمكن تخيلها بوصفها تراكباً للمعاني المحتملة؛ إذ يكون لكل منها متجه خاص داخل دالته الموجية.

20 هذا نقاش طويل في اللسانيات، يتناول ما إذا كان المعنى مبنياً من وحدات دلالية أصغر لها محتوى جوهرى كما يجادل أنصار وجهة النظر التركيبية، أم أنه يعتمد، على نحو غير قابل للاختزال، على السياق المحلي كما يجادل أنصار وجهة النظر السياقية.

21 ترجع مسألة العقول الأخرى إلى تمييز الفلاسفة بين مشكلتين: الأولى مشكلة معرفية، تتمثل في "قراءة ذهنية" لمعرفة ما يفكر فيه الآخرون، والثانية مشكلة أعمق تتجلى في معرفة ما إذا كان لدى الآخرين عقول مشتركة في المقام الأول. ومع ذلك، فإن المسألة في العلوم الاجتماعية تتجلى في كيفية معرفتنا أفكار الآخرين. والجواب السائد هو عبر آلية استنتاجية غير مباشرة.

ثالثاً: خلاصات نقدية حول "نظرية اجتماعية للسياسة الدولية"

لا شك في أن كتاب *نظرية اجتماعية للسياسة الدولية* يعدُّ أحد أبرز النصوص المؤسسية⁽²³⁾ للمقاربة البنائية الاجتماعية في حقل العلاقات الدولية؛ إذ إنَّ وُنت سعى من خلاله للبرهنة على أنَّ الإسهامات التي تقرُّ بدور الأفكار في السياسة الدولية قادرة على بناء مشروع بحثي وعلمي واضح. وفيما يلي، نقدم ثلاثة استنتاجات نقدية عن الكتاب تتمحور حول: (1) موقف وُنت الإستمولوجي الوسيط. (2) موقف وُنت البنيوي. (3) نظرة وُنت للعلاقة بين المادة والأفكار.

1. موقف وُنت الوسيط

يقول وُنت: "أنا وضعي، أُموضع في الوسط بين أطراف النقاش الثالث؛ لا لأنني أبتغي الوصول إلى إستمولوجيا انتقائية، بل لأنني لا أعتقد أنَّ الأنطولوجيا المتعلقة بالأفكار تقتضي تبني الإستمولوجيا ما بعد الوضعية [...]؛ بناءً عليه، أمل أن أجد موقفاً وسيطاً في كل هذا"⁽²⁴⁾. هكذا موضع وُنت نفسه في النقاش الإستمولوجي بين الوضعيين وما بعد الوضعيين؛ سعيًا منه للخروج بمساهمة تدفع نحو حقل تعددي يفتح المجال أمام الاتصال المعرفي بين طرفي النقيض. إلا أنَّ توجهاته الوضعية كانت محلَّ نقدٍ من أقرانه البنائيين الراديكاليين⁽²⁵⁾، الذين ما أجازوا قفزه على التعارض الجلي بين مواقفه الأنطولوجية المتعلقة بالأفكار ومواقفه الإستمولوجية الوضعية Positivism. لم يأت النقد من بين أقرانه الراديكاليين فحسب، بل من أوساط التيار السائد، أيضًا، الذي سعى وُنت للتقارب المعرفي معه، إلى حد قول روبرت كيوهين، منظرُ المؤسساتية الجديدة، بأنَّ التوقف عند بعض حجج وُنت يجعل القارئ يشعر "كأنه مجرد عقلائي قد قرأ كتابات فوكو"⁽²⁶⁾. أما ستيف سميث، فلم يتفق مع محاولة وُنت تطوير مقاربة "علمية" لدراسة العالم الاجتماعي؛ مشيرًا إلى أنه لا يصحُّ أن يُعدَّ نفسه منظرًا منخرطًا في فلسفة "الفهم" Understanding متموضعًا في الأنطولوجيا نفسها إلى جانب النسوية، وما بعد الحداثة،

الجسيمات ما دون الذرية لتشكُّل نظامًا كوانتيًا واحدًا (ص 210)، واللغة مثل الضوء (ص 233)، فهي كون دلالي وبنية أساسية يدرك من خلالها الأفراد أفكارهم ونياتهم وحالاتهم الذهنية وذكرياتهم الجماعية.

أخيرًا، يعيد وُنت، في الجزء الخامس، النظر في نقاش الفاعل - البنية من وجهة نظر كوانتية؛ ولأنَّه كان قد تطرق إلى الفاعلين الأفراد في الجزء الثالث، فإنَّ تركيزه في هذا الجزء قد انصب على البنى الاجتماعية. ويتقاطع، عبر دفاعه عن أنطولوجيا ترفض إمكانية اعتبار البنى متعاليةً عن خصائص الفاعلين وتفاعلاتهم⁽²²⁾ (ص 244)، مع منظور الممارساتيين Practice Theorist في رفضهم للسببية المنحدرة من البنى Downward Causation، والتي تفرض خطاب مستويات التحليل على الباحثين. إلا أنه يخالفهم في مسألة تثبيتهم الأنطولوجي للفاعلين والبنى ومَشكَلتهم الممارسة، مؤكدًا أنَّ البنى الاجتماعية تنبثق من عالم الإمكانيات الكوانتي إلى عالم الحقائق الكلاسيكي عبر الفاعلين (ص 264). وكانت نتيجة ذلك كلُّه أن قدَّم وُنت نموذجًا مجسمًا ثلاثي الأبعاد "هولوجرام" Holographic للدولة، تتشابه فيه الذات الفردية الواعية في المجتمع عبر بنى اجتماعية تمكِّن فاعليتها Agency وتمنحها أثرًا لامتليًا (ص 246). فمن وجهة نظر كوانتية، الدولة دالة مَوْجِية لامتلية يتشاركها ملايين الأفراد عبر الزمان والمكان؛ إنها مجرد احتمال وليست واقعًا، حتى تتجسد واقعياً عند انهيار الدالات المَوْجِية للأفراد مؤقتًا في شكل ممارساتهم اليومية على غرار التصويت ودفع الضرائب، أو الاستثنائية على غرار الحرب (ص 268). ما يجعل الدولة، إذًا، حقيقة في لحظة ما هي ممارسات أفرادها المؤقتة؛ فعلى عكس الفاعلين الكلاسيكيين، يتشابه الفاعلون الكوانتيون اجتماعيًا عبر اللغة في حقائق بينداتية خطابية تتعلق بالدولة (ص 268-269). لذلك، حتى إن لم نكن قادرين على رؤية الدولة، عيانًا، لوجودها في أذهاننا وممارساتنا الثلاثية الأبعاد، فمن خلال مراقبتها يمكننا إدراكها، الدولة في نهاية المطاف مثل قوس قزح، موجودة فقط حين ينظر إليها شخص ما (ص 273). وهنا يصل وُنت إلى مسألة الوعي الجماعي Collective Consciousness وشعور الـ "نحن" We-feeling الذي يربط بين المشاعر والهوية على مستوى الجماعة (ص 277).

23 ينبغي الإشارة هنا إلى أن كتاب نيكولاس أونوف عالم من صُنْعنا *World of our Making* يعدُّ الكتاب المؤسس الأول للمقاربة البنائية الاجتماعية في الحقل.

24 Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge, UK: University Press, 1999), pp. 39-40.

25 ينظر على سبيل المثال لا الحصر: Friedrich Kratochwil. "Constructing a New Orthodoxy? Wendt's 'Social Theory of International Politics' and the Constructivist Challenge," *Millennium*, vol. 29, no. 1 (January 2000), pp. 73-101.

26 Robert O. Keohane. "Ideas Part-Way Down," *Review of International Studies*, vol. 26, no. 1 (2000), pp. 125-130.

22 اشتهرت هذه الأنطولوجيا بين أوساط ما بعد البنيويين أمثال لاتور ودولوز. وهي أنطولوجيا تتفق مع الفردانية في رفض الأنطولوجيات الهرمية.

الفاعل، وفق منظور ونت، يفتقر إلى الإرادة الحرة Free Will ويتأثر "حتمياً" بثقافة الفوضى السائدة.

أما الإشكالية الثانية فتنبع من حقيقة أن تنظير ونت الكلاسيكي حال دون مَشْكَلة الأبعاد المحلية للفاعلين، الأمر الذي أفضى إلى ظهور ثغرات في تنظيره لتحولات الهوية الجماعية في الفصل السابع؛ ذلك أنه لا يُشترط أن يكون التحوّل في الهوية الجماعية أو الثقافة الدولية خطي الاتجاه، أي من ثقافة هوبزية إلى ثقافة كانطية؛ إذ قد تؤدي بعض العوامل المحلية دوراً في تحويل الثقافة الكانطية التعاونية إلى ثقافة لوكية تنافسية أو تحويل الثقافة اللوكية التنافسية إلى ثقافة هوبزية صراعية. وبخلاف هذه النظرة التي يحرص فيها ونت على التثبيت المنهجي للمستوى المحلي، يقدم المنظر البنائي، تيد هوف، في إسهامه رابطاً بين الهويات المحلية وتوجهات السياسة الخارجية، مؤكداً اعتبارها - أي الهويات - فهوماً بينذاتية ترشد الفاعلين إلى معرفة التهديدات والفرص، والأعداء والأصدقاء في البيئة الدولية⁽²⁸⁾.

3. رؤية ونت للعلاقة بين المادة والأفكار

تعرّض منظور ونت للعلاقة بين المادة والأفكار إلى نقد تجلّى أبرزه في مراجعات روبرت كيوهين وستيف سميث. فمن جانب، اعتبر كيوهين سؤال ونت "هل الأفكار أهم من القوى المادية؟" سؤالاً مضللاً، لأنه يفتح مجالاً لإجابات مراوغة. وأكد في المقابل نجاعة استبداله بسؤال "كيف تتجلى أهمية الأفكار في الجانب المادي؟"؛ ذلك أن سؤالاً كهذا يحيل إلى إجابات تبحث عن الآليات السببية لكيفية تداخل الأفكار بالأبعاد المادية، ما يوضح الدور الذي تؤديه الأفكار في مسائل على غرار السلام الديمقراطي، والحركات الاجتماعية العابرة للحدود الوطنية، وغيرهما⁽²⁹⁾. ومن جانب آخر، وجد سميث شيئاً من الالتباس في تصورات ونت للعلاقة بين المادة والأفكار، مشيراً إلى أن ونت يجادل في بعض المواضع بأن المادة المتمثلة في القوة والمصالح موجودة مستقلة عن الأفكار ولها تأثيراتها السببية، ويعود في مواضع أخرى ليجادل بأن الأفكار مسؤولة عن تشكيل محتوى المصالح. وهكذا، تارة تكون المادة متغيراً سببياً ذا أسبقية على الأفكار، وتارة أخرى تصير متغيراً تابعاً متأثراً بسببية الأفكار⁽³⁰⁾.

28 Ted Hopf, *Social Construction of International Politics: Identities & Foreign Policies, Moscow, 1955 and 1999* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002).

29 Robert O. Keohane, "Ideas Part-Way Down," *Review of International Studies*, vol. 26, no. 1 (2000), p. 129.

30 Steve Smith, "Wendt's World," *Review of International Studies*, vol. 26, no. 1 (2000), p. 154.

والمدرسة الإنكليزية، ويؤمن في الوقت نفسه بأن الوضعية طريقاً ملائماً لفهم تعقيدات العالم الاجتماعي⁽²⁷⁾.

أما ونت، فقد كان يأمل أن يكون كتابه هذا سبباً في تجاوز مصادر التشتت المعرفي والمضي نحو جماعة معرفية تسودها التعددية، "يجري فيها الإمبريقيون تجاربهم التي يستنبطون من خلالها قوانين سلوكية، ويبنون فيها العقلانيون نظرياتهم الاستنتاجية، [...] ويفكر فيها المنظرون النقاد في البنى العميقة" (ص 91). والحقيقة أننا أمام مثل هذا الهدف نتساءل عن مسألتين: الأولى، لماذا لا يرغب ونت في الاعتراف بأن أهدافه هذه أقرب إلى طرح الانتقائية؟ والثانية، كيف سينجح منطق مثل هذا وهو يرى إمكانية مضي كل باحثٍ بالنهج الذي يعتقد فيه الصواب؟ إذ كيف نوفق، على سبيل المثال، بين من يرى ضرورة مقارنة مسألة ما وفق منطق الاستدلال الإحصائي ومن يرى مقاربتها بتحليل الخطاب؟

2. موقف ونت البنيوي

كما قد أشرنا إلى أن نسخة ونت من البنائية الاجتماعية نافحت عن موقف "كلاسيكي" في نقاش الفاعل - البنية؛ على اعتبار أن بنية النظام تؤدي دوراً سببياً، بل مشكلاً للفاعلين وهوياتهم وسلوكهم. غير أن ثمة إشكاليتين تتمخضان عن موقف كهذا: تتعلق الأولى بمسألة غياب قدرة الفاعل على التأمل في تأثيرات البنية الدولية. وتتجلى الثانية في غياب دور الصورة المحلية عن تفسير السياسة الدولية. فيما يتعلق بالإشكالية الأولى، يصير جلياً سعي ونت لتوسيع دور المعتقد Belief على حساب الرغبة Desire في نظريته للفاعلية البشرية؛ إذ إن خطوة كهذه كانت ضرورية لتجاوز الحديث عن إمكانية تأمل الفاعل في مخرجات البيئة الدولية. تقليدياً، دافع العقلانيون عن نظرة تفصل بين المعتقد والرغبة؛ فالرغبة تؤدي دوراً دافعاً للسلوك، في حين تمنح المعتقدات الفاعل القدرة على تصور العالم (ص 119). ومع ذلك، لم يرضَ ونت بمثل هذا الفصام، وسعى في كتابه للتوفيق بينهما عبر ما سماه "نظرية معرفية للرغبة"، وفيها يحاج بأن الرغبة شكل من أشكال المعتقدات المسؤولة عن تقييم العالم (ص 122). ستلقي هذه النظرية بظلالها لاحقاً على تنظيره لثقافات الفوضى الدولية الثلاث؛ فنجد أنه يجادل بأن الثقافة الدولية السائدة تؤدي دور المعتقدات التي تضيف على البعد المادي معناه وترشد الفاعلين إلى التصرف وفقاً لمنطق الملاءمة Appropriateness (ص 262). وبهذا، يبدو كأن

27 Steve Smith, "Wendt's World," *Review of International Studies*, vol. 26, no. 1 (2000), pp. 151-163.

بالأفكار مثل المعتقدات والتوجهات، والسلوكيات التي تصف ما يقوم به المرء من أفعال، والمشاعر المفسرة لوجود المرء في العالم في لحظة معينة، وتتجلى في بُعد السلوكي⁽³²⁾.

من ناحية أخرى، يقودنا نقاش الفاعل - البنية إلى التناقضات المتجلية في موقف ونت حيال مسألة مستويات التحليل، صحيح أنه كان قد أكد مشاركته الممارساتيين وجهة النظر الراضة لخطاب مستويات التحليل، بل موافقته إياهم على حقيقة اعتبار السببية المنحدرة إلى أسفل أمراً مضملاً (ص 264)، ومع ذلك فإن منطق عمل بعض المفاهيم التي يتبناها لا يصح في معزل عن مستويات التحليل. فعلى سبيل المثال، يشير ونت إلى أن "النفسانية الشاملة تأخذ بالتأثير العياني المعروف - إننا واعون - نزولاً Downward إلى المستوى ما دون الذري، لتصبح المادة ذات تفكير جوهري" (ص 31). فضلاً عن ذلك، يؤكد أن نظرية العقل الكوانتي "تأخذ التأثيرات في المستوى ما دون الذري صعوداً Upward إلى المستوى العياني للعقل" (ص 31). وهكذا نجد الكتاب يعج بالمصطلحات التي تدعم حقيقة أن ونت لم يتمكن من الفكاهة تماماً من منطق المستويات؛ ففيما يقارب الخمس عشرة مرة في الكتاب، أتي على ذكر مصطلحي نزولاً/ صعوداً Upward/ Downward، في حين أنه استخدم مفهوم المستويات الجزئية والكلية Micro/ Macro Levels نحو خمسة وستين موضعاً في الكتاب.

2. الإدراك والعاطفة والتناظر الإدراكي

صحيح أن ونت، في سياق تداوله لمضامين الذاتية الثلاثة، كان قد أكد أن مفهوم الإدراك يشير إلى كل الوظائف المرتبطة بعملية التفكير اللاواعية التي من بينها معالجة المعلومات وتخزينها في الذاكرة، ومن ثم استعادتها والتعلم من دروسها مستقبلاً، إلا أن تصورات هذا المفهوم تعارضت مع حججه الناقدة للمنظور الكلاسيكي عن صنع القرار العقلاني. فعلى الرغم من أن تصوره للإدراك يعطي قرائن على قبوله إمكانية الفصل بين الأبعاد الإدراكية العقلانية الباردة والأبعاد العاطفية الواعية والحارة، فإننا نجد في الفصل الثالث من الكتاب يعود ليلقي الضوء على أهمية العاطفة في صنع القرار العقلاني. ففي خضم دفاعه عن نظرية القرار الكوانتي، يشير إلى أنه بخلاف نظرية المنفعة المتوقعة Expected Utility Theory ذات الأسس الاحتمالية المؤكدة لضرورة استبعاد العاطفة اللاعقلانية عن مجال العقل، تفتح نظرية القرار الكوانتي مجالاً لإغناء مفهوم العقلانية عبر نمذجة الأبعاد العاطفية في إطار صنع القرار (ص 167).

رابعاً: خلاصات نقدية حول "توحيد الأنطولوجيا الاجتماعية والفيزيائية"

نلقي في هذا القسم من المراجعة الضوء على خلاصتين رئيسيتين من كتاب ونت الثاني نحسبهما تقتضيان مزيداً من التقصي والنظر. ولنوضح مسألة أساسية ههنا، وهي أن قيمة هذا الجزء تكمن في تجاوزه المنطق الذي يقول لو أن الباحث فعل كذا وكذا لكان أصوب وأقوم، والانتقال إلى المنطق الذي ينظر نقدياً في مدى اتساق حجج الكتاب ومفاهيمه مع منطق الناظم وأسسها التي يحتكم إليها.

1. نظرية الممارسة ومستويات التحليل

إذا كان الشق الأول من عنوان الكتاب، "العقل الكوانتي"، قد تطرق إلى مسألة الوعي، فإن الشق الثاني من العنوان "توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية والاجتماعية" يُعدّ محط نقاشنا في هذا السياق. فمع مساعي ونت تجاوز النقاش المتعلق بالعوامل المادية في مقابل العوامل المتعلقة بالأفكار، قدّم في الجزء الثاني من كتابه ثلاث أطروحات رئيسية: أولاً، مفهوم التماسك الكوانتي بوصفه الأساس الفيزيائي للحياة. وثانياً، النفسانية الشاملة بوصفها مدخلاً ملائماً لمساعي عقلنة المادة. وثالثاً، جعل من الحيوية الكوانتية أساساً أنطولوجياً فيزيائياً يتعامل مع الذاتية بأبعادها الثلاثة: الإدراك، والخبرة الشعورية، والإرادة (ص 144-145، 147). وعلى الرغم من أن ونت كان قد استعان بأدبيات نظرية الممارسة Practice Theory، على غرار أعمال بيير بورديو وثيودور شاتزكي، في مواضع عدة على رأسها التمهيد لوجهة النظر الكوانتية حيال نقاش الفاعل - البنية، فإنه لم يستعرض ما قد تقدمه هذه الأدبيات من إمكانات تتجاوز نقاش العوامل المادية في مقابل العوامل المتعلقة بالأفكار⁽³¹⁾. فعلى سبيل المثال، تتميز أعمال شاتزكي التي تحوّل الممارسة من فعل إلى منطق أنطولوجي، بفتح المجال أمام إمكانية التفاعل بين أربع أنطولوجيات، هي المادية والاجتماعية والفاعل والبنية، وفي حال نقصان إحداها تنتفي إمكانية الحديث عن الممارسة؛ فهي قائمة إذاً على دمج بين المكونات الأربعة، وقابلة في الوقت ذاته للتحليل بالعودة إلى إحداها فقط. ومن خلال التركيز على الفاعل، في حين تتعامل الحيوية الكوانتية مع الذاتية باعتبارها تجربة إدراكية شعورية، يقدم شاتزكي تصوراً أكثر شمولاً واتساعاً للممارسة بوصفها أداءً لـ "الوجود الإنساني" ينبنى على أربعة أبعاد: حالة الإدراك الواعي بالحواس الخمس، والظروف المتعلقة

31 يشير هذا إلى مخاطر عودة ونت إلى الوضعية التي تنطلق من نموذج ما وتداول فرض افتراضاته ومفاهيمه على الواقع الاجتماعي مع تغييب التفسيرات أو "التأويلات" الأخرى المهمة في السياق نفسه.

32 Theodore R. Schatzki, *Social Practices: A Wittgensteinian Approach to Human Activity and the Social* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

أحياناً عن تباحث مثل هذا المفهوم، فإن القيمة التفسيرية لنظرية القرار الكوانتي قد تجعلها أحد التخوم الواعدة لمعالجته. ففي دراسة سعت للبرهنة على أن العوامل الخفية تؤدي دوراً في تحقيق التوازن بين الإدراكات المتضاربة بغية استعادة الاتساق العقلي، جادلت بولينا كرينكوف بضرورة التعامل مع التنافر الإدراكي بوصفه مصدراً لاحتمالية غير كلاسيكية تنتهك صيغة بايز Bayes الشرطية⁽³⁸⁾، بل تنتهك قانون الاحتمال الكلاسيكي⁽³⁹⁾.

خاتمة: الانقطاع والاستمرارية في أعمال ونت وما بينهما: نظرة في الكتابين معاً

تتجلى ملامح الانقطاع بين الكتابين، موضوعي هذه المراجعة، في مسألة الأنطولوجيا وانعكاساتها على العلاقة بين العقل والمادة؛ ففي نظرية اجتماعية للسياسة الدولية، ينطلق ونت من الأنطولوجيا التابعة Supervenience ليجادل بأسبقية الثقافة على الطبيعة، وبأهمية الأفكار التي لا ينبغي أن تُختزل في مجرد اللحظات التي تتضاءل فيها أهمية القوة والمصلحة⁽⁴⁰⁾. بمعنى آخر، ينظر إلى العقل (أو الأفكار) بوصفه ذا طبيعة مستقلة عن المادة، وهي نظرة تضرب جذورها في فلسفة رينيه ديكارت الذي أسس لهذا الفصام. بخلاف ذلك، يحتاج ونت في العقل الكوانتي من أجل التخلي عن المضامين الكلاسيكية لمفهومَي العقل والمادة، وذلك عبر تبني أنطولوجيا نفسانية الشاملة التي تزيل الفصام بين المفهومين بافتراض وعي المادة.

خلافًا لذلك، يمكن تلمس الاستمرارية بين الكتابين في "المقاربة البنائية" التي استأنفت سيرها من نظرية اجتماعية للسياسة الدولية إلى العقل الكوانتي الذي نالت منه حيزاً تجلي عند انتقال ونت من الأجزاء التي ركزت على المستوى ما دون الذري إلى الأجزاء التي ركزت على المستوى الذري. ففي لحظة الانتقال هذه، بدا كأنه قد خلع نظاراته الكوانتية التي أرته عالماً احتمالياً معقداً من الموجات والجسيمات، ليضع نظاراته البنائية التي أعادته إلى عالم الأفكار والبنى واللغة والبنذاتية. فنجده يتداول حججاً بشأن الدولة بوصفها بنية اجتماعية ذهنية تتشكل عبر الممارسات البنذاتية اللغوية للأفراد

تضرب جذور هذين الموقفين المتضاربين، أي الموقف الذي يقتصر الإدراك فيه على التفكير العقلاني البارد، والموقف الذي يوسع مضامين العقلانية لتحتمل الأبعاد العاطفية، في نقاش تمحور حول طبيعة العلاقة بين العقل والعاطفة Reason-emotion Debate. فمن ناحية، قد تتقاطع منطلقات موقفه الأول مع المنظورات العقلية التي تأثرت بالمبدأ الديكارتي "أنا أفكر، إذاً أنا موجود" Cogito, ergo sum؛ إذ تنصّب هذه المنظورات العقل لا العاطفة في مركز الكون، بوصفه المحرك للفعل الإنساني؛ فما يفعله المرء يتمخض في نهاية المطاف عما يدركه بعقله لا على ما تملّيه عليه عواطفه⁽³³⁾. والعاطفة، وفق هذا المنظور، أشبه بـ "سوائل يجاهد كل شخص في كبتها بداخله، إلا أنها تتنفس وتزبد بين فينة وأخرى"⁽³⁴⁾؛ وهو منظور كانت قد مهدت له كتابات سيغموند فرويد، التي تعاملت مع العاطفة بوصفها نزعات تنحصر في الأبعاد الغريزية والبيولوجية، من الممكن تقييدها أو ضبطها حتى لا تتداخل سلبياً في ذاكرة الإنسان وتفكيره القويم. من ناحية أخرى، يتقاطع موقفه الثاني، الكوانتي، مع المنظورات التي تسعى لإقحام العاطفة في حيز العقلانية؛ إما بوصفها مصدراً لا غنى عنه للأبعاد العقلانية⁽³⁵⁾، وإما بوصفها أبعاداً لا غنى عنها لاستمرارية النوع البشري⁽³⁶⁾.

بعيداً عن ضبابية موقفه حيال علاقة العاطفة بالإدراك، ومن خلال الالتفات إلى العوامل الأخرى التي قد تتداخل مع الإدراك إبان عملية صنع القرار، يُستغرب عدم خوض ونت في مفهوم التنافر الإدراكي Cognitive Dissonance الذي يشير إلى التعارض/ التراكب المحتمل في أفكار الفرد ومعتقداته واتجاهاته وسلوكاته، والذي يفضي، في نظر ليون فستنغر، إلى محاولة استعادة الاتساق الإدراكي عبر تبديل السلوكات، من خلال الدافع الداخلي، والتبرير الذاتي، والبحث الانتقائي عن معلومات أو مواقف جديدة⁽³⁷⁾. فعلى الرغم من أن الإطار الاحتمالي الكلاسيكي لصنع القرار قد يعوق الباحثين

33 Jack Barbalet, *Emotion, Social Theory and Social Structure: A Macrosociological Approach* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), pp. 29-61.

34 Barbara H. Rosenwein, "Worrying about Emotions in History," *The American Historical Review*, vol. 107, no. 3 (June 2002), pp. 834-836.

35 Theodore Kemper, "Reason in Emotions or Emotions in Reason," *Rationality and Society*, vol. 5, no. 2 (1993), p. 278.

36 للمزيد حول هذه الإسهامات، ينظر:

Randolph M. Nesse, "Evolutionary Explanations of Emotions," *Human Nature*, vol. 1, no. 3 (1990), pp. 261-289; Steven Pinker, *How the Mind Works* (New York: W.W. Norton & Company, 1997), p. 374.

37 ينظر:

Leon Festinger, *A Theory of Cognitive Dissonance* (Stanford, California: Stanford University Press, 1957).

38 تجادل مبرهنة بايز بأن معرفتنا لاحتمالية حدوث أمر ما ممكنة إن أحطنا بالظروف المسبقة المحيطة به.

39 Polina Khrennikova, "A Quantum Framework for 'Sour Grapes' in Cognitive Dissonance," *Quantum Interaction* (2014), pp. 270-280.

40 Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge, UK: University Press, 1999), p. 371.

الذي تعامل فيه مع فيزياء الكوانتوم ومفاهيمها بوصفها "الحقيقة الوجودية" أو "الحل المنتظر" لا بوصفها حججاً قابلة للدحض والتفنيد، بدا كأنه يفر من برائن الوضعية فقط، ليجد نفسه بين أحضانها من جديد. قد يكون ذلك مقبُولاً في أطروحات أخرى - أعني الانطلاق من مسلّمة كهذه ونفي التعامل معها باعتبارها استعارة مفيدة - إلا أن هذا الطرح لا يصحّ عند النظر في مساعي إسهامه هذا تحديداً؛ ذلك أنه كان قد قدّم كتابه بوصفه محاولة لتقديم اقتراح يتجاوز نقاشات الحقل المثنوية أنطولوجياً وإبستمولوجياً، ومن أهمها نقاش الوضعية - ما بعد الوضعية. بناءً عليه، كيف يصحّ مسعاه هذا في ظل انخراطه في منطق تعميمي أشبه بمنطق الوضعيين؟ ففي مواضع كثيرة، بدا كأنه يشبع تفسيرات الواقع الاجتماعي بدلالات افتراضاته وشبكات المفهومية؛ ما أدى به إلى القفز على بعض السنن المنطقية التي قد يفرضها الواقع الاجتماعي نفسه. فهو لم يوضح الضرورة خلف التحول نحو المنظور الكوانتي، بل كان جُلّ ما قدّمه هو الثمرات المرجوة من إدراج شبكة مفهومية مثل الوعي الجماعي والإدراك والتجربة والإرادة، بل الدولة أيضاً، في إطار فيزياء الكوانتوم، مع سيولة مطّردة في تراتبية المفاهيم بحسب ما تقتضيه الحجّة في كل جزء؛ فتارة تكون الإرادة هي القوة الدافعة إلى انهيار الدالة المَوْجِية (ص 121)، وتارة أخرى يرتبط انهيارها باللغة بوصفها حقيقة بينداتية (ص 242) تُعدّ أساساً لتربط البشر الواقعي. وما بين هذه وتلك، غاب الثبات عن تراتبية المفاهيم في بعض المواضع.

لم يتوقف منطق ونت التعميمي عند السيولة في تراتبية المفاهيم، بل شمل أيضاً التراتبية الأنطولوجية في حجته؛ فبالرغم من أنه اعتبر الوعي موجوداً عند كل مستوى للتحليل، والتي أفرد في معالجتها والتمهيد لها جزءاً كاملاً وشذرات متفرقة بين الفصول، فإنّ أولوية هذه الحجّة تحدّتها حجّة الدالة المَوْجِية، في مواضع عدة في الكتاب، من خلال نحو ثلاثة عشر موضعاً⁽⁴⁴⁾، إلى حدّ أن الوعي نفسه بات يندرج ضمن إطار هذه الحجّة؛ إذ إنه جادل بأن الوعي يُفهم بوصفه تجربة تتجلى في انهيار دالة الموجة وتحقق إمكاناتها. ومن هذا المنطلق، يجادل تورستن ميشيل بأن ثانوية مسألة الوعي في الكتاب تفضي حتماً إلى اعتبار تفصيل ونت في مسائل الوعي والذات أمراً غير مبرر، بل يقتضي استبداله بالنظر في وجود الدالات المَوْجِية وإمكاناتها⁽⁴⁵⁾.

الذين يتفاعلون ضمن شبكة مشتركة من المعاني والأعراف، بل نجد عباراته الكوانتية تتضاءل شيئاً فشيئاً إلى أن تصبح ضرباً من المجاز⁽⁴¹⁾.

وبين الانقطاع والاستمرارية تهيمن الوضعية التي لئن انقطع معها ونت بوصفها إبستمولوجيا، فإنها ظلت تلازمه كلما تعلق الأمر بصوغ فهمه لكيفية ارتباط المفاهيم والعالم. فمن ناحية انقطاعه عن الإبستمولوجيا الوضعية، يمكن أن نفهم كتابه الأول بوصفه محاولة لتجاوز الفخاخ التي علق بها أقرانه الراديكاليون الذين افتقرت إسهاماتهم ما بعد الوضعية إلى مشروع بحثي واضح. فمن جانب، يثبت لهم ونت، مستعيناً بالواقعية العلمية، سذاجة منافحتهم عن وجود ترابط متساوق بين الملاحظة والواقع. ومن جانب آخر، يستند إلى الإبستمولوجيا الوضعية ليؤكد لهم، أي ما بعد الوضعيين، إمكانية الجمع بين الرؤى الأنطولوجية القائلة إن العالم مبني اجتماعياً، والقول بأهمية الدولة والقوى المادية والحسابات العقلانية. بخلاف ذلك، جاء كتابه الثاني بما يلي: أزال الحدود التي ابتدعتها الفيزياء الكلاسيكية بين المراقب والواقع (أي بين الملاحظ والملاحظ)، وأقحم الوعي في جوهر القوى المادية، واستعاض عن الحسابات العقلانية بحسابات كوانتية. أما من ناحية الوضعية بوصفها أساساً لتصورات المتعلّقة بارتباط المفاهيم Higher Order Positivism، فصحيح أن أوليفر كيسلر كان قد احتفى بالتحوّلات الإبستمولوجية التي أحدثها ونت في مواجهة البنائية الراديكالية داعياً أنصارها إلى ضرورة المحافظة على مثل هذا الموقف الذي يمكن النظر إليه "بوصفه تدخلاً سياسياً في الأكاديميا الأميركية التي تهيمن عليها النظرة الوضعية"⁽⁴²⁾، وبوصفه وسيلة لهدم الحدود العلمية ونقد البنائين المعتدلين الذين لا يزالون يقاوضون البنائية بالوضعية؛ إلا أنه ما فتئ يحذر من إمكانية الوقوع في فخ التفهق نحو الوضعية⁽⁴³⁾، وهو تحذير نجده أقرب إلى توصيف واقع ما جرى فعلاً.

في العقل الكوانتي، نافح ونت عن معتقده الخاص القائل إن "البشر دالات مَوْجِية تسير على أقدام، وذلك ليس من باب التشبيه والاستعارة، بل باعتباره ادعاءً واقعياً بشأن ماهية الناس" (ص 3). ومع تجلي تعامله مع "الدالة المَوْجِية" بوصفها خيطاً ناظماً يربط حججه ومفاهيمه، بل مع سعيها المتكرر لإثبات افتراضه إلى الحد

41 في هذا السياق، يعدّ كتاب محمد حمشي، مدخل إلى نظرية التعقّد في العلاقات الدولية، مثلاً آخر لاستخدام المفاهيم المستقاة من فيزياء الكوانتوم مجازياً. ينظر: محمد حمشي، مدخل إلى نظرية التعقّد في العلاقات الدولية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021).

42 Oliver Kessler, "The Mind-Body Problem and the Move from Supervenience to Quantum Mechanics," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 47, no. 1 (2018), pp. 74-86.

43 Ibid., pp. 82, 85.

44 ينظر الصفحات: 3، 37، 97، 153، 154، 181 (في موضعين)، 201، 259، 283، 289، 290، 293.

45 Torsten Michel, "Of Particles and Humans: The Question of 'Human Being' in Alexander Wendt's Quantum Mind and Social Science," *Millennium*, vol. 47, no. 1 (September 2018), p. 123.

المراجع

العربية

- حمشي، محمد. مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.
- نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع. تيم دان وميليا كوري وستيف سميث (محررون). ترجمة ديماء الخضراء. بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

الأجنبية

- Barbalet, Jack. *Emotion, Social Theory and Social Structure: A Macrosociological Approach*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.
- Festinger, Leon. *A Theory of Cognitive Dissonance*. Stanford, California: Stanford University Press, 1957.
- Hopf, Ted. *Social Construction of International Politics: Identities & Foreign Policies, Moscow, 1955 and 1999*. Ithaca, NY. Cornell University Press, 2002.
- Kemper, Theodore. "Reason in Emotions or Emotions in Reason." *Rationality and Society*. vol. 5, no. 2 (1993).
- Keohane, Robert O. "Ideas Part-Way Down." *Review of International Studies*. vol. 26, no. 1 (2000).
- Kessler, Oliver. "The Mind-Body Problem and the Move from Supervenience to Quantum Mechanics." *Millennium*. vol. 47, no. 1 (2018).
- Khrennikova, Polina. "A Quantum Framework for 'Sour Grapes' in Cognitive Dissonance." *Quantum Interaction* (2014).
- Kratochwil, Friedrich. "Constructing a New Orthodoxy? Wendt's 'Social Theory of International Politics' and the Constructivist Challenge." *Millennium*. vol. 29, no. 1 (January 2000).
- Michel, Torsten. "Of Particles and Humans: The Question of 'Human Being' in Alexander Wendt's Quantum

ختامًا، يمكن القول إن تبني ونت الوضعية في كتابه الأول كان نتيجة محاولته بناء أرضية معرفية مشتركة يتجاوز الحقل من خلالها خلافاته، في حين أن انفصاله عنها في كتابه الثاني نبع من إدراكه أن المخرج من نقاشات الحقل لن يأتي هذه المرة بتوفيقٍ من الداخل. وعلى الرغم من ارتحاله إلى الفيزياء الكوانتية، فإنَّ إسهامه ظلَّ مشغولًا بطرح الأسئلة النابعة من هموم حقل العلاقات الدولية.

- Mind and Social Science." *Millennium*. vol. 47, no. 1 (September 2018).
- Nesse, Randolph M. "Evolutionary Explanations of Emotions." *Human Nature*. vol. 1, no. 3 (1990).
- Rosenwein, Barbara H. "Worrying about Emotions in History." *The American Historical Review*. vol. 107, no. 3 (2002).
- Schatzki, Theodore R. *Social Practices: A Wittgensteinian Approach to Human Activity and the Social*. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.
- Smith, Steve. "Wendt's World." *Review of International Studies*. vol. 26, no. 1 (2000).
- Smith, Steve, Ken Booth & Marysia Zalewski (eds.). *International Theory: Positivism and beyond*. Cambridge: Cambridge University Press, 2009.
- Wendt, Alexander. *Social Theory of International Politics*. Cambridge. UK: Cambridge University Press, 1999.
- _____. *Quantum Mind and Social Science: Unifying Physical and Social Ontology*. Cambridge: Cambridge University Press, 2015.

المقاربة الواقعية لعلاقات العالم العربي الدولية الوعود والحدود

أحمد قاسم حسين
أسامة أبو أرشيد
الحسين شكراني
حكيمات العيد الرحمن

تحرير: أحمد قاسم حسين



صدر حديثاً

تأليف: مجموعة مؤلفين
تحرير: أحمد قاسم حسين

المقاربة الواقعية لعلاقات العالم العربي الدولية – الوعود والحدود

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات المؤلف الجماعي **المقاربة الواقعية لعلاقات العالم العربي الدولية – الوعود والحدود**، حرره أحمد قاسم حسين، ويتضمن مقدمة واثنى عشر فصلاً موزعة على ثلاثة أقسام، ويقع في 544 صفحة، شاملة بيبليوغرافيا وفهرساً عامًا.

سياسات عربية هي دورية محكمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، وتحمل الرقم الدولي المعياري ISSN: 2307-1583. صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. تصدر مرة واحدة كل شهرين، ولها هيئة تحرير علمية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. تستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات ذات الصلة بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية كافة.

تُعنى الدورية بنشر الدراسات في مجموعة متنوعة من مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية؛ مثل الفكر السياسي، والنظرية السياسية، والسياسة المقارنة، ودراسات الدولة والنظم والمؤسسات السياسية، ودراسات الرأي العام، والاقتصاد السياسي، والسياسة الدولية، والنظم الإقليمية والدولية، والدراسات الاستراتيجية والأمنية، ودراسات النزاع، والاقتصاد السياسي الدولي، والدبلوماسية والسياسة الخارجية، والقانون الدولي، والحوكمة العالمية. ترحب الدورية بالدراسات النظرية والإمبريقية، وبالأبحاث التي توظف مناهج كيفية أو كمية أو تمزج بينها. وتهتم خاصةً بالتحويلات السياسية، الوطنية والإقليمية، التي يشهدها العالم العربي، وما يتعلق بها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية، إضافة إلى علاقات العالم العربي الدولية.

تعتمد الدورية المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة، وفقاً لما يلي:

— **أولاً:** أن يكون البحث أصيلاً معدداً خصيصاً للدورية، وألا يكون قد نشر جزئياً أو كلياً أو نُشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أي جهة أخرى.

— **ثانياً:** أن يرفق البحث بسيرة مختصرة للباحث.

— **ثالثاً:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته.
- الملخص باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (250-300) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية Keywords. ويقدم الملخص إشكالية البحث، وأطروحاته الرئيسة، والمنهجية المتبعة في بحثها، والاستنتاجات التي توصل إليها، وذلك بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة.
- تحديد إشكالية البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق أن كُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد أطروحة البحث والجديد الذي تضيفه إلى المعرفة الأكاديمية في الموضوع، ووضع تصوّر مفهومي وتحديد مؤثراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات، على أن يكون البحث مذيلاً بقائمة ببليوغرافية تتضمن أهم المصادر والمراجع التي استند إليها. وتذكر في القائمة بيانات المراجع بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقاً لنظام الإحالات المرجعية المعتمد في المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).

- لا تنشر الدورية مستلات أو فصولاً من رسائل جامعية أقرّت إلّا على نحو استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في الدورية. وفي هذه الحالة، على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.

- أن يقع البحث في مجال أهداف الدورية واهتماماتها البحثية.

- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك هوامشه ومراجعته وملحقاته، بين 8000-10000 كلمة. وللدورية أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض الأبحاث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد.

- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي أُعدّت بها في الأصل بحسب برنامجي إكسل Excel أو وورد Word ، ولا تُقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسل صوراً.

- تهتم الدورية بنشر مراجعات نقدية معمقة لأبرز الكتب الصادرة حديثاً في مجالات اختصاصها، بأيّ لغة من اللغات، شرط ألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من خمس سنوات. ويمكن هيئة التحرير، استثناءً، اعتماد مراجعات لكتب أقدم من ذلك إذا رأت فيها قيمة مضافة إلى الدورية. يراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.

— **رابعاً:** يخضع كلّ بحث لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، ويقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصاً دقيقاً في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القراء في المركز العربي. وفي حال تباين تقارير المحكّمين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم هيئة تحرير الدورية، في حدود الإمكان، بموافاة الباحث بقرارها بالنشر أو النشر بعد إجراء تعديلات محددة أو الاعتذار عن عدم النشر في فترة لا تتجاوز أربعة أشهر من تاريخ استلام البحث.

— **خامساً:** تلتزم الدورية ميثاقاً أخلاقياً يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم الدورية بجودة خدمات التحرير والتدقيق اللغوي والتحرير العلمي التي تقدّمها للبحث.

- يخضع ترتيب نشر البحوث لمقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.

- لا تدفع الدورية مكافآت مالية عن الموادّ - من الدراسات ومراجعات الكتب - التي تنشرها؛ مثلما هو متّبع في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى الدورية أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

1. الكتب

- اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المترجم أو المحرر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر)، رقم الصفحة.
- جيمس بيسكاتوري، الإسلام في عالم الدول القومية (بيروت: دار النهضة، 1986)، ص 116-119.
 - كيت ناش، السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.
- ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.
- ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النحو التالي مثلاً: ناش، ص 117.
- أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصراً: ناش، السوسيولوجيا، ص 117.
- أما في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النحو التالي:
- ناش، كيت. السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.
- وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة [وآخرون]. مثال:
- السيد ياسين [وآخرون]، تحليل مضمون الفكر القومي العربي، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.
- ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين [وآخرون]، ص 109.
- أما في قائمة المراجع فيكون كالتالي:
- ياسين، السيد [وآخرون]. تحليل مضمون الفكر القومي العربي. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

2. الدوريات

- اسم المؤلف، "عنوان الدراسة أو المقالة"، اسم الدورية، المجلد و/أو رقم العدد (سنة النشر)، رقم الصفحة. مثال:
- محمد حسن، "الأمن القومي العربي"، إستراتيجيات، مج 15، العدد 1 (2009)، ص 129.
- أما في قائمة المراجع، فنكتب:
- حسن، محمد. "الأمن القومي العربي". إستراتيجيات. مج 15، العدد 1 (2009).

3. مقالات الجرائد

- تكتب بالترتيب التالي (تذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:
- السيد ياسين، "من الحادثة إلى ما بعد الحادثة 2"، الحياة، 2016/8/21.

4. المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، اسم السلسلة (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهدي في 2016/8/9، في: <http://www.....>

ويتعين ذكر الرابط مختصراً بالاعتماد على مُختصر الروابط Bitly أو Google Shortner مثل:

- "ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، الجزيرة نت، 2012/12/24، شوهدي في 2012/12/25، في: <http://bit.ly/2bAw2OB>
- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهدي في 2016/8/18، في: <http://bit.ly/2b3FLeD>

ملحق 2: أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

1. تعتمد مجلات المركز العربي قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم بالنسبة إلى الباحث والمحكمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم إلى محكمين معتمدين لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكمين، تُحيل الدورية البحث إلى قارئ مرّجّح آخر.
2. تعتمد دوريات المركز محكمين موثوقين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
3. تعتمد دوريات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
4. لا يجوز للمحررين والمحكمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه)، أن يبحثوا الورقة البحثية المقدمة للدورية مع أي شخص آخر، بما في ذلك المؤلف. وينبغي الإبقاء على أي معلومة أو رأي جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرية، ولا يجوز استعمال أي منهما لاستفادة شخصية.
5. تقدّم الدورية في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فني ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
6. تلتزم الدورية إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
7. تلتزم دوريات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعة والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
8. احترام قاعدة عدم التمييز: يقيم المحررون والمراجعون المادة البحثية بحسب محتواها العلمي، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.
9. قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أي مؤلف من المؤلفين، أو الشركات، أو المؤسسات ذات الصلة بالبحث.
10. تنقيد الدوريات بعدم جواز استخدام أي من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال إلى الدورية في بحوثهم الخاصة.
11. النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض الدورية النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أي تعديلات مهمة أو إضافات على البحث، إلا ما كان من تصحيحات أو توصيات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تحدّده رسالة الدورية إلى الباحث.

12. حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في دورياته العلمية المحكمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئياً أو كلياً، سواءً باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
13. تنقيد دوريات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقييداً كاملاً بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
14. المجانية. تلتزم دوريات المركز العربي بمجانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلفين من جميع رسوم النشر.

12. Intellectual property and copyright: The ACRPS holds the intellectual property rights for articles published in its peer-reviewed journals. These articles may not be republished, in whole or in part, in Arabic or in translation into other languages, without the Center's explicit written permission.
13. For translated articles, the journals fully comply with the conditions of the original publisher and respect intellectual property rights.
14. The Center's journals are committed to free publication and exempt authors from all publication charges.

Annex II: Ethical Guidelines for Publication in *Siyasat Arabiya*

1. *Siyasat Arabiya's* editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects two accredited reviewers with proven expertise, who evaluate it according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third reviewer will be selected.
2. *Siyasat Arabiya* relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. *Siyasat Arabiya* follows a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.
5. Based on reviewers' reports, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. The journal editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing a high standard of professional copy editing, proof reading, and production quality during the publication process.
8. Non-discrimination principle: Editors and reviewers evaluate submissions solely on their intellectual merit, without discrimination based on race, gender, religion, or the author's political philosophy.
9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or affiliations with any of the authors, companies, or institutions connected to the research.
10. Confidentiality: unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.
11. Final version and revisions: Before publication, the journal sends the author a semi-final edited version of the article in PDF format. At this stage, only corrections or very minor amendments are allowed, within a short time frame specified in the journal's correspondence with the author.

3. Newspaper articles

Author name (if available), "Article Title," *News Outlet*, 00/00/0000.

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

- Ian Black, "Assad urges US to rebuild diplomatic road to Damascus," *The Guardian*, 172009/02/.

4. Online Sources

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

Author name (if available), "Article Title," series name (if any), *website name*, publication date, access date, and full URL (or shortened using reputable shortener).

Examples:

- Patrick Wintour "Israeli attempt to annex West Bank would be 'red line' for US, says Macron," *The Guardian*, 242025/09/, accessed on 252025/09/, at: <https://acr.ps/1L9BORH>
- Harith Hasan and Hazim Rahahleh, "Post-Liberalism: Trumpism and the Rise of Economic Nationalism," *Economic Papers*, Arab Center for Research and Policy Studies, 242025/02/, accessed on 252025/09/, at: <https://acr.ps/1L9BPFF>

Annex I: Footnotes and Bibliography

1. Books

In footnotes:

Author's name, *Book Title*, Translator or Editor's name, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

For example:

- Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99100-.
- Gabriel Garcia Marquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 55242-.

Subsequent non-consecutive citations:

- Marquez, p. 117.
- If multiple works are cited by the same author: abbreviated title used, e.g. Marquez, *Cholera*, pp. 117.
- If immediately consecutive: Ibid., pp. 118.

The corresponding bibliographical entry:

- Garcia Marquez, Gabriel. *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.). London: Cape, 1988

If more than three authors: cite main author/editor plus "et al."

- Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*, (London: Sage, 1994), pp. 109.
- In later quotes: Gibbons et al., pp.35.

The corresponding bibliographical entry:

- Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

2. Journals

In footnotes:

Author's name, "Article Title," *Journal Title*, vol. and/or issue (Year), page number.

- Mohamed Hassan, "Arab National Security," *Strategies*, vol. 15, no. 1 (2009), p. 129.

Corresponding bibliographical entry:

- Hassan, Mohamed. "Arab National Security." *Strategies*. Vol. 15, no. 1 (2009).

key indicators, description of methodology, analysis and findings, and conclusions. Each article must end with a bibliography listing the main sources and references, cited in their original language(s).

- Citations and references must follow the Arab Center's referencing style (Appendix 1: Footnote and Reference Style Guide).
 - The journal does not normally publish excerpts or chapters from approved theses, except in exceptional cases and only once they have been revised by the author for publication in the journal. In such cases, the author must indicate this and provide full details of the thesis title, date of defence, and institution.
 - The article must fall within the research scope of the journal.
 - Articles should be between 8,000–10,000 words (including references, footnotes, tables, figures, and appendices). In exceptional cases, the journal may accept longer studies.
 - Figures, charts, equations, or tables must be submitted in their original formats (Excel or Word). Images are not acceptable.
 - The journal publishes in-depth critical reviews of significant recently published books in its fields of interest (in any language), provided they were published within the last five years. Exceptionally, the editorial board may accept reviews of older works if deemed valuable. Reviews should be 4,500–5,000 words and are subject to peer review.
- **Peer review:** All submissions are subject to a double-blind peer review by two anonymous reviewers who are recognized experts in the subject area, selected from the Arab Center's reviewer database. In case of conflicting reports, the article is referred to a third reviewer. The editorial board undertakes to notify authors of its decision (acceptance, acceptance conditional on revisions, or rejection) within four months of submission.
- **Ethical charter:** The journal upholds an ethical code of confidentiality, objectivity, and non-disclosure of research information by editors, reviewers, or board members to anyone other than the author, reviewers, and editorial team (Appendix 2).
- The journal provides expert language and academic editing.
 - The order of publication is based on technical considerations and not on the author's academic standing.
 - The journal does not provide financial compensation for published studies or book reviews, in line with international scholarly practice. Nor does it charge publication fees.

Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies and Doha Institute for Graduate Studies (ISSN: 2307-1583). First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers. It adheres to an ethical charter that governs its publishing standards and the relationship between the journal and researchers. It also relies on internal regulations to organize the peer-review process, as well as an approved list of reviewers specializing in all fields of political science and international relations.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science and international relations, including political thought, political theory, comparative politics, studies of state, political systems and institutions, public opinion studies, political economy, international politics, regional and international systems, strategic and security studies, conflict studies, international political economy, diplomacy and foreign policy, international law, and global governance. The journal welcomes both theoretical and empirical studies, as well as research employing qualitative or quantitative methods, or a combination of both. Particular attention is paid to the contemporary political transformations in the Arab world, specifically in relation to political systems, political stability and regional relations.

Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must adhere to the following guidelines, in line with peer-reviewed international journals:

- **Originality:** The article must be original and prepared specifically for the journal. It must not have been published, in whole or in part, or in a similar form, in any print or digital medium; nor should it have been presented at any conference other than those organized by the Center or submitted elsewhere.
- **Author details:** The submission must be accompanied by a short biography of the author.
- **Article requirements:** Each article should include:
 - The title in both Arabic and English, a brief author bio that lists institutional affiliation, and the author's latest publications.
 - Abstracts in both Arabic and English (250–300 words each) and keywords. The abstract should clearly and concisely state the research question, main argument, methodology, and conclusions.
 - A statement of the research question, objectives, and significance, a critical review of relevant literature (including the most recent work), a clear research hypothesis, a conceptual framework with

دعوة للكتابة

” تدعو دورية سياسات عربية الباحثات والباحثين المهتمين بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية والحقول المعرفية ذات الصلة إلى تقديم أبحاثهم لنشرها في الدورية. تقبل سياسات عربية الأبحاث النظرية والإمبريقية الرصينة، المكتوبة باللغة العربية، ومراجعات الكتب النقدية المعمقة. وتخضع جميع المواد التي تصلها لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، وذلك من قبل محكمين مختصين اختصاصًا دقيقًا بموضوع البحث. وتتوقع الدورية من الباحثين الالتزام بمعاييرها، وبملاحظات المحكمين واقتراحاتهم، بهدف تجويد البحث. وتهدف الدورية إلى أن تكون طيبة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحية برصانة ما تنشره.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير

على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

قسمة الاشتراك

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

الاسم

العنوان البريدي

البريد الإلكتروني

عدد النسخ المطلوبة

طريقة الدفع

☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز

Invitation to submit papers



Siyasat Arabiya welcomes submissions from researchers interested in political science, international relations, and related fields. The journal publishes rigorous theoretical and empirical studies written in Arabic as well as in-depth critical book reviews. All submissions are subject to double-blind peer review, carried out by experts on the subject. Authors are therefore expected to adhere to the journal's standards and to adopt reviewers' comments and suggestions. *Siyasat Arabiya* seeks to be accessible to both specialists and non-specialist readers, without compromising the academic integrity of its publications.



All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

Address all correspondence to the Editor-in-Chief



سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون
ص.ب: 11-4965 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
Qatar National Bank
Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)
IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)
SWIFT code: QNBA LB BE

الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

- | | |
|-----|--|
| 35 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في لبنان. |
| 55 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان. |
| 55 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا. |
| 75 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا. |
| 95 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في أوروبا. |
| 120 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا. |
| 120 | دولارًا أمريكيًا للأفراد في القارة الأمريكية. |
| 140 | دولارًا أمريكيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأمريكية. |



من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات



- للحصول على منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يرجى الاطلاع على قائمة مؤرّعي الكتب والمجلات على موقعنا الإلكتروني: www.dohainstitute.org
- بالنسبة إلى البلاد التي لا يوجد فيها موزعون إلى الآن، يرجى الاتصال مباشرة بقسم التوزيع في مكتب بيروت، هاتف: 009611991837 أو على البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

ملف:

أربعون عامًا من البنائية في حقل العلاقات الدولية

المحرر: محمد حمشي

محمد حمشي

تقديم: البنائية هي ما يصنعه البنائيون منها

نيكولاس أونوف

استهلال: ما الذي ينبغي أن نصنعه من مقالة
"الفوضى هي ما تصنعه الدول منها؟"

محمد حمشي

البنائية في حقل العلاقات الدولية: المدارك والمسالك

عبد النور بن عنتر

الأمن من منظور بنائي: الأمن هو ما تصنعه الدول منه

مرودة فكري

تحوّلات النظام الإقليمي العربي: مقاربة بنائية

مي درويش

ألكسندر ونت في الشرق الأوسط: كيف يبنى
الاختلاف في قلب الهويات الجماعية؟

دراسة مترجمة

ألكسندر ونت

ترجمة سارة إسماعيل

الفوضى هي ما تصنعه الدول منها: سياسة القوة
بوصفها بناءً اجتماعيًا

التوثيق

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي
في المدة 1/1 - 2025/2/28

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي
في المدة 1/1 - 2025/2/28

الوقائع الفلسطينية في المدة 1/1 - 2025/2/28

مراجعات الكتب

سارة ناصر

رحلة ألكسندر ونت من "نظرية اجتماعية للسياسة
الدولية" إلى "توحيد الأنطولوجيا الفيزيائية
والاجتماعية"



سعر النسخة

قطر	18 ريالاً	العراق	3500 دينار	الجزائر	150 ديناراً
السعودية	18 ريالاً	تونس	3 دنانير	المغرب	18 درهماً
الإمارات	18 درهماً	سوريا	150 ليرة	موريتانيا	500 أوقية
البحرين	ديناران	لبنان	100000 ليرة	ليبيا	3 دنانير
الكويت	1,5 دينار	الأردن	1,5 دينار	فلسطين	3 دولارات
عمان	ريالان	اليمن	300 ريال	الصومال	2500 شلن
مصر	20 جنيهاً	السودان	10 جنيهاً		

